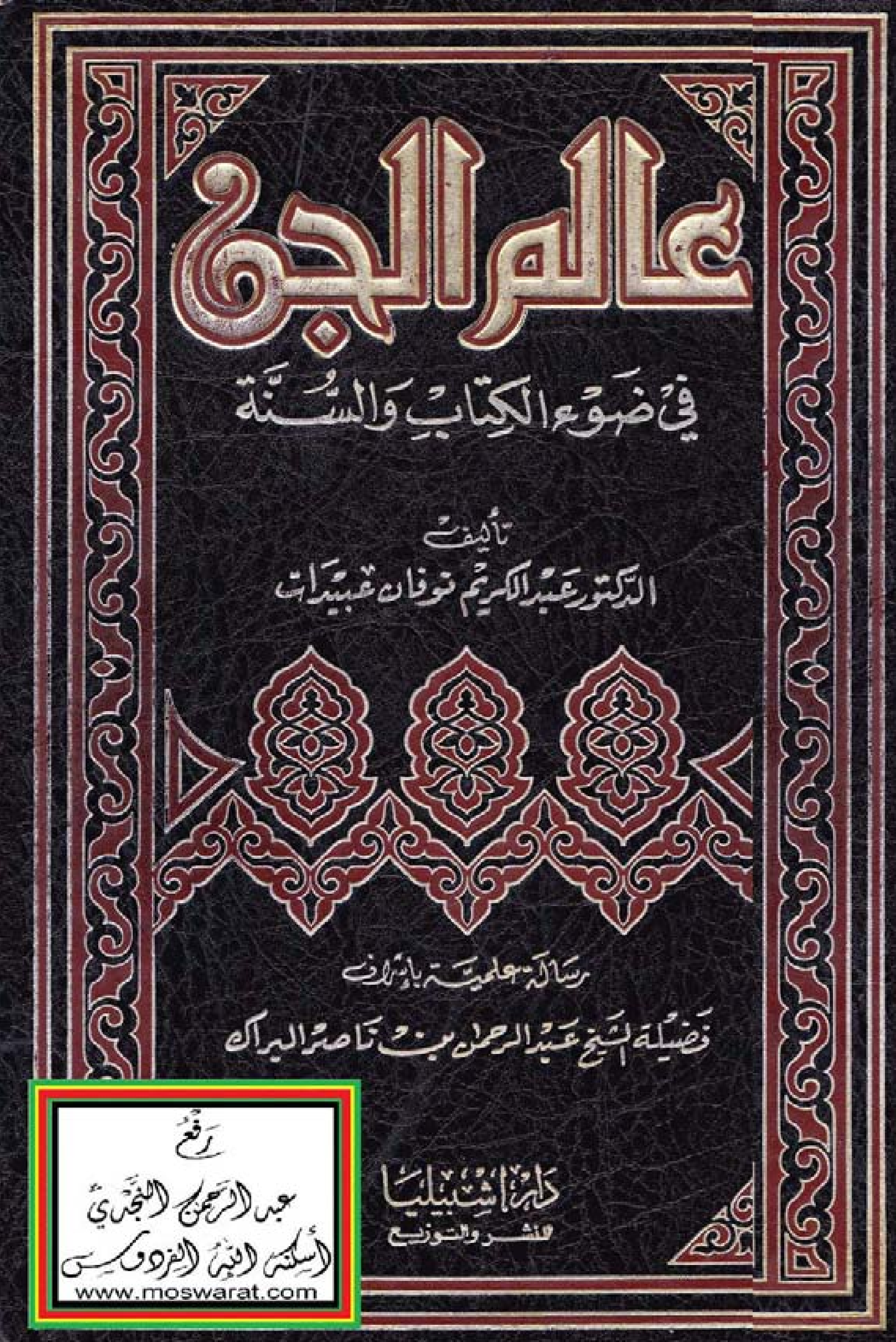
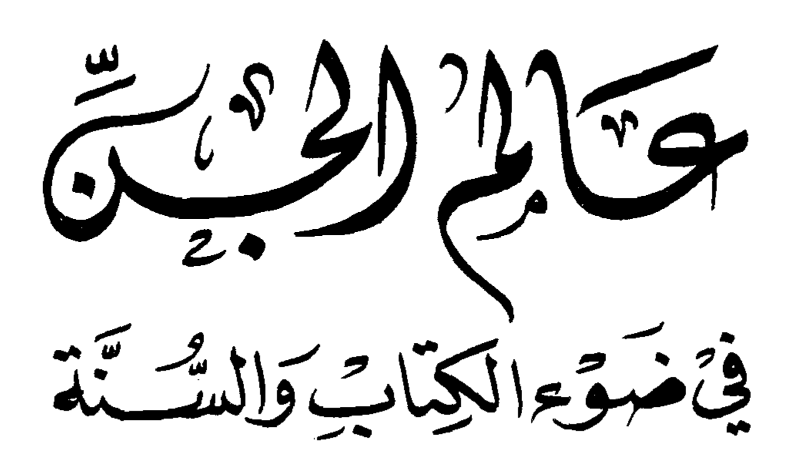

عالم الجن
في ضوء الكتاب والسنة
تأليف
الدكتور عبد الكريم نوفان عبيدات
رسالة علمية بإشراف
فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك
دار إشبيليا
للنشر والتوزيع
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عالم الجن

في ضوء الكتاب والسنة


بسم الله الرحمن الرحيم



تأليف
الدكتور عبد الكريم نوفان عبيدات

رسالة علمية بإشراف
فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

دار إشبيليا
للنشر والتوزيع

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبيدات، عبدالكريم نوفان

عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة. ـ ط. ٢ ـ الرياض

... ص؛ .. سم

ردمك: ٤ - ٥٦ - ٧٢٧ - ٩٩٦٠

١ - الشياطين والجان ٢ - الغيبيات أ - العنوان

ديوي ٢٤٣ ١٩/٢٠٣٢

رقم الإيداع: ١٩/٢٠٣٢

ردمك: ٤ - ٥٦ - ٧٢٧ - ٩٩٦٠

الطبعة الثانية

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م



دار إشبيليا للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية - ص.ب: ١٣٣٧١- الرياض: ١١٤٩٣

هاتف: ٤٧٩٤٣٥٤ - ٤٧٤٢٤٥٨ - فاكس: ٤٧٧٣٩٥٩

المقدّمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، الذي بعثه الله رحمة للإنس والجن على السواء، وبعد:ـــ

فإن العقيدة التي تعتنقها أي أمة هي التي تحدد شخصيتها وسلوكها، لأنها ترسم لها مسارها في هذه الحياة، بغض النظر عن صحتها أو خطئها.

ولقد جاءت العقيدة الإسلامية عقيدة فريدة من نوعها، متميزة بشمولها وبساطتها ووضوحها، لأنها عقيدة ربانية، أنزلها الله لتستضيء البشرية بنورها، وتحتمي بعدلها، فجاءت ملائمة لطبيعة الإنسان، ملبية لحاجاته ورغباته

أما خاصية الشمول في هذه العقيدة، فلأنها تعطي الإنسان فكرة شاملة عن الإنسان والكون والحياة، التي حارت البشرية في إدراك كنهها، فجاءت لتجيب على كل التساؤلات المتعلقة بالخالق، ووظيفة الإنسان على هذه الأرض، وماهي العلاقة التي تربط الإنسان بخالقه وبالكون من حوله، وبأخيه الإنسان على هذه الأرض، ومن ثم علاقته ببقية المخلوقات في هذا الوجود، وبعد ذلك ماهو النظام الذي يصلح لقيادة البشرية على هذه الأرض.

وأما خاصية البساطة والوضوح في هذه العقيدة فلأنها لاتدخل في ألغاز ومعميات لفهم حقيقة الإله، وحقيقة الملائكة والرسل والكتب التي أنزلت عليهم وغير ذلك من مقومات العقيدة، بل تعطي الإنسان فكرة واضحة ومبسطة، تقبلها العقول والفطر السليمة، وترتاح لها وتطمئن بها.

ولقد تخبطت البشرية منذ القدم في أمر هذا الكون وخالقه، وفي غاية وجود الإنسان في هذه الحياة، وتخبطت مرة أخرى في طبيعة العلاقة التي تربط هذا المخلوق بخالقه، وفي طبيعة العلاقة التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان، ومن ثم بسائر المخلوقات في هذا الوجود.

تاهت البشرية في هذا كله، وانحرفت عن الفطرة المتمثلة في الإقرار بوجود الله، ووجوب التوجه إليه بالعبادة، واتخذت من مخلوقات هذا الكون ـــ على اختلافها ـــ أرباباً وآلهة من دونه سبحانه.

وتاهت البشرية أيضاً في فهم طبيعة الكائنات التي خلقها الله في هذا الكون كالملائكة والجن مثلاً، وأصبح للخيال ميدانه الخصيب في تحديد كنه هذه المخلوقات، فتصور بعض الناس أن هذه المخلوقات تشارك الله في تدبير هذا العالم، وأنها تملك النفع والضر من دونه سبحانه، بل وصل بعض الناس في تفكيره إلى أن الله والملائكة في جهة، يتقاتلون مع إبليس وذريته في الجهة الأخرى، وأن الصراع قائم بين هاتين الطبيعتين، فتارة تكون الغلبة لقوى الخير، وأخرى لقوى الشر، إلى غير ذلك من التصورات الجائرة في إدراك حقيقة خالق هذا الكون، وما أوجده فيه من المخلوقات.

ولما كنت بصدد اختيار موضوع لرسالة الماجستير شد انتباهي موضوع عالم الجن، هذا العالم الذي حامت حوله الأساطير الكثيرة والقصص المثيرة، التي يتشوق لسماعها الكبار والصغار، والرجال والنساء على حد سواء، يستمعون لذلك يحدوهم السرور تارة، والخوف تارة أخرى، أما السرور فلأن القصص عن هذا العالم في غاية الإثارة والدهشة، ولأنها تحكي لنا حياة عالم مغيب عنا، فيكون الحديث عنهم عندئذ أشوق، وأما الخوف فلأن هذه القصص تحكي لنا عن قدرة الجن العظيمة وظهورهم للناس في أشكال مختلفة تحمل الخوف والرعب.

ومازلنا نسمع عن هذا العالم الغرائب والعجائب، وبقيت في أذهان الكثيرين هذه الصور المخيفة والمرعبة، وكنا نتشوق لكتاب يبحث عن تفاصيل هذا العالم، وماهي طبيعته؟ وكيف يعيش؟ وهل حقا أنه يخيف ويؤذي، ويملك هذا السلطان الموهوم؟.

وحانت الفرصة القيمة التي لا تفوت، فأحببت أن يكون موضوع رسالة الماجستير عن عالم الجن، لأتبين حقيقة هذا العالم عن كثب، من خلال ما رسمه القرآن الكريم والسنة النبوية.

وترددت في البداية في الكتابة حول هذا الموضوع، بسبب الصورة المخيفة التي حملتها عن هذا العالم منذ الصغر، ولقلة المادة العلمية الجادة حول هذا العالم، ورغم كل ذلك عزمت على السير في هذا الطريق، مستلهماً الرشاد السداد والتوفيق من الله رب العالمين، وصممت رغم المصاعب الكثيرة أن أكتب في هذا الموضوع، ليكون لدي فرقان بين الحق والباطل، وبين الحقيقة والخرافة، ولأنير الطريق للآخرين في إدراك حقيقة هذا المخلوق، وماهي طبيعة الحياة التي يعيشها؟ وماهي العلاقة التي تربطه بخالقه؟ ومن ثم ماهي طبيعة العلاقة التي تربطه بالإنسان، الذي تراكمت لديه أسفار من الحكايات والغرائب على مدار التاريخ عن هذا المخلوق.

إن عالم الجن يشكل أحد روافد العقيدة الإسلامية، التي يترتب على إنكار أحد مقوماتها الكفر والعياذ بالله، فقد أخبرنا القرآن الكريم عن عالم الجن في آيات كثيرة، قرنت بينه وبين الإنسان في كثير من المواضع، واستمعنا للقرآن وهو يخبرنا عن الغاية من خلق عالمي: الإنس والجن في قوله تعالى: ﴿**وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**﴾[1]، واستمعنا

---

(١) سورة الذاريات الآيات ٥٦ ، ٥٧.

للقرآن وهو يخبرنا عن استماع نفر من الجن للرسول ﷺ وهو يتلو القرآن بمكة: ﴿**قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرءاناً عجبا يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحدا**﴾[1]، فتنبهت أذهاننا عندئذ أن الصورة التي حملتها البشرية عن هذا المخلوق خاطئة في كثير من جوانبها، وأنها قد ضلت الطريق فى تصورها لعالم الجن.

ولقد كان الاعتقاد بأن للجن سلطاناً في الأرض ــ وأنهم يعلمون الغيب، وأنهم يطاردون الناس في الفيافي والقفار ــ فاشياً في كل جاهلية، ولا تزال الأوهام والأساطير من هذا النوع تسود بيئات كثيرة إلى يومنا هذا، تتردد على الألسنة هنا وهناك.

وبينما يعيش الناس هذه الأوهام عن عالم الجن، نجد في المقابل ــ اليوم ــ من ينكرون عالم الجن أصلاً، ويصفون أي حديث عن هذا الخلق بأنه حديث خرافة.

ولقد جاء هذا البحث ــ فيما أحسب ــ صورة صادقة عن ذلك العالم المغيب عنا، يثبت وجوده ويحدد الكثير من خصائصه، ويرد على المنكرين في كثير من القضايا التي تتعلق بعالم الجن، وفي الوقت ذاته يكشف الأوهام والأساطير العالقة بالأذهان عن ذلك الخلق، ويدع تصور المسلم عنه واضحاً دقيقاً، متحرراً من الوهم والخرافة، ومن التعسف في الإنكار الجامح كذلك إن شاء الله.

إن الكون من حولنا حافل بالأسرار، عامر بالأرواح، حاشد بالقوى، ولقد جاء هذا البحث ليعرفنا على جانب من جوانب هذا الوجود، يعين على تصور حقيقي صحيح للوجود وما فيه من قوى وأرواح تعج من حولنا، وتتفاعل مع حياتنا

(١) سورة الجن الآيات ١ ، ٢.

وذواتنا، وهذا التصور هو الذي يميز المسلم ويقف به وسطاً بين الوهم والخرافة، وبين الإدعاء والتطاول، ومصدره هو القرآن والسنة، وإليهما يحاكم المسلم في كل تصور، وفي كل قول وكل تفسير.

إن عالم الجن يماثل عالم الإنس في ازدواج طبيعته القابلة للخير والشر، وأغلبنا ــ حتى الدارسون ــ على اعتقاد أن الجن يمثِّلون الشر وقد خلصت طبيعتهم له، وأن الإنسان وحده بين الخلائق هو ذو الطبيعة المزودجة، وهذا ناشيء عن مقررات سابقة في أذهان الكثيرين، وفي تصوراتهم عن حقائق هذا الوجود، وقد آن أن تراجع هذه التصورات في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.

وقد جاء هذا البحث ليعطينا جزءاً من الحقيقة عن هذا العالم، وأنه والإنسان مشتركان في التكليف، وأن سلطانه محدود في هذه الأرض، وأنه محاسب على أعماله في الآخرة، خلافاً لما كان أهل الجاهلية ــ قديماً وحديثاً ــ يعتقدون ويتصورن.

وتأملت في الكتابات المتعلقة بهذا المخلوق فوجدتها صنفين:

الأول : صنف من الناس كتب في هذا الموضوع كتابة خلط فيها الحق بالباطل، والسمين بالغث، فما عادت تتبين الرؤية الصحيحة عن هذا المخلوق.

والثاني : صنف كتب عنه كتابة مستمدة من الكتاب والسنة، ولكنها في غاية الاختصار، كفصل من كتاب، أو صفحات قليلة، فجاءت غير وافية بالمطلوب.

وإزاء هذا بقي الموضوع في حاجة إلى بحث يجمع شتاته، ويقرب مسائله لطالبي المعرفة، فرأيت أن أكتب في هذا الموضوع كتابة جادة متعمقة، مستمدة من التصور الإسلامي، الذي رسمه القرآن الكريم والسنة النبوية.

وكنت حريصاً من البداية أن تكون كتابتي بعيدة عن التعويل على الروايات الضعيفة، فضلاً عن الروايات الموضوعة، ليكون هذا البحث صورة واضحة المعالم، صادقة المضمون عن هذا العالم، الذي يعيش معنا على هذا الأرض، ويشترك معنا في التكليف.

وقد استقيت مادة هذا البحث من القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن كتب العقيدة على اختلاف اتجاهات أصحابها، والكتب التي تعنى بمذاهب الطوائف، ومن كتب التفسير، وعلى رأسها: تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، والتفسير الكبير للفخر الرازي، وغيرها من التفاسير والكتب التي لها مساس من قريب أو بعيد بهذا الموضوع.

وإزاء هذا سميت هذا البحث :

(عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة)

وقد جاء على النسق التالي :

١ ــ **الباب الأول**: المراد بالجن، وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : تعريف الجن، وتحدثت فيه عن تعريف الجن في اللغة والاصطلاح، وما مدى الارتباط بين المعنيين.

الفصل الثاني : صفات الجن ومبدأ خلقهم، وبينت فيه الصفات العامة لهذا المخلوق، والتي تشبه في كثير منها صفات الإنسان من حيث الإجمال، مع بيان أصل المادة التي خلقوا منها.

الفصل الثالث :أصناف الجن، وتحدثت فيه عن أصناف الجن من حيث بداية الخلق، ومن حيث القبائل والأوطان، ومن حيث الإيمان والكفر، ومن حيث القوة والدهاء وغير ذلك.

الفصل الرابع : طريق العلم بوجودهم، وحكم من أنكرهم، وبينت فيه الطريق الذي من خلاله عرفنا وجود الجن، واستعرضت بعد ذلك عقائد الناس في الجن، وكيف انحرف كثير من الناس على مدار التاريخ في تصورهم عن هذا المخلوق، ثم بينت بعد ذلك حكم من أنكر وجود الجن في الشريعة الإسلامية.

٢ ــ الباب الثاني : تكليف الجن وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : إثبات تكليف الجن والإرسال إليهم. وعرضت فيه للأدلة التي تبين تكليف الجن بالعبادات، مع التعرض للمنكرين لذلك إجمالاً.

الفصل الثاني : في جنس الرسول المرسل إلى الجن. وبينت فيه جنس الرسول الذي أرسله الله إلى الجن، وهل هو من الإنس أم من الجن؟ مع ذكر الخلاف فى هذه المسألة وبيان الراجح فيها.

الفصل الثالث :في كيفية تكليف الجن : وبينت فيه ماهية التكاليف التي كلف بها الجن، وهل تشبه تكاليف الإنس أم لا؟.

الفصل الرابع : جزاء الجن في الآخرة : وبينت فيه مصير الجن في الآخرة، وهل يشاركون الإنس في الثواب أم لا؟ مع التعرض للخلاف في هذا الموضوع، ثم بيان الراجح في هذه المسألة.

٣ ــ الباب الثالث : علاقة الإنسان بالجن : وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : تأثير الجن على أجسام الإنس وفيه مبحثان:

المبحث الأول : صرع الجن للإنس، وكشفت النقاب فيه عن هذا الموضوع الذي كثرت حوله التساؤلات، ببيان موقف

الإسلام من ذلك بالأدلة، مع التعرض للمخالفين والرد عليهم، ثم بيان موقف الأطباء في القديم والحديث من ذلك، مع تعريف الصرع، وبيان أنواعه وأسبابه وكيفية علاجه.

المبحث الثاني : التزواج بين الجن والإنس: وبينت فيه مدى إمكانية وقوع التناكح بين الجن والإنس، مع ذكر الخلاف فيه وأدلة كل فريق، ثم بيان الراجح في ذلك، ثم بيان موقف الإسلام من هذه العلاقة.

الفصل الثاني : إلقاء الجن على الإنس علوماً وأخباراً وحكم ذلك.وفيه مبحثان:

المبحث الأول : إستراق الجن لأخبار السماء، وقضية الكهان والكهانة. وعرضت فيه لاستراق الجن لأخبار السماء، ومراحل هذا الاستراق، وهل في ذلك اعتداء على اختصاص الله بعلم الغيب؟ ثم الحديث عن المنكرين لاستراق الجن لأخبار السماء والرد عليهم، ثم تحدثت عن قضية الكهان والكهانة، وكيف كان الجن يتصلون بالكهنة، وماهي الأخبار التي كانوا يلقون بها إليهم، وما موقف الإسلام من ذلك.

المبحث الثاني : الجن وعلم الغيب وعلاقة ذلك بالإنس: وتحدثت فيه عن أقسام الغيب، وما هو القسم الذي يمكن للجن أن تستطلعه وتخبر به بعض الإنس.

الفصل الثالث : تأثير الجن على عقائد الناس وإراداتهم وأعمالهم، وفيه مبحثان:

المبحث الأول : المشركون وطاعاتهم للجن، وأثر ذلك على عقائدهم

وإراداتهم وأعمالهم. واستعرضت فيه واقع المشركين في انقيادهم للجن، ومظاهر ذلك، مع بيان أثر ذلك على عقائدهم وإراداتهم وأعمالهم.

المبحث الثاني : مدى سلطان الشيطان على الإنسان وبينت فيه حدود سلطة الشيطان على الإنسان، كما وضحها القرآن الكريم والسنة النبوية.

الفصل الرابع : تسخير الجن للنبي سليمان عليه السلام: وبينت فيه مدى إمكانية تسخير الجن من قبل الإنس بشكل عام، ثم عرضت للحديث عن تسخير الجن للنبي سليمان عليه السلام، مع بيان الأعمال التي كانوا يقومون بها.

الفصل الخامس : دعوى تحضير الأرواح وعلاقتها بالجن: وأعطيت فيه فكرة مجملة عن تحضير الأرواح ومكان نشأتها والمؤيدون لها والمعارضون، وما مدى ارتباطها بالجن.

٤ ـــ **الباب الرابع** : إبليس والحكمة من خلقه : وفردت فيه الحديث عن إبليس باعتباره واحداً من الجن كما تبين لي، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول : تعريف إبليس لغة واصطلاحاً : وبينت فيه معنى إبليس والشيطان في اللغة والاصطلاح، ومدى الارتباط بين هذه المعاني.

الفصل الثاني : الجنس الذي منه إبليس: وعرضت فيه لخلاف العلماء في الجنس الذي منه ابليس، مع ذكر أدلتهم ثم بيان الراجح منها.

الفصل الثالث :حكمة خلق إبليس: وبينت فيه الحكم المترتبة على خلق إبليس، ولم ابتلى الله البشرية به؟.

الفصل الرابع : إبليس سبب الفساد في الأرض: وعرضت فيه لنماذج من إفساد إبليس، ابتداء من وسوسته لآدم بالأكل من الشجرة وحتى يومنا هذا.

وبه يكون تمام البحث.

منهجي في البحث :

١ ــ الاستدلال على كل قضية سقتها في هذا البحث بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء، مع تمحيص هذه الأقوال والتعليق عليها.

٢ ــ الابتعاد قدر الإمكان عن الروايات الضعيفة، مع عدم التعويل عليها، فضلاً عن الروايات الموضوعة، وذلك لأن هذا البحث تقرير صادق ــ إن شاء الله ــ عن عالم الجن، في ضوء الكتاب والسنة والمعقول الصريح، وعلى هذا فإن الأوهام والخرافات العالقة في أذهان بعض الناس لا وجود لها في هذا البحث.

٣ ــ ذكر مسائل الخلاف، وإيراد الأدلة عليها، مع ترجيح ماظهر لي قوته من خلال الأدلة.

٤ ــ تخريج الأحاديث والآثار التي استدللت بها في هذا البحث بذكر المصدر والباب والجزء والصفحة، مع نسبة أقوال العلماء المستشهد بها، إلا ماتعذر عليَّ العثور على أصله ومصدره.

٥ ــ تفسير الكلمات والعبارات الواردة في هذا البحث، مما يحتاج إلى تفسيرها، مستعيناً بمعاجم اللغة العربية، وكتب غريب الحديث والأثر.

وبهذه المناسبة فإنني أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان للمشرف على هذه الرسالة فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، الأستاذ بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والذي منحني من علمه ووقته

وجهده ما لا أستطيع الوفاء به إلا الدعاء إلى المولى عز وجل أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته يوم تخفّ الموازين.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من أسهم في إخراج هذا البحث بهذه الصورة، سائلاً المولى سبحانه أن يجزل الثواب للجميع.

والله أسأل أن يوفقني لكي يكون هذا البحث مرجعاً صادقاً عن هذا العالم، الذي علقت به كثير من الأوهام والخرافات، وأن يجعل عملي خالصاً له سبحانه، وأن ينفعنا وينفع به.

وإنني لأرجو من كل من يطّلع على هذا البحث أن ينبهني إلى ما قد أكون أخطأت في تقريره في هذا الموضوع، أو ما يكون قد سقط مني سهواً، سائلاً العلي القدير أن يجعلنا جنداً لدينه، وخدمة كتابه الكريم، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

والله ولي التوفيق.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الأول

في المراد بالجن

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : تعريف الجن.

الفصل الثاني : صفات الجن ومبدأ خلقهم.

الفصل الثالث : أصناف الجن.

الفصل الرابع : طريق العلم بوجودهم وحكم من أنكرهم.


رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول
تعريف الجن

الجن في اللغة :

الجِنُّ بالكسر: اسم جنس جمعيّ واحده جنيّ، وهو مأخوذ من الإجتنان، وهو التسترُّ والإستخفاء. وقد سمّوا بذلك لاجتنانهم من الناس فلا يُرون، والجمع جِنَّان وهم الجِنَّة(١).

وعلى هذا فَهُمْ ضد الإنس، لأن الإنس سمي بذلك لظهوره وإدراك البصر إياه، فيقال: آنست الشيء: إذا أبصرته.

ويقال: لاجِنَّ بهذا الأمر : أي لاخفاء به ولاستر.

والمِجنُّ بالكسر: هو الترس، لأن المقاتل يستتر به من الرامي والطاعن وغير ذلك. وكل شيء وقيت به نفسك واستترت به فهو جُنَّة(٢). ومنه قول الرسول ـ ﷺ ـ «... **والصيام جُنَّة**»(٣). أي وقاية، لأنه يقي صاحبه من المعاصي.

وجُنَّ الرجل جنوناً وأجنَّه الله فهو مجنون: إذا خفي عقله واستتر، وجُنَّ الرجل كذلك: أعجب بنفسه حتى يصير كالمجنون من شدة إعجابه. وقال القُتَيْبي: وأحسب قول الشنفري من هذا:

---

(١) لسان العرب ٩٥/١٣ بتصرف. وانظر كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ١٧٢/٢.

(٢) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ١٧٢/٢.

(٣) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الصوم. باب فضل الصوم ١٠٣/٤.

فلو جُنَّ إنسان من الحسن جُنَّت[1].

ويقال: امرأة جنية: أي كالجن: إما في جمالها، وإما في تلوُّنها وابتدالها. ولاتكون الجنية هنا منسوبة إلى الجن الذي هو خلاف الإنس حقيقة، كقول الشاعر مُدْرَك ابن حصين :

كأنَّ سُهيْلاً رامها وكأنها
حليلة وخم جُنَّ منه جنونها

وقوله:

ويحكِ ياجنِّي هل بدا لك
أن تُرجعي عقلي فقد أنى لك

لأن هذا الشاعر المتغزِّل بها إنسي، والإنسي لايتعشق جنية[2].

وسمى الجنين جنيناً: لاستتاره في بطن أمه. ومنه قوله تعالى: ﴿**وإذ أَنْتُمْ أجنَّةٌ في بطون أمهاتكم**﴾[3].

وجنَّه الليل: لفَّه بسواده، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿**فلما جَنَّ عليه اللَّيل رأى كوكباً**﴾[4]: أي جعله في جُنَّة من سواده، قال: أبو عبيد: جَنَّ عليه

---

(١) لسان العرب ٩٧/١٣ باختصار.
(٢) لسان العرب ٩٥/١٢ بتصرف.
(٣) سورة النجم الآية ٣٢.
(٤) سورة الأنعام الآية ٣٦.

الليل: أظلم وغطىَّ عليه. وجنون الليل: غطاؤه وسواده. وأجنَّني الليل: سترني وألبسني[١].

وتقول العرب: جُنَّ النبت جنونا: إذا طال واكتهل، وكذلك يقال لكل شيء إذا طال وحسن قد جُنَّ جنونا[٢].

وقد سميت الجَنَّة بهذا الاسم لكثرة شجرها، بحيث يستتر بعضه بعضاً[٣].

والمجنَّة: الجنُّ، وأرض مجَنَّة: كثيرة الجن[٤].

والجَنَان: القلب، يقال: فلان رابط الجَنان: أي ثابت القلب. قالوا: سمي بذلك لأنه مستور، ولأن الصدر يجُنُّه. ويقال: لأن الهموم والفكر والخطرات قد استترت فيه، وكل ما وارى عنك شيئاً فهو جَنان[٥].

والجَنَن: القبر، سمي بذلك لأنه يستر المدفون فيه. ويقال: الجَنَنْ: الكفن.

والجِنيُّ: منسوب إلى الجن أو الجِنَّة. والجِنَّة: الجن ومنه قوله تعالى: ﴿**من الجِنَّة والناس أجمعين**﴾[٦]، والجِنَّة كذلك طائف الجن[٧].

وقد أطلق على الملائكة لفظ الجِنَّة بالكسر، وذلك لاستتارها عن العيون، قال

(١) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ٢/١٧٢.
(٢) المصدر السابق ٢/١٧٤.
(٣) انظر التفسير الكبير ١/٨٢.
(٤) لسان العرب ١٣/٩٦.
(٥) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ٢/١٤٧.
(٦) سورة هود الآية ١١٩.
(٧) لسان العرب ١٣/٩٥.

تعالى: ﴿**وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبا**﴾[١]، حكاية عن كفار قريش، قالوا: الملائكة بنات الله. قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وأبو مالك وقتادة: أن الجِنَّة في الآية: الملائكة، وأن المراد بالنسب قولهم: الملائكة بنات الله، ﴿**ولقد علمت الجِنَّة إنَّهم لمحضرون**﴾[٢] أي: ولقد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون في النار[٣]. قال القاضي بدر الدين الشبلي: «وقد وقع في كلام السهيلي في النتائج أن الجن تشتمل على الملائكة وغيرهم مما اجتنَّ عن الأبصار، فإنه قال: ومما قُدِّم للفضل والشرف تقديم الجن عن الإنس في أكثر المواضع، لأن الجن تشتمل على الملائكة وغيرهم»[٤].

وقد ورد لفظ الجنَّة بمعنى الجنون كذلك، قال تعالى: ﴿**أم به جنَّة**﴾[٥]. وفي حديث ماعز أنه ﷺ سأل أهله عنه فقال: «**أيشتكي أم به جِنَّة**»[٦]، والجِنَّة: الجنون[٧].

والجانُّ: أبو الجن، خلق من نار، ثم خلق منه نسله، والجَانُّ: الجن، وفي التنزيل العزيز: ﴿**لم يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قبلهم ولاجَان**﴾[٨] والجانُّ كذلك: ضرب من

---

(١) سورة الصافات الآية ١٥٨.

(٢) سورة الصافات الآية ١٥٨.

(٣) تفسير المنار ٨/٣٤٢. وانظر لسان العرب ١٣/٩٥.

(٤) آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان ص ٧٠٦.

(٥) سورة سبأ الآية ٨.

(٦) من حديث أخرجه بهذا اللفظ مالك في الموطأ: كتاب الحدود، باب جاء في الرجم ٢/٨٢٠ وهو حديث مرسل باتفاق الرواة عن مالك، ولكنه لم يعزه إلى ماعز.

(٧) لسان العرب ١٣/٩٧.

(٨) سورة الرحمن الآية ٥٦.

الحيات أكحل العينين، يضرب إلى الصفرة، لايؤذي، وهو كثير في بيوت الناس، وقال سيبويه: والجمع جِنَّان، وأنشد بيت الخطفي جَدُّ جرير يصف إبلا:

أعناقُ جِنَّانٍ وهَاماً رجَّفا
وَعَنقاً بعد الرَّسِيْم خيْطفا[1]

وفي الحديث: «**أنه نهى عن قتل الجِنَّان**»[2]، قال: هي الحيات التي تكون في البيوت، واحدها جانٌ، وهو الدقيق الخفيف، وفي التهذيب في قوله تعالى: ﴿**تهتز كأنها جان**﴾[3]، قال: الجانُّ: حية بيضاء، قال الزجَّاج: المعنى أن العصا صارت تتحرك كما يتحركِ الجان حركة خفيفة، قال: وكانت في صورة ثعبان، وهو العظيم من الحيات ونحو ذلك، قال أبو العباس شبَّهها في عظمها بالثعبان، وفي خفتها بالجان، ولذلك قال تعالى مرة: ﴿**فإذا هي ثعبان**﴾[4]. ومرة: ﴿**كأنها جان**﴾[5]. والجانُّ: هو الشيطان أيضاً[6].

---

(١) الهامَّة : الدابة، وكل ذي سم يقتل سمُّه.
رجَّفاً : رجف تحرك واضطرب اضطراباً شديداً.
عنقاً : طال عنقه وغلظ فهو أعنق.
الرَّسِيّ : العمود الثابت وسط الخباء.
انظر المعجم الوسيط الطبعة ٢، دار المعارف ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م جـ١، ص ٣٤٥،٣٣١ وجـ٢/٩٩٥،٦٣١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي لبابة. كتاب السلام. باب قتل الحيات وغيرها ١٧٥٤/٤.

(٣) سورة النمل الاية ١٠.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٠٧.

(٥) سورة النمل الآية ١٠.

(٦) لسان العرب ٩٧/١٣.

وهكذا نلاحظ مما تقدم أن لفظة (جِنّ)، وماشابهها مما يطلق على كثير من الأشياء إنما تفيد في مجموعها معنى الخفاء والاستتار، لأن الجن في عالم الخفاء، فلا يرون في الحالات العادية للناس.

وقد أخطأ من زعم أن كلمة جن غير مشتقة من الإستتار كما ذكرت ذلك دائرة المعارف الإسلامية، التي ألفها مجموعة من المستشرقين حيث تقول: «ويميل أصحاب المعاجم من المسلمين إلى اشتقاق كلمة جن من الاجتنان: أي الاستتار، غير أن هذا الاشتقاق بعيد للغاية، كما أن القول باشتقاقها من كلمة (SLABNHOS) لايستبعد كثيراً»[1].

وقد بين الأستاذ أحمد محمد شاكر خطأ هذا الزعم، فقال في تعليقه عليه: «هذا كلام لادليل عليه، ولم يبن على بحث علمي، وادعاء أن كلمة جن مشتقة من لغة أجنبية ادعاء غير صحيح، وقد بينت مراراً أن لغة العرب من أقدم اللغات»[2].

الجن في الاصطلاح :

ورد لفظ الجن في القرآن الكريم في آيات كثيرة، وسميت باسمهم سورة هي سورة الجن، وورد في السنة المطهرة كذلك ذكر الجن في مواضع متعددة، وكل ذلك إنما يدل على أهمية هذا المخلوق، إذ أنه يشاطر الإنس في التكليف، قال تعالى: ﴿**وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[3]، وعلى هذا فما هو هذا المخلوق؟:

يستخلص من التعريفات المتعددة للجن: بأنهم «نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ماعليه الإنسان، مجردون عن المادة، مستترون عن الحواس،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١١١/٧.
(٢) انظر هامش دائرة المعارف الإسلامية ١١١/٧.
(٣) سورة الذاريات الآية ٥٦.

لايرون على طبيعتهم ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم قدرة على التشكل، يأكلون ويشربون ويتناكحون ولهم ذرية، محاسبون على أعمالهم في الآخرة»[1].

وهذا التعريف يعطي الصفات البارزة لهذا العالم الذي نجهل الكثير عن طبيعة حياته، لأنه غائب عن حواسنا، وسنأتي إن شاء الله ــ فيما بعد ــ على تفصيل صفات هذا المخلوق.

وبناء على ماتقدم فإن الجن خلق يغاير طبيعة البشر من حيث الشكل وأصل المادة التي خلقوا منها، إذ أنهم مخلوقون من النار، بعكس الإنسان الذي خلق من الطين قال تعالى: ﴿**خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار**﴾[2].

وكذلك فإن هذا المخلوق له حياته الخاصة من حيث الطعام والشراب، يختلف فيها عن الإنسان، وغير ذلك مما يختص به من الصفات.

---

(١) انظر العقائد الإسلامية لسيد سابق ص ١٣٣، والفصل في الملل والأهواء والنحل ١٢/٥.

(٢) سورة الرحمن الآيات ١٤،١٥.



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني
صفات الجن ومَبدأ خلقهم

تبين لنا مما تقدم من خلال تعريف الجن أهم الصفات التي يتميز بها هذا المخلوق، ونحن في هذا الفصل سنعرض لهذه الصفات بشيء من التفصيل، مع ذكر الخلاف بين العلماء في اتصاف الجن بها، ولكننا قبل ذلك نبين مبدأ خلق الجن، من حيث بيان المادة التي خلقوا منها وبداية هذا الخلق، ومايتبع ذلك، والله ولي التوفيق.

بداية خلق الجن :

توضح النصوص القرآنية أن خلق الجن سابق على خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، والجانَّ خلقناه من قبل من نار السَّموم**﴾[(١)]. قال ابن عباس: «يريد من قبل خَلق آدم»[(٢)]، وقال الألوسي في قوله تعالى: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس**﴾[(٣)]، «وتقديم الجن لأنهم أعرف من الإنس وأكثر عدداً وأقدم خلقاً»[(٤)].

وهناك بعض الأقوال تحدد هذه المدة وتبين أن الجن كانوا يسكنون الأرض قبل الانس، فعن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ــ رضي الله عنه ــ قال: «كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة، فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء، فبعث الله جنداً من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوا بجزائر البحور، فقال

(١) سورة الحجر الآيات ٢٦،٢٧.
(٢) التفسير الكبير ١٩،١٨٠.
(٣) سورة الأعراف الآية ١٧٩.
(٤) تفسير روح المعاني ١١٩/٩ بتصرف.

الله تعالى للملائكة: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدماء ونحن نسبِّح بحمدك ونقدِّسُ لك، قال: إني أعلم مالا تعلمون**﴾(١).

وقد ذكر الإمام الطبري في تفسيره عدة أقوال في تفسير هذه الآية منها:

عن الضحاك عن ابن عباس قال: «كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة، قال: وكان اسمه الحرث قال: وكان خازناً من خزان الجنة قال: وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي، قال: وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت، قال: وخلق الإنسان من طين، فأول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً، قال: فبعث الله إبليس في جند من الملائكة، وهم الحي الذين يقال لهم الجن، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه وقال: قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد، قال: فاطلع الله على ذلك من قبله، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه، فقال الله للملائكة الذين معه: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ فقالت الملائكة مجيبين له: ﴿**اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ كما أفسدت الجن وسفكت الدماء، وإنما بعثنا عليهم لذلك، فقال: ﴿**إني أعلم مالا تعلمون**﴾(٢).

وعن الربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾(٣) قال: «إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء، وخلق الجن يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة. قال: فكفر قوم من الجن، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم، فكانت الدماء، وكان الفساد في الأرض، فمن ثم ﴿**قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء..**﴾(٤) الآية.

(١) سورة البقرة الآية ٣٠، تفسير ابن كثير ١/٧٠.
(٢) تفسير الطبري ١/٢٠١.
(٣) سورة البقرة الآية ٣٠.
(٤) نفس المصدر ١/٢٠٦.

قال الطبري معلقاً على هاتين الروايتين: «وغير فاسد مارواه الضحاك عن ابن عباس، وتابعه عليه الربيع بن أنس من أن الملائكة قالت ذلك، لما كان عندها من علم سكان الأرض قبل آدم من الجن، فقالت لربها: أجاعل أنت مثلهم من الخلق، يفعلون مثل الذي كانوا يفعلون؟ على وجه الاستعلام منهم لربهم،لا على وجه الايجاب أن ذلك كائن كذلك، فيكون ذلك منهم إخباراً عما لم تطلع عليه من عالم الغيب»[1].

أصل المادة التي خلقوا منها :

صرح القرآن الكريم والسنة النبوية بذكر المادة التي خلق منها الجن، فقد ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾[2] في مقابل الحديث عن خلق الإنسان من الطين، وفي قوله ﴿**وخلق الجان من مارج من نار**﴾[3]. وغير ذلك من الآيات التي تتحدث عن إباء إبليس من السجود لآدم عليه السلام كقوله تعالى: ﴿**قال ياابليس مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾[4].

أما في السنة النبوية فقد ورد في صحيح مسلم من حديث عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**»[5]

وهكذا نلاحظ أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد حددا ماهية المادة التي

---

(١) تفسير الطبري ٢٠٩/١.
(٢) سورة الحجر الآية ٢٧.
(٣) سورة الرحمن الآية ١٥.
(٤) سورة الأعراف الآية ١٢.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الزهد والرقاق باب في أحاديث متفرقة ٢٩٤/٤. وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١٥٣/٦.

خلق منها الجن، فقد عبر القرآن عنها مرة بنار السموم ومرة بأنها من مارج من نار. فما هي هذه المادة وماطبيعتها؟.

قال الطبري في تفسير المارج: «هو ما اختلط بعضه ببعض من بين أحمر وأصفرِ وأخضر، من قولهم: مَرِج أمر القوم: إذا اختلط، ومن قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: «**كيف بك إذا كنت في حثالة من الناس قد مَرِجت عهودهم وأماناتهم..**»[1]. الحديث، وذلك هو لهب النار ولسانه»[2]. ومما يؤيد هذا القول ما ورد عن ابن عباس في تفسير المارج قال: المارج: اللهب، وقال: خلق الله الجان من خالص النار، وعنه أيضاً: من لسانها الذي يكون في طرفها إذا التهبت.. وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه اللهب الذي يعلو النار، فيختلط بعضه ببعض: أحمر وأصفر وأخضر. وقال الليث: المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد. وقال المبرد: المارج: النار المرسلة التي لاتمنع[3].

وفي واقع الأمر أن هذه الروايات كلها متقاربة المعنى وتؤدي معنى واحداً، فخالص النار أو ماكان في طرفها إذا التهبت واختلطت، تعطي ألواناً من الحمرة والصفرة والاخضرار، وهو الذي خلق منه الجن.

أما بالنسبة للسموم في الآية الأخرى فقد قال ابن عباس في تفسير ذلك: السموم : الريح الحارة التي تقتل. وعنه: أنها نار لادخان فيها. وقال ابن مسعود: نار السموم التي خلق منها الجان جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم[4]». وقال

---

(١) أخرجه بنحو هذا اللفظ أحمد بن حنبل في مسنده ١٦٢/٢. وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن. باب التثبت في الفتنة ١٣٠٧/٢. وأخرجه أبو داود في سننه. كتاب الملاحم باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥١٣/٤، ومعنى مرجت عهودهم: أي اختلفت وفسدت.

(٢) تفسير الطبري ١٢٦/٢٧.

(٣) تفسير القرطبي ١٦١/١٧ بتصرف.

(٤) تفسير القرطبي ٢٣/١٠. أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٧٤/٢. وقال عنه: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي على ذلك

الإمام النسفي: «من نار السموم: من نار الحر الشديد النافذ في المسام»[1]

وهذا التفسير لنار السموم لايخالف تفسير المارج ــ كما تقدم ــ إذ أن الشعلة الزرقاء الملتهبة التي تكون في طرف النار، تمتاز بقوة الحرارة ولها خاصية النفاذ من كل المسام.

على أننا نجد تفسيراً آخر لنار السموم عند بعض العلماء، يقول أبو الحسن الماوردي: ﴿**من نار السموم**﴾ فيها وجهان: أحدهما: من نار الشمس المحرقة. والثاني: من نار الصواعق، بين السماء وبين حجاب دونها»[2]. وعن ابن عباس: أنها نار لادخان فيها، والصواعق تكون منها، وهي نار تكون بين السماء والحجاب، فإذا أحدث الله أمراً اخترقت الحجاب، فهوت الصاعقة إلى ماأمرت، فالهدَّة[3] التي تسمعون، خرق ذلك الحجاب. وقال الحسن: نار دونها حجاب، والذي تسمعون من انغطاط السحاب صوتها[4].

فعلى هذا الرأي فإن نار السموم التي خلق منها الجان هي البرق الصادر من السحاب.

لكن التفسير الأول لنار البسموم هو الذي عليه أكثر العلماء، وهو الموافق لظاهر القرآن، وقوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿**خلقتني من نار**﴾[5] لاينافي قوله في الآيات الأخرى ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾[6] وقوله: ﴿**وخلق**

---

(١) تفسير النسفي ٢/٢٧٢
(٢) أعلام النبوة ص ١٤١.
(٣) الهدَّة : صوت وقع الحائط، أو صوت ما يقع في السحاب وهو الرعد.
(٤) تفسير القرطبي ١٠/٢٣.
(٥) سورة الأعراف الآية ١٢.
(٦) سورة الحجر الآية ٢٧.

الجان من مارج من نار﴾(١)، ذلك أن النار جنس عام، والمارج والسموم نوع منها، أو أوصاف لها.

وأما الرأي الذي يقول بأن خلق الجن هو من نار الصواعق، فهو رأي يحتاج إلى دليل.

وإذا تساءل أناس: وكيف يعقل خلق الجن من نار؟ فالجواب: أن الله قادر على إيجاد العقل والحياة في الجسم الحار كما أوجدها في الإنسان المخلوق من الطين. على أن الجن لم يبق على صورة النار، بل استحال بقدرة الله إلى نوع آخر، يكون قابلاً للحياة، كما هو الشأن في الإنسان»(٢).

وبعد هذا العرض في بيان ماهية المادة التي خلق منها الجن ننتقل إلى الحديث عن صفات الجن.

صفات الجن :

تقدم من خلال تعريف الجن أهم الصفات التي يتميز بها هذا المخلوق، ولاشك أن الصفات التي يتصف بها تختلف عن صفات أي مخلوق آخر، ذلك أنهم خلقوا من النار، وللنار صفات تتميز بها عن الطين الذي خلق منه الإنسان.

وهذه الصفات التي سنتكلم عنها ذكر القرآن بعضها، وفصلتها السنة النبوية بشكل أكبر، مع حصول الخلاف بين العلماء في بعض هذه الصفات، إلا أننا سنبين الراجح منها عند الحديث عنها، وقد تقدم الكلام عن أصل المادة التي خلقوا منها، فلا داعي لتكرار ذلك.

والجن في واقع الأمر يشاركون الإنس في أكثر هذه الصفات، ولكنها تختلف عن صفات البشر في الأبعاد والكيفية. وإليك هذه الصفات:

(١) سورة الرحمٰن الآية ١٥.

(٢) انظر التفسير الكبير ١٩/١٨١.

(أ) أن الجن ذوات متميزة بصفاتها وحقائقها عن سائر المخلوقات.

الذي يشير إليه القرآن والسنة أن الجن لهم ذوات متميزة بصفاتها وحقائقها عن سائر المخلوقات. قال القاضي أبو يعلى الحنبلي: «الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة، ويجوز أن تكون رقيقة، ويجوز أن تكون كثيفة، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إنها أجسام رقيقة، ولرقتها لانراها»[1].

وقال ابن حزم: «وهم أجسام رقاق صافية هوائية، لا ألوان لهم، وعنصرهم النار، كما أن عنصرنا التراب، وبذلك جاء القرآن، قال الله عز وجل: ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾[2]، والنار والهواء عنصران لا ألوان لهما، وإنما حدث اللون في النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ماتشتعل فيه من الحطب والكتان والأدهان وغير ذلك، ولو كانت لهم ألوان لرأيناهم بحاسة البصر، ولو لم يكونوا أجساماً صافية رقاقا هوائية لأدركناهم بحاسة اللمس»[3].

والصواب أنه لم يرد في الشرع مايدل على أن أجسام الجن رقيقة أو كثيفة، فوجب أن لايصح وصفهم بالرقة[4].

وقد استشكل على فريق من الناس أن يكون للجن أجسام، لأنه لو كان لهم أجسام لرأيناهم، والحقيقة أنه لاإشكال في ذلك، فلو كثَّف الله لنا أجسامهم أو جعل في أبصارنا القوة لرأيناهم، فالله قادر على إيجاد مخلوقات من النار لها عقول حالة في الأجسام ولكنها لاترى في الأحوال العادية للبشر.

على أنه قد حصل الخلاف بين العلماء في طبيعة هذه الأجسام، هل هي رقيقة أم كثيفة؟ ففريق قالوا بكثافتها، مع اختلافها عن أجسام الإنس، وفريق قال

---

(١) كتاب المعتمد في أصول الدين ص ١٧٢.

(٢) سورة الحجر الآية ٢٧.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٣/٥.

(٤) انظر كتاب المعتمد في أصول الدين ص ١٧٢.

برقتها ولطافتها، ولذلك فهي لاترى، كما سبق من قول المعتزلة وقول ابن حزم.

وأياً ماكان الحق في ذلك، فالذي يجب أن نعلمه أن لهم أرواحاً عاقلة مريدة مكلفة، على نحو ماعليه الإنسان، وأن هذه الأرواح حالَّة في أجسام نارية، لها قدرة على التشكل، كما دل على ذلك السنة النبوية، خلافاً لمن زعم من الفلاسفة والملاحدة، الذين قالوا: «بأن الجن هم عبارة عن أرواح مجردة، لها تصرف في العنصريات، والشيطان القوة المتخيلة، ولايمنع ظهورهم على بعض الأبصار وفي بعض الأحوال»[1]. وكما زعم بعض الناس أن الجن عبارة عن النفوس البشرية المفارقة لأبدانها[2]، وهذا ولاشك قول بالتناسخ، وهو مذهب باطل كما هو مقرر.

وفريق من الناس قد لجأ إلى التأويل فقال: إن الجن هم نفر من البشر متخفون عن الناس. إلى غير ذلك من الأقوال التي لاتستند إلى كتاب أو سنة، بل هي من الرجم بالغيب.

وسنترك الحديث عن هذه الأمور بالتفصيل إلى الحديث عن وجود الجن وحكم منكريه، حيث نتعرض لأقوال المنكرين لوجودهم وخوضهم في حقيقة هذا المخلوق.

(ب) أن الجن يتشكلون ويرون :

الذي تشير إليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن الجن يتشكلون بالصور المختلفة. قال ابن تيمية: «والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم، فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم»[3].

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ١/٣٧٤ بتصرف.

(٢) انظر تفسير فتح القدير ٥/٣٠٣.

(٣) ايضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٣٢.

ولايمنع خلقهم من النار تشكلهم في الصور المختلفة، يقول الباقلاني: «لسنا ننكر مع كون أصلهم النار أن الله تعالى يكثف أجسامهم ويغلظها، ويخلق لهم أعراضاً تزيد على مافي النار، فيخرجون عن كونهم نارا، ويخلق لهم صورا وأشكالا مختلفة»[1].

الأدلة على تشكل الجن ورؤيتهم :

أما من القرآن فقوله تعالى: ﴿**وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه**﴾[2].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: «عن ابن عباس قال: جاء ابليس يوم بدر في جند من الشيطان، معه رايته، في صورة رجل من بني مدْلج في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: ﴿**لاغالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم**﴾،فلمااصطف الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب، فرمى بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين، وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه ــ وكانت يده في يد رجل من المشركين ــ انتزع إبليس يده، فولى مدبراً هو وشيعته، فقال الرجل: ياسراقة: تزعم أنك جار لنا؟ قال: ﴿**إني أرى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب**﴾[3] وذلك حين رأى الملائكة»[4].

ومن الأدلة التاريخية التي تصلح في هذا المقام: ماورد أن الشيطان تصور في صورة شيخ نجدي، عندما اجتمعت قريش بدار الندوة، لتمكر بالرسول ﷺ، وذلك قوله تعالى: ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون**

---

(١) الفتاوى الحديثية ص ٦٥.
(٢) سورة الأنفال الآية ٤٨.
(٣) سورة الأنفال الآية ٤٨.
(٤) تفسير الطبري ١٨/١٠ أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣٥٤/٢.

ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[1]، وذلك أن قريشاً اجتمعت بدار الندوة، فاعترضهم ابليس في صورة شيخ نجدي عليه بَتٌّ[2]، فلما رأوه واقفا على الباب قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من نجد، سمع بالذي اتعدتم له، فحضر معكم ليسمع ماتقولون، وعسى أن لايعدمكم رأياً ونصحاً، قالوا: أجل فادخل، فدخل معهم، فأشار بعضهم فقال: نحبسه في الحديد، ونغلق عليه الباب حتى يموت، فقال الشيخ النجدي: لا والله، ماهذا لكم برأى، والله لئن حبستموه كما تقولون، ليخرجن أمره من وراء الباب إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من بين أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ماهذا لكم برأي، فانظروا غيره، فأشار بعضهم بنفيه من البلاد، فقال الشيخ النجدي: ماهذا لكم برأي، ألم تروا إلى حسن حديثه وغلبته على قلوب الرجال؟ حيث يقدر على تأليف القلوب حوله، أديروا فيه رأياً غير هذا. حتى أشار أبو جهل برأيه الذي استقر عليه الأمر بأخذ شاب من كل قبيلة، فيدخلوا على الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ فيقتلوه جميعاً، فيتفرق دمه على القبائل. فقال الشيخ النجدي: القول ماقال الرجل، هذا الرأي ولا رأي غيره، فتفرق القوم وهم مجمعون على هذا[3].

نلاحظ مما تقدم أن الشيطان قد جاء إلى المشركين في صورة رجل، فرأوه وعاينوه.

وقد يظهر الشيطان لبعض الناس في صورة بعض الأموات، وأكثر مايقع ذلك من المشركين، يقول ابن تيمية: «وقد وقع هذا كثيراً، حتى أنه يتصور لمن يعظم شخصاً في صورته، فإذا استغاث به فيظن ذلك الشخص أنه شيخه الميت»[4].

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠.

(٢) البَتُّ : الكساء الغليظ.

(٣) سيرة ابن هشام ٩٣/٢ ــ ٩٥ باختصار.

(٤) النبوات ص ٢٩٠.

ويقول في موطن آخر: «وكذلك يأتي كثيراً من الناس في مواضع ويقول إنه الخضر، وإنما كان جنيا من الجن»(١).

وغير هذا كثير مما يقع من أتباع الشيطان مع شياطينهم، حيث يتصورون لهم في صور عديدة، ليوهموهم ويستدرجوهم.

الأدلة من السنة :

ورد في السنة المطهرة أحاديث عديدة تدل على تشكل الجن ورؤيتهم، نجتزىء بعضها للإستدلال على ذلك:

١ ــ ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ عفريتاً من الجن جعل يفتك عليَّ البارحة، ليقطع عليَّ الصلاة، وأن الله أمكنني منه فذعته**(٢)**، فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد، حتى تنظرون إليه أجمعون (أو كلكم) ثم ذكرت قول أخي سليمان: ﴿رب اغفرلي وهب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي﴾**(٣)**، فرده الله خاسئاً**»(٤).

وقد جاء في روايات أخرى أن الشيطان جاء بشعلة من نار ليحرق بها وجه الرسول ﷺ، فأخذه حتى وجد برد لسانه على يده الشريفة.

فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو

---

(١) النبوات ص ٢٩٠.

(٢) ذُعْتُه : خنقته.

(٣) سورة ص الآية ٣٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب المساجد. باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة ١/٣٨٤. وأخرجه البخاري بنحو هذا اللفظ، كتاب التفسير، باب هب لي ملكا لاينبغي لأحد من بعدي ٨/٥٤٦.

خلفه، فقرأ، فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال: «**لو رأيتموني وإبليس، فأهويت بيدي، فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعيَّ هاتين: الإبهام والتي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد، يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع أن لايحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل**»[1].

وفي صحيح مسلم عن أبي الدرداء قال: «قام رسول الله ﷺ، فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك،، ثم قال: ألعنك بلعنة الله» ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يارسول الله: قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً، لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك؟ قال: «إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت: «أعوذ بالله منك، ثلاث مرات، ثم قلت: «ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر، ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثّقاً يلعب به ولدان أهل المدينة»[2].

فهذه الروايات تدل على أن الرسول ﷺ رأى الشيطان، ومعه شعلة من نار ليحرق بها وجهه، فأخذه، ولولا دعوة النبي سليمان عليه السلام لربطه في أحد سواري المسجد لينظر إليه الناس.

٢ ــ عن أبي عبد الله الجدلي عن ابن مسعود قال: «**استتبعني رسول الله ﷺ ليلة الجن، فانطلقت معه حتى بلغنا أعلى مكة، فخط لي خطا وقال: «لاتبرح، ثم انصاع**[3] في أجبال الجن، فرأيت الرجال ينحدرون عليه من رؤوس الجبال حتى حالوا بيني وبينه، فاخترطت السيف وقلت: لأضربن حتى استَعِذْ رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٨٢/٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة ٨٥/١.

(٣) انصاع : أي ذهب مسرعا.

ثم ذكرت قوله: «**لاتبرح حتى آتيك، فلم أزل كذلك حتى أضاء الفجر...**»[1]. الحديث.

فقوله في الحديث: «**فرأيت الرجال ينحدرون عليه من رؤوس الجبال**» فيه دليل على أنهم ظهروا لابن مسعود في صورة الرجال، حتى خاف على الرسول ﷺ منهم، فهمَّ بسيفه ليقاتلهم.

٣ ــ ماورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «وكّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت. فقال النبي ﷺ: «ياأبا هريرة: مافعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت: يارسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته، فخليت سبيله، فقال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لاأعود، فرحمته فخليت سبيله. فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة: مافعل أسيرك؟ قلت يارسول الله: شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته فخليت سبيله. قال: أما إنه قد كذبك وسيعود. فرصدته الثالثة، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت، لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم لاتعود ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ماهن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾[2] حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولايقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله. فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «مافعل أسيرك البارحة؟ قلت يارسول الله: زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣١٥/٨: رواه الطبراني، وفيه يحي بن يعلى الأسلمي وهو ضعيف.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٥.

بها فخليت سبيله، قال: ماهي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولايقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قال: لا، قال: ذاك شيطان»[1].

وقد جاء هذا الحديث من عدة روايات، كما ذكر ذلك ابن حجر العسقلاني، فقد قال: قوله «فأخذته» زاد في رواية أبي المتوكل «أن أبا هريرة شكى ذلك إلى النبي ﷺ أولاً، فقال له: إن أردت أن تأخذه فقل: سبحان من سخرك لمحمد، قال: فقلتها، فإذا أنا به قائم بين يدي فأخذته»[2]. وقال ابن حجر: «وفي رواية الروياني: «فأخذته فالتفَّت يدي على وسطه فقلت: ياعدو الله: وثبت إلى تمر الصدقة فأخذته، وكانوا أحق به منك، لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فيفضحك» وفي رواية الروياني: «ماأدخلك بيتي تأكل التمر؟ قال: أنا شيخ كبير فقير ذو عيال، ما أتيتك إلا من نصيبين»[3].

وقد ورد في حديث معاذ بن جبل قوله: «ضمَّ إليَّ رسول الله ﷺ تمر الصدقة، فكنت أجد فيه كل يوم نقصانا، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال لي: «هو عمل الشيطان فارصده، فرصدته، فأقبل في صورة فيل، فلما انتهى إلى خلل الباب، دخل من خلل الباب في غير صورته، فدنا من التمر فجعل يلتقمه، فشددت عليَّ ثيابي فتوسطته»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الوكالة. باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه ٤/٤٨٧.

(٢) فتح الباري ٤/٤٨٨.

(٣) نفس المصدر ٤/٤٨٨ ذكر هذه الرواية الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٣٢١ — ٣٢٢.

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٣٢٢: رواه الطبراني عن شيخه يحي بن عثمان، وهو صدوق إن شاء الله كما قال الذهبي، قال ابن أبي حاتم: وقد تكلموا فيه وبقية رجاله وثقوا.

وقد بين ابن حجر أن اختلاف هذه الروايات محمول على التعدد، فقد جاء الشيطان مرة في صورة رجل فقير يطلب الصدقة، ومرة أخرى في صورة فيل، وفي روايات أخرى ذكرها ابن حجر أنه جاء في صورة دابة تشبه الغلام المحتلم، فعن أبي بن كعب: أن أباه أخبره أنه كان لهم جرن فيه تمر، وكان مما يتعاهده فيجده ينقص، فحرسه ذات ليلة، فإذا هو بدابة كهيأة الغلام المحتلم، قال: فسلمت فرد السلام، فقلت: ما أنت: جن أم أنس؟ فقال: جن، فقلت: ناولني يدك، فإذا يد كلب وشعر كلب، فقلت: هكذا خلق الجن؟ فقال: لقد عَلِمَت الجن أنه مافيهم من أحد هو أشد مني، فقلت: مايحملك على ماصنعت؟ قال: بلغني أنك رجل تحب الصدقة، فاحببت أن أصيب من طعامك، قلت: فما الذي يحرزنا منكم؟ فقال: هذه الآية، آية الكرسي قال: فتركته، وغدا أبي إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: صدق الخبيث»[١]. إلى غير ذلك[٢].

وهذه الروايات بمجموعها تدل على تشكل الجن ورؤيتهم في صورهم التي تشكلوا بها.

٤ ــ روى مسلم في صحيحه: أن أبا السائب دخل على أبي سعيد الخدري في بيته، قال: فوجدته يصلي، قال: فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكاً في عراجين[٣] في ناحية البيت، فالتفتُّ فإذا حية، فوثبت لأقتلها، فأشار إلي أن أجلس، فجلست، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار فقال: أترى هذا البيت؟ فقلت: نعم. قال: كان فيه فتى منا حديث عهد

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢/١١١ ــ ١١٢. وأخرجه علاء الدين الهندي في كنز العمال ٢/٣٠٣، ونسبه للنسائي والحاكم في المستدرك والروياني وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في المعجم الكبير وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة.

(٢) انظر فتح الباري ٤/٤٨٨ ــ ٤٨٩.

(٣) العراجين: أراد بها العيدان التي في سقف البيت. انظر النهاية في غريب الحديث ٣/٢٠٤.

بعرس. قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: «خذ عليك سلاحك، فإني أخشى عليك قريظة، فاخذ الرجل سلاحه ثم رجع، فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به، وأصابته غيرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك، وأدخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج فركزه في الدار، فاضطربت عليه، فما يُدرى أيهما كان أسرع موتاً: الحية أم الفتى؟ قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، وقلنا: أدع الله يحِييه لنا، فقال: استغفروا لصاحبكم، ثم قال: إن بالمدينة جناً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه[1] ثلاثة أيام، فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان»[2]

ففي هذا الحديث دلالة على أن الجن يتشكلون في صورة الحيات، وقد كانت تلك الحية التي دخلت البيت عبارة عن جن في صورة حية، صرع الفتى بسببها، ولذا فإن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن قتل حيات البيوت قبل استئذانها ثلاثة أيام، لئلا تكون تلك الحية جنًّا مسلمين.

فعن عمر بن نافع قال: «كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يوماً عند هدم[3] له فرأى وبيص جان فقال: اتَّبعوا هذا الجان فاقتلوه، فقال أبو لبابة الأنصاري: إني سمعت رسول الله ﷺ نهى عن قتل الجِنَّان التي تكون في

(١) آذنوه : أعلموه بأن يخرج.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب قتل الحيات وغيرها ٤/١٧٥٦، وأخرجه أبو داود مختصرا. كتاب الأدب ٥/٤١٣، وأخرجه مالك في الموطأ. كتاب الاستئذان. باب ما جاء في قتل الحيات ٢/٩٧٦.

(٣) الهَدْم : البيت القديم المهدم.

البيوت إلا الأبتر وذا الطُّفيتين[1]، فإنهما اللذان يخطفان البصر ويتَّبعان مافي بطون النساء»[2].

وأخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أقتلوا ذا الطفيتين، فإنه يطمس البصر ويصيب الحبل»[3].

والنهي عن قتل حيات البيوت لكون الجان يتمثل بصورة الحيات، قال ابن حجر الهيتمي: إن استثناء هذين ــ يقصد الأبتر وذا الطفيتين ـ يقتضي أن الجني لايتصور بصورتهما، فيسن قتلهما مطلقا، ثم رأيت الزركشي نقل ذلك عن الماوردي فقال: إنما أمر بقتلهما لأن الجن لاتتمثل بهما، وإنما نهى عن ذوات البيوت لأن الجني يتمثل بهما»[4].

ثم قال ابن حجر: «و ماورد عن ابن مسعود رضي الله عنه مما يقتضي عدم قتله مطلقاً يحمل على ما إذا لم ينذر، وأن الانذار يتأكد فيه، لأنه أقرب إلى صورة الجن من غيره، وكذلك يحمل على هذا حديث مسلم أنه ﷺ نهى عن قتل الجان إلا الأبتر وذو الطفيتين»[5].

(١) الوبْص والوبيص: شدة اللمعان. الأبتر : المقطوع الذَنَبْ، زاد النضر بن شميل أنه أزرق اللون لاتنظر إليه حامل إلا ألقت. وقيل: الأبتر: الحية القصيرة الذنب. وقال الداودي: هو الأفعى التي تكون قدر شبر أو أكثر قليلا. وذو الطفيتين. قال ابن عبد البر: يقال: أن ذا الطفيتين جنس من الحيات يكون على ظهره خطان أبيضان. وطمسهما للبصر أنهما يمحوان نوره ويسقطان الجنين وهو في بطن أمه. انظر فتح الباري ٣٤٨/٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب قتل الحيات وغيرها ١٧٥٤/٤. وأخرجه أبو داود. كتاب الأدب ٤١٢/٥ وأحمد في مسنده ١٥٧/٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ٣٥/٦.

(٤) الفتاوى الحديثية ص ٢٢.

(٥) نفس المصدر ص ٢٤.

وأخرج أبو داود عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: «أقتلوا الحيات كلها إلا الجان الأبيض، الذي كأنه قضيب فضة»[1]. وذلك لتمثل الجان في صورة الحيات البيضاء. قال أبو داود: «فقال لي إنسان: «الجان لاينعرج في مشيته، فإذا كان هذا صحيحاً كانت علامة فيه إن شاء الله»[2].

وفائدة الانذار أن الجني الذي يظهر بصورة حية إذا كان مسلماً يخرج بسماعه للإنذار، وإذا لم يخرج فهو جن كافر أو حية، وكل منهما يقتل شرعاً.

والجن يتصور بصورة الكلاب كذلك، قال ابن تيمية: «والجن تتصور بصورة الكلب الأسود، وكذلك بصورة القط الأسود، لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وفيه قوة الحرارة»[3].

فعن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: «أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فنقتله، ثم نهى النبي ﷺ عن قتلها وقال: عليكم بالأسود البهيم ذي النقطتين[4] فإنه شيطان»[5].

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة، فعن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم**

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ٤١٥/٥، قال المنذري: هذا منقطع، إبراهيم لم يسمع من ابن مسعود. سنن أبي داود ٤١٦/٥ الحاشية.

(٢) سنن أبي داود ٤١٦/٥.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٥٢/١٩ بتصرف.

(٤) الأسود البهيم : الخالص السواد، ذي النقطتين: قال النووي في شرح صحيح مسلم ٢٣٧/١٠: وأما النقطتان فهما نقطتان معروفتان بيضاوان فوق عينيه، وهذا مشاهد معروف.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب المساقاة. باب الأمر بقتل الكلاب ١٢٠٠/٣. وأخرج الدارمي في سننه نحو هذا اللفظ. كتاب الصيد باب قتل الكلاب ١٨/٢ والإمام أحمد في مسنده نحو هذا اللفظ ١٥٧/٦ عن عائشة رضي الله عنها.

يصلي، فانه يستره إذا كان بين يده مثل آخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل، فانه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود. قلت يا أبا ذر: مابال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ فقال: ياابن أخي: سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال «الكلب الأسود شيطان»[1] فعلل بأنه شيطان، والجن تتشكل بالصور المختلفة للحيوانات سواء كانت كلابا أو غيرها.

وهكذا يظهر لنا مما تقدم أن الجن يتشكلون في الصور المختلفة، وعندئذ يمكن رؤيتهم، وهذا هو الذي عليه جمهور الفقهاء من المسلمين، لما ورد من الآثار الكثيرة في تشكلهم ورؤيتهم، وقد مر معنا قسم منها.

ويحسن بنا في هذا المقام أن نبين آراء الفقهاء في مسألة رؤية الجن وتشكلهم.

١ ـ **رأي الجمهور** :أن الجن يرون إذا تشكلوا في غير صورهم الأصلية، في بعض الأوقات، ولبعض الناس.

٢ ـ **الفريق الثاني** :يرى أن رؤية الجن مختصة بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ فقط. وممن قال بذلك: الشافعي وابن حزم والنحاس والقشيري وبعض المحْدَثين.

٣ ـ **الفريق الثالث** :ينكر رؤية البشر للجن، سواء كانوا أنبياء أو غير أنبياء، وهو قول لبعض المحْدَثين.

٤ ـ **الفريق الرابع** :يتوسع في دائرة الرؤية، فيثبت رؤية الجن بصورهم الأصلية للأنبياء ولمن اختصه الله بذلك من غير الأنبياء من البشر وهو قول الألوسي وابن العربي، على تفصيل سيأتي فيما بعد.

وإليك تفصيل هذه الآراء مع أدلتها :

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الصلاة. باب قدر ما يستر المصلي ١/٣٦٥ والإمام أحمد في مسنده ٦٣/٢. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٦١/٢.

١ ـــ رأي الجمهور من الفقهاء:

الذين قالوا بأن الجن يرون إذا تشكلوا في غير صورهم الأصلية، في بعض الأوقات ولبعض الناس.

قال محمد رشيد رضا: «والجمهور على أن الجن تتشكل»[١]، وقال في موطن آخر: «واختلفت فرق المسلمين في تشكلهم في الصور. فالجمهور يثبتونه»[٢] وقال المجلسيُّ: «لاخلاف بين المسلمين في أن الجن والشياطين أجسام لطيفة، يرون في بعض الأحيان، ولايرون في بعضها.. وقد جعل الله لهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة وصور متنوعة، كما هو الأظهر من الأخبار والآثار»[٣].

ويقول محمد رشيد رضا مبيناً إمكانية رؤية الجن: «فإذا تمثل الملك أو الجان في صورة كثيفة كصورة البشر أو غيرهم، أمكن للبشر أن يروه، ولكنهم لايرونه على صورته وخلقته الأصلية بحسب العادة، وسنة الله في خلق عالمه وعالمها»[٤].

ويقول الإمام القرطبي: «وقد جاء في رؤيتهم أخبار صحيحة، فمنها حديث أبي هريرة الذي وكله رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ـــ وذكر قصة طويلة ـــ وفيها: أن الشيطان كان يأتيه على صورة رجل فقير، يحثو من الطعام، حتى رفع أمره إلى الرسول، وأخبره أن الذي يأتيه إنما هو شيطان»[٥].

---

(١) تفسير المنار ٥٢٥/٧.

(٢) نفس المصدر ٥٢٥/٧.

(٣) المؤمنون في القرآن ١٤٥/١.

(٤) تفسير المنار ٥٢٥/٧.

(٥) انظر تفسير القرطبي ١٨٧/٧ وقد تقدم حديث أبي هريرة بتمامة تحت عنوان : الأدلة من السنة على تشكلهم

وقد رأى ابن مسعود الجن على غير صورهم الأصلية، حين ذهب عليه الصلاة والسلام لتكليم الجن.

فقد روي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «أُمرت أن أتلو القرآن على الجن، فمن يذهب معي؟ فسكتوا، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، ثم قال عبد الله ابن مسعود: أنا أذهب معك يارسول الله، فانطلق حتى جاء الحَجون[1]، عند شعب أبي دب، فخطَّ عليَّ خطاً فقال: لاتجاوزه، ثم مضى إلى الحجون، فانحدر عليه أمثال الحجل، يحدرون الحجارة بأقدامهم يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة دفوفها، حتى غشوه فلا أراه، فقمت: فأوحى إلي بيده أن أجلس، فتلا القرآن، فلم يزل صوته يرتفع، ولصقوا بالأرض حتى ما أراهم، فلما انفتل[2] إلي قال: أردت أن تأتيني؟ قلت: نعم يارسول الله، قال: ما كان ذلك لك، هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن، ثم ولوا إلى قومهم منذرين، فسألوني الزاد، فزودتهم العظم والبعر، فلا يستطيبن أحدكم بعظم ولابعر»[3].

وقد جاء من طرق هذا الحديث: «ثم انطلق ــ أي ابن مسعود ــ حتى قام عليَّ أي رسول الله ﷺ ــ فافتتح القرآن، فجعلت أرى أمثال النسور تهوي وتمشي في رفرفها، وسمعت لغطاً وغمغمة، حتى خفت على النبي ﷺ، وغشيته أسودة كثيرة، حالت بيني وبينه، حتى ماأسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ النبي ﷺ مع الفجر فقال: أنمت؟ قلت: لا والله، ولقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس، حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول: اجلسوا، فقال: لو خرجت لم آمن عليك أن يخطفك بعضهم، ثم قال: هل رأيت شيئاً؟

(١) الحجون : الجبل المشرف مما يلي شعب الجزَّارين بمكة. وقيل: هو موضع بمكة فيه اعوجاج، والمشهور الأول. انظر النهاية في غريب الحديث ٣٤٨/١.

(٢) انفتل : رجع.

(٣) أخرج علاء الدين الهندي في كنز العمال نحوه ونسبه لعبد الرزاق، انظر كنز العمال ١٦٨/٦ وقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير حديثا قريبا منه ٨٥/١ عن الزبير بن العوام وسيأتي قريبا.

قلت: نعم رأيت رجالا سودا مستثفري[1] ثيابٍ بيض، فقال: أولئك جن نصيبين، سألوني المتاع، والمتاع الزاد..»[2] الحديث.

وفي إحدى الروايات عن ابن مسعود جاء فيها: «... فلما أصبحت قلت: لأعلمنَّ عَلَما حيث كان رسول الله ﷺ، قال: فذهبت، فرأيت موضع مبرك ستين بعيرا»[3]، وذلك حين ذهب الرسول عليه السلام ليكلم نفراً من الجن. وفي هذا دلالة على أن الجن الذين كلمهم عليه الصلاة والسلام لهم أجسام، بحيث يمكن مشاهدتهم، فقد تركوا أثراً يدل على تشكلهم، وهي آثار مقاعدهم عندما كانوا مجتمعين حول الرسول عليه الصلاة والسلام.

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في مسجد المدينة، فلما انصرف قال أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة؟ فأسكت القوم، فلم يتكلم منهم أحد، قال ذلك ثلاثاً، فمر بي يمشي، فأخذ بيدي، فجعلت أمشي معه، حتى خنست عنا جبال المدينة كلها وأفضينا إلى أرض براز، فإذا رجال طوال كأنهم الرماح مستدفري ثيابهم من بين أرجلهم، فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة، حتى ماتمسّكني رجلاي من الفَرَق، فلما دنونا منهم خط رسول الله ﷺ بابهام رجله في الأرض خطاً فقال لي: أقعد في وسطه، فلما جلست ذهب عني كل شيء أجده من ريبة، ومضى النبي ﷺ بيني وبينهم فتلا قرآناً رفيعاً حتى طلع الفجر، ثم أقبل حين مر بي فقال لي: إلحق، فجعلت أمشي معه، فمضينا غير بعيد فقال لي: التفت فانظر هل ترى حيث كان أولئك

---

(١) مستثفري : الاستثفار أن يدخل الانسان ازاره بين فخذيه ملويا ثم يخرجه.

(٢) أخرج علاء الدين الهندي في كنز العمال حديثا قريبا من هذا اللفظ ونسبه لعبد الرزاق، انظر كنز العمال ١٦٨/٦ ـــ ١٦٩. وذكر البيهقي في دلائل النبوة نحوه ١٥/٢.

(٣) ذكرها البيهقي في دلائل النبوة ١٦/٢.

من أحد؟ فقلت يارسول الله أرى سواداً كثيراً، فخفض رسول الله ﷺ رأسه إلى الأرض، فَنظم عظماً بروثه ثم رمى به إليهم وقال: رشُد أولئك من وفد قوم، هم وفد نصيبين سألوني الزاد، فجعلت لهم كل عظم وروثة، قال الزبير: فلا يحل لأحد أن يستنجي بعظم ولا روثة أبدا»(١).

وعندما قدم ابن مسعود الكوفة، رأى شيوخاً شمطا من الزط(٢) فراعوه، قال: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء نفر من الأعاجم، قال: مارأيت للذين قرأ عليهم النبي ﷺ الإسلام من الجن شبها أدنى من هؤلاء(٣).

فهذه الروايات تدعم قول القائلين بإمكانية رؤية الجن، فقد ظهروا لابن مسعود وغيره مرة في صورة النسور، ومرة في صورة الحجل، ومرة في صورة رجال سود، عليهم ثياب بيض. ورآهم ابن مسعود يجتمعون حول الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يقرعهم بعصاه، ثم يتلو عليهم القرآن، ويطلبون منه الزاد فيزودهم العظم لهم، والروث لدوابهم.

وقد تكررت وفادات الجن على الرسول ﷺ وذكر الألوسي أنه كان للجن

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٨٥/١ قال الهيثمى في مجمع الزوائد ٢١٠/١ رواه الطبراني في الكبير واسناده حسن، ليس فيه غير بقية وقد صرح بالتحديث. والفرق: الخوف والفزع. انظر النهاية في غريب الحديث ٤٣٨/٣ ونظم: جمع. لسان العرب ٥٧٨/١٢.
وخنست : غابت وابتعدت. النهاية في غريب الحديث ٨٣/٢ ــ ٨٤.

(٢) الزُّطُّ : جنس من الهنود والسودان لونهم ضارب إلى السواد. انظر النهاية ٣٠٢/٢ وانظر لسان العرب ٣٠٨/٧ والشمط: الشيب. انظر النهاية ٥٠١/٢.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بنحو هذا اللفظ، انظر الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد ٢٥/١٨، تفسير الطبري ٣١/٢٦. وذكر البيهقي في دلائل النبوة نحوه ١٦/٢.

ست وفادات[1] . وهذه الوفادات تدل على رؤية الجن من قبل ابن مسعود وغيره عند تكليم الرسول ﷺ للجن ودعوتهم إلى الله.

أما حديث ابن عباس الذي يقول فيه: «ماقرأ رسول الله ﷺ على الجن ومارآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وخبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: مالكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ماذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ماهذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمرّ النفر الذين أخذوا نحو تهامة، وهم بنخل عامدين إلى سوق عكاظ[2]، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ياقومنا **﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا»**[3]، فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: **﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾**[4].

هذا الحديث الذي يبين فيه ابن عباس أن رسول الله ما رأى الجن، يقول فيه ابن العربي: «وابن مسعود الذي يثبت رؤية الرسول للجن ــ في الحديث المتقدم ــ أعرف من ابن عباس لأنه شاهده، وابن عباس سمعه، وليس الخبر

(١) أنظر تفسير روح المعاني ١٥/٨٣. وقد ذكر البيهقي في دلائل النبوة ٢/١٢ ــ ١٦ مختلف الروايات التي تبين وفادات الجن على الرسول ﷺ.

(٢) نخل وعكاظ: موضعان قرب مكة، عكاظ كانت سوقا في الجاهلية، ونخل صوابها نخلة كما ورد في رواية البخاري. انظر فتح الباري ٢/٢٥٣.

(٣) سورة الجن الآية ١، ٢.

(٤) سورة الجن الآية ١، أخرجه مسلم في كتاب الصلاة. باب الجهر بالقراءة في الصبح ١/٣٣١. وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١/٢٥٢، وأخرجه البخاري بلفظ مقارب كتاب الأذان. باب الجهر بقراءة صلاة الفجر ٢/٢٥٣.

كالمعاينة»[1]، ويقول السبكي: «ويقدم قول ابن مسعود لأنه إثبات وقول ابن عباس نفي، والاثبات مقدم على النفي، لاسيما وقصة الجن كانت بمكة، وكان ابن عباس إذ ذاك طفلاً، أو لم يولد بالكلية، فهو إنما يرويها عن غيره، وابن مسعود يرويها مباشرة عن النبي ﷺ، فالأولى أن يجعل كلام ابن عباس غير معارض لكلام ابن مسعود، وأن يكونا مرتين: إحداهما التي ذكرها ابن عباس، وهي التي أشار إليها القرآن في سورة الأحقاف وفي سورة الجن، إذ لم يكن النبي ﷺ قصدهم ولاشعر بهم ولا رآهم ولا قرأ عليهم قصداً، بل سمعوا قراءته وآمنوا به كما نطق بذلك الكتاب العزيز، وثبوتها من حيث الجملة قطعي»[2]، وهذه المرة كانت بنخلة، والثانية التي تثبت رؤية الرسول للجن وهي بمكة. [3]

وأما قوله تعالى: ﴿**انه يرٰكم هو وقبيله من حيث لاترونهم**﴾[4] حكاية عن إبليس وقبيله من الشياطين، فقد قال الإمام الشوكاني: «وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على أن رؤية الشياطين غير ممكنة، وليس في الآية مايدل على ذلك، وغاية مافيها أنه ــ أي إبليس ــ يرانا من حيث لانراه، وليس فيها أنا لانراه أبداً، فإن انتفاء الرؤية منا له في وقت رؤيته لنا لا يستلزم انتفاءها مطلقاً[5].

ثم إن المقصود من الآية عدم رؤيتنا لهم على صورتهم الأصلية التي خلقهم الله عليها، وليس معناها انتفاء رؤيتنا لهم في حالة تشكلهم بمختلف الصور، التي ثبت تشكلهم بها، لورود الأحاديث الصحيحة في ذلك. قال الحافظ ابن حجر: «إن الشيطان قد يتصور ببعض الصور، فتمكن رؤيته، وأن قوله تعالى: ﴿**إنه يرٰكم هو وقبيله من حيث لاترونهم**﴾ مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها،...

---

(١) تفسير القرطبي ٢/١٩.

(٢) فتاوى السبكي ٥٩٩/٢.

(٣) انظر تفسير القرطبي ٣/١٩.

(٤) سورة الأعراف الآية ٢٧.

(٥) تفسير فتح القدير ١٩٧/٢.

وأنهم يظهرون للإنس بالشرط المذكور»(١)، يقصد إذا تشكلوا بغير صورهم.

وكذلك يحمل قول الإمام الشافعي كما حملت هذه الآية على امتناع رؤيتهم بصورهم الأصلية. فقد روى البيهقي في مناقب الشافعي بإسناده عن الربيع: «سمعت الشافعي يقول: «من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته، إلا أن يكون نبياً»(٢).

يقول الباقلاني: «لسنا ننكر مع كون أصلهم النار أن الله تعالى يكثّف أجسامهم ويغلظها ويخلق لهم أعراضاً تزيد على مافي النار، فيخرجون عن كونهم ناراً، ويخلق لهم صورا وأشكالاً مختلفة»(٣). ويقول في موضع آخر: «إنما رآهم من رآهم لأنهم أجساد مؤلفة وجثث»(٤).

على أن القاضي أبي يعلى الحنبلي يعتبر أن قدرة الجن على التشكل بالصور المختلفة، ليست من خصائصهم التي أودعها الله فيهم، وإنما قدرتهم على التشكل إنما هي بتعليم الله للجن كلمات وضرباً من ضروب الأفعال، إذا قالها وفعلها، نقله الله من صورته إلى صورة الحيوان الذي تشكل به. يقول بهذا الصدد: «ولاقدرة للملائكة والشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور، وإنما يجوز أن يعلمه الله تعالى كلمات وضربا من ضروب الأفعال، إذا فعله وتكلم به، نقله الله تعالى من صورة إلى صورة، فيقال إنه قادر على التصور والتمثل، على معنى أنه قادر على قول إذا قاله أو فعله، نقله الله تعالى من صورته إلى صورة أخرى بجري العادة، فأما أن يصور نفسه فذلك محال، لأن انتقالها من صورة إلى صورة، إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء، فإذا انتقضت بطلت الحياة، واستحال وقوع الفعل من

---

(١) فتح الباري ٤٨٩/٤.

(٢) تفسير المنار ٥٢٦/٧ ولم أعثر عليه في مناقب الشافعي للبيهقي.

(٣) الفتاوى الحديثية ص ٦٥.

(٤) نفس المصدر ص ٦٥.

الجملة، فكيف تنقل نفسها؟. والذي روي أن إبليس تصور في صورة سراقة بن مالك، وأن جبريل تمثل في صورة دحية الكلبي، وقوله تعالى: ﴿**فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا**﴾[1] محمول على ماذكرنا، وهو أنه أقدره على قول قاله، نقله الله تعالى عن صورته إلى صورة أخرى»[2].

وقول أبي يعلى دعوى تفتقر إلى دليل، ولادليل عليها، بل خاصية التشكل للجن من الخصائص التي أودعها الله فيهم، وجعل لهم القدرة على ذلك فلا يكونون بذلك خارجين عن قدرة الله، بل تصرفوا في حدود مامنحهم الله إياه من القدرة على التشكل.

٢ ـــ الفريق الثاني :

الذين يرون بأن رؤية الجن إنما هي مختصة بالأنبياء، كما ورد في تسخير الجن للنبي سليمان عليه السلام، وذلك قوله تعالى: ﴿**فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب. والشياطين كل بنَّاءٍ وغوَّاص. وآخرين مقرنين في الأصفاد، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**﴾[3] فالجن كانوا مرئيين وظاهرين لسليمان عليه السلام بمعجزة. وكما نعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة، وأمر تجرى حوادثه خلافاً للأمور التي تجرى تبعاً للسنن الكونية»[4].

وكما حدث للرسول محمد عليه الصلاة والسلام من رؤيته للجن في مواضع كثيرة، وقد تقدم مجيء الشيطان إليه بشعلة من نار ليحرق بها وجهه، فقال له: ألعنك بلعنة الله ثلاثا، ولولا دعوة أخيه سليمان عليه السلام لأخذه وربطه في

(١) سورة مريم الآية ١٧.

(٢) كتاب المعتمد في أصول الدين ص ١٧٤ ـــ ١٧٥.

(٣) سورة(ص)الآيات من ٣٦ ـــ ٣٩.

(٤) سألوني ١/٢٥٠.

سارية من سواري المسجد، حتى يلعب به ولدان أهل المدينة. وغير ذلك من الأحاديث التي تثبت رؤية الرسول عليه الصلاة والسلام للجن، وقد تقدم[1].

فالبشر لايرون الجن عند هذا الفريق إلا أن يكون ذلك نبياً، فقد كان الإمام الشافعي رحمه الله يرى أن رؤيتهم من الخوارق الخاصة بالأنبياء كما تقدم.

وقول الامام الشافعي ـــ المتقدم ـــ محمول على رؤيتهم بصورتهم الأصلية كما مر معنا.

وبمثل قول الشافعي قال النحاس. ففي تفسير قوله تعالى: ﴿**إنه يرٰكم هو وقبيله من حيث لاترونهم**﴾[2]. قال القرطبي: «قال النحاس: «من حيث لاترونهم» يدل على أن الجن لايرون إلا في وقت نبي، ليكون ذلك دلالة على نبوته، لأن الله جل وعز خلقهم خلقاً لايرون فيه، وإنما يرون إذا نقلوا عن صورهم، وذلك من المعجزات التي لاتكون إلا في وقت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم»[3].

وقال القرطبي: «قال القشيري: أجرى الله العادة بأن بني آدم لايرون الشياطين اليوم»[4].

وممن قال بالمنع ابن حزم الظاهري، فقد قال: «وهم يروننا ولانراهم، قال الله تعالى: ﴿**انه يرٰكم هو وقبيله من حيث لاترونهم**﴾[5]... وإذ أخبرنا الله عز وجل أنا لانراهم، فمن ادَّعى أنه يراهم أو رآهم فهو كاذب، الا أن يكون نبياً من الأنبياء عليهم السلام، فذلك معجزة لهم، كما نص رسول الله ﷺ أنه تفلَّت عليه

---

(١) راجع مبحث تشكل الجن ورؤيتهم.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٧.

(٣) تفسير القرطبي ١٨٦/٧.

(٤) نفس المصدر ١٨٧/٧.

(٥) سورة الأعراف الآية ٢٧.

الشيطان ليقطع عليه صلاته...»[1] ثم يقول: «ولاسبيل إلى وجود خبر يصح برؤية جنيّ بعد موت رسول الله ﷺ، وإنما هي منقطعات أو عمَّن لاخير فيه»[2].

وقول ابن حزم إنما هو محمول على رؤيتهم بصورهم الأصلية، كما حمل قول الإمام الشافعي من قبل.

وروي عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رؤية الجن ليست حقيقة، وإنما هي من باب التخييل.

فعن أسيد بن عمرو قال: ذكرنا عند عمر الغيلان فقال: «إنه لايستطيع شيء أن يتحول عن خلق الله الذي خلقه، ولكن فيهم سحرة كسحرتكم، فإذا أحسستم من ذلك شيئاً فأذِّنوا»[3].

وعلى قول عمر فإن ظهور الجن بالصور المختلفة ليس حقيقة، وإنما هو من باب التخييل، كتخييل السحرة على الرائين. ولكن الأدلة الصحيحة تثبت رؤيتهم حقيقة وليس تخييلا، كما حصل مع أبي هريرة في الحديث المتقدم الذي أخرجه البخاري، عندما جاءه الشيطان على صورة رجل فقير ذي عيال، وغير ذلك من الأحاديث التي تثبت رؤيتهم حقيقة.

٣ ـــ الفريق الثالث :

الذي ينكر حتى رؤية النبي ﷺ للجن. «فقد قال عبد الله النوري في جوابه

---

(١) الفصل في الملل والاهواء والنحل ١٢/٥.

(٢) نفس المصدر ١٣/٥.

(٣) قال في كنز العمال: ١٦٧/٦، أخرجه عبد الرزاق في الجامع وابن أبي شيبة. وقد ورد بهذا المعنى من حديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣٠٥/٣ عن جابر رضي الله عنه ولفظه: «... إذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالأذان».

على سؤال وجه إليه عن رؤية الرسول عليه السلام للجن «لم يثبت أن النبي ﷺ راى الجن بعينيه، وإنما أوحي إليه أن نفراً من الجن استمع إليه، قال تعالى: ﴿**قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا**﴾»[١].

وهو لايثبت الرؤية الا للنبي سليمان عليه السلام، كما ورد في الآيات التي تبين تسخير الجن له.

وعلى هذا فهو يخالف كل الآراء التي تجمع على رؤية النبي عليه السلام للجن، وأما بالنسبة للآية التي ذكرها، فقد كانت إخباراً من الله لنبيه بأن نفراً من الجن استمعوا إليه، وهي تشعر بأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يرهم في هذه المرة، ولكن وفادات الجن على الرسول عليه السلام قد تكررت عدة مرات، رآهم فيها، كما تقدم.

وأما أن هذه خصوصية للنبي سليمان عليه السلام ومعجزة دالة على رسالته ـــ كما قال صاحب الدعوى عبد الله النوري ـــ فهي دعوى لاتمنع من تسخيرهم ورؤيتهم بعده. يقول البهي الخولي: «وإذا كان ذلك التسخير خصوصية لاتنبغي لأحد بعد سليمان، فإن سر تلك الخصوصية لم ينقطع بعده»[٢]. واختصاص سليمان عليه السلام بذلك إنما هو على جهة تسخيرهم في الأعمال وبناء القصور والقلاع وغير ذلك، وهذا لم يقل به أحد من الناس، وأنه ممكن للبشر بعده، أما أن يختص سليمان برؤيتهم دون غيره فهذا ماترده الشواهد الدالة على إمكانية رؤية الأنبياء وغيرهم للجن. بل إن تسخيرهم لنبينا عليه الصلاة والسلام كان ممكناً عندما قال: «فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تنظروا إليه كلكم»[٣] الحديث، لكن الذي منعه هو تذكُّره لدعوة أخيه سليمان عليه

---

(١) سورة الجن الآية ١، سألون ١/٢٥٠.

(٢) آدم عليه السلام ص ٨٨.

(٣) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب المساجد. باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة ١/٣٨٤. وقد تقدم.

السلام، ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي﴾[1]، والا فالتسخير كان ممكناً لمحمد عليه السلام، فكيف لاتكون الرؤية للجن جائزة في حقه ﷺ؟.

وبمثل هذا القول قالت القدرية بانتفاء رؤيتهم مطلقاً للأنبياء وغيرهم، يقول الباقلاني: «ومن يقر بوجودهم من القدرية يزعم أنهم لايرون لرقة أجسامهم ونفوذ الشعاع منها...، ومن العلماء من قال: انهم لايرون، لأنهم لا ألوان لهم﴾»[2].

٤ ـــ الفريق الرابع :

الذي يتوسع في دائرة الرؤية، فيثبت رؤية الجن بخلقتهم الأصلية للأنبياء، ولمن اختصه الله بذلك من غير الأنبياء. قال ابن العربي: «وليس يمتنع أن يراهم النبي ﷺ في صورهم كما يرى الملائكة»[3]. ويقول الألوسي: «وقد ترى ـــ أي الجن ـــ بصور غير صورها الأصلية، بل وبصورها الأصلية التي خلقت عليه كالملائكة عليهم السلام، وهذا للأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، ومن شاء الله تعالى من خواص عباده عز وجل»[4].

وأما رؤية الجن في صورتهم الأصلية لغير الأنبياء فقد روى البيهقي في الدلائل عن الحسن: أن عمار بن ياسر قال: «قاتلت مع رسول الله ﷺ الجن والإنس، فسئل عن قتال الجن فقال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى بئر استقي منها، فرأيت الشيطان في صورته، فصارعني فصرعته، ثم جعلت أدمي أنفه بفهر[5] كان معي أو حجر. فقال النبي ﷺ لأصحابه: «إن عمار لقي الشيطان عند البئر فقاتله» فلما رجعت سألني فأخبرته الأمر، فكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: إن عمار

(١) سورة (صٓ) الآية ٣٥.

(٢) الجن بين الحقائق والأساطير ٤٩/١.

(٣) احكام القرآن ١٨٦٤/٤.

(٤) تفسير روح المعاني ٨٢/٢٩.

(٥) الفِهْر: الحجر ملء الكف. انظر الصحاح للجوهري ٢٦٣/٢ ط١ ١٩٧٤م.

ابن ياسر أجاره الله من الشيطان على لسان رسول الله ﷺ»[1].

ومما تقدم لنا من الأقوال في مسألة رؤية الجن يتبين لنا أن الحق مع الفريق الذي قال بوقوع رؤيتهم للأنبياء مطلقاً ولغيرهم عند تمثلهم، وهو ماعليه الأكثرية من العلماء، وهو القول الذي تدعمه النصوص الثابتة من السنة النبوية، وهو الذي تشهد له التجربة مع كثير من الناس.

وقد بسطنا القول في هذه القضية، لأنه يترتب عليها كثير من مسائل الخلاف في الفصول التالية.

(جـ) أن الجن يتناكحون ويتناسلون ولهم ذرية :

والجن يتناكحون ويتناسلون ولهم ذرية، يقول ابن حجر الهيتمي: «واستدلوا لتناكح الجن فيما بينهم بقوله تعالى: ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو**﴾،[2] فهذا يدل على أنهم يتناكحون لأجل الذرية»[3]. ويقول الألوسي: «والظاهر أن المراد بالذرية: الأولاد، فتكون الآية دالة على أن له أولاداً، وبذلك قال جماعة، وقد روي عن ابن زيد أن الله تعالى قال لابليس: إني لأخلق لآدم ذرية

(١) ورد في صحيح البخاري أن عمار بن ياسر أجاره الله على لسان نبيه من الشيطان ٣٣٧/٦، وفي مسند الإمام أحمد كذلك ٤٥١/٦ وقد ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٣/٩ قصة قتال عمار بن ياسر للشيطان ونصها: عن الحسن قال: كان عمار يقول: قاتلت مع رسول الله ﷺ الجن والأنس، أرسلني إلى بئر بدر، فلقيت الشيطان في صورة الإنس، فصارعني فصرعته، فجعلت أدقه بفهر معي ــ أو حجر معي ــ فقال رسول الله ﷺ: عمار لقي الشيطان عند البئر فقاتله، فما عدا أن رجعت فأخبرته فقال: ذاك شيطان». قال الهيثمي: رواه الطبراني عن شيخه يعقوب ابن اسحق المحرمي ولم أعرفه، والحكم بن عطية مختلف فيه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) سورة الكهف الآية ٥٠.

(٣) الفتاوى الحديثية ص ٦٨.

إلا ذرأت لك مثلها، فليس يولد لآدم ولد إلا ولد معه شيطان يقرن به. وعن قتادة: أنه ينكح وينسل كما ينكح وينسل بنو آدم»[1]. وبمثل قول قتادة قال الحسن البصري[2]. «والذي يدل على مارواه ابن زيد ماروواه ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يارسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير**»[3].

ومن الأدلة على تناكحهم وتناسلهم قوله تعالى: ﴿**لم يطمثهنّ انس قبلهم ولاجان**﴾[4].

يقول ابن حجر الهيتمي: «وهذا يدل على أنه يتأتى منهم الطمث وهو الجماع والافتضاض»[5]، ويقول الفخر الرازي في الآية المتقدمة: «ما الفائدة في ذكر الجان مع أن الجان لايجامع؟ نقول: ليس كذلك، بل الجن لهم أولاد وذريات، وإنما الخلاف في أنهم هل يواقعون الإنس أم لا؟ والمشهور أنهم يواقعون»[6].

ولو كان الجن لايتوالدون لانقرضوا ومابقي منهم أحد، لأنه قد ثبت موتهم بكثير من الأدلة، كما هو الشأن عند البشر، فلو كان البشر لايتوالدون لانقرضوا.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «إن الله جزّأ الإنس والجن عشرة

---

(١) تفسير روح المعاني ٢٩٤/١٥.
(٢) انظر تفسير الطبري ٢٢٦/١.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ٤١٦٧/٤، وفي رواية أخرى عن سفيان ورد بزيادة: وقرينه من الملائكة. وأخرجه أحمد في مسنده ٣٨٥/١، والدارمي في سننه. كتاب الرقاق باب ما منكم أحد إلا ومعه قرينه من الجن ٢١٥/٢.
(٤) سورة الرحمٰن الآية ٥٦.
(٥) الفتاوى الحديثية ص ٦٨.
(٦) التفسير الكبير ١٣٠/٢٩.

أجزاء، فتسعة منهم الجن، والإنس جزء واحد، فلا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة»[1].

وقال الشعبي: «سألني رجل: هل لابليس زوجة؟ فقلت إن ذلك عرس لم أشهده، ثم ذكرت قوله تعالى: **﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾**[2]، فعلمت أنه لاتكون ذرية إلا من زوجة، فقلت: نعم»[3].

ومن الأدلة على أن الجن يتناكحون ولهم ذرية ماورد في سورة الجن، من أن للجن رجالاً، قال تعالى: **﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾**[4]، «ومتى كان فيهم رجال ففيهم إناث، وذلك يقتضي التناسل»[5].

ومن الأدلة ماجاء في تفسير الخبث والخبائث في حديث الرسول ﷺ فيما رواه عبد العزيز بن صهيب قال: «سمعت أنساً يقول: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»[6]. قال ابن حجر

(١) أخرجه علاء الدين الهندي في كنز العمال ١٧٧/٦ ــ ١٧٨ ونسبه لابن عساكر ولفظه: «عن عبد الله بن عمرو قال: إن الله عز وجل جزأ الخلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الملائكة وجزءا سائر الخلق، والملائكة عشرة أجزاء، فتسعة أجزاء الكروبيون، الذين يسبحون الليل والنهار لايفترون، وجزء واحد الذين وكلوا بخزائن كل شيء، والجن والأنس عشرة أجزاء، فتسعة أجزاء الجن، وجزء واحد الأنس، فإذا ولد من الإنس ولد وُلِدَ معه تسعة أجزاء من الجن.

(٢) سورة الكهف الآية ٥٠.

(٣) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ١٢٢/٤.

(٤) سورة الجن الآية ٦.

(٥) العقيدة الإسلامية وأسسها ٢٧/٢.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الوضوء. باب ما يقول عند الخلاء ٢٤٢/١. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الحيض. باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء ٢٨٣/١.

العسقلاني: «والخبث جمع خبيث، والخبائث جمع خبيثة، يريد: ذكران الشياطين وإناثهم، قاله الخطابي وابن حبان وغيرهما»[١]. فقد دل هذا التفسير للحديث على أنه يوجد في الجن ذكران وإناث، وهو يقتضي الجماع والتناسل.

وفي قوله تعالى: ﴿**ياقومنا أجيبوا داعي الله**﴾[٢] ــ إخباراً عن النفر الذين استمعوا إلى القرآن من الرسول ﷺ ــ مايفيد تناكح الجن وتناسلهم، قال ابن منظور: «والقوم: الجماعة من الرجال والنساء جميعاً، وقيل هو للرجال خاصة دون النساء.

وقال: وقوم كل رجل شيعته وقرابته[٣]. وعلى هذا الأساس فإن في الجن رجالا ونساء وذلك يقتضي التناسل.

وقد ذكر نفر بأنهم لايتوالدون، والمراد من الذرية في قوله تعالى: ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني**﴾،[٤] «بأنهم الأتباع من الشياطين، وعبر عنهم بذلك مجازا تشبيها لهم بالأولاد»[٥].

قال الألوسي: «وقيل ــ ولعله الحق ــ أن له أولاداً وأتباعاً ويجوز أن يراد من الذرية مجموعهما معا على التغليب، أو الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يراه، أو عموم المجاز»[٦].

---

(١) فتح الباري ١/٢٤٣، وانظر صحيح ابن حبان ٢/٤٩٠. وانظر البداية والنهاية ١/٦١.
(٢) سورة الأحقاف الآية ٣١.
(٣) لسان العرب ١٢/٥٠٥.
(٤) سورة الكهف الآية ٥٠.
(٥) تفسير روح المعاني ١٥/٢٩٥.
(٦) نفس المصدر ١٥/٢٩٥.

والصحيح أن الجن يتناكحون ويتوالدون لما تقدم من الأدلة، ولكن بكيفية لايعلمها إلا الله سبحانه.

(د) أنهم يأكلون ويشربون:

اختلف العلماء في أن الجن هل يأكلون ويشربون أم لا؟ للعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال :

أولاً : أن جميع الجن يأكلون ويشربون.
ثانياً : أن جميع الجن لايأكلون ولايشربون.
ثالثاً : أن قسماً منهم يأكل ويشرب والقسم الآخر لايأكل ولايشرب.

وقد اعتمد القائلون على أن قسماً من الجن لايأكلون ولايشربون على بعض الأحاديث، فقد ورد أنه ﷺ قال: «**خلق الله الجن ثلاثة أصناف: صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف عليهم الحساب والعقاب**»[1]. قال السهيلي، ولعل الصنف الثاني هو الذي لايأكل ولايشرب، إن صح أن الجن لاتأكل ولاتشرب»[2].

ويقول القاضي بدر الدين الشبلي: «عن عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبِّه يقول: وسئل عن الجن ماهم، وهل يأكلون ويشربون ويتناكحون؟ فقال: هم أجناس، فأما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولايشربون ولا يتوالدون، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتوالدون ويتناكحون، منهم السعالى والقطرب وأشباه ذلك»[3]. ويقول ابن حجر الهيتمي: «قال الإمام فخر الدين الرازي:

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٣١٨ باسناد صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك قريبا من هذا اللفظ ٤٥٦/٢. وقال عنه: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي عنه: صحيح.
(٢) الفتاوى الحديثية ص ٦٥.
(٣) آكام المرجان في أحكام الجان ص ٢٩.

«اتفقوا على أن الملائكة لايأكلون ولايشربون ولاينكحون، وأما الجن فإنهم يأكلون ويشربون وينكحون ويتوالدون»[1].

والذي تدل عليه النصوص أن الجن يأكلون ويشربون، دون تخصيص بعضهم بذلك دون بعض، ففي حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: لكم كل عظم ذُكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر مايكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم، فقال رسول الله ﷺ: فلاتستنجوا بهما، فإنهما طعام اخوانكم»**[2].

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال: «قدم وفد الجن على النبي ﷺ فقالوا: يامحمد: إنْه أمتك أن يستنجوا بعظم أو روثة أو حُمَمَة[3]، فإن الله تعالى جعل لنا فيها رزقا، فنهى النبي ﷺ عن ذلك»[4].

وقد ذكر عماد الدين العامري أن العظم الذي ذكر اسم الله عليه هو طعام المؤمنين من الجن، وأما الكافرون منهم فإنما طعامهم فيما لم يذكر اسم الله عليه[5].

وقد وردِ في الحديث الصحيح أن الشيطان يأكل ويشرب، فعن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله»**[6].

(١) الفتاوى الحديثية ص ٦٥.

(٢) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح ١/٣٣٢.

(٣) قال في جامع الأصول ١٤٦/٧ والحُمَمَة: الفحْمة، وجمعها حَمَمْ.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة. باب ما ينهى عنه أن يستنجى به ١/٣٦.

(٥) أنظر بهجة المحافل وبغية الأماثل ١/١٢٤.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الأشربة. باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ١٥٩٨/٣.

وكذلك ماورد من أن الشيطان يدخل هو وأتباعه على البيوت التي لايذكر أصحابها اسم الله عز وجل، فيأكلون ويبيتون معهم، فعن جابر بن عبد الله أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لامبيت لكم ولاعشاء، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء**»(١).

وقد ورد كذلك أن الشيطان يستحل الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه، فعن حذيفة قال: «كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاماً، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وأنَّا حضرنا معه مرة طعاماً، فجاءت جارية كأنها تُدْفَع، فذهبَتْ لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها. ثم جاء أعرابي كأنما يُدْفَع، فأخذ بيده. فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الشيطان يستحل الطعام أن لايذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأُخذْت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، فأخذْتُ بيده، والذي نفسي بيده، إن يده(٢) في يدي مع يدها**(٣).

ففي هذا الحديث دلالة على أن الشيطان يستحل الطعام بالأكل منه إذا لم يذكَر اسم الله عليه، وقد كان الشيطان وراء تلك الجارية والأعرابي، يدفعهما بسرعة إلى الطعام، بحيث لايذكران اسم الله عليه، فبذلك يأكل الشيطان معهما من

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الأشربة. باب آداب الطعام والشراب واحكامهما ١٥٩٨/٣. وأحمد بن حنبل في مسنده ٣٨٣/٣. وأبو داود. كتاب الأطعمة. باب التسمية على الطعام ١٣٨/٤.

(٢) أي الشيطان.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الأشربة. باب آداب الطعام والشراب واحكامهما ١٥٩٧/٣. وأبو داود. كتاب الأطعمة. باب التسمية على الطعام ١٣٩/٤. والحاكم في المستدرك ١٠٨/٤ مع اختلاف في بعض الألفاظ وقال عنه: حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الطعام، ولذلك نزع عليه الصلاة والسلام أيديهما من الطعام، وذكر اسم الله، ثم أكل.

وأما القول الثاني الذي يقول: إن جميع الجن لايأكلون ولايشربون، فهو قول لادليل عليه، وهو مخالف للأحاديث الصريحة، الدالة على أكل الجن وشربهم، يقول القاضي بدر الدين الشبلي: «فالقائلون أن الجن لاتأكل ولاتشرب، إن أرادوا أن جميع الجن لايأكلون ولايشربون، فهذا قول ساقط، لمصادمته الأحاديث الصحيحة، وإن أرادوا أن صنفاً منهم لايأكلون ولايشربون، فهو محتمل، غير أن العمومات تقتضي أن الكل يأكلون ويشربون»[1].

ولكنه قد حصل خلاف بين العلماء في كيفية أكلهم وشربهم.

فقال بعضهم: «إن أكلهم وشربهم تشمم واسترواح، لامضغ وبلع.

وقال آخرون: «إن أكلهم وشربهم مضغ وبلع»[2]، والذي تشهد له الأحاديث أن أكل الجن وشربهم مضغ وبلع، لاتشمم واسترواح كما قال بعضهم، فقد روى أبو داود عن أمية بن مخشي ــ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ــ قال: كان رسول الله ﷺ جالساً ورجل يأكل، فلم يسم، حتى إذا لم يبق من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلى فيه قال: بسم الله أوله وآخره، فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «**مازال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله عز وجل استقاء مافي بطنه**»[3].

وعن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال: «إن وفداً

---

(١) آكام المرجان في احكام الجان ص ٣٠.
(٢) نفس المصدر ص ٢٨.
(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة. باب التسمية على الطعام ٤/١٤٠. والطبراني في المعجم الكبير ص ٢٦٨.

من نصيبين سألوني الزاد، فلا تستنجوا بعظم ولا روثة، فإنهما طعام إخوانكم من الجن، فقالوا: ومايغني ذلك عنهم؟ قال: لايمرون بعظم إلا وجدوا عليه عَرْقة، ولايمرون بروثة إلا وجدوا عليها طُعْما»[1].

ولو كان أكلهم تشمماً واسترواحاً لما سألوه الزاد ولاكتفوا بالعظم وحده. إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدل على أنهم يأكلون ويشربون حقيقة، والله أعلم.

(هـ) أن الجن مكلفون، ولهم إرادة واختيار:

سبق من تعريف الجن أنهم أمة مكلفة كالإنس، ولهم إرداة واختيار، وهذا هو الذي تشهد له الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، قال تعالى: ﴿**وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[2] وقال: ﴿**يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم**﴾[3]. وغير ذلك من الآيات التي توعدت الكافرين من الجن والإنس بالتعذيب في النار، كقوله تعالى: ﴿**وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين**﴾[4]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تكليف الجن، وفي هذا دلالة على أن لهم إرداة واختياراً، وإلا لما طولبوا بالإيمان وترك الكفر، ونحن سنترك الحديث عن هذه القضية بالتفصيل إلى الحديث عن تكليف الجن في الفصول التالية إن شاء الله.

(و) أنهم يتميزون بسرعة الحركة والقدرة على الأعمال الشاقة:

خص الله الجن عن الإنس بأن جعل لهم قدرات ومهارات عظيمة، فقد سخرَّ

(١) قال في جامع الأصول ١٤٦/٧: أخرجه رزين. والعَرْق: هو العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم. انظر النهاية في غريب الحديث ٣/٢٢٠. والطُّعْم: الطعام، أي أنهم وجدوا عليه شيئا يأكلونه. انظر النهاية كذلك ٣/١٢٥.

(٢) سورة الذرايات الآية ٥٦.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٣٠.

(٤) سورة فصلت الآية ٢٥.

الله الجن للنبي سليمان عليه السلام، فكانوا يبنون له القصور والمحاريب، ويصنعون التماثيل، ويعملون الجفان الواسعة للطعام، وحياض الماء الكبيرة، قال تعالى في وصف ذلك: ﴿**ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور**﴾[١].

فقد وصف الله هذه القدور بأنها راسيات، «أي ثابتات لاتنتقل لضخامتها، وفي وصف الجفان بهذه الضخامة والاتساع، ووصف القدور بهذه الأحجام العظيمة دليل على قدرتهم العظيمة»[٢].

وفي حديث القرآن عن عفريت أحد الجان ــ الذي تعهد بإحضار عرش بلقيس ملكة سبأ قبل قيام سليمان عليه السلام من مجلسه ــ دليل على حركتهم السريعة في التنقل، قال تعالى: ﴿**قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين**﴾[٣].

وما ورد من ارتيادهم للفضاء، كما ورد في القرآن الكريم، في معرض الحديث عن استراق الجن لأخبار السماء ورميهم بالشهب، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿**وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا. وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا**﴾[٤].

ففي كل هذه الآيات دليل على قدرتهم على الأعمال الشاقة، وسرعة تنقلهم بين الأماكن البعيدة، ولا غرابة في ذلك، فهم مخلوقات عنصرهم النار، التي تتميز بالخفة، فسبحان من أبدع كل شيء صنعا.

---

(١) سورة سبأ الآيات ١٢ ــ ١٣.
(٢) التفسير القرآني للقرآن ١١/٧٩٠ بتصرف.
(٣) سورة النمل الآية ٣٩.
(٤) سورة الجن الآية ٨ ــ ٩.

وسيكون مزيد بيان حول هذه المسألة عند الحديث عن النبي سليمان عليه السلام وتسخير الجن له.

(ز) أنهم يموتون ويبعثون بعد الموت :

والجن مخلوقات تموت كما يموت الإنس، فمن الأدلة القرآنية على موتهم قوله تعالى: ﴿**أولٰئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين**﴾[(١)].

قال الألوسي: «واستدل بقوله عز وجل ﴿**في أمم قد خلت..**﴾ الآية على أن الجن يموتون قرناً بعد قرن كالإنس»[(٢)]. وروي عن الحسن في بعض مجالسه: أن الجن لايموتون، فاعترضه قتادة بهذه الآية فسكت[(٣)]. ويقول ابن حجر الهيتمي معلقاً على قول الحسن هذا: «ففي الآية دليل على أنهم يموتون، فإن أراد الحسن أنهم لايموتون مثلنا، بل يُنظرون مع إبليس، فإذا مات ماتوا معه، قلنا: إن أراد ذلك في بعضهم كشياطين إبليس وأعوانه فهو محتمل، وإن أراد أنهم كذلك نافاه ماورد من الوقائع الكثيرة في موتهم»[(٤)]. قال القاضي بدر الدين الشبلي: «ومعنى قول الحسن أن الجن لايموتون أنهم منظرون مع إبليس، فإذا مات ماتوا معه، وظاهر القرآن يدل على أن إبليس غير مخصوص بالانظار إلى يوم القيامة، وأما ولده وقبيله فلم يقم دليل على أنهم منظرون معه، وظاهر قوله تعالى: ﴿**إنك من المنظرين**﴾[(٥)]، يدل على أن ثمَّ منظرين غير أبليس، وليس في القرآن مايدل على أن المنظرين هم الجن كلهم، فيحتمل أن يكون بعض الجن منظرين، وأما كلهم فلا دليل عليه[(٦)].

---

(١) سورة الأحقاف الآية ١٨.
(٢) تفسير روح المعاني ٢١/٢٦.
(٣) نفس المصدر ٢١/٢٦.
(٤) الفتاوى الحديثية ص ٧١ بتصرف.
(٥) سورة الأعراف الآية ١٥.
(٦) آكام المرجان في أحكام الجان ص ١٥٢.

وسئل ابن حجر عن موت الجن فقال: «كل الحيوانات يموتون، وكذلك سائر العالم، لقوله تعالى: ﴿**كل من عليها فان**﴾[1]، مع قوله تعالى: ﴿**كل شيء هالكٌ إلا وجهه**﴾[2] .

وأما الدليل من السنة على موتهم :

فعن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول: «**أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لايموت، والجن والإنس يموتون**»[3]. وهو من أصرح الأحاديث الدالة على موت الجن.

وعن صفوان بن المعطل السلمي أنه قال: «**خرجنا حجاجاً، فلما كنا بالعَرْج**[4] إذا نحن بحية تضطرب، فلم تلبث أن ماتت، فأخرج لها رجل منا خرقة فلفَّهاَ فيها، ثم حفر لها في الأرض، ثم قدمنا مكة، فأتينا المسجد الحرام، فوقف علينا رجل فقال: أيكم صاحب عمرو بن جابر؟ قلنا: مانعرفه، قال: أيكم صاحب الجان؟ قالوا: هذا، قال: جزاك الله عنا خيراً أما إنه كان آخر التسعة من الجن الذين سمعوا القرآن من النبي ﷺ[5]. فقد كانت تلك الحية التي ماتت من الجن الذين استمعوا القرآن من الرسول عليه الصلاة والسلام في بداية الدعوة الإسلامية.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: «وكِّل ملك الموت بقبض أرواح المؤمنين

---

(١) سورة الرحمٰن الآية ٢٦.
(٢) سورة القصص الآية ٨٨.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب التوحيد. باب قول الله تعالى: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ ٣٦٨/١٣. وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١٨٣/٢.
(٤) العَرْج: قرية على بعد أميال من المدينة. انظر النهاية في غريب الحديث ٣٢٧/٣ بتصرف.
(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٣١٢/٥. وأخرجه الحاكم في المستدرك في ترجمة صفوان بن المعطل ٥١٩/٣. وأبو نعيم في حلية الأولياء عن أبي رجاء العطاردي ٣٠٥/٢.

والملائكة، وملك بالجن، وملك بالشياطين، وملك بالطير والوحوش والسباع والحيات، فهم أربعة أملاك»[1].

وقد تقدم في تشكل الجن، حديث الفتى الذي صرعه الجني، وفيه دليل على أن الجن يموتون، فقد ورد في الحديث: «فما يُدرى أيهما كان أسرع موتاً الحية أم الفتى»[2]. وقد كانت تلك الحية من الجن الذين يسكنون المدينة، لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث: «**إن في المدينة جناً قد أسلموا**..».

وأما عن بعثهم بعد الموت، فإن كثيراً من الآيات القرآنية التي توعدت العصاة والكفرة، قد دلت على بعثهم بعد الموت ومحاسبتهم على أعمالهم، قال الله تعالى في سؤال الكفرة من الجنسين في الآخرة: ﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿**وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين**﴾[4].

(ح) أن الجن يسكنون هذه الأرض :

والجن يسكنون هذه الأرض كما يسكن عليها الإنسان، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا أهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**﴾[5]، وذلك بعدما خالف آدم وزوجه عليهما السلام أمر ربهما بعدم الأكل من الشجرة التي نهاهم الله بالأكل منها.

(١) الفتاوى الحديثية ص ٧١.
(٢) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب قتل الحيات وغيرها ١٧٥٦/٤ وأخرجه مالك في الموطأ. كتاب الاستئذان. باب ما جاء في قتل الحيات ٩٧٦/٢. وأخرجه أبو داود مختصرا. كتاب الأدب ٤١٣/٥.
(٣) سورة الأنعام الآية ١٣٠.
(٤) سورة هـود الآية ١١٩.
(٥) سورة البقرة الآية ٣٦.

قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: «والخطاب لآدم وحواء والحية والشيطان في قول ابن عباس. وقال الحسن: لآدم وحواء والوسوسة. وقال مجاهد والحسن أيضاً: بنو آدم وبنو إبليس. والهبوط: النزول من فوق إلى أسفل»[1].

وقال الإمام الطبري في الآية: «وقد دل على هذا أن هبوط آدم وزوجته وعدوهما إبليس كان في وقت واحد، بجمع الله إياهم في الخبر عن إهباطهم بعد الذي كان من خطيئة آدم وزوجته، وتسبُّب ابليس ذلك لهما على ماوصفه ربنا جل ذكره عنهم»[2].

ويقول القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**والأرض وضعها للأنام**﴾[3]: «عن ابن عباس قال: الأنام: الناس، وقال الحسن: الأنام: الجن والإنس، وعن الضحاك: الأنام: كل مادب على وجه الأرض، وهذا عام»[4]. وقال ابن كثير: قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: الأنام: الخلق[5].، وهذا يشمل الجن والإنس وغيرهما.

ومما يرجح أن الخطاب في الآية السابقة للجن والإنس قوله تعالى بعد ذكر كل نعمة من نعمه: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾[6]، والمقصود به الجن والإنس.

إلا أن وجود الجن أكثر مايكون في الأماكن المهجورة كالمغارات والكهوف والحمامات والمزابل والمقابر والجبال.

---

(١) تفسير القرطبي ٣١٩/١.
(٢) تفسير الطبري ٣٣٩/١.
(٣) سورة الرحمن الآية ١٠.
(٤) تفسير القرطبي ١٥٥/١٧.
(٥) تفسير ابن كثير ٢٧٠/٤.
(٦) سورة الرحمن الآية ١٣.

فعن بلال بن الحارث قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فخرج لحاجته، وكان إذا خرج لحاجته يبعد، فأتيته بأداوة من ماء، فانطلق، فسمعت عنده خصومة رجال ولغطا لم أسمع مثلها، فجاء فقال: بلال؟ فقلت: بلال، قال: أمعك ماء؟ قلت: نعم، قال. أصبْتَ، فأخذه مني فتوضأ، قلت يارسول الله: سمعت عندك خصومة رجال ولغطاً ماسمعت أحدً من ألسنتهم، قال: اختصم عندي الجن المسلمون والجن المشركون، فسألوني أن أسكنهم، فأسكنت المسلمين الجَلْس، وأسكنت المشركين الغور»،[1]، قال الراوي عبد الله بن كثير: قلت لكثير: ما الجلس[2] وما الغور؟ قال: الجلس: القرى والجبال، والغور: مابين الجبال والبحار، وهي يقال لها الجنوب، قال كثير: مارأينا أحدا أصيب بالجلس إلا سلم، ولا أصيب أحد بالغور إلا لم يكد يسلم»[3].

وهناك نفر من الجن يعيشون في البيوت مع الناس، وهم مايسمون بجنّان البيوت، وهي الحيَّات التي يتشكل الجن بصورتها، وقد تقدم حديث الفتى الذي صرعه الجني في بيته، ولذلك نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن قتل حيات البيوت قبل إنذارها، لوجود الجن المؤمنين فيها.

ومن الأماكن التي يسكنها الجن مواضع النجاسات فعن زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن هذه الحشوش مُحْتَضَرة[4]، فإذا أتى أحدكم الخلاء**

(١) أخرجه علاء الدين الهندي في كنز العمال ١٦٧/٦ ونسبه للطبراني.

(٢) الجَلْس : كل مرتفع من الأرض، والغور: ما انخفض منها. انظر النهاية في غريب الحديث ٣٩٣/٣.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٥٨/١، قال في مجمع الزوائد ٢٠٣/١ وفيه كثير بن عبد الله، وقد أجمعوا على ضعفه، وقد حسن الترمذى حديثه

(٤) محْتَضَرة : أي تحضرها الشياطين، والحشوش: الكُنُف، وأصل الحش جماعة النخل الكثيفة، وكانوا يقضون حوائجهم فيها قبل أن يتخذوا الكنف في البيوت. انظر سنن أبي داود ١٧/١.

فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث»[1]، وذلك ليدفع شر الشياطين التي تكون في هذه الأماكن.

بالاضافة إلى هذا فقد ورد النهى عن الرسول ﷺ عن الصلاة في أعطان الابل والحمامات، وعلل النهي أنها مأوى الشياطين.

ويكثر وجودهم في الأسواق لفتنة الناس، وهم إبليس وذريته، ولذلك نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن المكث فيها، فقد قال موصياً سلمان ــ رضي الله عنه: **«لاتكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولاآخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رايته»**[2]. وذلك لأن الأسواق فيها من أنواع الباطل كالغش والخداع والأيمان الكاذبة، والعقود الفاسدة، والنظر المحرم إلى العورات، وغير ذلك مما هو من تحريض ابليس وأعوانه.

وبعد فهذه هي الصفات البارزة لهذا المخلوق، مع وجود بعض الصفات الأخرى، التي تأتي في محلها من هذا البحث إن شاء الله، ولذلك آثرت ترك الحديث عنها هنا لمناسبتها للفصول التاليّة.

وهذه الصفات التي مرت ــ كما نلاحظ ــ صفات تشبه صفات الإنس من حيث الاجمال، ولكنها تختلف عن صفات الإنس في الأبعاد والكيفية، وذلك أنهم عالم مخلوق من النار، وللنار صفات تتميز بها عن الطين الذي خلق منه الإنسان.

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الطهارة. باب ما يقول إذا دخل الخلاء ١٦/١، والإمام أحمد في مسنده ٣٦٩/٤. وأخرجه ابن حبان في صحيحه وصحّحه ٤٩٠/٢ في ذكر ما يقوله المرء عند دخوله الحَشاش. قال البغوي في شرح السنة ٣٧٧/١: واسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب فضائل الصحابة. باب فضائل أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها ١٩٠٦/٤

ونلاحظ مما تقدم أن هذا العالم يشارك الإنسان في كثير من الصفات كالأكل والشرب والتناسل، بالاضافة إلى أنهم مكلفون بالتكاليف الشرعية، التي يستحقون الثواب بسبب قيامهم بها، والعقاب إذا قصروا فيها، تماماً كما هو الشأن في الإنسان.

الفصل الثالث
أصناف الجن

والجن أصناف مختلفة، فهم أصناف من حيث خِلْقَتهم العامة، يختلف فيها كل صنف عن الآخر، وهم قبائل متعددة، وفيهم الذكور والإناث. وهم بعد ذلك مختلفون في الاعتقاد، ففيهم المؤمن والكافر، والصالح والطالح، وهم فرق وشيع مختلفة، إلى غير ذلك مما يتعلق بأصنافهم.

ونحن سنتحدث في هذا الفصل عن هذه الأصناف حسب هذا التقسيم:

١ ـ الجن من حيث أصل خلقتهم وقوتهم ودهائهم :

الجن مختلفون من حيث أصل خلقتهم التي خلقهم الله عليها، فصنف منهم يشبهون الحيات والكلاب وبقية الحيوانات، وصنف يطير في الهواء، وثالث يقيم ويرتحل، فقد روى جبير بن نفير عن أبي ثَعْلَبة الخُشَني ـ واسمه جرثوم أن رسول الله ﷺ قال: «**الجن على ثلاثة: فثلث لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وثلث حيَّات وكلاب، وثلث يحلّون ويظعنون**»[1].

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٨٨ بإسناد صحيح ونصه: «عن جبير ابن نفير عن أبي ثعلبة الخشني ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : الجن على ثلاثة أصناف : صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون». وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٥٦ بنحو ما أخرجه البيهقي وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي عنه: صحيح. وجاء نحوه عن ابن عباس في تفسيره، ولفظه:

«والجن هم ثلاثة أجزاء: جزء في الهواء، وجزء ينزلون ويصعدون حيثما يشاءون، وجزء مثل الكلاب والحيات» انظر تنوير المقياس من تفسير ابن عباس. لأبي طاهر الفيروز أبادي ص ٣٣٦.

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «**خلق الله الجن ثلاثة أصناف: صنف حيّات وعقارب وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف كبني آدم، عليهم الحساب والعقاب**»[1].

فالجن على هذا الأساس متباينون في أصل خلقتهم التي خلقوا عليها، فهم على صور شتى، ولكن هذه الأصناف جميعاً لاتخرج في الدائرة العامة عن كونها مخلوقة من النار، لإخبار القرآن بذلك، قال تعالى: ﴿**والجان خلقناه من قبلُ من نار السَّموم**﴾[2].

وقد ذُكر أن هناك صنفاً من الجن يقال له الحِنُّ (بالحاء)، قال ابن منظور: «والحِنُّ بالكسر: حي من الجن يقال بأن منهم الكلاب السود البُهْم، وقيل بأن الحن ضرب من الجن وأنشد:

يلْعبْنَ أحـوالي مـن حِنٍّ وجنّ

وقيل بأنهم سفلة الجن وضعفاؤهم، وأنشد مُهاصر بن المُحل:

أبيت أهوى في شياطينَ تُرِنّ

مختلف نجواهم جنٌّ وحنّ[3]

وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «الكلاب من الحِن، وهي ضعفة الجن، فإذا غشيتكم عند طعامكم فألقوا لهن، فإن لهن أنفسا»[4] جمع

(١) حياة الحيوان الكبرى ١/٢٠٣. قال الدميري: رواه يزيد بن سفيان الرهاوي عن أبي المنيب عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن أبي الدرداء رضي الله عنه. ويزيد بن سفيان ضعفه يحيى بن معين والإمام أحمد بن حنبل وابن المديني.

(٢) سورة الحجر الآية ٢٧.

(٣) لسان العرب ١٣/١٣٢ بتصرف واختصار.

(٤) نفس المصدر ١٣/١٣٢.

نفس، أي أنها تصيب بأعينها»[1].

وقد قيل بأنهم سموا بالجن لأنهم كانوا يعيشون في الظلمة، فحنوا إلى سطح الأرض[2].

وأطلقت بعض الأوصاف على الجن لمناسبتها لبعض أصنافهم، وهي في مجملها أوصاف تدور حول المكر والدهاء، والقوة والتبدل من صورة إلى أخرى.

فمن هذه الأوصاف :

(أ) العفريت:

قال تعالى إخباراً عن جن سليمان عليه السلام: ﴿**قال عفريتٌ من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقويٌ أمين**﴾[3]. قال ابن منظور: «العفريت من الرجال: النافذ في الأمر، المبالغ فيه، مع خبث ودهاء، والعفريت من الشئ : المبالغ، يقال: فلان عفريت نفريت، وعفريةٌ نفريةٌ، وفي الحديث: «**إنَّ الله يبغض العفرية النفرية، الذي لايُرْزأ في أهل ولامال**»[4]، «قيل هو الداهي الخبيث الشرير»[5]. ومن هذا مارواه أبو عبيدة بن الجراح قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول دينكم نبوءة ورحمة، ثم ملك أعفر**»[6]، أي ملك يساس بالدهاء والنكر.

وعلى هذا فان العفريت في الآية يراد به القوي الداهية، الذي يقدر على إحضار عرش بلقيس من اليمن إلى أرض فلسطين بقوته ودهائه.

---

(١) انظر لسان العرب ١٣٢/١٣.

(٢) انظر كتاب الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية ١٧١/٢.

(٣) سورة النمل الآية ٣٩.

(٤) أورده ابن الأثير في النهاية ٢٦٢/٣ بدون ذكر «الذي لايرزأ في أهل ولا مال» ولكنه ذكر هذه الزيادة من كلام الجوهري.

(٥) لسان العرب ٥٨٦/٤ باختصار.

(٦) أخرجه الدارمي في سننه. كتاب الأشربة. باب ماقيل في المسكر ٣٩/٢

وقد تقدم حديث الرسول ــ ﷺ ــ :«**إن عفريتاً من الجن تفلت عليَّ البارحة ليقطع عليَّ صلاتي...**».

وهذا الوصف إنما يطلق على بعض الجن، إذ أنهم ليسوا جميعاً في مرتبة واحدة، بل فيهم الضعيف كذلك، فعن ابن مسعود قال: «لقي رجل من أصحاب النبي ﷺ رجلاً من الجن، فصارعه فصرعه الإنس، فقال له الجني: عاودني، فعاوده، فصرعه الأنسي، فقال له الانسي، إني لأراك ضئيلاً شحيباً، كأن ذريعتيك[1] ذريعتا كلب. فكذلك أنتم معاشر الجن ــ أو أنت منهم كذلك ــ ؟ قال: لا والله إني منهم لضليع، ولكن عاودني الثالثة، فإن صرعتني علمتك شيئاً ينفعك، فعاوده، فصرعه فقال: هاتِ علمني، قال: هل تقرأ آية الكرسي؟ قال نعم، قال: إنك لن تقرأها في بيت إلا خرج منه الشيطان له خَبَجٌ كخَبَج الحمار[2]، لايدخله حتى يصبح، قال رجل من القوم: يا أبا عبد الرحمن من ذاك الرجل من أصحاب النبي ﷺ؟ قال فعبس عبد الله وأقبل عليه وقال: من يكون هو إلا عمر رضي الله عنه»[3].

(ب) الخُبَّل :

وهم الذين يخبلون الناس ويؤذونهم، ويقال: رجل مخبل: إذا كان به مس من الجن[4]. وسيأتي الحديث عن هذا عند الحديث عن صرع الجن للإنس.

---

(١) الذريعة : تصغير الذراع، ولحوق الهاء فيها لأنها مؤنثة، يريد ساعديه.

(٢) الخبج : الضراط. ويروى بالحاء المهملة (حبج). انظر النهاية في غريب الحديث ١/٦.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٧١: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، إلا أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود ولكنه أدركه.

(٤) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ٢/١٩٠ بتصرف.

(جـ) الغـول :

وقد قيل إنه ساحر الجن، قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالأذان**»[1]، يعني: إذا ضلوا وشبَّهت عليهم الغول الطريق أذَّنوا فذهبت الغيلان، وتغولت: صارت غولاً، وذلك لأنها تتصور بصور كثيرة، فمرة تتصور في صورة امرأة جميلة، وأخرى في صورة امرأة قبيحة، ومرة قصيرة، وأخرى طويلة، ومرة كالانس، وأخرى كالدواب، وهكذا لتفزع الناس، فهي متبدلة باستمرار، قال كعب بن زهير:

فمــا تدوم على حال تكـــون بها
كما تلـــوَّن في أثـــوابها الغـــول

ويقال: غاله الدهر: أي غيَّر حاله، كما يتغول الغول، فيتغير في كل صورة[2].

فقد أخرج الطبراني عن أبي أيوب الأنصاري قال: «كان لي نخل في سهوة[3] لي، فجعلت أراه ينقص منه، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: إنك ستجد فيه غداً هرة فقل: أجيبي رسول الله ﷺ، فلما كان الغد وجدت فيه هرة فقلت: أجيبي رسول الله ﷺ، فتحولت عجوزاً وقالت: أذكِّرك الله لما تركتني فإني غير عائدة فتركتها، فأتيت النبي ﷺ فقال: ما فعل الرجل وأسيره؟ فأخبرته خبرها فقال: كذَبَتْ، هي عائدة، فقل لها، أجيبي رسول الله، فتحولت عجوزاً، فقالت: أذكرك الله يا أبا أيوب لما تركتني هذه المرة فإني غير عائدة، فتركتها ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال لي كما قال لي، فقلت ذلك ثلاث مرات، فقال لي في الثالثة، أذكرك الله يا أبا أيوب لما تركتني حتى أعلمك شيئاً لايسمعه شيطان فيدخل ذلك البيت، فقلت ماهو؟ فقالت: آية الكرسي، لايسمعها شيطان إلا ذهب، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: صدقت وإن كانت كذوباً[4].

---

(١) من حديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣/٣٠٥.
(٢) كتاب في الكلمات الإسلامية العربية ٢/١٨٢ ـــ ١٨٣ بتصرف واختصار.
(٣) السهوة : الأرض اللينة التُربة. انظر النهاية في غريب الحديث ٢/٤٣٠.
(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤/١٩٣ ـــ ١٩٤.

نلاحظ مما تقدم أن الجن أصناف مختلفة من حيث قوتهم ومكرهم وتنقلهم في الصور المختلفة وتخبطهم للإنسان وإيذائهم له، وهي أوصاف تتناسب مع طبيعتهم النارية، مع ماأعطاهم الله من القدرة على التشكل والتبدل في الصور المختلفة.

٢ ــ قبائــل الجن:

وفي الجن قبائل وأقوام كما هو الأمر عند الإنس، فقد أخبر القرآن أن للجن أقواماً، قال تعالى إخباراً عن النفر الذين استمعوا للقرآن من الرسول عليه الصلاة والسلام ثم ولوا إلى قومهم منذرين: ﴿**قالوا ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به**﴾[١]. قال ابن منظور: «والقوم الجماعة من الرجال والنساء جميعاً، وقيل: هو للرجال خاصة دون النساء، ويقوّي ذلك قوله تعالى: ﴿**لا يسْخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنَّ خيراً منهن**﴾[٢] أي رجال من رجال، ولا نساء من نساء...، وقال: وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته... وفي الحديث: «**إن نسَّاني الشيطان شيئاً من صلاتي فليسبِّح القوم وليصفِّق النساء**»[٣]. قال ابن الأثير: «القوم في الأصل مصدر قام، ثم غلب على الرجال دون النساء، ولذلك قابلهن به، وسموا بذلك، لأنهم قوَّامون على النساء بالأمور التي ليس للنساء أن يقمن بها»[٤] وقال الجوهري: «القوم: الرجال دون النساء لا واحُد له من لفظه، قال: وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع، لأن قوم كل نبي، رجال ونساء»[٥].

وعلى هذا فإن قول النفر من الجن (ياقومنا) يفيد أن لكل نفر من الجن قوما ينتسبون إليه، فإن هؤلاء النفر من الجن انطلقوا إلى شيعتهم وعشيرتهم ينذرونهم،

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٣١.
(٢) سورة الحجرات الآية ١١.
(٣) من حديث أخرجه أحمد في مسنده ٥٤١/٢ لسان العرب ٥٠٥/١٢.
(٤) النهاية في غريب الحديث ١٢٤/٤.
(٥) الصحاح للجوهري ٣٥٦/٢ باختصار ط ١٩٧٤م.

وأولى الناس بالانذار الأهل والعشيرة، كما قال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾(١).

وفي رواية عن ابن مسعود في خبر الجن الذين سألوا رسول الله ﷺ الزاد، أنه قام إليه عليه السلام رجلان من الجن، فسألاه المتاع، فقال: ألم آمر لكما ولقومكما بما يصلحكم؟ قالوا: بلى، ولكننا أحببنا أن يشهد بعضنا معك الصلاة، فقال: ممن أنتما؟ قالا: نحن من أهل نصيبين، قال: قد أفلح هذان وأفلح قومهما، فأمر لهما بالروث والعظام طعاما ولحما(٢).

فقوله عليه الصلاة والسلام: «**أفلح هذان وأفلح قومهما**» **فيه دليل على أن لكل منهما قوماً ينتسب إليه.**

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود قال: «استتبعني رسول الله ﷺ فقال: «**إن نفراً من الجن خمسة عشر، بني اخوة وبني عم يأتونني الليلة، فأقرأ عليهم القرآن، فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد، فخطَّ لي خطاً وأجلسني فيه**»(٣) الحديث.

فقد دل الحديث على أن الذين أتوا الرسول ﷺ كانوا أقرباء لبعضهم بعضا، تماماً كما هو الأمر عند الإنس.

وورد عن قصة النفر الذين قدموا على الرسول ﷺ لاستماع القرآن أن فيهم زوبعة، فعن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال: «هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، قالوا: صه(٤)، وكانوا سبعة

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٣١٤: رواه الطبراني، وفيه أبو زيد وقيس بن الربيع أيضا وقد ضعفه جماعة.

(٣) ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٢/١٥.

(٤) اسم فعل أمر بمعنى أسكت.

أحدهم زوبعة، فأنزل الله تعالى: ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ـ الآية ـ إلى ضلال مبين**﴾[1]، قال القرطبي: قال الثمالي: بلغني أنهم من بني الشيصبان، وهم أكثر الجن عدداً وأقواهم شوكة، وهم عامة جنود إبليس»[2]، وكلمة «بني» في اللغة، إنما تدل على قرابة الرجل من أبنائه، قال ابن منظور: «وإذا قيل: بنو فلان، رهط فلان، فهو قرابته الأدنون»[3]، ورهط الرجل: قومه وقبيلته»[4].

ففيما تقدم دلالة على وجود القوم والعشيرة والقرابة عند الجن، تماما كما هو الشأن عند الإنس، ولاعجب في ذلك، إذ أنهم يتناكحون ويتناسلون، ولاشك أن هذا يستدعي أن يكون عندهم هذه الأصول والفروع.

وكما أن الجن ينتسبون إلى أقوام، فإنهم ينتسبون إلى أماكن وأوطان كذلك، فقد ذُكر أن النفر الذين قدموا على الرسول ﷺ إنما جاءوا إليه من نصيبين، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إداوة[5] لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها فقال: من هذا؟ فقال: أنا أبو هريرة، فقال: أبغني أحجاراً أستنفض بها، ولاتأتيني بعظم ولابروثة، فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وُضعت إلى جنبه، ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت معه فقلت: مابال العظم والروثة؟ قال: هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين ـ ونعم الجن ـ فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لايمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طُعْما»[6].

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٢٩، ذكره البيهقي في دلائل النبوة ١٣/٢.

(٢) تفسير القرطبي ٢/١٩.

(٣) لسان العرب ٣٠٥/٧.

(٤) نفس المصدر ٣٠٥/٧.

(٥) الإداوة : وعاء يوضع به الماء.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب مناقب الأنصار. باب ذكر الجن ١٧١/٧.

«ونصيبين هذه قيل: إنها مدينة بالشام، وجنها سادات الجن، وقيل: إنها قرية باليمن غير التي في العراق، وقيل: إنهم من نينوى، وأن جن نصيبين أتوه بعد ذلك بمكة[1]، وذكر ابن حجر أن نصيبين منطقة بين الشام والعراق»[2]، وذكر القرطبي أن الجن الذين قدموا على الرسول وهو بمكة كانوا سبعة نفر: ثلاثة من أهل حرَّان وأربعة من أهل نصيبين، والذين أتوه بنخلة جن نينوى»[3].

وفي رواية عند مسلم عن الشعبي أن وفد الجن الذي قدم على الرسول وهو بمكة إنما كان من جن الجزيرة[4].

فقد دلت هذه الأحاديث على أن الجن ينتسبون إلى أوطان، فمنهم جن الجزيرة، ومنهم جن نينوى، ومنهم جن نصيبين، ومنهم جن حران إلى غير ذلك من الأوطان والأماكن التي يسكنها الجن وينتسبون إليها، كما ذكر القرطبي عن الضحاك[5].

٣ ـ الجن حسب الإيمان والكفر والصلاح والفساد :

وكما أن الجن قبائل مختلفة، فهم كذلك أصحاب ملل ونحل متباينة، وفيهم المؤمن والكافر، والعادل والظالم، يقول سيد سابق: «والجن طوائف: فمنهم الكامل في الاستقامة وعمل الخير، ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم البُله المغفلون، ومنهم الكفرة وهم الكثرة الكاثرة»[6]، قال تعالى: إخباراً عنهم: ﴿**وأنَّا منَّا الصالحون ومنَّا دون ذلك كنا طرائق قِدادا**﴾[7]. يقول القرطبي: «هذا من قول الجن، أي قال

(١) بهجه المحافل وبغيه الأماثل ١٢٣/١ باختصار.
(٢) انظر فتح الباري ١٧٢/٧.
(٣) تفسير القرطبي ٢/١٩.
(٤) فتاوى السبكي ٦٠٠/٢.
(٥) أنظر تفسير القرطبي ٢/١٩.
(٦) العقائد الإسلامية ١٣٤.
(٧) سورة الجن الآية ١١.

بعضهم لبعض لما دعوا إلى الإيمان بمحمد ﷺ: وأنَّا كنا قبل استماع القرآن منا الصالحون ومنا الكافرون، وقيل: «ومنا دون ذلك» أي ومن دون الصالحين في الصلاح»(١).

وقوله تعالى: ﴿كنا طرائق قددا﴾ أي فرقاً شتى، قاله السدّي، وقال الضحاك: أدياناً مختلفة، وقال قتادة: أهواء متباينة، ومنه قول الشاعر:

القابض الباسط الهادي بطاعته
في فتنة الناس إذ أهواؤهم قِدد

والمعنى: أي لم يكن كل الجن كفارا، بل كانوا مختلفين، منهم كفار ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم مؤمنون غير صلحاء»(٢). وقال مجاهد: يعنون مسلمين وكافرين، وقال الحسن والسدّي: في الجن أمثالكم، فمنهم قدرية ومرْجئة ورافضة، وخوارج وشيعة وسنة، وقال سعيد بن جبير: ألواناً شتى. وقال ابن كيسان: شيعاً وفرقاً، ومعنى الكلام أصنافاً مختلفة ومذاهب متفرقة»(٣)، وقال سعيد بن المسيب: كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس(٤).

وذكر بعض العلماء أن هذه المذاهب المختلفة في الجن إنما هي بعد مبعث الرسول عليه الصلاة والسلام واستماعهم للقرآن منه، يقول الإمام القرطبي في قوله تعالى إخباراً عن الجن: ﴿كنا طرائق قددا﴾ وقال قوم: أي وأنا بعد استماع القرآن مختلفون، منا المؤمنون ومنا الكافرون، والأول أحسن ــ يقصد أنهم كانوا مؤمنين وكافرين قبل استماعهم للقرآن، بعد مبعث الرسول عليه الصلاة والسلام ــ لأنه

(١) تفسير القرطبي ١٩/١٥.
(٢) تفسير القرطبي ١٩/١٥.
(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ١/٤١٤ بتصرف.
(٤) تفسير القرطبي ١٩/١٥.

كان في الجن من آمن بموسى وعيسى. وقد أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿**إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه**﴾(١)، وهذا يدل على إيمان قوم منهم بالتوراة، وكان هذا مبالغة منهم في دعاء من دعوهم إلى الإيمان(٢). قال السبكي: «لاشك أنهم مكلفون في الأمم الماضية كهذه الملة، إما بسماعهم من الرسول، أو من صادق عنه، وكونه إنسياً أو جنياً لاقاطع به»(٣).

وظاهر القرآن يشهد للقرطبي من أنهم كانوا فرقا شتى قبل استماعهم للقرآن، مسلمين وكفارا وغير ذلك، لأن النفر الذين انطلقوا إلى قومهم بعد سماع القرآن، قالوا مخبرين عن أنفسهم: ﴿**وأنّا منّا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا**﴾(٤). فقد عبروا عن حالتهم السابقة قبل استماع القرآن بلفظ الماضي.

وفي إخبار القرآن عن النفر من الجن الذين استمعوا للرسول بمكة مايدل على أنهم كانوا عالمين بموسى عليه السلام ورسالته، قال تعالى: ﴿**إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم**﴾(٥)، والنص يوحي أن هذا النفر كان من قوم عنده صلاح واستقامة، ومطالبة الجن بالإيمان غالباً ماينشأ عنه استجابة لذلك الرسول من قبل بعضهم، أو رفضاً لدعوته من قبل البعض الآخر، وفي النهاية يدل على أنهم فرق شتى.

وأخبر القرآن عن أحوالهم أيضاً بقوله: ﴿**وأنّا منّا المسلمون ومنّا القاسطون**﴾(٦)، قال ابن القيم: «فالمسلمون الذين آمنوا بالله ورسوله منهم، والقاسطون الجائرون

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٠.
(٢) تفسير القرطبي ١٩/١٥.
(٣) الفتاوى الحديثية ص ٦٦.
(٤) سورة الجن الآية ١١.
(٥) سورة الأحقاف الآية ٣٠.
(٦) سورة الجن الآية ١٤.

العادلون عن الحق. قال ابن عباس: هم الذين جعلوا لله أنداداً، يقال: أقسط الرجل: إذا عدل فهو مقسط، ومنه: ﴿**وأقْسِطُوا إن الله يحب المقْسِطين**﴾(١). وقَسَطَ: إذا جار فهو قاسط، قال تعالى: ﴿**وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا**﴾(٢).

يقول ابن القيم تعليقاً على هذه الآيات التي تبين أحوال الجن وأصنافهم، وأنهم كأحوال الإنس في الإيمان والكفر والصلاح والفساد: «وقد تضمنت هذه الآيات انقسامهم إلى ثلاث طبقات: صالحين، ودون الصالحين، وكفار. وهذه الطبقات بازاء طبقات بني آدم، فإنها ثلاثة: أبرار، ومقتصدون، وكفار، فالصالحون بإزاء الأبرار ومن دونهم بإزاء المقتصدين، والقاسطون بإزاء الكفار، وهذا كما قسم سبحانه بني إسرائيل إلى هذه الأقسام الثلاثة في قوله: ﴿**وقطَّعْناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك**﴾(٣)، فهؤلاء الناجون منهم، ثم ذكر الظالمين وهم خلف السؤ الذين خلفوا بعدهم(٤). ولما كان الإنس أكمل من الجن وأتم عقولاً، ازدادوا عليهم بثلاثة أصناف أخر، ليس شيء منها للجن وهم: الرسل والأنبياء والمقربون، فليس في الجن صنف من هؤلاء بل حليتهم الصلاح»(٥)..».

يقول سيد قطب: «وهذا التقرير من الجن بأن منهم صالحين وغير صالحين، مسلمين وقاسطين، يفيد ازدواج طبيعة الجن واستعدادهم للخير والشر كالإنسان، إلا من تمحض للشر منهم، وهو ابليس وقبيله، وهو تقرير ذو أهمية بالغة في تصحيح تصورنا العام عن هذا الخلق، فأغلبنا ــ حتى الدارسين الفاقهين ــ على اعتقاد أن الجن يمثلون الشر، وقد خلصت طبيعتهم له، وأن الإنسان وحده بين

(١) سورة الحجرات الآية ٩.
(٢) سورة الجن الآية ١٥، طريق الهجرتين وباب السعادتين ٤١٤/١.
(٣) سورة الأعراف الآية ١٦٨.
(٤) يقصد ابن القيم قوله تعالى بعد الآية السابقة: ﴿فخَلَفَ من بعدهم خلْف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيُغْفر لنا..﴾ الآية الأعراف ١٦٩.
(٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٤١٦/١.

الخلائق هو ذو الطبيعة المزدوجة، وهذا ناشيء من مقرارات سابقة في تصوراتنا عن حقائق هذا الوجود،وقد آن أن نراجعها على مقررات القرآن الصحيحة»(١).

الإبل من الجن:

وردت بعد الأحاديث عن الرسول ﷺ تبين أن الإبل خلقت من الجن فمن ذلك :

١ ـــ قوله عليه الصلاة والسلام: «لاتصلّوا في مبارك الإبل فإنها خلقت من الشياطين»(٢).

٢ ـــ وفي حديث آخر: قال عليه الصلاة والسلام **«لاتصلوا في عَطَنْ الإبل، فإنها من الجن خلقت، ألا ترون إلى عيونها وهِبابها إذا نفرت»**(٣).

(١) في ظلال القرآن ١٥٤/٢٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٨٦/٤ وأخرجه أبو داود في سننه بلفظ «لاتصلوا في مبارك الإبل فإنها من الشياطين» كتاب الصلاة، باب النهي عن الصلاة في مبارك الإبل ٣٣١/١ وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١٥٥/٣.
وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤٤٩/٢، وقال عنه: كذا رواه جماعة عن يونس بن عبيد ط. دار الفكر/بيروت.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٥٥/٥ من حديث عبد الله بن مغفل. والهباب: النشاط. انظر النهاية في غريب الحديث ٢٣٨/٥. ويريد بالهباب حركتها السريعة عندما تقوم. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى من حديث طويل وجاء فيه «..وإذا أدركتم الصلاة وأنتم في أعطان الإبل فاخرجوا منها فصلوا فإنها جن من جن خلقت، ألا ترى أنها إذا نفرت كيف تشمخ بأنفها،أي ترتفع وتتكبر ط دار الفكر/ بيروت. وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ٤٠٩/١ عن عبد الله بن مغفل نحو هذا اللفظ، ولفظه: «عن عبد الله بن مغفل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ادركتك الصلاة في مرابض الغنم فصل، وإذا ادركتك في اعطان الإبل فابترز، فأنها بخلقة الشيطان أوقال: من عَيان الشيطان»، ومعنى ابترز: أي: ابتعد واخرج إلى الفضاء.

٣ ـــ وفي حديث آخر «أن الرسول ﷺ نهى عن الصلاة في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين»(١)

وقد اختلف العلماء في المراد من هذه الأحاديث، هل يراد منها أن الإبل خلقت من الجن حقيقة أم أن المراد منها أنها تشبه الجن في الأخلاق والطباع؟.

(أ) ففريق يرى أن الإبل، مخلوقة من الجن حقيقة، يقول الشيخ محمد الشنقيطي: «واعلم أن العلماء اختلفوا في علة النهى عن الصلاة في أعطان الإبل فقيل: لأنها خلقت من الشياطين، وهذا هو الصحيح في التعليل، لأن النبي ﷺ قال: «**لاتصلوا في مبارك الإبل فإنها خلقت من الشياطين**» وترتيبه كونها خلقت من الشياطين بالفاء على النهي، يدل على أنه هو علته، كما تقرر في مبحث مسلك النص ومسلك الإيماء والتنبيه»(٢).

(**ب**) وفريق آخر يرى أن المراد من نهي الرسول ﷺ عن الصلاة في مبارك الإبل فإنها خلقت من الشياطين «أنها خلقت من الشياطين على سبيل المجاز إذ أنها تشبه الجن في أخلاقها وطباعها من حيث الشراسة وقوة الشكيمة، فقد ذكر ابن منظور أن النبي ﷺ سئل عن الإبل فقال: «**أعنان الشياطين، لاتقبل إلا مولية ولاتدبر إلا مولية**»(٣). قال ابن منظور: «فإنه أراد أنها على أخلاق الشياطين، وحقيقة الأعنان النواحي»(٤). وقال ابن الأثير: «كأنه قال: أنها لكثرة آفاتها كأنها

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده بدون زيادة «لانها خلقت من اعنان الشياطين» ٨٦/٤ والاعطان: هي مبارك الإبل.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٦٣/٣.

(٣) أورده ابن الأثير في النهاية ٣١٣/٣ بدون زيادة «لاتقبل إلا مولية ولا تدبر إلا مولية».

(٤) لسان العرب ٢٩٤/١٣.

من نواحي الشياطين في أخلاقها وطبائعها»[١]. وقال القاضي أبو يعلى: «فإن قيل: ما معنى قول النبي ﷺ في الكلب الأسود أنه شيطان، ومعلوم أنه مولود من كلب؟، وكذلك قوله في الإبل إنها جن، وهي مولودة من الإبل؟ أجاب القاضي بقوله: «إنما قال ذلك على طريق التشبيه لها بالجن، لأن الكلب الأسود أشر الكلاب وأقلها نفعاً، والإبل تشبه الجن في صعوبتها وصولتها، وهذا كما يقال: «فلان شيطان»، إذا كان صعباً شريراً، والله أعلم»[٢].

وذكر ابن حبان أن النهَي عن الصلاة في أعطان الإبل لمجاورة الشياطين لها، قال: «ولو كان الزجر عن الصلاة في أعطان الإبل أنها خلقت من الشياطين، لم يصل ﷺ على البعير، إذ محال أن لاتجوز الصلاة في المواضع التي قد يكون فيها الشيطان، ثم تجوز الصلاة على الشيطان نفسه، بل معنى قوله ﷺ: «**أنها خلقت من الشياطين**» أراد به أن معها الشياطين على سبيل المجاورة والقرن»[٣].

وهذا ماأيده الإمام الشافعي حيث يقول: «وفي قول النبي ﷺ: «**لاتصلوا في أعطان الإبل، فإنها جن من جن خلقت**» دليل على أنه إنما نهى عنها كما قال حين قام عن الصلاة: أخرجوا بنا من هذا الوادي فإنه واد به شيطان»[٤] فكره أن يصلي قرب شيطان، وكذا كره أن يصلي قرب الإبل، لأنها خلقت من جن، لا لنجاسة موضعها»[٥].

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٣/٣١٣.

(٢) آكام المرجان في أحكام الجان ص ٢٢ ـــ ٢٣.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/١٥٧.

(٤) أخرج نحوه بلفظ «فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان» الإمام مسلم في صحيحه كتاب المساجد باب قضاء الصلاة الفائتة ١/٤٧١ وأخرجه النسائي في سننه كتاب المواقيت. باب كيف يقضى الفائت من الصلاة ١/٢٩٨ وأخرجه صاحب الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد ٢/٣٠٧.

(٥) السنن الكبرى ٢/٤٤٩ ط دار الفكر / بيروت.

وذكر الشيخ الشنقيطي عللاً أخرى من نهي الرسول ﷺ من الصلاة في مبارك الابل عزاها إلى الفريق الثاني القائلين بأن الإبل مخلوقة من الجن على سبيل المجاز فقال: «وقالوا: إن علة النهي عن الصلاة في مبارك الإبل أنها تؤدي إلى قطع الصلاة إذا نفرت، أو تشوش على المصلي في صلاته، وكل عات متمرد تسميه العرب شيطاناً، وقيل: إن علة النهي أن أصحاب الإبل يتغوطون في مباركها بخلاف أهل الغنم. وقيل: إن العلة إن الناقة تحيض والجمل يمني»[1].

يقول الشيخ الشنقيطي معلقاً على التعليلات السابقة: «وكلها تعليلات لامعول عليها، والصحيح التعليل المنصوص عنه ﷺ بأنها خلقت من الشياطين، والعلم عند الله تعالى»[2].

القول الراجح :

والذي يبدو ـــ والله أعلم ـــ أن مراد الرسول ﷺ من قوله: «**لاتصلوا في أعطان الإبل، فإنها خلقت من الشياطين**» أنها من الجن على جهة المجاز، وهو قول الفريق الثاني، وأنها تشبه الجن في طبائعها وأخلاقها وشدتها، أو أن الشياطين تأوي إلى مبارك الإبل، وليس كما قال الشيخ الشنقيطي، يقول ابن تيمية: «وقد جاءت الآثار بالنهي عن الصلاة في أعطان الإبل، والأماكن النجسة، كالحمامات والمزابل، لأنها مأوى الشياطين، والفقهاء منهم من علل النهي بكونها مظنة النجاسات ومنهم من قال: إنه تعبُّد لايعقل معناه، والصحيح أن العلة في الحمام وأعطان الإبل ونحو ذلك، أنها مأوى الشياطين، والمقصود أن أهل البدع والضلال، الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعي، ولهم أحياناً مكاشفات، ولهم تأثيرات، يأوون كثيراً إلى مواضع الشياطين، التي نهي عن الصلاة فيها، لأن الشياطين تُستنزل عليهم بها وتخاطبهم ببعض الأمور كما تخاطب الكهان»[3].

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/١٦٣ ـــ ١٦٤ باختصار.
(٢) المصدر السابق ٣/١٦٤.
(٣) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٢٨ ـــ ٢٩.

وبالإضافة إلى ماتقدم من أدلة القائلين على أن الإبل مخلوقة من الجن على جهة المجاز، يمكن أن يستأنس لذلك بما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «ذكر النبي ﷺ: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا يارسول الله وفي نجدنا؟، قال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا يارسول الله وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان»[1]. قال ابن حجر تعليقاً على الحديث: «قال المهلب: إنما ترك الرسول ﷺ الدعاء لأهل المشرق ليضعفوا عن الشر، الذي هو موضوع في جهتهم، لاستيلاء الشيطان بالفتن»[2].

وقد ورد من طريق هذا الحديث: «من حيث يطلع قرن الشيطان أو قال: قرن الشمس»[3]، قال ابن حجر: قال الداودي: للشمس قرن حقيقة، ويحتمل أن يريد بالقرن قوة الشيطان ومايستعين به على الإضلال وهذا أوجه. وقيل: إن الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها، ليقع سجود عبدتها له. قيل: ويحتمل أن يكون للشمس شيطان تطلع الشمس بين قرنيه. وقال الخطابي: القرن الأمة من الناس يحدثون بعد فناء آخرين، وقرن الحية: أن يضرب المثل فيما لايحمد من الأمور. وقال غيره: كان أهل المشرق يومئذ أهلُ كفر، فأخبر ﷺ أن الفتنة تكون من تلك الناحية، فكان كما أخبر، وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان سبباً للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة»[4].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الفتن. باب قول النبي ﷺ: الفتنة من قبل المشرق ١٣/٤٥. وأخرج مسلم في صحيحه نحو هذا اللفظ. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب الفتنة من المشرق ٤/٢٢٢٨.

(٢) فتح الباري ١٣/٤٦.

(٣) انظر مسند الإمام أحمد ٢/٧٢،١٢٦.

(٤) فتح الباري ١٣/٤٦ ــ ٤٦.

فأغلب التفسيرات للمقصود من قرن الشيطان الوارد في الحديث تدل على أنه ليس المراد منه القرن حقيقة، إنما المراد به فتنة الشيطان واستيلاؤه وتسلّطه على الناس.

«ثم أن العرب يقولون لكل متفرد بقوته وجلده، قوي مستقل بنفسه، منهمك في أمره: شيطان، قال جرير:

أيـــام يدعونـــي الشيطـــان من غزلي
وكـنَّ يَهْوِيْنَنَـــي إذ كنت شيطانـــا

أي: كن يدعونه شيطاناً لتفرده بأفعال الشبان من الغزل وغيره، وانهماكه فيه وتنحيه عن الناس وتفرده بذلك»[1]، فهو شيطان في حركاته وألاعيبه في الغزل. والإبل إذا نفرت تحركت حركة قوية تشبه حركة الشياطين من الجن في سرعتها وقوتها والله تعالى أعلم.

---

(١) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ١٧٩/٢.

الفصل الرابع

في أدلة وجود الجن وحكم من أنكرهم

تمهيد :

تقدم فيما مضى أن الجن من العوالم الغائبة عن الحسِّ والمشاهدة، ولذا فإن البشر لايرونهم في الأحوال العادية، إلا إذا تشكلوا في مختلف الصور التي يقدر الإنسان على مشاهدتها، وعلى هذا الأساس فإن الدليل الذي يُعتمد عليه في إثبات وجود هذا العالم إنما هو الدليل السمعي، سواء كان قرآناً أو سنة نبوية.

وقد ثبتت رؤيتهم بالأدلة الصحيحة للرسول عليه الصلاة والسلام ولنفر من أصحابه، إضافة إلى ذلك فإنه لامانع من جهة العقل يمنع من وجود مثل هذا العالم الغائب عن الحس، خاصة وأن العقل يحكم بوجود أشياء كثيرة غائبة عن حس الإنسان، والقاعدة تقول: «إن عدم العلم بوجود الشيء لايكون دليلاً على عدم وجوده، بل هو دليل فقط على عدم توصلنا إليه».

والجن كسائر العوالم الغيبية يخضع في إثبات وجوده لنفس الأدلة التي تثبت القضايا الغيبية الأخرى كإثبات وجود الله والملائكة والجنة والنار وما إلى ذلك من الأمور الغيبية الأخرى، مع تفرد الرسول عليه الصلاة والسلام برؤية بعض هذه العوالم على صورها الأصلية التي خلقها الله عليها كالملائكة والجن مثلاً، واشتراكه مع بعض البشر في رؤية الملائكة والجن كذلك في الصور التي يتشكلون بها.

ونحن في هذا الفصل سنعرض للأدلة التي تثبت وجود الجن بشكل إجمالي، وخاصة في معرض الحديث عن الأدلة السمعية، والسبب في ذلك أن كثيراً من

هذه الأدلة سيرد في ثنايا هذا البحث، مع تفصيل يسمح به هذا الموضوع عند الحديث عن الدليل العقلي لإثبات وجود الجن.

ونتعرض بعد ذلك للحديث عن عقائد الناس المختلفة في وجود الجن ومناقشتها، وأخيراً نبين حكم من أنكر الجن في الشريعة الإسلامية.

★ ★ ★

المبحث الأول
الأدلة على وجود الجن

وهذه الأدلة تنقسم إلى نوعين اثنين هما :
١ ــ الدليل السمعي.
٢ ــ الدليل العقلي.

١ ــ الدليل السمعي :

أفاض القرآن الكريم والسنة النبوية في الحديث عن الجن وأحوالهم في مواضع كثيرة، فقد ورد ذكرهم في القرآن في مواضع متعددة تقرب من أربعين موضعاً، عدا عن الآيات التي تحدثت عن الشيطان، وهي كثيرة»[(١)]، وانفردت سورة كاملة للحديث عن أحوال النفر الذين استمعوا للقرآن من الرسول عليه الصلاة والسلام وهو بمكة، هي سورة الجن، إذ ورد في مطلعها إخبار الله لنبيه باستماع هذا النفر للقرآن، قال تعالى: ﴿**قل أُوحيَ إليَّ أنّه استمع نفرٌ من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً يَهْدِي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا**﴾[(٢)].

واعتبرهم القرآن نوعاً آخر يشترك مع الإنسان في التكليف، وإن اختلف عنهم في الصفات، فجاءت كثير من خطابات التكليف شاملة للجن والإنس قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[(٣)]، وقال: ﴿**يامعشر الجن والإنس ألم**

---

(١) انظر مادة «جن» من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ١٧٩ ــ ١٨٠.
(٢) سورة الجن الآيات ١، ٢.
(٣) سورة الذاريات الآية ٥٦.

يأتكم رسلٌ منكم يقصُّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾[1]، ورتب القرآن الجزاء لهم حسب أعمالهم في الدنيا فقال: **﴿ولكن حقَّ القول مني لأملأنَّ جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين﴾**[2]، وقال في معرض الحديث عن نعيم الجنة: **﴿فيهن قاصراتُ الطَرْفِ لم يَطْمِثْهُنَّ إنس قبلهم ولاجان﴾**[3]. وتحدى الله الجن والإنس أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال: **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾**[4]، واستنكر القرآن المزاعم التي تقول بأن الجن يعلمون الغيب فقال في معرض الحديث عن موت سليمان عليه السلام: **﴿فلما خرَّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين﴾**[5]. وغير ذلك من الآيات التي تحدثت عن أحوال هذا المخلوق.

ومعلوم أن القرآن الكريم قد ثبتت صحته، لأنه منقول إلينا بالتواتر، فعلى هذا الأساس لامجال لإنكار هذا النوع من المخلوقات متى كان الخبر صادقاً،وإنكارهم يكون تكذيباً لخبر الله عنهم دون حجة أو برهان، وذلك لايكون إلا من سمات الجاهلين أو الكافرين، ووجودهم بشكل قاطع وجود لايحتمل التأويل بأي شكل من الأشكال»[6]

وأما السنة النبوية فقد ورد ذكرهم في أحاديث كثيرة، وهذه الأحاديث بمجملها تبين أحوال هذا المخلوق، من حيث المادة التي خلقوا منها،ومن حيث طعامهم وشرابهم وتناسلهم ومطالبتهم بالتكاليف الشرعية، ومحاسبتهم في الآخرة،

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٣٠.

(٢) سورة السجدة الآية ١٣.

(٣) سورة الرحمن الآية ٥٦.

(٤) سورة الأسراء الآية ٨٨.

(٥) سورة سبأ الآية ١٤.

(٦) انظر العقيدة الإسلامية وأسسها ٢/٢٣.

بالإضافة إلى الأحاديث التي تبين إمكانية رؤيتهم بمختلف الصور التي يتشكلون فيها، وغيرها من الأحاديث التي تشرح أحوالهم، قال الدميري: «واعلم أن الأحاديث في وجود الجن والشياطين لاتحصى، وكذلك أشعار العرب وأخبارها، فالنزاع في ذلك مكابرة فيما هو معلوم بالتواتر»[١].

فمن حيث بيان أصل المادة التي خلقوا منها، فقد أورد الإمام مسلم في صحيحه من حديث عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خُلقت الملائكة من نور وخلق الجانُّ من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**»[٢]، وماورد من الأحاديث في تكليم الرسول ﷺ الجن وقراءته القرآن عليهم ودعوتهم إلى الله في أكثر من مرة، وقد كان ابن مسعود رفيقاً للرسول عليه السلام في كثير منها كما تقدم[٣]، وسيأتي قسم منها في باب تكليف الجن وغيره من أبواب هذا البحث.

وهذه الأحاديث في كثير منها أحاديث صحيحة، رواها الثقات من الصحابة والتابعين عن الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، فلا مجال لتكذيبها أو تأويلها تأويلاً فاسداً يخرج عن المقصود منها.

وقد فصلت هذه الأحاديث كثيراً من أحوال الجن وصفاتهم، ومتى ثبتت صحتها، فإن المكذب بها يكون مكذباً للقرآن، الذي نص على وجوب الإيمان بما أخبر به عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿**فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا**﴾[٤]، وقال: ﴿**ياأيها الذين آمَنُوا آمِنُوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أُنزل من قبل ومن يكفر بالله وملٰئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً**﴾[٥].

(١) حياة الحيوان الكبرى ٢٠٦/١.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الزهد. باب في أحاديث متفرقة ٢٢٩٤/٤.
(٣) راجع فصل صفات الجن.
(٤) سورة التغابن الآية ٨.
(٥) سورة النساء الآية ١٣٦.

تنبيه :

على أن هذه الأدلة السمعية الواردة عن الرسول ﷺ في وجود الجن، لها في نفس الوقت دلالات حسية كذلك على وجودهم، إذ قد ثبت رؤيتهم له عليه السلام ولنفر من أصحابه الذين رافقوه عند ذهابه لتكليم الجن وقراءة القرآن عليهم، ومثل هذا قد حصل لأبي هريرة عندما جاءه الشيطان في صورة رجل فقير فجعل يحثو من مال الصدقة ـ كما تقدم ـ وكما ورد عن ابن عباس أن امرأة جاءت بابن لها إلى النبي ﷺ فقالت: يارسول الله إن ابني هذا به جنون، وأنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا(١)، فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا، فثعَّ ثعَّة(٢)، وخرج من جوفه مثل الجرو الأسود يسعى»(٣).

فهذه قصة سمعية من جهة، حسية من جهة أخرى، حيث دلت على رؤية الحاضرين للجني على شكل جرو أسود يسعى، وما حصل كذلك من أخذ الرسول عليه السلام للشيطان وخنقه إياه عندما جاءه ليقطع عليه صلاته، حتى وجد بَرْد لعابه على يديه الشريفتين.

وغير ذلك من الروايات التي تحمل دلالات حسية على رؤية الجن مما لايجعل مجالاً للشكك في وجودهم.

٢ ـ الدليل العقلي :

إن العقل لايمنع من وجود عوالم غائبة عن حسنا، لأنه قد ثبت وجود أشياء كثيرة في هذا الكون لايراها الإنسان ولكنه يحس بوجودها، وعدم رؤية الإنسان لشيء من الأشياء لايستلزم عدم وجوده، والقاعدة العلمية تقول: «عدم العلم

(١) فيخبث علينا : اي يفسد علينا.
(٢) ثعَّ : قاء، انظر الصحاح للجوهري ١/١٥٥.
(٣) أخرجه الدارمي في سننه. باب ما أكرم الله به نبيه من إيمانْ الشجر به والبهائم والجن ١/١٩.

بوجود الشيء لايستلزم عدم وجوده»، أي: عدم رؤيتك للشيء الذي تبحث عنه لايستلزم أن يكون بحد ذاته مفقوداً، إذ أن الموجودات أعظم من المشاهدات، أي ليس كل الموجودات خاضعة لحاسة الرؤية، أو لمطلق الحواس، وإلا لوجب على الإنسان أن يؤمن بوجود السيارة مثلاً مادامت واقفة أمامه، فإذا ماسار بها قائدها وابتعدت حتى خرجت عن سلطان المشاهدة والحواس وجب إنكار وجودها،... فإذا ظهر لك برهان علمي قاطع يجزم بأحد طرفي وجود ذلك الشيء أو عدمه، فإن من العبث أن تقارع ذلك البرهان القاطع بجهلك السابق»[١].

وقد ثبت من طريق القرآن الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن طريق السنة الصحيحة وجود عالم يختلف عن الإنسان يسمى عالم الجن، وهذا القرآن ليس من تأليف الرسول عليه السلام أو من تأليف أحد من البشر على الاطلاق، فعندئذ وجب التصديق بهذا الإخبار الصحيح عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ، ولااعتبار بجهل الإنسان بهذا العالم مادام المخبر صادقاً.

ولايدعي إنسان عاقل على الإطلاق أنه رأى الميكروبات بالعين المجردة التي لاترى إلا بالمجهر بعد تكبيرها آلاف المرات، لأن السبب في عدم رؤيتها أن حاسة البصر عند الإنسان غير مؤهلة لهذه الرؤية، مادامت الرؤية لهذا البصر محدودة في مجال العالم المشهود للإنسان، قال محمد رشيد رضا: «ولو كان الاستدلال بعدم رؤية الشيء على عدم وجوده صحيحاً وأصلاً ينبغي للعقلاء الاعتماد عليه، لما بحث عاقل في الدنيا عما في الوجود من المواد والقوى المجهولة، ولما كُشفت هذه الميكروبات التي ارتقت بها علوم الطب والجراحة إلى الدرجة التي وصلت إليها، ولا تزال قابلة للارتقاء بكشف أمثالها، ولما عرفت الكهرباء التي أحدث كشفها هذا التأثير العظيم في الحضارة، ولو لم تكشف الميكروبات ـــ وأخبر أمثالهم بها في القرون الخالية ـــ لعدُّوه مجنوناً، وجزموا باستحالة وجود أحياء لاترى، إذ يوجد في

(١) كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٠٠ ـــ ٣٠١.

نقطة الماء ألوف الألوف منها، وأنها تدخل في الأبدان من خرطوم البعوضة أو البرغوث.. الخ، كما أن مايجزم به علماء الكهرباء من تأثيرها في تكوين العوالم، وماتعرفه الشعوب الكثيرة الآن من تخاطب الناس بها من البلاد البعيدة بآلات التلغراف والتليفون اللاسلكية ـــ كله مما لم يكن يتصوره عقل، وقد وقع بالفعل»[1] ويقول أيضاً: «ويعجبني قول الدكتور (فانديك) في كلامه عن الحواس الخمس إذ يقول: لو كانت لنا حواس أخر فوق الخمس التي لنا، لربما توصلنا بها إلى معرفة أشياء كثيرة لانقدر على إدراكها بالحواس الخمس التي نملكها، ولو كانت حواسنا الموجودة أحدَّ مما عليه لربما أفادتنا أكثر مما تفيدنا وهي على حالتنا الحاضرة، ولو كان سمعنا أحدَّ لربما سمعنا أصواتاً تأتينا من عالم غير هذا الذي نحن فيه»[2] ، ولكن حكمة الله اقتضت أن تكون حواسنا كما هي عليه الآن.

وقد أثبتت التجارب وجود أشياء كثيرة في هذا الكون مع أن الإنسان لايراها، فالكهرب الذي يسري في السلك موجود ولكننا لانراه، والموجات الصوتية التي تنتقل عبر الأثير نحس بها ونلمس آثارها، خاصة في هذا العصر الذي ارتقت فيه المعارف والعلوم ارتقاءً عجيباً.

«إن امرأً يولد أكمه، يعيش إنساناً ويختلط بالجماعة البشرية، وقد يكون فيها عضواً نافعاً أو ضاراً، ولكنه يجهل كثيراً من البدائع التي نشاهدها،، فهل يقال إن قبة السماء الزرقاء غير موجودة لعدم رؤيته إياها؟ وأنه لاتوجد في العالم أنغام مشجية مثيرة لوجد أرباب الإحساس والعشق لأنه أصم لايسمعها؟ وكم من مجهولات يكشفها البشر كلما زاد تطوراً؟ وسيكشف كثيراً كلما اتسع ذكاؤه ودقت حواسه ونضجت، ولكنه سوف يظل محروماً بكثير من لطائف الخليقة، غير أن هذه المخلوقات لايلزم عدمها لجهل الإنسان بها»[3].

(١) تفسير المنار ٨/٣٦٦.

(٢) فتاوى الإمام محمد رشيد رضا ١/٢٥٢.

(٣) الدين والعلم ص ٧٤.

وما ينطبق من الاستدلال على وجود أشياء كثيرة في هذا الكون ــ مما لايراها الانسان، ولكنه يلمس آثارها ــ هو نفس الاستدلال الذي ينطبق على إثبات وجود الجن الذين لايراهم البشر في الأحوال العادية، في الوقت الذي ثبت فيه رؤيتهم للرسول عليه الصلاة والسلام ولبعض البشر الذين شاهدوهم بمختلف الصور التي يتشكلون بها ــ كما تقدم.

وليس ببعيد عن العقل وجود كائنات أخرى تسكن هذا الكون، بل على هذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان، يقول سيد قطب: «فأما أولئك الذين يتَّرسُّون بالعلم لينكروا مايقرره الله في هذا الشأن ــ أي وجود عوالم أخرى في هذا الكون ــ فلا ندري علام يرتكنون؟ إن علمهم البشري لايزعم أنه أحاط بكل أجناس الأحياء في هذا الكوكب الأرضي، كما أن علمهم هذا لايعلم ماذا في الأجرام الأخرى، وكل مايمكن أن يفترضه أن نوع الحياة الموجودة في الأرض يمكن أو لايمكن أن يوجد في بعض الكواكب والنجوم، وهذا لايمكن أن ينفي ــ حتى لو تأكدت الفروض ــ أن أنواعاً أخرى من الحياة وأجناساً أخرى من الأحياء، يمكن أن تعمر جوانب أخرى في الكون، لايعلم هذا العلم عنها شيئاً، فمن التحكم والتبجح أن ينفي أحد باسم العلم، وجود هذه العوالم الحية الأخرى»[1].

وماظهر في الوقت الحاضر بما يعرف بـ (الأطباق الطائرة) لايستبعد أن تكون من هذه العوالم التي تسكن هذا الكون، بل لايستبعد أن تكون من الجن الذين يسكنون الأرض وينطلقون في الفضاء الذي نشاهده، خاصة إذا علمنا أن هذه الأطباق التي سمعنا بها تظهر على شكل كرات مضيئة وبألوان مختلفة، لاتلبث أن تنطلق بسرعة هائلة جداً إلى الفضاء ثم تغيب عن الحواس، لايستبعد إذن أن تكون هذه الأطباق من عالم الجن، خصوصاً إذا علمنا أن الجن خلقوا من مارج من

---

(١) في ظلال القرآن ١٧/٨.

نار، وهو لسان النار إذا التهبت، من بين أحمر وأصفر وأخضر ــ كما تقدم معنا[1] ــ وأنهم يتميزون بسرعة الحركة، وأن الذين شاهدوا هذه الأطباق، رأوا مخلوقات مخالفة لشكل الإنسان تخرج منها، وهذه الظاهرة شاهدها كثير من الناس، وعلى جميع المستويات، «فأحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية»[2]، يعتقد أنه لمح شيئاً طائراً لم يتعرف على ماهيته في سماء ولاية جورجيا عام ١٩٧٣م، وقد كان يناقش العلماء المقتنعين بأن الإنسان ليس هو المخلوق الوحيد في الكون، وكان يرافق الرئيس كارتر (فرانك برس) مستشاره للشئون العلمية، وبعد ذلك شاهد كارتر داخل المرصد القومي أفلاماً توجز آخر ماتوصلت إليه الأبحاث حول المخلوقات التي تعيش خارج نطاق الأرض، ويذكر أن حوالي ٦١٪ من الشعب الأمريكي مقتنعون بوجود مخلوقات غير الإنسان في هذا الكون، وتزعم الصحف الأمريكية أن قرابة نصف مليون أمريكي شاهدوا هذه الأطباق، وبعض هؤلاء استطاع أن يتصل بهم اتصالا مباشراً»[3]، ونحن نسمع بين الفترة والأخرى أخباراً عن هذه الأطباق.

كل هذه الأمور التي مر ذكرها تقرب القول أن هذه الأطباق ربما تكون من عالم الجن الذي يسكن الأرض، وينطلق في الفضاء، ويكون ظهورهم بهذه الأشكال المختلفة من الأطباق الطائرة، من قبيل تمثلهم الذي عرفوا به.

وباسم المنهج التجريبي في البحث أنكر كثير من المنتسبين له وجود مخلوقات تسمى بالملائكة والجن، ولم يكن لهم حجة يلجأون إليها في إنكار ذلك إلا أنهم لم يشاهدوها ولم يضعوها تحت المجهر أو في أنابيب الاختبار، ليجروا عليها التجارب،

(١) انظر الفصل الثاني من هذا الباب (أصل المادة التي خلقوا منها).

(٢) هو جيمي كارتر رئيس سابق للولايات المتحدة الأمريكية، وكان ذلك قبل توليه الرئاسة.

(٣) عالم الجن والشياطين ١٢٢ ــ ١٢٣ باختصار.

في الوقت الذي يتحدثون فيه للبشرية عن وجود الجاذبية والمغناطيسية والكهرب، وغيرها من الأشياء التي تغيب عن حواسنا، «ولقد أخطأت الحضارة الغربية وغيرها من الحضارات المادية عندما آمنت بالعقل وجحدت ماسواه وعاشت تحت ظلال وثنية عقلية، هي أخطر ألوان الوثنيات وأشدها إذلالاً وإهداراً للقيم الإنسانية العليا، وهذا العقل الذي عبدته هذه الحضارة شيء عظيم حقاً في عالم الحس والمشاهدة، لأنهما يخضعان لهذا العقل في مجال التجربة والاختبار، أما ماوراء الحس والمشاهدة، فلا مجال للعقل أن يحكم على ذلك بالظنون والتخرصات، وفي الوقت الذي نجد فيه ابداع هذه الحضارة المادية في مجال الماديات، نجدها في الجانب الآخر قد تعثرت تعثراً مضحكاً في المعنويات والأخلاقيات والعبادات، وفي كافة مايتصل بأمور الغيب كالروح والإلهام والوحي، لأنها أمور فوق الحس والمشاهدة»[1].

يقول سيد قطب: «أما الذين ينكرون وجود هذا الخلق إطلاقاً، فلا أدرى علام يبنون هذه الأفكار بصيغة الجزم والقطع والسخرية من الاعتقاد وتسميته خرافة؟ ألأنهم عرفوا كل مافي الكون من خلائق، فلم يجدوا الجن من بينها؟ إن أحداً من العلماء لايزعم هذا حتى اليوم، وإن في هذه الأرض وحدها من الخلائق الحية لكثيراً مما يكشف وجوده يوماً بعد يوم، وقد كانت هذه الخلائق مجهولة بالأمس، والعلماء جادون في التعرف على القوى المسكونة، وهم يعلنون في تواضع قادتهم إليه كشوفهم العلمية ذاتها، انهم يقفون على حافة المجهول في هذا الكون، وانهم لم يكادوا يبدأون بعد، ألأنهم رأوا كل القوى التي استخدموها، فلم يروا الجن من بينها؟ إنهم يتحدثون عن الكهرب بوصفه حقيقة علمية منذ توصلوا إلى تحطيم الذرة، ولكن أحداً منهم لم ير الكهرب قط، وليس في معاملهم من الأجهزة مايفرزون به كهرباً من هذه الكهارب التي يتحدثون عنها، ففيم إذن هذا الجزم

(١) التصوف الإسلامي والإمام الشعراني ص ١٥١ بتصرف.

بنفي وجود الجن. ومعلومات البشر عن هذا الكون وقواه وسكانه من الضآلة، بحيث لاتسمح لإنسان يحترم عقله أن يجزم بشيء؟ ألأن هذا الخلق ـــ المسمى الجن ـــ تعلقت به خرافات شتى وأساطير كثيرة؟، إن طريقنا في هذه الحالة هو إبطال هذه الخرافات والأساطير كما صنع القرآن الكريم، لا التبجح بنفي وجود هذا الخلق من الأساس بلا حجة ولادليل، ومثل هذا الغيب ينبغي تلقي نبئه من المصدر الوحيد الموثوق بصحته، وعدم معارضة هذا المصدر بتصورات سابقة لم تستمد منه، فما يقوله هو كلمة الفصل في مثل هذا الموضوع[١].

فإذا كان السبب الذي يدعو هؤلاء المنكرين للجن، هو الأساطير الكثيرة التي حامت حوله وعلقت به، فإن مسؤوليتنا أن نبطل هذه الأساطير ونجلي النصوص الصحيحة في حق الجن على حقيقتها، ونبين المراد منها، لا أن نأولها تأويلاً فاسداً، كما صنع بعض المسلمين المنهزمين أمام الحضارة المادية في القرن العشرين، ثم نبين التصور الإسلامي الصحيح عن هذا المخلوق، هذا التصور الذي توضحه النصوص، دون مغالاة في تفسيرها أو انهزام أمام المنكرين.

وقد تقدم كثير من الأدلة على أن وجود الجن ليس بمستبعد في ميزان العقل، في الوقت الذي ثبت فيه وجود أشياء كثيرة في هذا الكون غائبة عن حواسنا، وجهل بعض الناس بهذا المخلوق ليس مبرراً لإنكار وجوده، فعلم الإنسان محدود جداً. «وقف العلامة (أنشتاين) عند دُرج صغير في أسفل مكتبه وقال: إن نسبة ما أعلم إلى مالا أعلم كنسبة هذا الدرج إلى مكتبي»[٢]. إن نهاية العقل البشري هي العجز عن إدارك أسرار الكون، وإن أكبر الجهل أن ننكر مافي الكون من آيات الله وعجائب الخلق، بدعوى أنها أشياء فوق العقل والتصور، لابد للإنسان أن يرتد صاغراً ذليلاً إلى عالم الإيمان والروح، أن يرتد مؤمناً بقوة فوق عقله، وبعوالم

(١) في ظلال القرآن ١٣٩/٢٩ ـــ ١٤٠ باختصار.

(٢) التصوف الإسلامي والإمام الشعراني ص ١٥٢.

فوق مايُدرك الحس ومايُعرف بالمشاهدة ﴿**فلا أقسم بما تُبصرون، ومالا تبصرون**﴾[1]. إن كل مايتعلق بالعوالم غير المنظورة كالجن والملائكة والأرواح، يجب أن تخضع عقولنا حيالها إلى ماجاء به الوحي، لأننا بالعقل وحده نضل في فهم الروحانيات والغيبيات»[2].

وكم من أناس من المسلمين انحرفوا عندما حاولوا ليَّ أعناق النصوص إلى العقل بزعمهم، فوقعوا في مزالق خطيرة، كادت أن تبعدهم عن الإسلام.

وإذا كانت هذه الأمثلة التي استعرضناها لاتدل على وجود الجن دلالة مباشرة، إلا أننا سقناها للدلالة على أنه ليس بممتنع عقلاً وجود عالم غائب عن الحس، يسمى عالم الجن، في الوقت الذي دلت فيه كثير من الأمثلة على وجود أشياء كثيرة في هذا الكون غائبة عن حواسنا.

وإذا كان منكرو الجن يحتجون في إنكارهم لوجوده أن العقل لم يدل على ذلك، فإننا نقول لهم: إن العقل لم يدل على نفي وجودهم كذلك، وإذا استوى الإثبات والنفي، يبقي عدم الاستبعاد لوجودهم في ميزان العقل هو الأمر الذي لا ينكره إلا مكابر أو جاهل، في الوقت الذي قام فيه الدليل القطعي من السمع على وجودهم ــ كما تقدم ــ فوجب الإيمان بذلك على هذا الأساس.

---

(١) سورة الحاقة ٣٨،٣٩.

(٢) التصوف الإسلامي والإمام الشعراني ص ١٥٣.

المبحث الثاني
عقائد الناس في الجن

انقسم الناس قديماً وحديثاً في أمر الجن إلى مذاهب شتى، فما بين مثبت لوجودهم، أو منكر، أو مؤول لهم بشتى التأويلات الفاسدة، أو مغال في قدرتهم وسلطانهم في الأرض، إلى غير ذلك من المذاهب والتصورات المختلفة في شأن هذا المخلوق.

ويمكن إجمال هذه المذاهب فيما يلي :

١ ــ مذهب أهل السنة والجماعة: إثبات وجود الجن، وأنهم عالم مغايرون في طبيعتهم للإنسان وبقية المخلوقات، مكلفون كالإنسان، ومحاسبون على أعمالهم في الآخرة، يأكلون ويشربون، ولهم ذرية[1].

٢ ــ جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب، وكذلك مشركو العرب، وجمهور الكنعانيين واليونانيين والرومان، والهنود القدماء: الإقرار بوجود الجن، على تفصيل سيأتي فيما بعد[2].

٣ ــ مذهب أكثر الفلاسفة وجماعة من القدرية والمعتزلة والجهمية، وكافة الزنادقة قديماً وحديثاً: إنكار الجن.

---

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٢/٥. وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٩/١٩.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٩/١٩. وتفسير الطبري ١٠٨/٢٣، وتفسير المنار ٦،٤٨/٧، والتفسير الكبير ١١٦،١١٣/١٣.

ونحن في هذا المبحث سنتعرض لهذه المذاهب والتصورات المختلفة بالتفصيل، ثم نناقش المذاهب المنحرفة بالدليل المستمد من الكتاب والسنة والمعقول الصحيح، والله الموفق.

١ ــ مذهب أهل السنة والجماعة:

الذي عليه أهل السنة والجماعة من المسلمين هو اثبات وجود مخلوقات غائبة عن حواسنا تسمى الجن، وأنها لاتظهر إلا إذا تشكلت في صور غير صورها في بعض الأحوال ولبعض الناس، وأنها مخلوقات عاقلة مكلفة بالتكاليف الشرعية على نحو ماعليه البشر، وأنهم يأكلون ويشربون ويتناكحون ولهم ذرية، قال ابن حزم: «لكن لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما أبدى على أيديهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم، وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم، وقد جاء النص بذلك وبأنهم أمة عاقلة مميزة، متعبِّدَة، موعودة متوعدة، متناسلة، يموتون. وأجمع المسلمون كلهم على ذلك[١]. ويقول ابن تيمية: «لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمداً ﷺ إليهم ... إلى أن يقول: وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالارادة، بل مأمورون منهيون، ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعم بعض الملاحدة»[٢]. ويقول ابن حجر الهيتمي: «وأما الجان فأهل السنة والجماعة يؤمنون بوجودهم»[٣].

وقد تقدم كثير من الأدلة التي يستند إليها أهل السنة والجماعة في إثبات وجود الجن، سواء كانت هذه الأدلة مأخوذة من القرآن أو السنة، بالإضافة إلى دلالة

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٢/٥.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٩/١٩.
(٣) الفتاوى الحديثية ص ١٢٣.

الإجماع على ذلك، وسيأتي إن شاء الله في الفصول التالية مزيد من الأدلة التي اعتمد عليها أهل السنة والجماعة في إثبات الجن، فلا داعي للتكرار.

٢ ــ مذهب جمهور الكفار :

كعامة أهل الكتاب والمجوس، وجمهور الكنعانيين واليونانيين والرومان والهنود القدماء وعامة مشركي العرب: الاقرار بوجود الجن، مع انحراف في تصورهم عن هذا المخلوق.

هذه الطوائف المختلفة أقرت بوجود الجن، ولكن إقرارهم هذا صاحبه تصورات فاسدة ومنحرفة، فمنهم من اعتبر أن الجن شركاء لله في الخلق والتدبير، ومنهم من اعتبر أن للجن سلطاناً في الأرض وأنهم يعلمون الغيب، ومنهم من أثبت أخوَّة بين الله وابليس ــ تعالى الله عن ذلك ــ إلى غير ذلك من التصورات المنحرفة.

وإليك نظرة كل طائفة من هذه الطوائف للجن :

(أ) نظرة أهل الكتاب للجن :

الصحيح أن أهل الكتاب من اليهود والنصارٰى يعترفون بوجود الجن كما ذكر ابن تيمية حيث يقول: «أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك»(١).

إلا أن إقرارهم هذا صاحبه تصورات فاسدة وباطلة، قال الإمام الطبري: «وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نَسَبا﴾(٢): قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى تزوج إلى الجن، فخرج منهما الملائكة، قالوا هن بنات الله»(٣).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٩/١٩.
(٢) سورة الصافات ١٥٨.
(٣) تفسير الطبري ٢٣/١٠٨.

فاليهود قد أشركوا به ووصفوه بالنقص ـــ تعالى الله عن ذلك ـــ، حيث وصفوه بأنه تزوج من الجن، وأن له أولاداً منهم، وهو تصور منحرف، فيه خروج عما قررته العقيدة الإسلامية في شأن الله عز وجل وفي شأن الجن.

واسم الجان في الأصل العبراني (أوب وأوبت)، واسم التابعة (يدْعْني) والتوابع (يَدَعْنيهم)[1].

والديانة اليهودية تعترف بأن هناك توابع من الجان تصاحب الإنسان وتصرعه، وهي تنهى الناس عن مصاحبتها، ففي التوارة: «لاتلتفوا إلى الجان، ولاتطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم، والنفس التي تلتفت إلى الجان والتوابع لتزني وراءهم، أجْعَل وجهي ضد تلك النفس، وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل. وفي تاريخ منسي ملك يهوذا أنه استخدم جاناً وتوابع»[2].

وما ورد في التوارة قريب مما قرره الإسلام من عدم التعامل مع الجان ـــ أي الشياطين منهم ـــ وأنه إذا صرع الجان إنساناً فإنه يقتل، لأنه معتد شرعاً.

أما فكرة اليهودية عن الشيطان فهي تشبه إلى حد ما نفس النظرة التي عند فريق من المسلمين كابن جرير الطبري وغيره[3]، حيث تعتبر اليهودية أن الشيطان كان ملكاً من الملائكة، فأمره الله بالسجود لآدم، فحسد آدم على ذلك، فعصى الرب سبحانه. «وتروي الزوهار أن الملائكة هم الذين استكبروا على آدم يوم صنعه الله لأول مرة ملء السموٰات والأرضين، فتساءلوا: أفي الكون إلٰهان؟ فصغَّره الرب وجبل له جسماً من التراب»[4]. ويحتوي كتاب (أخنوخ) كلاماً عن الملائكة

(١) الهدى إلى دين المصطفى ٦٥/٢ انظر الكتاب المقدس (العهد القديم) سفر اللاّويين، الإصحاح رقم ٢٠، فقرة ٢٧.
(٢) نفس المصدر ٦٤/٢ ـــ ٦٥.
(٣) انظر تفسير الطبري ٢٢٧/١.
(٤) إبليس ص ١٠٩.

الهابطين بقيادة كبيرهم المطرود من رحمة الله، ويقول كتاب (الحكمة): إن الموت الذي نزل على الدنيا، من جراء حسد الشيطان»[1].

والشيطان في العبرية يطلق عليه اسم (بعلزبول) أي: رب الزبالة، وأطلقوا عليه ذلك سخرية منه وتحقيراً لأمره ودعواه، لأنهم كانوا ينكرون عبادة البعل، ويدعون إلى عبادة (يهوا) أو (الأيل)، وقد قالوا حين سمعوا بمعجزات السيد المسيح في شفاء المرضى: إنه يشفيهم بمعونة رب الشياطين بعلزبول»[2]. ويقول العقاد: «وقد كان من عادة اليهود أن يقترعوا على ضحيتين تذبح احداهما للرب (يهوا) وترسل الثانية محملة بالخطايا إلى (عَزازيل) رب الأرض الخراب»[3].

وذكرت الديانة اليهودية بعض أسماء الشيطان مثل (مشطيم) و(بليعال) روح الكذب والخداع، وهو يقابل في العربية (بلاعول) أي: لامعول عليه، ولاخلاق له ولاخير فيه[4].

وأما النصرانية فإنها تعتبر الشيطان كائناً حقيقياً وأنه أعلى شأناً من الإنسان، ورئيس رتبة من الأرواح النجسة[5]، وأنه إله في الأرض، يقول محمد رشيد رضا مبيناً نظرتهم هذه: «أما طبيعة الشيطان فروحية، وهو ملاك يمتاز بكل ماتمتاز به هذه المرتبة من الكائنات، غير أن طرده إلى عالم الظلمة لايمنع اشتغاله في الأرض كإله لهذا العالم وعدو الإنسان وخالقه»[6].

ولاشك أن هذا تصور في غاية الفساد والشناعة، فهم بهذا قد أشبهوا المجوس

(١) إبليس ص ١٠٧ بتصرف.
(٢) نفس المصدر ص ٥٠ بتصرف.
(٣) نفس المصدر ص ٥٠.
(٤) انظر المصدر السابق ص ١٠٧.
(٥) تفسير المنار ٦٤٨/٧.
(٦) نفس المصدر ٦٤٩/٧.

الذين يجعلون للكون إلٰهين: إلٰه النور وإلٰه الظلمة، إذ جعلوا ابليس إلٰه الظلمة، وفي ذلك مضاهاة لله رب العالمين.

وتذكر الأناجيل أن المسيح عليه السلام له سلطة على الشياطين، وأنهم يأتمرون بأمره، على أساس أنه ابن الله كما يزعمون. ففي انجيل لوقا: «وكان في المجمع رجل به روح شيطان نجس، فصرخ بصوت عظيم قائلاً: آهٰ مالنا ولك يايسوع الناصري، أتيت لتهلكنا، أنا أعرفك من أنت، قدوس الله، فانتهره يسوع قائلاً: إخرس واخْرُج منه، فصرعه الشيطان في الوسط وخرج منه ولم يضره شيئاً، فوقعت دهشة على الجميع، وكانوا يخاطبون بعضهم قائلين: ماهذه الكلمة؟ لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج»[1].

وفي إنجيل لوقا كذلك: «وكانت شياطين تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول: أنت المسيح ابن الله، فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح»[2].

فالأناجيل ــ كما نلاحظ ــ تعترف بأن المسيح يُخْرج الشياطين من المصروعين لكن اخراجه لهم إنما يتم على أساس أنه ابن الله ــ كما يزعمون ــ وهو تصور باطل يدل على فساد عقيدتهم، إذ محال أن يكون لله ولد سبحانه.

وروى الإصحاح الرابع من إنجيل متى قصة تجربة الشيطان للمسيح عليه السلام فيقول: «ثم أصْعَد يسوع إلى البرية من الروح، ليجرَّب من ابليس، فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً، فتقدم إليه المجرِّب وقال له: إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً، فأجاب وقال: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله، ثم أخذه ابليس إلى المدينة

(١) انجيل لوقا ــ الاصحاح الرابع الآيات ٣٣ ــ ٣٦.
(٢) نفس المصدر ــ الاصحاح الرابع آية ٤١.

المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك، لكي لاتصطدم بحجر رجلك، قال له يسوع: مكتوب أيضاً: لاتجرب الرب إلهك، ثم أخذه أيضاً ابليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي، حينئذ قال له يسوع: اذهب ياشيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه تعبد، ثم تركه إبليس، وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه»[1].

وهذا النص فيه من الانحراف عن الحقيقة الشيء الكثير، بخلاف النص الأول، إذ أنه يجعل عيسى عليه السلام ــ وهو نبي من الأنبياء ــ تحت سلطة الشيطان، يحمله إلى أماكن بعيدة من العالم، ويختبره في السجود له، وهذا مخالف لعصمة الأنبياء من تلبيس الشياطين وحملهم لهم إلى أماكن بعيدة، بل هذه هي صفات أولياء الشيطان، لاتجوز في حق نبي من أنبياء الله سبحانه.

وفي هذا النص دعوة إلى عبادة الله وحده، وأنه لايجوز طاعة الشياطين والسجود لها، وهو تصور سليم وقد قررته العقيدة الإسلامية ودعت إلى العمل به.

والذي يلاحظ مما تقدم، أن فكرة اليهود والنصارى عن الجن والشياطين تقترب في بعض الأمور من النظرة الإسلامية، ولكنها تنحرف انحرافات كثيرة في أمور أخرى، فمثلاً ورد في العهدين القديم والجديد خلط بين الملائكة والجان في أصل المادة التي خلق منها كلاً منهما، إذ ورد فيهما: «الصانع ملائكته رياحا وخدّامه ناراً ملتهبة أو لهيب نار»[2]. فما قرره العهدان: القديم والجديد ــ كما نلاحظ ــ يبين أن الملائكة خلقوا من النار، لكن القرآن الكريم يقرر أن الجان هم المخلوقون من النار، كما قررت السنة النبوية أن الملائكة مخلوقون من النور.

(١) إنجيل متى الاصحاح الرابع الآيات من ١ ــ ١١.
(٢) الهدى إلى دين المصطفى ٢/١٦٦.

ويرى العقاد أن العبريين لم يميزوا بين الملائكة والشياطين، ولم ينزهوا الإلٰه الذي يعبدونه عن قبائح الشيطان[1].

وهذا الانحراف في تصور اليهودية والنصرانية عن الجن والشياطين، إنما يعود سببه إلى أن التوراة والإنجيل حرّفتا عن أصلهما الصحيح، وكتبتا في عهود متأخرة من نزولهما، فاختلط الحق بالباطل من جراء الكَتَبة الذين كتبوهما، فكان للوهم والخيال ميدانهما الخصيب فيهما.

(ب) نظرة المجوس للجن :

أما المجوس فإنهم يقرون بوجود الجن، لكنهم يجعلون لهم شركة مع الله في الخلق والتدبير، قال الفخر الرازي: «روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قوله تعالى: ﴿**وجعلوا لله شركاءَ الجنَّ**﴾[2]. أنها نزلت في الزنادقة، الذين قالوا: إن الله وابليس أخوان، فالله تعالى خالق الناس والدواب والأنعام والخيرات، وابليس خالق السباع والحيوانات والعقارب والشرور»[3].، ثم قال: «والذي يقوى هذا الوجه قوله تعالى: ﴿**وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نَسَبا**﴾[4] وإنما وصف بكونه من الجن ـــ أي ابليس ـــ لأن لفظ الجن مشتق من الإستتار، والملائكة والروحانيون لايُرون بالعيون، فصارت كأنها مستترة من العيون، فهذا التأويل أطلق لفظ الجن عليها. وأقول: هذا مذهب المجوس، وإنما قال ابن عباس: «هذا قول الزنادقة» لأن المجوس يلقبون بالزنادقة»[5].

(١) انظر كتاب إبليس ص ١٠٥.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٠٠.

(٣) التفسير الكبير ١٣/١١٣.

(٤) سورة الصافات الآية ١٥٨.

(٥) التفسير الكبير ١٣/١١٣، وقد ذكر القرطبي في تفسيره ٧/٥٣ أن الذي قاله الفخر الرازي في تفسيره من قول ابن عباس، أنما هو في الحقيقة من قول الكلبي، وقد ذكر القول الأول لابن عباس دون ذكر القول الثاني وهو قوله: ومما يقوي هذا الوجه...الخ.

ومثل هذا القول قول الحائطية، من المعتزلة من أصحاب أحمد بن خابط، إذ زعموا أن للعالم صانعين: الإله القديم والآخر محدث، خلقه الله عز وجل أولاً، ثم فوض إليه تدبير العالم، وهو الذى يحاسب الخلق في الآخرة»[1].

والمجوس يجعلون الله والملائكة في جهة يحاربون ابليس في الجهة الأخرى، والله سبحانه يمثل الخير، بينما ابليس يمثل الشر، قال الفخر الرازي: «واعلم أن المجوس قالوا: كل مافي هذا العالم من الخيرات فهو من (يزدان) وجميع مافيه من الشرور فهو من(أهرمن)[2]ـ وهو المسمى بابليس في شرعنا، ثم اختلفوا: فالأكثرون منهم على أن اهرمن محْدَث، ولهم في كيفية حدوثه أقوال عجيبة، والأقلون منهم قالوا: إنه قديم أزلي، وعلى القولين فقد اتفقوا على أنه شريك لله في تدبير هذا العالم، فخيرات هذا العالم من الله تعالى، و شروره من ابليس... والله مع عسكره من الملائكة يحاربون ابليس مع عسكره من الشياطين، فلهذا السبب حكى الله عنهم أنهم أثبتوا لله شركاء من الجن»[3].

والمجوس يتخبطون في خلق الشيطان، ويعتبرون أن خلقه ليس لحكمة أرادها الله، قال الفخر الرازي، «ثم إن في المجوس من يقول: إنه تعالى تفكَّر في مملكة نفسه واستعظمها، فحصل نوع من العجب، فتولد الشيطان عن ذلك العجب، ومنهم من يقول: شك في قدرة نفسه فتولَّد من شكه الشيطان. فهؤلاء معترفون بأن أهرمن محدث، وأن محدثه هو الله تعالى، فقوله تعالى: (**وخَلَقَهم**) إشارة إلى هذا المعنى، ومتى ثبت أن الشيطان مخلوق لله، امتنع جعله شريكاً في تدبير العالم لأن

(١) تفسير القرطبي ٥٣/٧ بتصرف.

(٢) يزدان : الاله القديم الأزلي عند المجوس وهو الخير أو النور.
أهرمن : اله محدث، وهو الظلمة أو الشر. انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر الألمعي ص ٢٢١ الهامش.

(٣) التفسير الكبير ١١٣/١٣.

الخالق أقوى وأكمل من المخلوق، وجعْل الضعيف الناقص شريكاً للقوى الكامل، محال في العقول»(١).

وهذا التصور عن الجن عند المجوس هو تصور في غاية الفساد والبطلان، وهو مناقض للعقول والفطر السليمة، لأنه تصور يدل على أن الله عاجز عن تدبير هذا العالم، علاوة على وصفه تعالى بالصفات البشرية، التي لاتليق بجلاله سبحانه.

وإضافتهم الشر إلى ابليس في هذا العالم فيه دليل على أنهم يجعلونه شريكاً مع الله في الخلق، وأن الله ليس مالكاً لكل شيء، وهو تخبط وتيه في الضلال، إذ أن الله هو الخالق لكل شيء في هذا العالم: خيره وشره، وهو يريد الخير لخلقه، ويكره الشر في مقابل ذلك.

(جـ) نظرة اليونانيين والرومانيين للجن :

وأما اليونانيون والرمانيون فإنهم يعترفون بالجن، ولكنهم كغيرهم قد وقعوا في التصورات الفاسدة والانحرافات الجائرة، إذ أنهم يعبدون الجن مع الله، والعبادة — كما هو معلوم — لاتجوز إلا لله سبحانه «فقد جعل هؤلاء الجن على ثلاث مراتب الأولى: الآلهة، وأولهم المولِّد لهم (أجينوس) وهو الخالق لكل شيء عندهم، وهو نفس (زفس) أو (جوبتير) والثانية: توابع الشعوب والأقطار والبلاد، فلكل منها رب من الجن مدبر له ومتصرف فيه، وقد نصب الروم لجني رومية تمثالاً من الذهب. والثالثة: توابع الأفراد — أي قرناؤهم»(٢).

وما تقدم يدل على أن اليونانيين والرومانيين قد جعلوا الجن آلهة تتصرف في الكون وتدبر أمر الشعوب والبلاد، لكننا نجد أنهم في المرتبة الثالثة من مراتب الجن قد جعلوا لكل إنسان تابعاً من الجن — وهو القرين — وهذا قريب مما قرره

(١) التفسير الكبير ١٣/١١٦.
(٢) تفسير المنار ٧/٦٤٨.

الإسلام من أن لكل إنسان قريناً من الجن وقريناً من الملائكة،إلا أن نظرتهم العامة للجن تبقى نظرة تقديس لهم، على أساس أنهم الآلهة والمدبرون لهذا العالم، وهو ــ كما نلاحظ ــ انحراف خطير عما قررته العقيدة الإسلامية في شأن الجن.

وأما جمهور الكنعانيين فإنهم يقرون بوجود الجن، كما ذكر ابن تيمية[١].

(د) نظرة الهنود القدماء :

أما الهنود القدماء فإن نظرتهم للجن تقترب من النظرة الإسلامية في بعض أحوال الجن، من حيث تقسيمهم إلى أخيار وأشرار، إلا أن هذا التقسيم يختلط باعتقادات فاسدة عندهم «فالهنود يقسمون الجن إلى قسمين: أخيار وأشرار، فيسمون الأخيار (ديوه) وهم عندهم فرق كالآلهة، أشهرها (الكنارة) الذين دأبهم الترنم بمدائح (بواسيتا)، ويليها (الياكه) الذين يقسمون الثروة والغنى بين الناس، و(الغندورة) وهم العازفون للشمس، ويتألف منهم أجواق في السماء تدخل فيها (الكنارة) فيسبون العقول بتسبيحهم على معازفهم، ومنهم (الأبسارة) وهن إناث يملأن العالم كله، ومختاراتهن في سماء (أندرا) يرقص الرقص البهيج تحت أشجار الذهب والياقوت في جنة (مندانا)، ومنهم (الراچينية) وهن قيان موكلات بالمعازف، مقامهن في سماء (برهما) وعددهن ستة عشر ألفا، ومنهم الفعلة الإلهيون، ويسمون (الجيدارة) وهم الذين بنوا قصر الآلهة، وأنشأوا جميع المباني العجيبة في العالم»[٢].

ومما تقدم يتبين لنا أن الجن الأخيار لا همَّ لهم ــ عند الهنود ــ إلا الرقص والغناء والعزف للآلهة وبناء القصور وتقسيم الثروات بين الناس، مع أننا نجد أن الجن الأخيار في الإسلام لايقومون بأي وظيفة من هذه الوظائف التي جعلها الهنود القدماء لفرق الجن الأخيار كما تقدم، والذي يوحي به تقسيمهم للجن الأخيار على

(١) انظر إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٧.

(٢) تفسير المنار ٦٤٨/٧.

هذه الشاكلة، أنهم يجعلون الجن عندهم في مقابل الملائكة في الإسلام، مع اختلاف في بعض الوظائف.

«ويقسمون الجن الأشرار إلى طوائف أيضاً، منهم: (الديتية، والأسورة، والدنارة، والرقاسة) ويقولون إن مقامهم في الظلمة، وأنهم كانوا قد هاجموا الآلهة، لينزلوهم عن عروشهم، ففروا منهم إلى بلاد الساقة، وأرادوا أن يسلبوهم شجر الحياة»(١).

فنظرتهم للجن الأشرار ــ كما نلاحظ ــ تشبه النظرة الإسلامية من حيث الإطار العام، وهو تميز الجن الأشرار بالشر والافساد، مع مخالفة الإسلام لهذه النظرة في بقية الأمور التي ذكروها.

بالاضافة إلى هؤلاء جميعاً «فقد اعترف بوجود الجن جمع عظيم من الفلاسفة القدماء وأصحاب الروحانيات ــ كما ذكر الفخر الرازي ــ ويسمونها الأرواح السفلية، وزعموا أن الأرواح السفلية أسرع إجابة إلا أنها ضعيفة، وأما الأرواح الفلكية فهي أبطأ إجابة إلا أنها أقوى»(٢).

والظاهر أنهم يقصدون بالأرواح السفلية الجن، وبالأرواح الفلكية الملائكة، وفيما تقدم من تصورهم عن الجن والملائكة مناقضة لما جاء به الإسلام، إذ أنهم يعتبرون الملائكة والجن أهلاً للدعاء، مما يوحي تسويغ دعائهم وهذا عين الشرك كما لايخفى.

(هـ) نظرة مشركي العرب للجن :

أما مشركو العرب فقد كانوا يعترفون بوجود الجن، لكن اعترافهم هذا قد صاحبه كثير من الخرافات والأوهام التي أنكرها الإسلام عليهم، ولهم مع الجن

(١) تفسير المنار ٦٤٨/٧.

(٢) التفسير الكبير ١٤٨/٣٠.

وقائع كثيرة روتها كتب الأدب، ووردت في أشعارهم بشكل كبير[١].

وقد حكى لنا القرآن الكريم عقيدتهم حول الجن، قال تعالى: **﴿وجعلوا لله شركاء الجنَّ وخلَقهم وخرَقوا له بنينَ وبناتٍ بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾**[٢]. قال الإمام القرطبي: «نزلت في مشركي العرب، ومعنى إشراكهم بالجن أنهم أطاعوهم كطاعة الله عز وجل، روي ذلك عن الحسن وغيره»[٣].

وقال تعالى: **﴿وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبا ولقد علمت الجِنَّة إنهم لمحضرون﴾**[٤]. قال الإمام الطبري : «أي وجعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الجنة نسبا. واختلف أهل التأويل في معنى النسب الذي أخبر الله عنهم أنهم جعلوه لله تعالى؟ فقال بعضهم: هو أنهم قالوا: إن الله وابليس أخوان. وقد روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه، وقال آخرون: هو أنهم قالوا: الملائكة بنات الله وقالوا: الجنة هي الملائكة، وممن قال بذلك مجاهد قال: «**وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبا**» قال: قال كفار قريش: الملائكة بنات الله، فسأل أبو بكر من أمهاتن؟ فقالوا: بنات سروات الجن، يحسبون أنهم خلقوا مما خلق منه ابليس»[٥].

بالاضافة إلى هذا فقد كانوا يعتقدون أن للجن سلطاناً في الأرض، قال تعالى: **﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا﴾**[٦]. قال سيد قطب: «لقد كان العرب المخاطبون بهذا القرآن أول مرة يعتقدون أن للجن سلطاناً

(١) يمكن مراجعة الحيوان للجاحظ. وكتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري فقد فصلا في ذكر خرافات العرب في الجاهلية فيما يتعلق بالجن.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٠٠.

(٣) تفسير القرطبي ٥٣/٧.

(٤) سورة الصافات الآية ١٥٨.

(٥) تفسير الطبري ١٠٧/٢٣.

(٦) سورة الجن الآية ٦.

في الأرض، فكان الواحد منهم إذا أمسى بواد أو قفر لجأ إلى الاستعاذة بعظيم الجن الحاكم لما نزل فيه من الأرض فقال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، ثم بات آمنا»(١)

وقد كان التعوذ بالجن وطلب الحماية منهم صفة غالبة على كثير من القبائل في الجزيرة العربية قبل مبعث الرسول عليه الصلاة والسلام، قال الإمام القرطبي: «أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن، ثم من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم،وقال كردم بن أبي السائب: خرجت مع أبي إلى المدينة أول ماذكر النبي ﷺ، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حملاً من الغنم، فقال الراعي: ياعامر الوادي: أنا جارك، فنادى مناد: ياسرحان: أرسله، فأتى الحمل يشتد وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: **«وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا»**(٢)، أي زاد الجن الانس رهقا: أي خطيئة وإثما. قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، والرهق: الاثم في كلام العرب، وغشيان المحارم»(٣).

وذكر بعضهم أن معنى قوله تعالى: ﴿**فزادوهم رهقا**﴾ أي إثما، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة. وقيل: إنما عني بذلك: فزادوهم خوفا. وقيل إنما عني بذلك: أن الكفار زادوا بذلك طغيانا»(٤).

وقد جمع الفخر الرازي بين هذه الأقوال فقال: «أما قوله (فزادوهم رهقا) قال المفسرون: معناه زادوهم إثما وجراءة وطغيانا وخطيئة وغياً وشراً، كل هذا من

---

(١) في ظلال القرآن ١٣٧/٢٩ وانظر تفسير الطبري ١٠٨/٢٩.
(٢) سورة الجن الآية (٦).
(٣) تفسير القرطبي ١٠/١٩.
(٤) انظر تفسير الطبري ١٠٩/٢٩.

ألفاظهم... والمعنى أن رجال الإنس إنما استعاذوا بالجن خوفاً من أن يغشاهم الجن، ثم إنهم زادوا في ذلك الغشيان، فإنهم لما تعوذوا بهم ولم يتعوذوا بالله، استذلوهم واجترءوا عليهم، فزادوهم ظلما»[1].

ولم يقتصر الأمر عند مشركي العرب على هذا الحد، بل تعداه إلى عبادة الجن، قال تعالى حكاية عن الملائكة يوم القيامة: ﴿**قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون**﴾[2]، وقال الألوسي: «بل كانوا يعبدون الجن» قال: الشياطين كما روي عن مجاهد، حيث كانوا يطيعونهم فيما يسولون لهم من عبادة غير الله تعالى، وقيل: صورت الشياطين لهم صور قوم من الجن وقالوا: هذه صور الملائكة فاعبدوها، فعبدوها. وقيل: كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت، فيعبدون بعبادتها. وقيل: أرادوا أنهم عبدوا شيئاً تخيلوه صادقاً على الجن، لاصادقاً على الملائكة، فهم يعبدون الجن حقيقة دون الملائكة»[3].

وهذه الأقوال بمجملها تدل على طاعة المشركين وعبادتهم للجن دون الله سبحانه وتعالى، بجانب عبادتهم للأصنام.

وإضافة إلى ماتقدم فقد كانوا يتصورون أن الجن تعلم الغيب وتخبر به الكهان، فيتنبئون بما يتنبئون من الأخبار الكاذبة التي تلقيها عليهم الجن، فعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال: ليس بشيء فقالوا: يارسول الله: إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً،؟ فقال رسول الله ﷺ تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرّها في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة»[4].

---

(١) التفسير الكبير ١٥٦/٢٩.

(٢) سورة سبأ الآية ٤١.

(٣) تفسير روح المعاني ١٥١/٢٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الطب. باب الكهانة ٢١٦/١٠، وأخرج مسلم في صحيحه نحوه. كتاب السلام. باب تحريم الكهانة ١٧٥٠/٤.

وقال الله حكاية عن الجن: ﴿**وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً**﴾[1]، قال القرطبي: «كان الجن يقعدون مقاعد لاستماع أخبار السماء، وهم المردة من الجن، كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة، فحرسها الله بالشهب المحرقة، فقالت الجن حينئذ: «**فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا**».

وهكذا يتبين لنا أن مشركي العرب كانوا يقرون بوجود الجن، لكن هذا الإقرار صاحبه تصورات منحرفة، فيها دعوة إلى عبادة الجن، باعتبار أن بينهم وبين الله نسباً كما يزعمون، وأن لهم سلطانا في الأرض، مما حتَّم عليهم الالتجاء إليهم والاستعاذة بسيدهم عند النزول في واد من الأودية أو قفر من القفار، إضافة إلى زعمهم أن الجن يعلمون الغيب.

وقد جاء الإسلام ليصحح النظرة الجاهلية حول الجن، فبين أن الجن خلق من خلق الله، مكلفون بالعبادة، محاسبون على أعمالهم في الآخرة، لايملكون لأنفسهم حولاً ولاقوة من دون الله، وأن إدعاء أنهم يعلمون الغيب غير صحيح، وهذا ماظهر للإنس والجن على حد سواء، كما ذكر القرآن ذلك في معرض الحديث عن موت النبي سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿**فلما خرَّ تبيَّنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين**﴾[2]. وقال عز وجل: ﴿**قل لايعلم من في السموٰات والأرض الغيب إلا الله ومايشعرون أيَّان يُبعثون**﴾[3].

وهكذا يتبين لنا مما تقدم أن هؤلاء جميعاً يعترفون بوجود الجن في هذا العالم، على خلاف ماتقدم من إنكار الفلاسفة والأطباء والزنادقة وغيرهم للجن، إلا أن نظرة هؤلاء للجن تختلف من أمة إلى أمة، ومن ملة إلى ملة أخرى.

---

(١) سورة الجن الآية ٩.
(٢) سورة سبأ الآية ١٤.
(٣) سورة النمل الآية ٦٥.

فكتب التوارة والانجيل تعترف بالجن ـــ كما لاحظنا ـــ وتعترف بأن الشياطين تصرع بعض الإنس، وتؤمن بأن معالجة هؤلاء المصروعين إنما يتم على يد أقوياء الإيمان، وهي نظرة سليمة، إذ أن الإسلام يقر بصرع الجن الأشرار لبعض الإنس ـــ كما هو الراجح عند العلماء(١) ـــ وأن معالجة مثل هذه الحالات إنما تكون على يد أصحاب الإيمان، بقراءتهم للآيات القرآنية والأدعية النبوية.

لكن نظرة أهل الكتاب والشياطين ماتلبث أن تبتعد عن مسارها الصحيح الذي قرره الإسلام، فنجد للخيال والوهم دورهما الخصيب في التوراة والانجيل، حيث طرأ التحريف عليهما، إلى الحد الذي تشوهت فيه معظم المعالم الرئيسية للتوحيد فيهما. فالتوراة ترى أن الله تزوج من الجن، فخرج منهما الملائكة ـــ تعالى الله عما يقولون ـــ وهو تصور في غاية الشناعة والانحراف، وأن إخراج المسيح عليه السلام للجن من المصروعين ـــ كما تذكر الأناجيل ـــ إنما يتم على أساس أنه ابن الله، وهي فرية عظيمة على الله، قال تعالى: **﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾**(٢).

أما بالنسبة لابليس فتكاد كتب التوراة والانجيل تتفق على أن طرده من الجنة، إنما حدث لأنه خالف أمر ربه بالسجود لآدم، ونظرة اليهود في هذه القضية أقرب إلى الصواب الذي قرره الإسلام في ذلك من نظرة النصارى، إذ أن اليهود يعتبرون أن ابليس أحد الملائكة المطرودين من الجنة بسبب رفضه السجود لآدم، واعتبار ابليس أحد الملائكة هو رأى فريق من المسلمين ـــ على ماسيأتي، أما النصارى فتتشوه الصورة لديهم ليصبح ابليس ملاكاً يمارس دور الإله في الأرض، ممثلاً للشر في هذا العالم، مشابهين في ذلك المجوس، الذين جعلوا للكون إلهين: إله للخير وإله للشر، وبهذا يكونون قد أثبتوا شركة مع الله سبحانه، والذي يبدو أن اليهودية

(١) سيأتي بحث هذا في فصل تأثير الجن على أجسام الإنس (مبحث الصرع).
(٢) سورة الاخلاص.

والنصرانية قد تأثرتا في نظرتهما للجن على هذا الشكل بالأمم الوثنية، والتي لم يكن لديها دين سماوي كالمجوس واليونانيين والرومان والهنود وغيرهم، حيث كانت الخرافات والأساطير هي الطابع الذي تتميز به حياة هذه الأمم، فالأساطير اليونانية تجعل رب الأرباب أشبه مايكون بالشيطان، وهو في جميع صوره شهوان نهم، أكول، شديد الطمع، لايبالي شيئاً من الدنيا غير استبقاء سطوته وموارد خزائنه، وإذا غضب هذا الرب فإنما يغضب لفوات لذة أو أكلة، وان رضي فإنما يرضى لخدمة أو وساطة في طعام أو غرام»[1]، إلى غير ذلك من هذا الخبط والتيه في الضلال، الذي سرى إلى اليهودية والنصرانية نتيجة ذوبانهما في تلك الأمم الوثنية كما ذكر ذلك القاضي عبد الجبار الهمذاني من أن الرومان لم يدخلوا في النصرانية ولكن النصرانية ترومت[2]، بمعنى: أن الرومان المتميزين بالوثنية لم يصبحوا موحدين لله نتيجة تأثرهم بالنصرانية، بل على العكس من ذلك تماماً، حيث تأثرت النصرانية بالوثنية الرومانية، فنشأت فكرة التثليث عند النصارى.

ولاشك أن التوارة والانجيل في أصلهما الذي نزلا فيه على موسى وعيسى عليهما السلام يعترفان بوجود الجن والشياطين، ويقرّان بهما إقراراً سليماً بعيداً عن الخيال والانحراف الذي دخل إلى هذه الكتب بعد التحريف، وقد كان للنفوس الحاقدة على الأديان بشكل عام، والآيدي العابثة دورهما في تشويه كثير من الحقائق التي وردت فيهما عن الله سبحانه، وعن الكون والمخلوقات والأنبياء عليهم السلام وغير ذلك، كما هو صنيع الملاحدة في كل عصر على مدار التاريخ، من طمس معالم التوحيد ومايتعلق به، ومن ثم ترك هذه العقائد السماوية فارغة من مضمونها الأصيل.

وإذا ما انتقلنا إلى عقيدة مشركي العرب قبل الإسلام، فإننا سنجد بقايا من

(١) كتاب إبليس ص ٨٨ ــ ٨٩.
(٢) انظر تثبيت دلائل النبوة ١/١٥٨.

هذه التصورات الفاسدة عن الجن والشياطين، إلا أن نظرة مشركي العرب تكاد تكون أقرب إلى الصحيح منها عند الأمم الوثنية، حيث أن مشركي العرب قد جعلوا الجن شركاء لله في العبادة، ولم يجعلوهم شركاء لله في الخلق والتدبير، كما تميزت به الأمم الوثنية، ولذا فإنهم كانوا يلجأون إليهم عند النزول في الأودية دفعاً لشرهم،وكان الكهان يتصلون بهم لاطلاعهم على أنباء الغيب، حتى جاء الإسلام فأبطل كل هذه التصورات والأساطير المتعلقة بالجن عند جميع الأمم، وقرر أن الجن مخلوقات مكلفة بالإيمان، محاسبة على أعمالها، وأنها لاتملك ذلك السلطان الموهوم،وأنها لاتستحق العبادة، بل إن العبادة لله وحده دون سواه.

٣ ــ مذهب أكثر الفلاسفة والأطباء وجماعة من القدرية

والمعتزلة والجهمية، وكافة الزنادقة قديماً وحديثاً: إنكار الجن، بالإضافة إلى نفر قد أوَّلوا النصوص الدالة على وجود الجن تأويلاً يدل على إنكارهم، كما سيأتي:

قال الإمام القرطبي: «وقد أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجن وقالوا: إنهم بسائط، ولايصح طعامهم، اجتراء على الله وافتراء، والقرآن والسنة تردُّ عليهم»[١] وقال ابن تيمية: «وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك، كما يوجد في طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك»[٢].

والملاحدة والمتفلسفة يجعلون الملائكة قوى النفس الصالحة، والشياطين قوى

---

(١) تفسير القرطبي ٦/١٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/١٩ وانظر ايضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٤.

النفس الخبيثة[١]، وقال الفخر الرازي: «والنقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره، وذلك لأن أبا علي بن سيناء قال: «الجن حيوان متشكل بأشكال مختلفة، ثم قال: وهذا شرح للاسم» فقوله : وهذا شرح للاسم يدل على أن هذا الحد شرح للمراد من هذا اللفظ، وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج»[٢].

ويرى علي الجندي[٣] أن تعريف ابن سيناء للجن بهذا الشكل لايدل على انكاره لهم، خاصة أنه يصفه بأنه حيوان قادر على التشكل[٤]، وفي كلام ابن سيناء مايؤيد هذا، فقد قال في كتابه الارشاد والتنبيهات: «واعلم أنه قد يغلب على أوهام الناس أن الموجود هو المحسوس، وأن مالا يناله الحس بجوهره، ففرض وجوده محال، وأن مالا يتخصص بمكان أو وضع بذاته كالجسم، أو بسبب ماهو فيه كأحوال الجسم، فلاحظَّ له من الوجود، وأنك يتأتى لك أن تتأمل نفس المحسوس، فتعلم منه بطلان قول هؤلاء»[٥] فهو ينكر أن يكون المحسوس هو الموجود فقط، وفي هذا مايدل على عدم إنكاره للجن، حيث أن الموجودات أعم من المحسوسات في نظره، والجن من بينهم، كما يفهم من كلامه.

وقد ذكر الفخر الرازي أن جمعاً عظيماً من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات يعترفون بوجود الجن، ويسمونها الأرواح السفلية، وزعموا أن الأرواح

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٤٦/٤.
(٢) التفسير الكبير ١٤٨/٣٠.
(٣) انظر الجن بين الحقائق والأساطير ٤٣/١.
(٤) علي الجندي: أحد الكتاب المعاصرين، نشأ في مصر، وله كتاب الجن بين الحقائق والأساطير.
(٥) الاشارات والتنبيهات لأبي علي بن سيناء ٧/٣ تحقيق الدكتور سليمان دنيا ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٧١.

السفلية أسرع إجابة إلا أنها أضعف، وأما الأرواح الفلكية فهي ابطا إجابة إلا انها أقوى»(١).

وقد أنكرت جماهير القدرية وكافة الزنادقة الجن كما ذكر الجويني(٢) إمام الحرمين حيث يقول: «وكثير من الفلاسفة وجماهير القدرية وكافة الزنادقة أنكروا الجن والشياطين رأساً، ولايبعد لو أنكر ذلك من لايتدبر ولايتشبث بالشريعة، وإنما العجب من إنكار القدرية مع نصوص القرآن وتواتر الأخبار واستفاضة الآثار»(٣).

والذي يظهر أن المتأخرين من القدرية هم الذين ينكرون وجود الجن مع اعتراف متقدميهم بذلك، قال أبو بكر الباقلاني: «وكثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديماً وينفون وجودهم الآن، ومنهم من يزعم أنهم لايرون لرقة أجسامهم ونفوذ الشعاع فيها، ومنهم من قال: إنما لايرون لأنهم لا ألوان لهم»(٤).

وأما المعتزلة فالمشهور عن أكثر العلماء أن الكثيرين منهم ينكرون وجود الجن، يقول الجويني: «وقد أنكرهم معظم المعتزلة، ودل إنكارهم إياهم على قلة مبالاتهم وركاكة ديانتهم، فليس في إثباتهم مستحيل عقلي، وقد نصت نصوص الكتاب

---

(١) التفسير الكبير ١٤٨/٣٠.

(٢) الجويني : هو أبو المعالي عبد الملك الملقب بضياء الدين النيسابوري والمعروف بإمام الحرمين، من أصحاب الإمام الشافعي، أخذ علم الكلام عن أبي القاسم الاسفراييني خرج إلى مكة حاجا ومكث في مكة والمدينة أربع سنين يدرّس ويفتي، ولهذا قيل له إمام الحرمين، ثم رجع إلى نيسابور في أوائل ولاية السلطان ألب أرسلان وبقي يدرس فيها نحو ثلاثين سنة إلى أن توفي سنة ٤٧٨ وله من العمر تسع وخمسون سنة حيث ولد عام ٤١٩هـ. انظر كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة للجوينى المقدمة حرف ل.

(٣) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٤ الهامش.

(٤) نفس المصدر ص ٥ الهامش.

والسنة على اثباتهم، وحق على اللبيب المعتصم بحبل الدين أن يثبت ماقضى العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته»[1].

وقال ابن حجر الهيتمي: «وإنكار المعتزلة لوجودهم فيه مخالفة للكتاب والسنة والإجماع، بل ألزموا به كفراً لأن فيه تكذيب النصوص القطعية بوجودهم»[2].

وقال الدميري: «فإذا قيل: ما تقول فيما حكي عن بعض المعتزلة أنه ينكر وجود الجن؟ قلنا: عجيب أن يثبت ذلك عمن يصدّق بالقرآن وهو ناطق بوجودهم»[3].

والصحيح أن أئمة المعتزلة يعترفون بوجود الجن كما تقدم من كلام ابن تيمية، وقد ذكر محمد رشيد رضا أن الزمخشري وشيعته لم يكونوا من المنكرين لوجود الجن، وإنما الجن ــ كما يقولون ــ من عالم الغيب، لانصدق من خبرهم إلا ماأثبته الشرع، أو ما هو في قوته من دليل الحس أو العقل، ولم يثبت شرعا ولاعقلا ولا اختبارا أن شياطين الجن تأكل الناس ولا أنها تظهر لهم في الفيافي كما كانت تزعم العرب، وغير ذلك في طور الجهل والخرافات[4].

فالذي يظهر من هذا الكلام أن هؤلاء من المعتزلة لم يكونوا في الحقيقة من المنكرين لوجود الجن، وإنما الذي ينكرونه هو رؤية بعض الناس لهم، بالاضافة إلى إنكارهم لخرافات الجاهلية أيام العرب فيما يتعلق بالجن.

ولاشك أن الزمخشري من أئمة المعتزلة، وتفسيره الكشاف ناطق على وجودهم.

---

(١) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص ٣٢٣.
(٢) الفتاوى الحديثية ص ١٢٣.
(٣) حياة الحيوان الكبرى ٢٠٦/١.
(٤) تفسير المنار ٥٢٨/٧.

أما الزنادقة قديماً وحديثاً كالدهرية والملحدين من الشيوعيين وغيرهم فإنهم ينكرون الغيبيات بشكل عام، ويعتبرون أن الكون وجد هكذا صدفة، وعلى هذا فهم يحاربون الأديان ويعتبرونها أفيون الشعوب، وذلك كما تفعل الشيوعية في الوقت الحاضر.

وليس لهؤلاء حجة في إنكار الغيبيات ــ والجن من بينهم ــ إلا عدم الإيمان بمالا يقع عليه الحس، ولايعرف بالتجربة والمشاهدة، وهي حجة ساقطة من أساسها، لاتقوى على الوقوف أمام الأدلة الكثيرة الناطقة بوجودهم، وقد تقدم الرد عليهم في مبحث الأدلة العقلية.

شُبَه المنكرين لوجود الجن والرد عليها :

وجملة الشبه التي يتمسك بها المنكرون للجن تتلخص فيما يلي:

١ ــ «أن الجن لو كانوا موجودين لوجب أن يكونوا أجساماً كثيفة أو لطيفة، ولو كانوا أجساماً كثيفة لرآهم كل إنسان سليم الحس، ولو كانوا أجساماً لطيفة لتمزقوا عند هبوب الرياح والعواصف، وللزم أن لايكون لهم قدرة على الأعمال الشاقة كما يقول مثبتو الجن على حد قولهم»[١].

والجواب على هذه الشبهة : أن الجن مجردون عن المادة والجسمية التي نشاهدها في الأمور المحسوسة أمامنا كالبشر والدواب والأشجار وغير ذلك، ولكن هذا لايمنع أن يجعل الله فيهم خاصية القدرة على التشكل بالأشكال المختلفة **﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾**[٢]، وقد وردت الأحاديث الصحيحة في تشكلهم بمختلف الصور[٣]، فمعارضة هذه النصوص بالظن إنما هو تحكم بالباطل.

---

(١) التفسير الكبير ٧٦/١.

(٢) سورة يسٓ ٨٢.

(٣) راجع فصل تشكل الجن.

أما قولهم: إنهم لو كانوا أجساماً لطيفة لتمزقوا عند هبوب الرياح والعواصف فجوابه: «لقد ثبت عند الفلاسفة أن النار التي تنفصل عن الصواعق تنفذ في اللحظة اللطيفة في بواطن الأحجار والحديد وتخرج من الجانب الآخر، فلم لايعقل مثله في هذه الصورة؟!، وعلى هذا التقدير فإن الجن تكون قادرة على النفوذ في بواطن الناس وعلى التصرف فيها، وأنها تبقى حية فعالة مصونة عن الفساد إلى الأجل المعين والوقت المعلوم، فكل هذه الأحوال احتمالات ظاهرة، والدليل لم يقم على إبطالها فلم يجز المصير إلى القول بإبطالها»[1] وقد ثبت تسخيرهم للنبي سليمان عليه السلام بصريح القرآن، وقد كان يراهم على صورهم الأصلية كما دل عليه ظاهر القرآن.

٢ ــ أن هذه الأشخاص المسماة بالجن لو كانوا حاضرين في هذا العالم، مخالطين للبشر، فالظاهر الغالب أن يحصل لهم بسبب طول المخالطة والمصاحبة إما صداقة وإما عداوة، فإن حصلت الصداقة وجب ظهور المنافع بسبب تلك الصداقة، وإن حصلت العداوة وجب ظهور المضاد بسبب تلك العداوة، إلا أننا لانرى أثراً لا من تلك الصداقة ولا من تلك العداوة»[2].

والجواب على هذه الشبهة: أنه لايشترط أن يحصل للإنسان من مصاحبة أحد صداقة أو عداوة يترتب عليهما المنافع والمضار، ومع ذلك فإن الوقائع الصحيحة التي وردت في السنة تدل على أن بعض الجن قد حصل منهم إيذاء لبعض من يكرهونه من الإنس، وقد ثبت علاج الرسول ﷺ لبعض من صرعتهم الجن[3]، وقد ثبت كذلك نفع الجن لبعض الإنس كما حصل مع أبي هريرة عندما جاءه

(١) التفسير الكبير ١/٨٠.
(٢) نفس المصدر ١/٧٧.
(٣) سيأتي هذا في فصل تأثير الجن على أجسام الأنس.

الشيطان فجعل يحثو من الطعام وقد تكرر مجيئه ثلاث مرات، وكان يزعم أنه لايعود، حتى همَّ أبو هريرة أن يرفع أمره للرسول ﷺ، فقال الشيطان عند ذلك، دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، فعلَّمه آية الكرسي وقال له: اقرأها فإنه لايقربك شيطان[1] وغير ذلك مما قد ثبت في نفع الجن لبعض الناس وإضرارهم لبعض منهم.

٣ ــ إن الطريق إلى معرفة الجن إما الحس وإما المشاهدة وإما الدليل، ولم يثبت لنا بالحس وجودهم ورؤيتهم، والذين يقولون إنا أبصرناهم وسمعنا أصواتهم طائفة من المجانين يتخيلون ذلك، وليست في الحقيقة كذلك، وأما الخبر بواسطة الأنبياء عليهم السلام فباطل، لأن ذلك يؤدي إلى إبطال نبوتهم، ولجاز أن يقال إن كل ما أتى به الأنبياء من المعجزات إنما هو بإعانة الجن والشياطين، فإذا جوزنا نفوذ الجن في بواطن الإنسان فلم لايجوز أن يقال: إن حنين الجذع إنما كان لأن الشيطان نفذ في ذلك الجذع ثم أظهر الحنين؟ ولم لايجوز أن يقال: إن الناقة تكلمت مع الرسول ﷺ لأن الشيطان دخل في باطنها فتكلمت؟ وأما الدليل والنظر فهو متعذر، لأنا لانعرف دليلاً عقلياً يدل على وجود الجن والشياطين[2].

والجواب على هذه الشبهة: أنَّ الدليل الحسي قد دل على وجود الجن، حيث رآهم الرسول عليه الصلاة والسلام وهو نبي معصوم من الخطأ والكذب، ورآهم ابن مسعود عندما ذهب معه ليلة تكليم الجن، ورآهم أبو هريرة عندما جاءه الشيطان في صورة رجل فقير، فأخذ يحثو من مال الصدقة، وقد حدث مثل ذلك لنفر من الصحابة، وغير ذلك من الوقائع التي تدل على رؤية الجن من قبل هؤلاء، وهم صحابة أجلاء وليسوا من المجانين كما يزعم المنكرون لوجود الجن، بل هم من العقلاء الموثوق بهم.

---

(١) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الوكالة. باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه ٤/٤٨٧ وقد تقدم.

(٢) التفسير الكبير ١/٧٧ بتصرف واختصار.

وأما الخبر فقد جاءت نصوص القرآن مخبرة عن أحوال الجن في مواضع متعددة من القرآن، وليس هناك من سبيل للطعن بكتاب الله ــ المنقول إلينا بالتواتر ــ بأي حال من الأحوال، ودل على وجودهم السنة المتواترة التي تقطع الشك وترفع العذر في إنكار وجودهم أو تأويلهم.

والقول أن في الاعتراف بهم إبطالاً لنبوة الأنبياء غير صحيح، لأنه قد ثبت لنا وجودهم عن طريق هؤلاء الأنبياء كذلك، فالشك في وجودهم يوجب الطعن في نبوتهم أيضاً.

وأما أن الإقرار بوجودهم يوجب إنكار معجزات الأنبياء فغير مسلَّم، لأن المعجزة إنما هي تأييد من الله لأنبيائه حتى يظهر للناس صدق نبوتهم، والرسل معصومون من تلبيس الجن والشياطين، فلا يمكن أن يكون حنين الجذع وتكليم الناقة للرسول عليه السلام من قبيل هذه التلبيسات.

أما الذين ينكرون وجود الجن بحجة عدم رؤيتهم، أمثال الزنادقة والماديين، فهؤلاء ينكرون كل مالا يقع عليه الحس، فقد تقدم معنا[1] أنه لم يدل دليل عقلي على نفي وجودهم، ولايمنع العقل من وجودهم، في الوقت الذي دل فيه العقل على وجود أشياء كثيرة غائبة عن الحس، وهو أمر لاتحيله الطباع ولاتنكره العقول، ثم إن العقل لم يدَّع أنه توصل إلى معرفة جميع الأشياء، وأن ماوصل إليه علم الإنسان غيض من فيض.

فثبت بهذا بطلان شبهات منكري الجن.

موقف المنكرين لوجود الجن من النصوص الدالة على إثبات وجودهم .

وفي الوقت الذي يقرر الإسلام وجود الجن وأنهم مخلوقات عاقلة مكلفة خلقوا

(١) راجع فصل الأدلة على إثبات وجود الجن (الدليل العقلي).

من النار، يأتي المنكرون للجن من الملاحدة والفلاسفة وغيرهم فيؤولون النصوص الدالة على وجود الجن والملائكة تأويلاً يبعد عن مقصد القرآن والسنة، وهو تأويل لايعتمد على دليل يؤيده بل هو من تحريف الكلم عن مواضعه، تضليلاً للناس وصداً لهم عن سبيل الله، وهي تأويلات معلومة الفساد بالضرورة من دين الإسلام، وقد أدى تأويل هذا النفر من الناس إلى إنكار الجن بالكلية، وبهذا يتفقون مع المنكرين في الغاية والهدف.

وقد تجلت هذه النظرة عند القدامى والمحْدَثين:

أما عند القدامى فيقول ابن تيمية: «وقد زعم الملاحدة والمتفلسفة بأن الملائكة هم قوى النفس الصالحة والشياطين هم قوى النفس الخبيثة، ويجعلون سجود الملائكة طاعة القوى للعقل، وامتناع الشياطين عصيان القوى الخبيثة للعقل، ونحو ذلك من المقالات التي يقولها أصحاب رسائل إخوان الصفا وأمثالهم من القرامطة الباطنية، ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمة والمتعبدة، وقد يوجد نحو هذه الأقوال في أقوال المفسرين التي لا إسناد لها يعتمد عليه»[1].

ويوضح هذه النظرة التي ذكرها ابن تيمية عن هذه الطوائف فخر الدين الرازي في تفسيره، حيث يبين موقف الطوائف المختلفة من الجن، وقد ذكر عن هؤلاء الفلاسفة قولهم: «النفوس الناطقة البشرية المفارقة للأبدان قد تكون خيِّرة وقد تكون شريرة، فإن كانت خيرة فهي الملائكة الأرضية، وإن كانت شريرة فهي الشياطين الأرضية، ثم إذا حدث بدن شديد المشابهة ببدن تلك النفس المفارقة ضرب تعلق بهذا البدن الحادث، وتصير تلك النفس المفارقة، معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن على الأعمال اللائقة بها، فإن كانت النفسان من

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٤٦/٤.

النفوس الطاهرة المشرقة الخيرة، كانت تلك المعاونة والمعاضدة إلهاماً، وإن كانتا من النفوس الخبيثة الشريرة، كانت تلك المعاونة والمناصرة وسوسة»[١].

وقال ابن حزم: «وذهب القائلون بتناسخ الأرواح أمثال أحمد بن خابط[٢] وأبو مسلم الخراساني والرازي الطبيب المعروف وغيرهم أن الشياطين هي أرواح الشريرين من الناس، والملائكة هي أرواح الخيرين منهم»[٣]، وذكر نحو هذا البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق حيث يقول: «والباطنية يتأولون الملائكة على دعاتهم إلى بدعتهم، ويتأولون الشياطين والأبالسة على مخالفيهم»[٤].

وما تقدم من تأويل الجن والملائكة هذا التأويل الفاسد إنما سببه الانحراف والزيغ عن منهج الحق، حيث ضلت هذه الفرق عن الإسلام، وتأولت آيات القرآن تأويلاً باطلاً يوافق أهواءهم وما انتحلوه من إنكار هذه العوالم، فجمعوا بين إنكار الحق الثابت وتحريف النصوص.

وتأويل بعض هؤلاء الجن والملائكة بالأرواح المفارقة للأبدان ــ على ماذكره الفخر الرازي عنهم كما تقدم ــ هو من القول بالتناسخ أو يشابهه، ولاشك أن مذهب التناسخ مذهب باطل كما هو مقرر في الإسلام، فإن الأرواح لاتنتقل إلى

---

(١) التفسير الكبير ١/٧٨ وانظر تفسير روح المعاني ٢٩/٨٢.
(٢) أحمد بن خابط : ذكره ابن حزم في كتابه الفصل بالحاء (أي أحمد بن حابط)، والصواب الذي ذكره محمد محيي الدين عبد الحميد في كتاب (الفرق بين الفرق أنه بالخاء. انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٨، وأحمد بن خابط: هو الذي تنسب إليه فرقة الخابطية من القدرية، وكان من المعتزلة المنتسبة إلى النظّام، ثم إنه شبه عيسي بن مريم بربه، وزعم أنه الإله الثاني، وأنه هو الذي يحاسب الخلق يوم القيامة، انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٧٧.
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/٩٠ ــ ٩١.
(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٧٩.

أبدان أخر بعد الموت، بل تبقى في مستقرها في دار البرزخ منعَّمة أو معذبة.

وأما عند المحْدثين فإننا نجد تأويل النصوص الدالة على وجود الجن عند الشيخ محمد عبده والدكتور محمد البهي وعند الشيخ طنطاوي جوهري والشيخ حامد محيسن عضو جماعة كبار العلماء بمصر سابقاً الذين أوَّلوا بعض النصوص الدالة على وجود الجن.

وإليك بيان موقف هؤلاء من النصوص الدالة على وجود الجن مع الرد عليها:

١ ــ مع الشيخ محمد عبده وتأويله للنصوص الدالة على وجود الجن:

لقد اعتبر الشيخ محمد عبده أن الملائكة والشياطين أرواح تتصل بأرواح الناس فيقول: «إن إلهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي ﷺ، وقد أُسندا إلى هذه العوالم الغيبية، وخواطر الخير التي تسمى إلهاماً، وخواطر الشر التي تسمى وسوسة، كل منهما محله الروح، فالملائكة والشياطين إذن أرواح تتصل بأرواح الناس، فلا يصح أن تُمثَّل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا، لأن هذه لو اتصلت بأرواحنا فإنها تتصل بها من طرق أجسامنا، ونحن لانحس بشيء يتصل بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس، فإذن هي من عوالم غير عالم الأبدان قطعاً، والواجب على المسلم في مثل هذه الآية[1] الإيمان بمضمونها، مع التفويض أو الحمل على أنها حكاية تمثيل، ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سيقت لها القصة»[2].

وقال بعد ذلك: «وذهب بعض المفسرين مذهباً آخر في فهم معنى الملائكة، وهو أن مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات

(١) يقصد قوله تعالى ﴿وإذ قلنا للملٓئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ سورة البقرة ٣٤.

(٢) أي قصة آدم عليه السلام وسجود الملائكة له وامتناع إبليس. تفسير المنار ٢٦٧/١.

وخلقة حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك، فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة، وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة، فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة، وكذلك يقال في الحيوانات والإنسان، فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلٰهية في إيجاده، فإنما قوامه بروح الٰهي سمي في لسان الشرع ملكاً، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية، إذ كان لايعرف من عالم الإمكان إلا ماهو طبيعة أو قوة، يظهر أثرها في الطبيعة.

والأمر الثابت الذي لانزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها وبه قوامها ونظامها لايمكن لعاقل أن ينكره، وإن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكاً وزعم أنه لادليل على وجود الملائكة، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً، لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع، فالحقيقة واحدة، والعاقل من لاتحجبه الأسماء عن المسميات، وإن كان المؤمن بالغيب يرى للأرواح وجودا لايدرك كنهه، والذي لايؤمن بالغيب يقول: لاأعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها، ولايعلم إلا الله علام يختلف الناس، وكل من يقر بوجود شيء غير مايرى، ويحس ويعترف بأنه لايفهمه حق الفهم، ولايصل بعقله إلى إدراك كنهه، وماذا على هذا الذي يزعم أنه لايؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه، ولو قال: أصدق بغيب وأعرف أثره وإن كنت لاأقدره قدره، فيتفق مع المؤمنين بالغيب، ويفهم بذلك مايرد في لسان صاحب الوحي، ويحظى بما يحظى به المؤمنون؟(١).

والشيخ محمد عبده يعتبر أن إيحاء الملك بالخير وإيحاء الشيطان بالشر إنما هي من باب الخواطر التي أودعت في نفوس البشر، وهي روح لاندرك كنهها وحقيقتها، وهو لايبعد ان يسمي اللّٰهُ إلهام الخير ملكاً، أو يسمى أسبابه ملائكة(٢).

---

(١) تفسير المنار ٢٦٧/١ ــ ٢٦٨.

(٢) نفس المصدر ٢٦٨/١.

وقد بين الأستاذ محمد رشيد رضا سبب لجوء أستاذه الشيخ محمد عبده إلى هذا التأويل فقال: «إن غرض الأستاذ من هذا التأويل الذي عبر عنه بالإيمان وبالإشارة إقناع منكري الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم وقد اهتدى به كثيرون وضل به آخرون فأنكروه عليه، وزعموا أنه جعل الملائكة قوى لاتعقل»(١).

وقد دافع الشيخ محمد عبده عن وجهة نظره هذه، وبرر ماالجأ إليه فقال: «لو أن مسكيناً من عبدة الألفاظ من أشدهم ذكاء وأذربهم لساناً أخذا بما قيل له إن الملائكة أجسام نورانية قابلة للتشكل، ثم تطلع عقله إلى أن يفهم معنى نورانية الأجسام، وهل النور وحده له قوام يكون به شخصاً ممتازاً بدون أن يقوم بجرم آخر كثيف، ثم ينعكس عنه كذبالة المصباح أو سلك الكهرباء؟ ومعنى قابلية التشكل، وهل يمكن للشيء الواحد أن ينقلب في أشكال من الصور مختلفة حسبما يريد، وكيف يكون ذلك؟ ألا يقع في حيرة؟ ولو سئل عما يعتقده من ذلك، ألا يحدث في لسانه من العقد مالا يستطيع حله؟ أليس مثل هذه الحيرة يعد شكا؟»(٢).

ويقول في موضع آخر: «أفلا تزعم أن لله ملائكة في الأرض وملائكة في السماء؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك ومن يكون منهم عن يسارك؟ هل ترى أجسامهم النورانية تضيء لك الظلام، أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام؟ فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبثّة فيما حولك ومابين يديك وماخلفك، وأن الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك، وبالعبارة التي تلقتها عنهم، كيلا يوحشك بما يدهشك، وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه

---

(١) تفسير المنار ١/٢٧٠.

(٢) نفس المصدر ١/٢٧١.

تعرفها، أفلا يكون ذلك أروح لنفسك وأدعى إلى طمأنينة عقلك؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئاً من وراء حجاب، ووقفت على سر من أسرار الكتاب؟ فإن لم تجد في نفسك استعداداً لقبول أشعة هذه الحقائق، وكنت ممن يؤمن بالغيب، ويفوض في إدراك الحقيقة ويقول: ﴿آمنَّا به كل من عند ربنا﴾(١)، فلا ترم طلاب العرفان بالريب ماداموا يصدقون بالكتاب الذي آمنت به، ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته، وهم في إيمانهم أعلى منك كعباً، وأرضى منك بربهم نفساً، ألا إن مؤمناً لو مالت نفسه إلى فهم ما أنزل إليه من ربه على النحو الذي يطمئن إليه قلبه ــ كما قلنا ــ كان من دينه في فقه، ومن فضل ربه في سعة»(٢). انتهى كلام الشيخ محمد عبده.

الرد على الشيخ محمد عبـده :

إن تأويل الشيخ محمد عبده للشياطين والملائكة بأنها أرواح تتصل بأرواح الناس ــ وأنه لايصح أن تمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا، ودفاعه عن هذا التأويل لتقريب حقائق هذه العوالم إلى أذهان الناس، فيكون دافعاً لإيمانهم وعدم شكهم بمثل هذه العوالم ــ كل هذا لايبرر له مثل هذا التأويل، لأن فيه مسخاً لحقيقة الملائكة والجن التي بينها الإسلام، فيكون في ذلك تغييراً لحقائق الأمور، وسلخاً للألفاظ عن معانيها الأصلية، وجناية على الإسلام تحت شعار حسن النية والدفاع عن الإسلام.

وأي ضير بعد ذلك أن تكون الملائكة أجساماً نورانية قابلة للتشكل، والجن على أنها أجسام نارية قابلة للتشكل كذلك؟ بل إن وصف الملائكة والجن بهذه الصورة أقرب في فهم حقيقتها من المعنى الذي ذهب إليه الشيخ محمد عبده، ولايضر بعد ذلك مايثيره من يعترض على هذا التعريف بسؤاله: وأين هم على هذا

(١) سورة آل عمران الآية ٧.

(٢) تفسير المنار ٢٧٣/١.

الأساس؟ لأن علم الإنسان قاصر عن كشف حقائق الوجود وعوالمه، فكم من حقائق ظهرت بعد أن كانت في عالم الخفاء، حيث أصبحت حقائق ملموسة لايشك الإنسان بوجودها؟ وظهور الملائكة والجن على الإنسان باستمرار غير لازم لإيمانه بهم، فإن خلقاً كثيرين رأوا الجن بأشكال وصور مختلفة، وأما الملائكة فقد رآهم الصادق المصدوق وغيره من الأنبياء عليهم السلام، على صورهم الأصلية، وفي صورهم التي يتشكلون بها، ورآهم بالصور البشرية كذلك نفر من الصحابة عندما جاء جبريل عليه السلام إلى الرسول في صورة أعرابي شديد سواد الشعر، شديد بياض الثياب، حيث أخذ يسأله عن الإسلام والإيمان والساعة وأماراتها.

وحواس الإنسان بعد ذلك غير مؤهلة بخلقتها الحالية لإدراك حقائق هذه العوالم على صورها الأصلية، فلو أعطانا الله قوة في البصر، أو انتقلت هذه العوالم عن صورها التي خلقت عليها، بالتمثل الذي جعلت قادرة عليه لأمكن عندئذ رؤيتها رأي العين، وقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها مرتين كما في سورة النجم، وذلك بقدرة من الله.

أليس الذي منع المنكرين لوجود الله من الإيمان به هو عدم رؤيتهم له، كما حكى القرآن ذلك عن بني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام بقوله: ﴿**وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة**﴾[1]؟! فما الذي جلبه تأويل الشيخ محمد عبده ــ للملائكة والجن على أنهم أرواح تتصل بالانسان ــ من منفعة للإسلام والمسلمين؟! أليست الحيرة والقلق والتساؤل هي غاية المطاف من تعريف الملائكة والجن بهذه الصورة؟! إذ سيقول هؤلاء المنكرون وما حقيقة هذه الأرواح التي نسمع عنها ولانراها..

إن هذا التأويل لن يكون دافعاً للمتشككين للإيمان، لأنهم سيظلون متعنتين

(١) سورة البقرة الآية ٥٥.

كما تعنت أسلافهم من المشركين كما قال تعالى: ﴿**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفْجُرَ لنا من الأرض ينبوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجِّر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تُسْقِط السماء كما زعمت علينا كِسَفاً أو تأتي بالله والملئكة قَبيلا. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيِّك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً»**﴾[1].

ومما يوضح بطلان هذا التأويل لمفهوم الملائكة والشياطين أنه يتضمن إنكار مادلت عليه النصوص من قدرتهم على التمثل، ومن سجود الملائكة لآدم حقيقة، وامتناع ابليس كما هو صريح من كلام محمد عبده، وهذا يقتضي عنده التفويض في معاني هذه النصوص أو حملها على التمثيل لا الحقيقة، وهذا يناقض المفهوم من هذه النصوص عند السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن سلك سبيلهم، وفيه تعطيل لهذه النصوص عن المعاني التي يوصل إليها بالتدبر، أو تحريفها عن معانيها التي تدل عليها، وهي أن الملائكة والجن عوالم غيبية قائمة بأنفسها، لها صفات وأفعال تختلف في خصائصها عن العوالم المشهودة.

وأما القول الآخر الذي قاله عن بعض المفسرين ــ وهو أن الملائكة هي خصائص المخلوقات وقواها الخفية، معتمداً في ذلك على مانسبه للغزالي من تفسير الخواطر والإلهام، بأن خاطر الخير يسمى ملكاً، وخاطر الشر يسمى شيطاناً كما تقدم ــ فهو أقبح من القول الأول وأكثر إمعاناً في الإلحاد في آيات الله، فإنه يتضمن إنكار الملائكة والشياطين، مادام أنه لامفهوم لهم خارجا عن القوى والخواطر داخل النفس البشرية.

٢ ــ مع الدكتور محمد البهي[2] وتأويله للنصوص الدالة على وجود الجن :

ولقد تجلى تأويل النصوص المثبتة لوجود الجن بشكله الصريح عند الدكتور

(١) سورة الاسراء الايات ٩٠ ــ ٩٣.
(٢) كاتب إسلامي ولد في مصر وله عدة مؤلفات منها التفسير الموضوعي للقرآن.

محمد البهي، حيث لم يسبقه أحد في تأويله هذا فيما أعلم، حيث أوَّل جميع النصوص الدالة على وجود الجن تأويلاً خطيراً أدى به في نهاية المطاف إلى إنكار عالم الجن، وحمْله على نفر غريب وغير معهود من البشر.

وقد لخص البهي جملة أفكاره وتأويلاته حول الجن في كتابين له :

الأول : من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك.
والثاني : تفسير سورة الجن، وتفسيره لبعض السور الأخرى من القرآن.

ونحن سنورد أقواله حول هذا الموضوع أولاً، ثم نعقّب بالرد على هذه الأقوال التي طرحها على العالم بين ثنايا كتابيه المذكورين، وقد حرصنا على إيراد معظم أقواله لتكتمل الصبورة عما طرحه من جهة، ولخطورة ماطرحه من جهة ثانية، ليكون المسلم على بينة مما يقال في كتاب الله من تأويلات بعيدة عن الصواب.

يقول الدكتور البهي: «وقد يطلق الجن على فريق خيِّر من الناس، غريب وغير معهود، ولأنه غريب وغير معهود كان بمثابة غير المحسوس وغير المرئي، يقول الله تعالى: **﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضي ولّوْا إلى قومهم مُنْذرين. قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يَهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم. ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويُجِرْكُم من عذاب أليم. ومن لايجب داعي الله فليس بمعجزٍ في الأرض وليس له من دونه أولياء أولَئك في ضلال مبين﴾**[١].

فهذا النفر من الجن الذي أنصت للقرآن الكريم بمكة يقال إنه قدم إليها من يثرب قبل الهجرة بسنتين، وبعد إيمانه أخذ على عاتقه الدعوة إلى دين الله بين قومه

(١) سورة الأحقاف الآيات من ٢٩ ــ ٣٢.

بعد أن عاد من الحج إلى يثرب ثانية، ويقال إنه هو نفسه الفريق الذي ذكر في سورة الجن في قوله تعالى: ﴿**قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنَّا سمعنا قرآناً عجبا. يَهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا**﴾[١]، وأطلق على هذا النفر اسم الجن لأنه كان غير معروف بين المكيين، وكان غريباً عن مجلس الرسول ﷺ وهو بمكة، ومن هذا التفسير يقال إنه تكونت نواة الأنصار بالمدينة، والرسول عليه الصلاة والسلام عندما هاجر إلى يثرب بعد ذلك بسنتين لم يهاجر إذن إليها في فراغ، وإنما هاجر إلى أحباء آمنوا به من قبل وبرسالته وبشروا بها، ودعوا إليها جادين قبل أن يهاجر هو وصاحبه.

وإذا لم يرد باسم الجن هنا هذا الفريق الخير الغريب غير المعهود من أهل يثرب فإنه يقال: كيف يكون إيمانهم بالقرآن؟ وكيف تكون معرفتهم بالتوراة قبله؟ ﴿**إنا سمعنا كتاباً أُنزِل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم**﴾[٢]، إنهم عرفوا ما لموسى من جوار اليهود بالمدينة من أهل خيبر أو من بني النضير، وأنهم لو كانوا ملائكة من القوى النارية أو النورية: كيف يأخذون على عاتقهم التبشير بالإسلام بين قومهم؟ ان الملائكة قد اختبروا فعلا قبل أن يختبر آدم وحواء في طاعتهم لله، اختبروا عندما أمرهم الله بعد خلق آدم بالسجود له، فسجدوا إلا واحداً منهم هو ابليس، وآنئذ عرف المطيع والمؤمن، والفاسق والعاصي منهم، فكانوا جميعاً مطيعين عدا ابليس فعصى ربه وغوى»[٣].

وهكذا يرى الدكتور البهي أن الجن الذين ذكر الله أمرهم في سورتي الأحقاف والجن ــ ممن وفدوا على الرسول ﷺ وهو بمكة ــ إنما يراد بهم نفر من البشر قدموا على الرسول من يثرب، فآمنوا به سراً دون أن يرهم أو يعلم بهم أحد، ثم

(١) سورة الجن الآية ١، ٢.
(٢) سورة الأحقاف الآية ٣٠.
(٣) من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك ص ١٣٣.

تكونت نواة الأنصار بالمدينة من هذا النفر، الذي جعل على عاتقه تبليغ الدعوة الإسلامية إلى أهل المدينة.

ويقول في موضع آخر بعد أن ذكر أن دعوة الرسول ﷺ هي للبشر وحدهم، ولم يبعث للجن على الاطلاق: «واذن النفر من الجن الذي استمع إلى القرآن في مجلس الرسول عليه السلام وهو بمكة قبل الهجرة وآمن به، ثم أخذ على عاتقه مسؤولية الدعوة إليه، هذا النفر ليس من القوى الفردية غير المركبة، أي ليس من القوى النارية التي هي الملائكة أو الجن على السواء، وقريب أن يكون من البشر، ولكن لأنهم غير معهودين وغرباء كانوا بمثابة الجن في التستر وعدم الافصاح عن هويتهم، وهذا النفر من الجن هو الذي أشار إليه القرآن في سورة الأحقاف وكذلك في سورة الجن»[1].

ويقول في موضع آخر: «وقد يميل بعض المفسرين إلى أن العالمية في رسالة القرآن ليست العالمية بين الشعوب والأقوام ولا بين الأجيال والمجتمعات مع اختلاف اللغات واختلاف الزمان والمكان، بل هي العالمية بين الجن والإنس، وقد آن الأوان أن يفهم المتصدي لتفسير القرآن أن لفظ الجن كما ورد في القرآن قصد به «غير المعهود» للإنسان، وأطلقه القرآن مرة على فريق من الناس لم يكونوا معهودين للرسول عليه السلام وهو يجالس المؤمنين به في مكة، وورد هذا الاطلاق في سورة الأحقاف في قوله تعالى: **﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصِتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين﴾**[2].

وقصد بهذا النفر الفريق الذي قدم من المدينة للحج وبايع الرسول عليه السلام بعد هذا اللقاء فيما يسمى بيعة العقبة، وهو فريق من الأوس والخزرج، وهذا النفر

(١) من مفاهيم القران في العقيدة والسلوك ص ١٣٨.

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٩، وما بعدها إلى آية ٣٢.

بحكم صلته باليهود في المدينة وفيما جاورها كان يعرف الكثير عن التوراة، ولذا ربط ماسمعه من الرسول عليه السلام وهو يتلو القرآن بما يعرفه عن التوراة، ولذا اعتبر أن هذا القرآن مصدِّق لما بين يديه وهو التوراة.

كما أطلق القرآن لفظ الجن مرة أخرى على الملائكة في سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿**وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبا ولقد علمت الجِنَّة إنهم لمُحْضَرون**﴾(١) فالسياق قبل وبعد يحدُّ إذن الجِنَّة هنا (بأنهم)(٢) هم الملائكة الذين ادعى مشركو قريش أنهم بنات الله.

وفيما عدا هذين الموضعين فلفظ الجن مفهوم لغوي لايقصد منه سوى غير المعهود للإنسان: شريراً أو خيراً، ماهراً أو غير ماهر(٣).

وهكذا يعلن البهي بصراحة في أكثر من موضع عن رأيه، فيرجح أن هذا النفر الذي قدم على الرسول عليه الصلاة والسلام وهو في مكة لاستماع القرآن، إنما هم من البشر، وبالتالي فهم ليسوا من القوى النارية التي هي الملائكة أو الجن على حد سواء، بل هم أصحاب بيعة العقبة من الأوس والخزرج الذين بايعوا الرسول بمكة سراً.

ويتابع البهي قوله: «والقرآن باشارته إلى هذا النفر الغريب عن أهل مكة الذي يريد أن يذكر أن معارضة المكيين لدعوة الرسول ﷺ لم تكن معارضة موضوعية، أي لم تكن من أجل ماتضمنته الدعوة من مبادىء وتوجيه، بدليل أن هذا النفر الغريب عن مكة ــ لأنه لم يكن مبيتاً في نفسه الرفض والكفر، كما كان هو صنيع المكيين ــ آمن بالقرآن تواً، بعد أن أنصت إليه، كما أعجب به وجاء

---

(١) سورة الصافات الآية ١٥٨.

(٢) (أنهم) لم ترد في كلام البهي.

(٣) تفسير سورة الفرقان للدكتور محمد البهي ص ٣ ــ ٥.

على لسانه ﴿**فقالوا إنا سمعنا قرءاناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحدا**﴾[1]. وبهذا تقوم الحجة على الماديين المؤمنين في مكة عند رفضهم الإسلام وكفرهم به، وكذلك تقوم الحجة على كل مادي في أي عصر يكفر بالله وبهدايته، لوقوعه تحت تأثير الاتجاه المادي»[2].

وعلى هذا فإن البهي يعتبر أن معارضة أهل مكة لدعوة الرسول عليه السلام لم تكن معارضة موضوعية ـــ وهذا حق ـــ ولكنه يسلك مسلكاً غير سليم في الاستدلال على ذلك، إذ يعتبر أن قسماً من البشر غير الظاهرين آمنوا بها بمجرد سماعهم للقرآن من الرسول عليه السلام، ولم يطلبوا أدلة ومعجزات كما طلب أهل مكة، وإنما كانت معارضتهم كبرياء وعناداً.

أما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمُحْضَرون**﴾[3] فإنه يقول: «أي وجعل مشركو مكة بنسبتهم الملائكة بنات الله، بين الله وبينها نسباً وعلاقة قربى، هي علاقة الأبوة والبنوة، وأطلق اسم الجِنَّة على الملائكة هنا لأنهم قوى خفية.

والجن إذن ليس من طبيعة تغاير الملك والإنسان معاً، بل هو بالأحرى اسم لكل قوة خفية من الملائكة أو المستخفين من الناس: خيرة أو شريرة على السواء[4].

ويقول: «وإذا راق لبعض المتحدثين عن الجن أن يجعلوا عالم الجن عالماً مقابلاً لعالم الملائكة وعالم الإنس فقد أخرجوا الملائكة من عالم هم فيه أصل، وهو العالم

---

(١) سورة الجن الآية ١،٢.

(٢) من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك ص ١٣٨.

(٣) سورة الصافات الآية ١٥٨.

(٤) تفسير سورة الصافات ص ٣٣.

غير المرئي، وجعلوا آنئذ عالم الجن قاصراً على من دخلوا فيه دخولاً ثانوياً بحكم الاشتراك في التخفي وعدم الظهور وعدم العهد. وهذا العمل عندئذ لايبرره أن طبائع الملائكة متميزة تماماً عن عالم الإنس وعن عالم الجن، الذي هو الآن قاصر على المتخفين من البشر وحدهم، فالملائكة أحياء خالدون بذواتهم، لاتتناكح ولاتتناسل، وليس بينهما ذكر وأنثى، وهي دائماً في طاعة الله وعبادته، فضلاً عن أن كلمة الجن في القرآن جاءت أصلاً للملك: مرة عند الحديث عن خلقه، ومرة ثانية عند التعرض لعصيان ابليس»[١].

ثم يأتي البهي ليقرر أن الجن الذين سخرهم الله للنبي سليمان ــ عليه السلام ــ إنما كانوا من البشر وليسوا من القوى النارية، جرياً على تأويله، وإنما أطلق القرآن عليهم اسم الجن ــ كما يرى ــ لأنهم كانوا مغمورين وغير معروفين للناس.

يقول في هذا الصدد: «ومثل هذا الفريق الخير من الناس الذي أطلق عليه اسم الجن لعدم العهد به، ماجاء في قوله تعالى: ﴿**ولسليمٰن الريح غُدُوها شهر ورَواحها شهر وأسَلْنا له عين القِطْرِ ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يَزِغْ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير**﴾... إلى قوله تعالى: ﴿**فلما خرَّ تَبيَّنت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين**﴾»[٢].

فمن يعمل من الجن بين يدي سليمان عليه السلام بإذن ربه كان فريقاً من العمال غير المهرة، وبذلك كانوا مغمورين غير معروفين، ولذا كان هذا الفريق في حاجة إلى أن يكون عملهم تحت إشراف سليمان نفسه «**من يعمل بين يديه**»، أي أنهم لعدم مهارتهم كانوا لايستقلون بالعمل، والمغمور من الناس مخفي، كأنه لايُرى ولايشاهد، وماجاء بعد ذلك في قوله: ﴿**اعملوا آل داود شكرا**﴾،[٣] يشير إلى

(١) تفسير سورة الجن ص ٢٠.
(٢) سورة سبا الآيات من ١٢ ــ ١٤.
(٣) سورة سبأ الآية ١٣.

الفريق الآخر من العمال، وهكذا كان في خدمة سليمان النبي والملك نوعان من العمال، مما يدل على أن ملكه في ذلك الوقت لم يكن لأحد قبله في السعة والعظمة[1].

ثم يقول : «ثم ماذكر في سورة (صّ) من قول الله تعالى: ﴿**فسخّرْنا له الريح تجرى بأمره رُخاءً حيث أصاب. والشياطينَ كل بنَّاءٍ وغوَّاصٍ. وآخرين مقرنين في الأصْفاد**﴾[2]، من التعبير بالشياطين، لايتعين أن يكون هؤلاء الشياطين من القوى النارية، وبذلك يتعارض مع حمل الجن في سورة سبأ ـــ في قصة سليمان ـــ على فريق من البشر غير معهود، إذ الشياطين كما تكون من القوى النارية تكون كذلك من الطبائع البشرية ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطينَ الانس والجن**﴾[3].

على أن الشياطين هنا في سورة (صّ) إذا كانت لفريق من البشر، فلا يحتم أن يكون هو فريق الجن السابق في سورة سبأ، والذي هو فريق خير، فقد كان العمل في ملك سليمان متعدد الجوانب: فريق الجن السابق، كان يعمل في الصناعة غير الدقيقة وهي صناعة الحصون والتماثيلّ وأدوات الأكل، وفريق الشياطين هنا، كان يعمل في البحار، وغيرهم كان يعمل في الصناعة الدقيقة مما كان يزين به الهيكل وهكذا.

وما ذكر إذن في السورتين: (سبأ وصّ) هو في جملته تفصيل لقصة سليمان، يضاف بعضه إلى بعض فتكمل القصة[4].

ولئلا يتعارض حمل الجن في سورة (صّ) في قوله تعالى: ﴿**والشياطين كلَّ بنَّاءٍ**

(١) من مفاهيم القران في العقيدة والسلوك ص ١٣٨ ـــ ١٣٩.

(٢) سورة (صّ)الآيات من ٣٦ ـــ ٣٨.

(٣) سورة الأنعام الآية ١١٢.

(٤) من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك ص ١٣٩ ـــ ١٤٠.

وغواص وآخرين مقرّنين في الأصفاد﴾(١) ــ وأن المراد بهم هنا القوى النارية من الجن ــ على حمله في سورة سبأ في قوله تعالى: **﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾**(٢) ــ وأن المراد بهم هنا فريق من العمال غير المهرة ــ ولذا كانوا بحاجة إلى إشراف سليمان عليهم ــ كما ذكر الدكتور البهي ــ فلئلا يتعارض النصان مع بعضهما ــ على حسب تأويله ــ نجده يقرر أن الجن في سورة (ص) يراد به فريقاً من البشر، من ذوى المهارات، استعملهم سليمان للعمل في البحار.

ومن هنا فإن ماورد في قصة سليمان عليه السلام في سورتي (صّ وسبأ) من أمر الجن، فإنما يراد به تلك الفئات من العمال المهرة وغير المهرة من البشر.

أما ما ورد في سورة النمل من حشر الجن والإنس والطير لسليمان ليستخدمهم فيما يشاء، وذلك في قوله تعالى: **﴿وحُشِرَ لسليمٰن جنودُهُ من الجن والإنس والطَّير فهم يُوزَعُون﴾**(٣)، فقد قال البهي في تأويله لهذه الآية: «والجنود من الجن هي التي تعمل في مهمة سرية، والجنود من الإنس هي التي تعمل في العلن، والجنود من الطير هي التي تكاتب بالرسائل في المسافات البعيدة»(٤).

فالجنود من الجن الذين سخرهم الله لسليمان ــ على رأي البهي ــ هم بشر مستخفون، يقومون بمهمات سرية، حيث لايعلم بهم أحد من الناس، لأنهم غير معهودين.

أما ماجاء من إخبار القرآن الكريم عن طلب سليمان عليه السلام من جنده إحضار عرش بلقيس ملكة سبأ، وذلك في قوله تعالى: **﴿قال ياأيها الملؤا أيكم**

---

(١) سورة(صّ)الآية ٣٧ ــ ٣٨.
(٢) سورة سبأ الآية ١٢.
(٣) سورة النمل الآية ١٧.
(٤) تفسير سورة النمل ص ١٥.

يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين. قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين﴾(1)، فإننا نجده يقول في تفسير ذلك: «وجمع سليمان أصحاب الرأي عنده وطلب إليهم وضع خريطة تصور مملكة بلقيس، كي يستعد لغزوها، وطلب وضع هذه الخريطة وأن تكون جاهزة عنده قبل أن يأتيه الرد منها على رسالته الثانية بالخضوع والقبول **﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين﴾**(2) وهنا انبرى واحد من الأقوياء واسعي الحيلة، شديد الدهاء من غير الظاهرين في ملئه ووعد بأن يأتي به قبل أن يغادر مكان الاجتماع، وأكد استطاعته على ذلك وأمانته ودقته في العمل والتنفيذ»(3).

ثم يتابع الكلام في تفسير قوله تعالى: **﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرْفُك﴾**(4) فيقول: «ولكن من يعلم الرسم والكتابة بين أهل الرأي في الاجتماع وعده بأن يحضره في أقصر مدة ممكنة، وهي مايعبر عنها بـ(قبل ارتداد الطرف)، فالأمر يحتاج إلى تحضير ودقة فيه، وليس من السهولة بحيث يؤتى به قبل انفضاض الاجتماع **﴿فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾**(5)، وبعد أن جاء الرسم المطلوب لمملكة بلقيس في سبأ ــ وهي تبعد خمسين ميلاً عن مدينة صنعاء، في مايسمى بحضرموت ــ سُرَّ سليمان واعترف بأنه من فضل الله عليه، وأنه فضل قصد به الابتلاء والاختبار»(6).

---

(1) سورة النمل الآيات ٣٨ ــ ٣٩.
(2) سورة النمل الآية ٣٩.
(3) تفسير سورة النمل ص ١٩.
(4) سورة النمل الآية ٤٠.
(5) سورة النمل الآية ٤٠.
(6) تفسير سورة النمل ص ١٩.

ثم يقول في قوله تعالى: ﴿**قال نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لايهتدون**﴾[1]: وبعد أن اطلع سليمان على خريطة سبأ التي رسمت له بناء على أمره، طلب من أصحاب الرأي عنده أن يغيروا بعض المعالم لاختبار بلقيس عندما تحضر، والوقوف على اتجاهها: أتعرفه أم لا؟ فلما جاءت قيل: «**أهكذا عرشك**»؟ قالت: (**كأنه هو**)، وعندما حضرت وقُدِّم لها رسم المملكة وسئلت عنه أجابت: بأنه يكاد يكون طبق الأصل ﴿**وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين**﴾[2] وهنا أعلن سليمان بأنه وملأه كانوا على علم بمملكتها من قبل أن تؤيد مارأته، كما كانوا مسلمين، فقد جمعوا بين العلم والإيمان بالله وحده، وسليمان يعلن ذلك مشيداً بفضل الله عليه»[3].

وهكذا نجد الدكتور البهي ينكر أن يكون سليمان عليه السلام قد طلب من الملأ حوله احضار عرش بلقيس حقيقة، ويؤول ذلك بأنه طلب لرسم خريطة لمملكة سبأ التي كانت تحكمها بلقيس، حتى يستعد لغزوها.

ثم اننا نجده يطلق اسم الجن على القوى النارية من الشياطين، لكننا لانلبث أن نراه يرجح أن يكون المقصود بهؤلاء نفراً من البشر غير ظاهر للعيان فيقول: «وقد يطلق الجن على فريق شرير من القوى النارية، ويكون هذا الفريق عندئذ من الشياطين، على نحو ماجاء في قوله تعالى: ﴿**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**﴾[4]، وفي الآية التي تلي هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿**وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا**﴾[5]، مما يشير إلى نوعية الجن، وأن نوعه

---

(١) سورة النمل الآية ٤١.

(٢) سورة النمل الآية ٤٢.

(٣) تفسير سورة النمل ص ١٩ ــ ٢٠.

(٤) سورة الجن الآية ٦.

(٥) سورة الجن الآية ٧.

من البشر الشرير، لأنه ينكر البعث كما ينكره الماديون جميعاً في الجزيرة العربية، وفي مقدمتهم الكهان»[1].

ثم يقول: «على أن تعبير الآية هنا برجال من الجن، بأنهم كانوا ينكرون البعث، كلاهما يجعل احتمال حمل الجن على فريق آخر من الناس ــ غير ظاهر للعيان ــ أقرب، فقد كان معروفاً لدى الماديين الوثنيين من العرب الذين لايؤمنون بالله وباليوم الآخر، أنهم يتصورن الملائكة ــ وهي من القوى الخفية التي تأخذ اسم الجن أيضاً على أنهم الإناث فقط **﴿ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليُسمّون الملٓئكة تسمية الأنثى﴾**.. إلى قوله: **﴿وهو أعلم بمن أهتدى﴾**[2].

وهذا التصور لديهم لايتفق مع ماكانوا يدعونه من أن كهانهم كانوا يلتقون برجال من الجن لاستطلاع الغيب، إذ الطبيعة التي عرفت بالتنوع بين الذكورة والأنوثة هي طبيعة البشر وحدها، وليست طبيعة من عداهم مما يقابلهم من الملائكة أو الجن **﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**[3] وقوله تعالى: **﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه﴾**[4] وقوله: **﴿وخلقناكم أزواجاً﴾**[5].

يقول البهي في قوله تعالى: **﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولٓئك كالأنعام بل هم أضل أولٓئك هم الغافلون﴾**[6].

---

(١) من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك ص ١٤١.
(٢) سورة النجم الآيات من ٢٧ ــ ٣٠.
(٣) سورة الحجرات الآية ١٣.
(٤) سورة الدهر الآية ٢.
(٥) سورة النبأ الآية ٨، من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك ص ١٤١.
(٦) سورة الأعراف الآية ١٧٩.

يقول معلقاً على هذه الآيات: «فوصف القرآن هنا بأن للجن والانس معاً قلوباً وأعيناً وآذناً ــ وإن كانوا لايستخدمونها فيما أعدت له ــ هذا الوصف القرآني يجعل من العسير تصور الجن في هذا الوضع من القوى النارية المقابلة تماماً لطبيعة الإنسان، إذ الوصف بهذه الخصائص هو ميزة الإنسان على التحقيق دون سواه»[١].

وعلى هذا فإن البهي يرجح مرة وينكر أخرى أن يكون المراد بالجن ــ في الآيات المتقدمة ــ تلك القوى النارية، بل إن حملها على البشر أمر متعين على حد مفهومه.

ومن العسير ــ في نظره ــ أن يكون في الجن ذكورة وأنوثة، أو أن يكون لهم قلوب وأعين وآذان، لأن هذه من صفات البشر وليست من صفات تلك العوالم المخلوقة من النار.

ثم يتابع الحديث فيقول: «والجن اسم يطلق دائماً على القوى الخفية أو غير المعهودة وغير المحددة بوجه عام، ويطلق على الخيِّر والشرير على حد سواء، وإذا كان هناك تقابل تام بين الإنسان والملك في طبيعتيهما، وبين الملك وابليس أو الشيطان في الاتجاه والعمل: أحدهما خيِّر والآخر شرير، وبين المؤمن والكافر في الإنسان: في الطاعة وعدم الطاعة، فإن اسم الجن يتقابل مع الإنسان من حيث الخفية وعدم العهد به في جانب الجن، والظهور والتشخيص في جانب الإنسان كما جاء في قوله تعالى: **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾**[٢]، فإن المقام هنا هو مقام التحدي في إعجاز القرآن، وأنه من الله وحده، والمعنى إذن: لو اجتمعت جميع القوى المخلوقة:

---

(١) من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك ص ١٤٤.

(٢) سورة الاسراء الآية ٨٨.

خفيها وظاهرها، على أن تأتي بمثل هذا القرآن لعجزت عن الاتيان بمثله»[1].

ويقول: «وفي عالم الجن تناكح وتزاوج وذكر وأنثى، ورجال ونساء، وهم ذرية أولئك الذين يتسترون من الناس في إيمانهم عندما يؤمنون، أو يظلون في تسترهم خشية من حاكم ملحد ظالم، وكذلك أولئكم الآخرون الذين يلحقون الشر في خفية بدين الله أو بغيرهم من الناس، وعلى الأخص بالمؤمنين، وهم شياطين الجن. ومن مجموعهم تتكون ذرية الشيطان ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا**﴾[2].

وفي عالم الجن أيضاً موت وحياة ونشور، وخصومة وبغضاء، وفعل للخير وفعل للشر، لأن ذلك من صفاتهم كبشر، دخلوا في عالم الجن للتخفي وعدم الظهور، وإذا تحدث الفقهاء عن زواج الجنية بإنسان، أو زواج الجن بأنثى من الناس في العالم المرئي، فلا يحمل ذلك إلا على أن بعض البشر الذين يتخفون في إيمانهم أو بوسوستهم للشر قد اتصل في زواجه ببعض أفراد البشر في العالم المرئي[3].

وهكذا نجد الدكتور البهي يقرر أن الجن إنما يتقابل مع الإنس على أساس التخفي وعدم العهد به للبشر، ولكنه لايختلف عنه من حيث الصفات والخصائص، إذهما جميعاً من البشر، ولكن لأن النوع الأول ليس للبشر عهد به أطلق عليه اسم الجن.

ثم اننا نجده يطلق اسم الجن على إبليس، وهو الشيطان الشرير، على أساس أنه من الملائكة، ولكنه عصى ربه، حيث ان اسم الجن يطلق على الملائكة، وذلك لأنها لا ترى، وكون ابليس واحداً من الملائكة ــ كما يقول البهي ــ أطلق عليه اسم الجن.

(١) من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك ص ١٤٤.

(٢) سورة الكهف الآية ٥٠.

(٣) تفسير سورة الجن ص ١٩.

وفي هذا الصدد يقول: «ولكن الجن كما يطلق على الملك الخيِّر وهو قوة خفية، يطلق على ابليس وهو الشيطان الشرير وهو قوة خفية أيضاً من الملائكة عصى ربه، ويطلق كذلك على فريق من الناس غريب وغير معهود من ذوى الميول الخيرة، أو ذوى الميول الشريرة على السواء.

والأمر الذي يجب أن يؤخذ دائماً في مفهوم الجن إذن هو الغرابة وعدم العهد به، دون نظر إلى معنى الخير والشر في طبيعته، وبذلك يكون اسم الجن عاماً للقوة الخفية المجهولة وغير المعهودة من الطين أو النار»[1].

ثم يبين البهي الحكمة التي تترتب على وجوب الإيمان بعالم الجن الذي يراد به عالم التخفي والسرية من البشر فيقول:

«والإيمان بعالم الجن أو بالعالم غير المرئي أو بعالم ماتحت الأرض ضرورة اجتماعية لصالح المجتمع المؤمن بالله، وضرورة فردية لصالح المؤمنين به. إن من يحاول الإيمان بالله بعد اقتناع بما في كتاب الله، في مجتمع يتحيز ضد هذا الكتاب، أو في مجتمع يعلن كفره وتحديه لرسالته، لايمكن أن يصل في الإيمان كما يريد ــ مع المحافظة على حياته ــ إلا إذا عاش في عالم الجن بإيمانه، أي تستر في إيمانه، ومارس مقتضيات هذا الإيمان في سرية.

وإن مجتمع المؤمنين إذا لم يؤمن بعالم الجن ــ بعالم التخفي والسرية ــ بعالم غير مرئي ــ إذا لم يؤمن بذلك ــ فإنه لايأمن أن يأتيه التقويض من عالم ماتحت الأرض، ممن يكونون فيه قبيل الشيطان وذريته أشبه بالخلايا الهدامة السرية، وهم الذين يسعون سعياً حثيثاً للصد عن دين الله، وتفكيك أمر المؤمنين واضعافهم[2].

(١) من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك ص ١٤٥.
(٢) تفسير سورة الجن ص ٢٠.

وهكذا يعتبر الدكتور البهي أن عالم الجن مراد به ذلك العالم المتخفي عن الناس، وهم الدعاة الذين يعيشون في عالم السرية، في مجتمع يطارد فيه الإيمان ودعاته، وهو يحتم على المؤمنين بالله ـــ الذين يودون ممارسة مقتضيات الإيمان ـــ أن يعيشوا في عالم التخفي والسرية، حتى لايأتي مجتمعهم الإيماني هذا التقويض من قبل عناصر الشر الممثل في ابليس وجنده من البشر.

ويقول في موضع آخر: «والإيمان بعالم الجن بعد ذلك ليس سبيلاً للخرافة واعتقاداً أن بعض موجودات هذا الكون تعلم الغيب عن الله وعند الله، وتزود بها من يستخدمهم أو يسخرهم من الناس لمصلحة مادية، فقد وضع نزول القرآن حداً فاصلاً بين ماكان قد ساد اعتقاد العرب في هذا الشأن، ومايجب أن تنهجه البشرية منذ الرسالة، إزاء الواقع والغيب معاً، أما الواقع فهو لتجربة الإنسان وأما الغيب فعلمه عند الله وحده ﴿**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رَهَقا**﴾[1]، أي: قل يامحمد للمشركين وأعلن إليهم أنه كان هناك بعد رسالتك ونزول الوحي إليك رجال من الجن، وهم كهنة الأصنام «**يعوذون برجال من الجن**» أي: يستعيذون برجال من العالم غير المرئي، وهم من قبيل الشيطان وذريته على معرفة الغيب، لا عن الله ولا عن رسالتك، وإنما زادوهم حمقاً وجهلاً، إذ نقلوا إليهم من المعلومات على نحو: أن لله صاحبه وولدا ﴿**اتخذ الله ولدا**﴾[2]، وعلى نحو ماورد في قوله تعالى: ﴿**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا**﴾[3]، «**وأنهم ظنوا كما ظننتم**» أيها المشركون ﴿**أن لن يبعث الله أحدا**﴾[4] أي بعجزه عن البعث»[5].

(١) سورة الجن الآية ٦.
(٢) سورة البقرة الآية ١١٦.
(٣) سورة الأنعام الآية ١٣٦.
(٤) سورة الجن الآية ٧.
(٥) تفسير سورة الجن ص ٢٠ ـــ ٢١.

يقول البهي: «ولذا فليست هناك إلا حالة واحدة، ومن يعتقد بحياة الدنيا وحدها فهو من المشركين الماديين، فهم إخوان لكم في الوثنية المادية وفي الضلال»(١).

ثم يقول: «الإيمان بعالم الجن ليس سبيلاً لترويج فكرة العفاريت وفكرة القرين أو القرينة، مما يعوق الإنسان في الحياة ويسد عليه منافذ نشاطه الخاص، معتمداً على الله ومتوكلاً عليه، ولا لترويج التصورات الخيالية التي قد يطلق عليها اسم خوارق العادات، مما من شأنها أن تجعل الناس يعيشون في ظلال الأوهام، وترتب مالا قد يقع في الحياة أبدا»(٢).

وهكذا يقرر البهي أن الإيمان بعالم الجن ــ ذلك العالم المخلوق من النار والذي لايعترف به ــ سبيل لترويج الخرافة، ولذا لابد أن يكون المقصود به البشر المتخفين وغير الظاهرين للناس، وعند ذلك لايبقى أساس للخرافة وترويج فكرة العفاريت ــ كما يزعم.

وأخيراً فإنه يطرح الافتراض الأخير فيقول:

«وافترض أن هناك عالماً ثالثاً يتميز عن عالم الملائكة وعالم الإنس، ويتقابل تماماً مع أي منهما هو عالم الجن، يحتم مثل هذه الأسئلة:

مم خلق هذا العالم؟ فإذا كان الجواب أنه من نار لقوله تعالى: ﴿**والجانَّ خلقناه من قبل من نار السموم**﴾(٣)، فيسأل بعد ذلك: مم خلقت الملائكة، وعالمها تماماً يقابل عالم الجن على هذا الافتراض؟ فإذا كان الجواب: أن الملائكة خلقت من نور ــ كما يقال ــ يسأل الآن: ماهو الفرق بين النار والنور؟ أليست الشمس ناراً

(١) تفسير سورة الجن ص ٢١.
(٢) نفس المصدر ص ٢٢.
(٣) سورة الحجر الآية ٢٧.

ملتهبة، ومع ذلك تشع النور كما تشع الحرارة في العالم؟ وأليس النور عرضاً ومظهراً للنار؟ وأليست النار منبعاً للنور؟»[1].

ومما تقدم من كلام الدكتور البهي يمكننا أن نستخلص الأمور التالية:

١ ـــ أن اسم الجن يطلق على الملائكة باعتبارهم غير مرئيين وغير ظاهرين للبشر.

٢ ـــ أن اسم الجن يطلق كذلك على ابليس باعتباره واحداً من الملائكة عصى ربه، عندما أمر الله ملائكته بالسجود لآدم.

٣ ـــ أن عدم التفريق بين النار والنور ـــ باعتبارهما مادة لخلق الملائكة والجن عند الدكتور البهي، بعد افتراضه جدلاً الإقرار بوجود الجن ـــ جعله يجوز خلق الملائكة من النار وخلق الجن من النور، لعدم تفريقه بين النار والنور، وأنهما مادة واحدة.

٤ ـــ استحالة جعل الصفات العضوية كالقلوب والآذان والأعين، أو الصفات الأخرى كالتزواج وحصول الذرية، والطعام والشراب، أن تكون من صفات القوى النارية ـــ على حد قوله ـــ وأن هذه الصفات يختص بها البشر فقط، وبناء على ذلك فإن مفهوم كلامه يستدعى عدم الاعتراف بأن يكون للملائكة قلوباً وأجنحة، إذ أنها صفات عضوية لاتكون إلا للبشر، مع ورود الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بتأكيد ذلك.

٥ ـــ أن اسم الجن يطلق على فريق من البشر غريب وغير معهود: خيِّر أو شرير يعيش في عالم التخفي، ولأنه غريب وغير ظاهر أطلق عليه اسم الجن، ومن هذا العالم المتخفي ـــ في نظره ـــ النفر الذين قدموا على الرسول ﷺ وهو بمكة، واستماعهم للقرآن منه، ومنهم النفر الذين قدموا في بيعة العقبة كذلك، ثم انطلاقهم إلى قومهم منذرين، وهم الذين ورد

(١) تفسير سورة الجن ص ٢٢ ـــ ٢٣.

ذكرهم في سورتي الأحقاف والجن كما تقدم. ومن هؤلاء كذلك الجن الذين سخرهم الله للنبي سليمان عليه السلام، إذ هم نفر من البشر غير الظاهرين كما يزعم.

٦ ــ وبالتالي فإن الجن الذين ورد ذكرهم في مواضع متعددة من القرآن الكريم والسنة النبوية ــ وأنهم عالم متميز عن عالمي الملائكة والإنس، وأن لهم صفات تختلف عنهما ــ هذا العالم لاوجود له على الإطلاق في نظر الدكتور البهي؟!

الرد على الدكتور البهي :

إن الدكتور البهي لم يعتمد فيما ذهب إليه على دليل من القرآن أو السنة، أو قول مأثور عن أحد من الصحابة أو التابعين، أو العلماء أو المفسرين الذين هم أعرف بتأويل القرآن من غيرهم، ولم تكن اللغة العربية بجانبه عندما فسر الآيات القرآنية الواردة في الجن هذا التفسير المتعسف، بل كل اعتماده كان مبنياً على الظن والتخمين، ولذلك فإننا نجده يكثر من إطلاق كلمة قيل ويقال، وهي عبارات تدل على أن هذه الرواية التي تروي مبدأه بقيل ويقال، إنما هي رواية مرجوحة كما هو معروف في اصطلاح المحدِّثين، بالإضافة إلى أنه لم ينسب هذه الرواية إلى أحد قيلت عنه على الإطلاق، بل أوردها معرَّاة عن النسبة إلى أحد من العلماء أو الأشخاص الذين قالوها، أياً كانت مرتبتهم العلمية. فمثلاً نجده يقول في بداية كلامه الذي أوردناه: وقد يطلق الجن على فريق خيِّر من الناس: غريب وغير معهود، ولأنه غريب وغير معهود كان بمثابة غير المحسوس وغير المرئي». فنجده قد بدأ بكلمة: (وقد) التي تفيد الشك وعدم اليقين في مثل هذه الصيغ، فعلى أي شيء اعتمد في جواز هذا الاطلاق على نفر غريب وغير معهود من البشر؟!.

إن مادة جن إنما تدل على الاستتار والاجتنان كما تقدم، فيقال: جنَّ عليه الليل: إذا أظلم وغطى عليه، وأما الجن فإنه لايطلق إلا على ذلك العالم المستور

الذي يقابل الملائكة والإنس»[1]، ولم يذكر علماء اللغة من العرب اطلاق كلمة: جن على ذلك النفر من البشر، الذي يتخفى ولايظهر.

ثم إن الدكتور البهي قد استدل على تأويله لما في الآيات القرآنية في سورتي الأحقاف والجن ــ وأن المقصود بهما ذلك النفر الغريب وغير المعهود من البشر، كان قد قدم على الرسول ﷺ وهو بمكة ــ بما جاء في السيرة من أن ذلك الوفد قدم إليها من يثرب قبل الهجرة بسنتين.

ونحن نقول له: من الذي قال ذلك من المفسرين؟ ومن الذي لجأ لهذه التأويلات البعيدة عن الصواب؟. لقد اطلعت على التفاسير المشهورة فلم أجد أحداً منهم أطلق اسم الجن على ذلك النفر من البشر الذي قصده البهي. ولم يفسر أحد منهم ماورد في سورتي الجن والأحقاف الجن بمثل مافسره به على الإطلاق، وعندما نقرأ كتب التفاسير، نجد علماء التفسير يتحدثون في تفسير آيات الجن عن ذلك العالم الذي خلقه الله من النار وكلفه بالتكاليف الشرعية، معتمدين في ذلك على اللغة، وماهو معلوم من الدين بالضرورة ــ وأن الجن اسم لعالم مخصوص يختلف عن عالمي: الملائكة والإنس ــ وعلى ماورد في الأحاديث من وفادة الجن على الرسول ﷺ، وهذه التفاسير قد تلقتها الأمة بالقبول، وأثنى عليها العلماء الثقات، وهي الأصل الذي يعتمد عليه إذا التبس على أحد تفسير آية من كتاب الله.

ثم أين يذهب البهي بأحاديث الرسول ﷺ التي تتحدث عن الجن ورؤيته لهم، وأن المقصود بهم ذلك العالم المخلوق من النار والمتميز عن جميع العوالم؟! لكن كل هذه الأحاديث يبقى لامعنى لها، وأن المراد منها ذلك النفر الغريب وغير المعهود من البشر الذي قصده البهي!!.

---

(١) راجع فصل تعريف الجن في بداية البحث.

وهو بعد ذلك يعتبر هذا النفر من البشر غير المعهودين للناس، الوارد ذكرهم في سورتي الأحقاف والجن ــ على حسب مايرى ــ هم النفر الذين قدموا على الرسول عليه السلام في بيعة العقبة، فبايعوه ثم رجعوا إلى المدينة، منذرين لقومهم من سوء العاقبة المترتبة على عدم الإيمان بالرسول وبما جاء به.

ونحن نقول له: إن أحداً من المفسرين لم يفسر آيات الجن في سورتي: الأحقاف والجن وغيرهما من السور بمثل مافسرته، فقد قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى في سورة الجن: ﴿**قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا**﴾[1] قال القرطبي: «أي قل يامحمد لأمتك أنه أوحي إلي على لسان جبريل أنه استمع نفر من الجن، وماكان عليه الصلاة والسلام عالماً به قبل أن أوحي إليه. واختُلف هل رآهم النبي ﷺ أم لا؟ فظاهر القرآن يدل على أنه لم يرهم لقوله تعالى: ﴿**استمع**﴾ وقوله: ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن**﴾[2] عن ابن عباس قال: «ماقرأ رسول الله ﷺ على الجن ومارآهم...»[3] الحديث وقد تقدم.

فالإمام القرطبي يتحدث عن وفادة نفر من الجن حقيقة على الرسول عليه السلام بعد أن منعوا من استراق أخبار السماء، في بعث بعثه ابليس إلى نواحي الأرض المختلفة، ليتعرفوا السبب الذي منعت من أجله الجن من استراق أخبار السماء، فكان النفر الذين مروا بنخلة قد وجدوا رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه صلاة الصبح، فعرفوا السبب الذي من أجله منعوا من استراق السمع، وهو

---

(١) سورة الجن الآية ١، ٢.

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٩.

(٣) تفسير القرطبي ٢٠١/١٩ من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة. باب الجهر بالقراءة في الصبح ٣٣١/١. وأخرجه أحمد في مسنده ٢٥٢/١.

مبعث الرسول، فاستمعوا لهذا القرآن ثم انطلقوا إلى قومهم منذرين، ثم نزلت الآيات في سورة الجن على الرسول مخبرة إياه باستماع نفر من الجن إليه ﷺ يقرأ القرآن، وذلك قوله تعالى: ﴿**قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا**﴾(١) فعلم الرسول بهم بعد نزول القرآن عليه، ولم يرهم هذه المرة على الراجح من أقوال العلماء، لكن وفادات الجن على الرسول قد تكررت. وفي هذه الوفادات قرأ عليه الصلاة والسلام القرآن على الجن ودعاهم إلى عبادة الله، وسألوه فيها الزاد، فزودهم العظم لهم والروث لدوابهم، ولذلك نهى الرسول عن الاستنجاء بهما، ونص على العلة بقوله: «فانهما زاد إخوانكم من الجن» كما تقدم، ولم يكن القرطبي ولاغيره من المفسرين يتحدثون عن نفر غريب وغير معهود من البشر، وهو ماقصده الدكتور البهي!.

وأما قوله بأن النفر الذين ورد ذكرهم في سورتي الأحقاف والجن إنما هم أصحاب بيعة العقبة، فقول لادليل عليه، ويبطله ما تقدم من أن النبي ﷺ لم يعلم بهم ولم يرهم حين استمعوا إلى القرآن منه في أول مرة، وأما بعد ذلك فقد رآهم في صور مختلفة، وهذه الصور لاقدرة للإنس على التشكل بها، فكيف يعتبر البهي هؤلاء الجن هم من البشر، ومنهم الذين قدموا على الرسول في بيعة العقبة؟!.

إن أصحاب بيعة العقبة هم من البشر، رآهم عليه السلام، ورآهم معه نفر من الصحابة، وبايعوه على الإيمان بالله، وهذه الحادثة التي بايعوه بها تختلف عن حادثة وفادة الجن عليه.

أما قوله: إن الرسول عليه السلام بعد مبايعة هذا النفر من البشر غير المعهودين لم يكن ليهاجر إلى المدينة في فراغ، حيث سبقه هذا النفر من البشر إليها، فدعا قومه إلى الدخول في دين الله، فنقول له:

---

(١) سورة الجن الآية ١.

إن الرسول عليه السلام قد بعث مصعب بن عمير إلى المدينة ليعلّم الناس الإسلام، وهو الذي هيأ المدينة ومهدها قبل هجرة الرسول إليها، ومصعب واحد من البشر الظاهرين للناس جميعاً في ذلك الوقت، وعندئذ نقول: إن الرسول عليه السلام لم يهاجر إلى المدينة في فراغ.

وإذا كان البهي يعتبر أن ماورد في سورتي الأحقاف والجن مقصود به هؤلاء النفر من البشر، الذين قدموا في بيعة العقبة، وهم غير معهودين وغير ظاهرين في ملئهم، فكيف يستطيع هذا النفر المتخفي أن يتصل بأهل المدينة بعد مبايعتهم للرسول عليه الصلاة والسلام، ماداموا غير قادرين على الظهور بين أهل المدينة، وكيف يكون اتصالهم بأهلها حسب زعمه؟!.

ان كتب السيرة تروي لنا أن مصعب بن عمير ــ وهو من البشر حقيقة ــ كان يجلس في حلقات يعلم أهل المدينة الإسلام، وكان من ثمار دعوته الصحابي الجليل سعد بن معاذ وقومه، فلم يكن هذا النفر إذن من الجن ــ أي من العالم غير المعهود ــ على حد قوله.

أما استغرابة لكيفية إيمان هذا النفر من الجن ــ الوارد ذكرهم في سورتي الأحقاف والجن ــ بالقرآن ومعرفته بالتوراة، فهو استغراب ليس في محله، إذ أن الجن عالم له عقل وسمع وبصر، وعندهم القدرة على التمييز بين الحسن والقبيح، كما تقرر في مبحث صفات الجن، وعندهم القدرة على الحركة السريعة، لأن الله أودع فيهم هذه الخصائص، ومادام الأمر كذلك فليس مستغرباً أن يأتي نفر من الجن من أماكن بعيدة أو قريبة، فيسمع القرآن من الرسول عليه السلام ويعقله ويتأثر به ثم يولي إلى قومه منذراً محذراً سوء العاقبة المترتبة على عدم الإيمان، وليس مستغرباً كذلك أن يكون هذا النفر عنده المعرفة بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، إذ ليس شرطاً أن يكون هذا النفر من الجن الذي استمع للقرآن ــ وجاء

على لسانه قوله تعالى: ﴿**إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه...**﴾[1] الآية ــ أن يكون هو نفس الجن الذي عاصر موسى عليه السلام وعرف التوراة واستمع إليها، فنحن البشر في الوقت الحاضر نقول: لقد سمعنا القرآن الذي يدعو إلى الهدى ومحاسن الأخلاق من الرسول عليه السلام، مع أننا لم نشاهد الرسول ولم نسمع منه، وإنما شاهده وسمعه أجدادنا من الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ، فنكون كأنما سمعناه نحن من الرسول.

أما قول البهي: ان الملائكة ــ وابليس معهم ــ قد اختبروا في طاعتهم لله عندما أمرهم بالسجود لآدم، وآنئذ عرف المطيع من العاصي، فلا داعي لتكليفهم من جديد على هذا الأساس، فقول مردود عليه:

لأن آدم عليه السلام اختبر عندما خلقه كذلك، وأمره بعدم الأكل من الشجرة، ولكنه أكل منها وخالف الأمر الرباني، ومادام الأمر كما يريد البهي فلا حاجة إذن لتكليف ذرية آدم من بعده، مادام أن مصير ذريته قد عرف بمعرفة ماحصل من أبيهم، إضافة إلى ذلك فإن الله عنده العلم الكامل بأعمال ذرية آدم، فلا حاجة لتكليفهم على هذا الأساس، وعندئذ فلا حاجة لإنزال الكتب وإرسال الرسل إلى عهد نبينا عليه الصلاة والسلام.

ونفس الأمر يقال في الجن بعد إخفاق إبليس في الامتحان، ثم إن الجن يغايرون ابليس، إذ أن إبليس واحد من الجن، فلابد من امتحان الجن وتكليفهم، لتقوم الحجة عليهم. بالإضافة إلى أنه يريد أن يحمل وزر إبليس إلى من بعده من الجن، مع أن الله يقول: ﴿**ولاتزر وازرة وزر أخرى**﴾[2]، فكيف نؤاخذ الجن بذنب لم يقترفوه، ولم يكن لهم دخل فيه على الإطلاق؟!

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٠.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٤.

أما ادعاؤه أن اطلاق اسم الجن على عالم يقابل عالم الإنس والملائكة يُخْرج الملائكة من عالم الجن الذي هم فيه أصل ـ على أساس أنهم متخفون لايرون، ويدخل فيه ذلك العالم المخلوق من النار ـ فهو ادعاء غير منطقي، إذ ما المانع الذي يمنع أن تكون الملائكة والجن مشتركة في هذا الإطلاق لعلة واحدة، وهي الاشتراك في التخفي وعدم الظهور مع تميز كل من العالمين عن بعضهما في سائر الصفات؟! ألا يوجد هنالك عوالم في هذا الكون تشترك في صفة ظاهرة بينها، ولكنها تتمايز في صفات كثيرة؟!.

ثم ان التمايز بين الملائكة والجن ظاهر في أمور أكثر من التي ذكرها البهي، فالملائكة مخلوقة من النور، لايعصون الله في أمر من الأمور، أما الجن فمخلوقون من النار، يطيعون ويعصون، والملائكة منهم الموكل بقبض الأرواح، وإنزال الكتب على الأنبياء، وغير ذلك من المهمات التي وكلهم الله بها، أما الجن فليس لهم نصيب من ذلك.

أما قوله: إن كلمة الجن جاءت أصلاً للملك فغير صحيح، إذ أن الملائكة مختصة باسم أطلق عليها دون غيرها، لايشترك فيه أحد من المخلوقات على الاطلاق، واسم الجن مختص بهذا العالم المخلوق من النار اختصاصاً أولياً، وما مشاركة الملائكة للجن في هذا الاسم إلا من باب الاشتراك في صفة التخفي وعدم الظهور، وعندئذ لايمكننا القول إن مشاركة الملائكة للجن في هذا الاسم في صفة واحدة، يجعل استحقاقهم لهذا الاسم استحقاقاً أولياً من دون الجن، فقد ورد هذا الاسم في القرآن والسنة واللغة عَلَما لذلك العالم المخلوق من النار، الذي يقابل الإنس والملائكة، ذكره القرآن باسم الثقلين، وميز بين الملائكة والجن في الخصائص والصفات.

«ثم إن القول بأن الملائكة من الجن[1] قول شاذ، والصحيح المشهور الذي

(١) إن أريد أن الملائكة من جنس الجن، وأن العوالم أنس وجن فقط فهو قول باطل، وإن أريد أن الملائكة من الجن من حيث إطلاق لفظ الجن عليها فهو شاذ.

عليه الجمهور أن العوالم العاقلة ثلاثة: الإنس والجن والملائكة»[1]. وقد قال بعض المفسرين: بأن الجِنَّة في قوله تعالى: ﴿**وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبا ولقد علمت الجِنَّة إنهم لمحضرون**﴾[2] إنما مقصود بها الجن، قال الألوسي: «أي والله لقد علمت الشياطين ــ أي جنسهم ــ أن الله تعالى يحضرهم، ولابد من النار ويعذبهم بها، ولو كانوا مناسبين له تعالى أو شركاء في استحقاق العبادة أو التصرف لما عذبهم سبحانه»[3].

ثم إن الخلاف في إطلاق لفظ الجن على الملائكة لم يحصل إلا في هذه الآية، وإلا فإن الجن في سائر المواضع في القرآن إنما يراد بهم الجن حقيقة.

وأما اعتبار البهي أن الجن الذين سخرهم الله للنبي سليمان عليه السلام بأنهم فريق من البشر غير المعهودين وغير الظاهرين للناس، وأن الذين كانوا يعملون بين يديه بإذن ربه، إنما كانوا فريقاً من العمال غير المهرة ــ ولذا كانوا بحاجة لإشراف سليمان عليهم ــ فيبطله أمور:

١ ــ أن لفظ الجن لايطلق حقيقة إلا على ذلك العالم المعروف، الذي يقابل عالم الإنس والملائكة، وإطلاقه على البشر المتخفي لايعرف في اللغة ولا في الشرع، ولم يرد في كلام أحد من المفسرين.

٢ ــ إن ادعاءه أن الجن الذين سخروا لسليمان عليه السلام هم فريق من البشر من العمال غير المهرة ــ كانوا يعملون بين يديه بإذن ربه، وهذا يدل على أنهم كانوا بحاجة لاشرافه عليهم ــ فهو ادعاء مناقض لما يدل عليه تنويه الله بشأنهم في قوله عنهم: ﴿**يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات**﴾[4]، فوصْفهم بالقدرة على عمل المحاريب والتماثيل والجفان الكبيرة والقدور

(١) فتاوى السبكي ٦١٣/٢ بتصرف.

(٢) سورة الصافات الآية ١٥٨.

(٣) تفسير روح المعاني ١٥١/٢٣.

(٤) سورة سبأ الآية ١٣.

الراسية فيه دليل على مهارتهم وقدرتهم التي تفوق قدرة البشر، وليس فيها مايدل على عجزهم وقلة مهارتهم حتى يشرف عليهم سليمان!.

ثم إن عملهم تحت يدي سليمان هو عين التسخير، حيث إنهم لايخرجون عن سلطته وإرادته بإذن الله، بل يعملون وفقاً لما يريد، مع اتصافهم بالمهارة في العمل، كما أن ذكر فريق آخر من الشياطين في قوله تعالى: ﴿**والشياطين كلَّ بنَّاءٍ وغوَّاص. وآخرين مقرَّنين في الأصفاد**﴾[1] يدل على ماقلناه، فحيث أن هذا الفريق من الجن كان متصفاً بالتمرد استلزم أن يقيدهم سليمان ويحد من نشاطهم بإذن الله، ولم يقل أحد أن هؤلاء كانوا عمالاً غير مهرة.

٣ ــ لو كان هؤلاء الذين سخرهم الله لسليمان من البشر المغمورين وغير المعهودين لما كان في تسخيرهم معجزة له، فإن المعروف أن المعجزة أمر خارق للعادة، فتسخير الرياح والطير والجن، وإذابة النحاس بغير آلة وغير ذلك، من الأمور التي لم يألفها البشر، ولو كان الجن المسخرين لسليمان عليه السلام من قبيل البشر المغمورين وغير المعهودين لما امتن الله بذلك على سليمان بقوله تعالى تعقيباً على ذكر هذه النعم: ﴿**اعملوا آلَ داود شكراً وقليل من عبادي الشكور**﴾[2].

اضافة إلى ذلك فإن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يمنعه أن يربط الشيطان الذي جاء ليقطع عليه صلاته إلا دعوة أخيه سليمان عندما قال الله عنه: ﴿**رب هب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي**﴾[3]، والشيطان الذي أمسك به عليه الصلاة والسلام هو من الجن وليس من الإنس غير الظاهرين كما يزعم البهي.

بالإضافة إلى أن تسخير الإنس قد نُص عليه من بين الأشياء التي سخرها الله

---

(١) سورة(صٓ) الآيات ٣٧ ــ ٣٨.
(٢) سورة سبأ الآية ١٣.
(٣) سورة(صٓ)الآية ٣٥.

لسليمان عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وحُشِر لسليمانَ جنوده من الجن والإنس والطير فهم يُوزَعون**﴾[1] وكلمة الإنس تبقى شاملة لكل شيء يُرى ويشاهد من البشر، سواء كانوا يعملون في مهمات سرية أو في مهمات علنية. وماسمي الإنس بهذا الاسم إلا لإدراك البصر إياه، أو لمؤانسته، وهذا يستلزم الرؤية كذلك، حيث لايحصل الأُنس من عدم الرؤية والمشاهدة، فتكرار كلمة الإنس بلفظ آخر في الآية ــ والتعبير عنه باسم الجن ــ تكرار يستلزم حصول فائدة أو معنىً جديداً، ولم يحصل من هذا التكرار شيء من ذلك في هذا الموضع، والقرآن منزه عن السرد اللفظي المجرد عن المعاني.

ومادام أنه قد اعتبر الجن المسخرين لسليمان عليه السلام بشراً مغمورين وغير معروفين، فإن اسم الإنس يبقى شاملاً لهم ولغيرهم من الناس المتخفين والمغمورين.

وإذا كان المقصود من حشر الجن لسليمان هو حشر فريق غير معهودين ولا معروفين للناس، فكيف يكون حشرهم مع الناس على رأيه؟! فهم إما أن يشاهدوا وعندئذ يكونون من الإنس لا من القوى النارية غير المعروفة، وإما أن لايشاهدوا فيكونون عندئذ من القوى النارية.

٤ ــ ولو كان المسخرون لسليمان عليه السلام نفراً من البشر المغمورين وغير المعهودين لما كان إطلاق البهي صفة العظمة والاتساع على ملك سليمان إطلاقاً سليماً، إذ كيف نصف هذا الملك بالعظمة والاتساع مادام فيه عمال غير مهرة على حد وصفه؟! إذ العظمة والاتساع تكونان في حالة كون المسخرين كلهم من المهرة الأقوياء.

٥ ــ إن دعوى التعارض التي افترضها البهي ــ بين قوله تعالى في سورة سبأ:

(١) سورة النمل الآية ١٧.

﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾[1] وبين قوله تعالى في سورة ص: ﴿والشياطين كلَّ بنَّاء وغوَّاص. وآخرين مقرَّنين في الأصفاد﴾[2] ــ دعوى باطلة، والقرآن منزه عن التعارض الذي افترضه، وهذه الدعوى مبنية على مذهبه في أن المراد بالجن في آية سبأ نفر من العمال البشر غير المهرة، والصحيح أن ماورد في الآيتين يراد به الجن، والشياطين إنما هم قسم منهم.

ثم إن مازعمه من التوفيق بين الآيتين باطل أيضاً، لأنه تفسير للشياطين المسخرين لسليمان ــ الوارد ذكرهم في سورة (صٓ) ــ بأنهم عمال مهرة من البشر.

أما عن قوله: بأن طلب سليمان عليه السلام الوارد في قوله تعالى: ﴿قال يأأيها الملؤا أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾[3] إنما يراد منه أن النبي سليمان جمع أصحاب الرأي عنده، وطلب منهم وضع خريطة تصور مملكة بلقيس كي يستعد لغزوها، وأن تكون جاهزة عنده قبل أن تأتي مسلمة هي وقومها ــ هذا التفسير من جانبه إنما هو تفسير متعسف للآيات القرآنية، قال عبد الوهاب النجار: «أما الطريقة التي أتى بها العرش على يد الذي عنده علم من الكتاب فشيء لم يكشف عنه العلم، وهو نص صريح قاطع الثبوت والدلالة، ومن التعسف تأويله بأنه خريطة بلادها كما يقول بعض من كتبوا في التفسير، وما دام الأمر معجزة خارقة للعادة فلا معنى للمكابرة»[4]، وهذا التفسير من جانب البهي لايعتمد على الحجة والدليل، بل يعتمد على الهوى، وهو مبني على ماتقدم من تفسيره للجن الذين يعملون بين يدي سليمان على أنهم من البشر المغمورين وغير

---

(١) سورة سبأ الآية ١٢.

(٢) سورة(صٓ)الآية ٣٧ ــ ٣٨.

(٣) سورة النمل الآية ٣٨.

(٤) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣٣٤.

المعروفين، ويَرِد عليه: أن هذا التفسير لم يرد عن الرسول ﷺ أو عن الصحابة والتابعين أو عن أحد من المفسرين، بل ورد مايناقضه.

ثم إن ظاهر النص القرآني يدل على أن سليمان طلب إحضار العرش الذي تجلس عليه بلقيس ـــ ملكة سبأ ـــ حقيقة، وصرْف اللفظ عن ظاهره إلى غيره من المعاني يحتاج إلى قرينة تدل عليه، ولم ترد مثل هذه القرينة.

وعلى فرض أن سليمان أراد من الحاضرين رسم خريطة لمملكة سبأ قبل غزوها، وتبرع عفريت ـــ وهو أحد الأقوياء واسعي الحيلة من البشر غير الظاهرين ـــ على حد زعمه ـــ فاستعدَّ هذا العفريت لرسم هذه الخريطة قبل أن يقوم سليمان من مقامه الذي كان يجلس فيه، فاستطول سليمان هذه المدة، حيث يريد الأمر أسرع من ذلك، ثم استعد الذي عنده علم من الكتاب ـــ وهو بشر من أهل الرأي في الاجتماع الذي كان يحضره سليمان ـــ بأن يحضر الرسم المطلوب قبل ارتداد طرف سليمان إليه، وهي ثوان قليلة جداً، فعلى كل هذه الافتراضات: أيكون بوسع هذا الإنسان ـــ المتميز بأن عنده رأياً ـــ أن يرسم خريطة لمملكة سبأ بهذه السرعة الخاطفة ـــ وهي قبل ارتداد طرف سليمان إليه؟! أم هي المكابرة بالمحسوس من جانب البهي؟!.

وهو يجوِّز اطلاق اسم الجن على فريق من القوى النارية ـــ وهي الشياطين التي تمتاز بالشر ـــ كما في قوله تعالى: ﴿**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رَهَقا. وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا**﴾[1]، لكننا لانلبث أن نجده يعود فيرجح أن يكون المقصود بهذه الآية في قوله تعالى: ﴿**برجال من الجن**﴾ على أنهم فريق آخر من البشر، كانوا ينكرون البعث، إضافة إلى الفريق الثاني من الإنس غير الظاهر للعيان، الذي يدور كلام البهي كله عليه، والسبب الذي

---

(١) سورة الجن الآية ٦، ٧.

جعله يلجأ لهذا الترجيح هو أن العرب كانوا يتصورون أن الملائكة هم من الإناث، وبما أن الملائكة يطلق عليها اسم الجن لتخفيها فإن ذلك يستدعي تناقضاً في ادعاء مشركي العرب في الجاهلية من أن كهانهم كانوا يلتقون برجال من الجن، وهذا التناقض غير جائز في ادعاء مشركي العرب كما يرى البهي. فحتى يستقيم المعنى عنده، فلابد إذن أن يكون المقصود من كلمة ــ **(رجال من الجن)** في الآية القرآنية هم الفريق الآخر من البشر الذين كانوا ينكرون البعث، وعلى هذا الأساس فإن التقاء كهان مشركي العرب يكون عندئذ مع فريق من البشر أيضاً، ولكنهم كانوا يدعون معرفة علم الغيب، وهذا ماقصد أن يتوصل إليه.

ومما رجح هذا عنده أن المعروف بالذكورة والأنوثة هم البشر وحدهم وليست الملائكة، وعندئذ لايكون تناقضاً في ادعاء العرب من أن كهانهم كانوا يلتقون برجال من الجن، إذ الجن في الآية التي ذكرت أنهم كانوا يعوذون بهم إنما هم الفريق الآخر من البشر الذين كانوا يدعون معرفة علم الغيب، وهم الموصوفون بالذكورة والأنوثة.

والذي ألجأه لهذا التأويل اعتقاده امتناع أن يكون في القوى النارية ذكور وإناث، وأن يكون لهم قلوب وأعين وأبصار، والذكور ماعبر عنه في الآية السابقة بـ**(رجال من الجن)**، ومادام فيهم رجال فإن ذلك يستدعي وجود الإناث، بالإضافة إلى أنه يدعم مراده بتفسيره لقوله تعالى: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**﴾[١]، فإن ذكر القلوب والأعين والأبصار إنما هي من صفات الإنس، ومادام الأمر كذلك فإن الجن في هذه الآية، إنما هم فريق من البشر غير المعهودين على حد زعمه.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٩.

وبناء على ماتقدم فإن البهي يرى امتناع أن تكون الصفات المتقدمة في القوى النارية، وعليه فقد اعتبر أن الآيات التي تتحدث عن أن للجن سمعاً وأبصاراً وآذاناً، أو عن غير ذلك من الصفات إنما هي مختصة بذلك النفر الغريب وغير المعهود من البشر، تأويلاً منه للنصوص على غير ماتحتمل، ونتيجة لهذا التأويل نجده يؤول كل آية في كتاب الله تتحدث عن الجن على أن المقصود بها ذلك النفر الغريب وغير المعهود من الناس، حتى إنه يقول: «وإذا تحدث الفقهاء عن زواج الجنية بإنسان، أو زواج الجني بأنثى من الناس في العالم المرئي، فلا يحمل ذلك إلا على أن بعض البشر الذين يتخفون في إيمانهم أو بوسوستهم للشر، قد اتصل في زواجه ببعض أفراد البشر في العالم المرئي»[١].

ونحن نقول له: بماذا نفسر حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه بعدما سأل الجن الزاد فقال لهم: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر مايكون لحماً، وكل بعرة علفٌ لدوابكم. فقال النبي ﷺ: «**فلا تستنجوا بهما، فإنهما زاد إخوانكم**»[٢]؟ أيكون العظم على هذه الأساس طعاماً لفريق من البشر الغريبين وغير المعهودين؟! مع أننا نعرف أن البشر لايأكلون العظم، بل يأكلون اللحم الذي عليه. ونحن نقول: إن العظم الذي نهانا الرسول عليه السلام عن الاستنجاء به إنما يعود أوفر مايكون لحماً لذلك المخلوق من الجن حقيقة، لأن الله خصهم بذلك دون الإنس، ولكل مخلوق طعامه وطريقته الخاصة في تناوله، وعودة العظم أوفر مايكون لحماً بعد أكل اللحم الذي عليه، من الأمور الغيبية التي لانعلم كنهها، فضلاً أن يكون طعاماً للإنس.

فالأمر الذي لايتصوره البهي على الإطلاق أن يكون الجن فيهم مثل هذه

---

(١) تفسير سورة الجن ص ١٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الصلاة. باب الجهر بالقراءة في الصبح ٣٣٢/١ وقد تقدم.

الصفات، فلابد إذن من حملهم على فريق من البشر متخفين وغير ظاهرين.

وفي تصوري أن هذا انهزام من جانبه أمام الحضارة المادية التي لاتؤمن إلا بالمحسوس، فكيف به يواجه هذه المادية ويقول لأصحابها: إننا معشر المسلمين نؤمن بعالم لاتدركه حواسنا، يتناكح ويتناسل، وله آذان وأبصار؟!.

وهو بعد هذا كله يبرر مثل هذا التأويل الذي لجأ إليه، وحمَّل النصوص فيه مالاتحتمل، إذ يرى أن الإيمان بمثل هذا العالم المتخفي من البشر ضرورة فردية واجتماعية في نفس الوقت:

أما فردية : فإن الذي يريد أن يصل إلى الإيمان الكامل، فإنه لايتحقق له ذلك في مجتمع يطارد المؤمنين، فلابد إذن من العيش في عالم التخفي.

وأما كونه ضرورة اجتماعية ـــ على رأيه ـــ فلأن مجتمع المؤمنين إذا لم يؤمن بعالم التخفي ـــ وهو عالم الجن على حد زعمه ـــ لايأمن أن يأتيه التقويض من عالم ماتحت الأرض وهم الشياطين وذريته من القوى النارية أو البشرية المعهودة المرئية.

وما أدرى لماذا يذهب الدكتور البهي إلى هذا الحد، ألا يعلم أن الله قد أمر المؤمنين في بداية الدعوة الإسلامية أن يعيشوا حياتهم الإيمانية سراً مخافة المشركين من أهل مكة، دون أن يقول الله لهم: إن هناك عالماً متخفياً من المؤمنين لاترونه، فعيشوا حياتكم مثله؟! ثم إن ظروف الدعوة ومايحيط بها من أخطار، تفرض مثل هذه السرية على الدعاة إلى الله، حتى يكونوا بمأمن من الكفر وسطوته، ودون اللجوء إلى الإيمان بعالم التخفي من البشر الذي قصده.

وأخيراً فإن البهي يضرب بآخر سهم لديه، ظاناً أنه سينتصر على معارضيه فيما ذهب إليه فيقول: وافترض أن هناك عالماً ثالثاً يتميز عن عالم الملائكة وعالم الإنس، ويتقابل تماماً مع أي منهما ـــ وهو عالم الجن ـــ يحتِّم مثل هذه الأسئلة:

مم خلق هذا العالم؟ فإذا كان الجواب: أنه من نار لقول الله تعالى: **﴿والجانَّ خلقناه من قبل من نار السَّموم﴾**[1]، فيسأل بعد ذلك: مم خلقت الملائكة وعالمها تماماً يقابل عالم الجن على هذا الافتراض؟ فإذا كان الجواب: أن الملائكة خلقت من نور كما يقال، يسأل الآن: ماهو الفرق بين النار والنور؟ أليست الشمس ناراً ملتهبة، ومع ذلك تشع النور كما تشع الحرارة في العالم؟ وأليس النور عرضاً ومظهراً للنار؟ وأليست النار تبعاً للنور؟»[2].

ونحن نقول له: إن النور لايستلزم أن يكون متولداً عن نار، فكم من جسم مضيء دون أن يكون هناك نار، ولو فرضنا أن النور لايكون إلا من نار، فإن ذلك لايستلزم أن يكون النور هو عين النار، وإلا للزم أن يكون كل شيء متولداً عن شيء آخر هو عين ذلك الشئ، ثم إن النار تمتاز بالاحراق، بينما النور يمتاز بالاضاءة، وفرق بين الاحراق والاضاءة.

والقرآن الكريم إنما عبر عن المادة التي خلق منها الجن بأنها نار مختلطة ببعضها على ماذكره المفسرون **﴿وخلَق الجان من مارج من نار﴾**[3] ومرة أخرى وصف هذه المادة بقوله: **﴿والجان خلقناه من قبل من نار السَّموم﴾**[4] وهي التي تنفذ في المسام.

أما الرسول ﷺ فقد ذكر أن الملائكة خلقت من نور، وأن الجان خلق من مارج من نار، فلو كانت النار والنور شيئاً واحداً لقال عليه الصلاة والسلام: خلقت الملائكة والجن من نار أو من نور، مع أن ذلك لم يرد في حديث الرسول عليه السلام، وتكرار الشيء بقوالب لفظية مختلفة دون فائدة مترتبة على ذلك منزه عنه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) سورة الحجر الآية ٢٧.
(٢) تفسير سورة الجن ص ٢٣.
(٣) سورة الرحمٰن الآية ١٥.
(٤) سورة الحجر الآية ٢٧.

وقد ذكر الله بأن ابليس ــ وهو من الجن ــ مخلوق من نار، في مواضع متعددة في القرآن الكريم، ولم يرد في آية خلق الجن من نور، وإطراد الشيء بهذا الشكل في جميع المواضع دليل على الفرق بين النار والنور.

أما قوله: أن الاعتقاد بوجود عالم الجن ــ ممن يكونون قبيل الشيطان وذريته ــ يعتبر سبيلاً لترويج الخرافة وفكرة العفاريت وادعاء معرفة الغيب، فغير صحيح على الاطلاق، إذ أن الإيمان بعالم الجن يكون سبيلاً لذلك ــ فعلاً ــ إذا بقيت الصورة عن الجن في الإسلام كما كانت عليه في الجاهلية، لكن الواقع أن الإسلام هو الذي صحح النظرة البشرية حول هذا المخلوق، ونفى أن يكون لهم سلطان في الأرض، أو أن يكون عندهم القدرة على معرفة علم الغيب، مما كان سائداً في الجاهلية وقت مبعث الرسول ﷺ، فقد أزال الإسلام كل الأساطير المتعلقة بهذا المخلوق وقرر أن الجن عالم مخلوق من النار، له إرادة واختيار، وأنه محاسب على أعماله في الآخرة.

وإذا كان السبيل لدفع القول بترويج الخرافة وفكرة العفاريت ــ نتيجة إيماننا بمثل هذا المخلوق من النار عند البهي ــ هو إنكار مثل هذا المخلوق وحمله على نفر من البشر غير الظاهرين، ممن كان كهنة العرب يتصلون بهم لمعرفة الغيب، فإننا نقول له: إن السبيل لهذا هو تجلية الصورة عن هذا المخلوق وبيان حقيقته، وابطال كل الخرافات المتعلقة به، فهذا هو السبيل لذلك، وليس بإنكارهم وتحريف النصوص كما فعل البهي.

وهكذا يتبين لنا أن التأويلات التي سلكها البهي في أن المقصود بالجن في الآيات القرآنية ذلك النفر الغريب المتخفي وغير المعهود، إنما هي تأويلات واهية صنعها من محض خياله، دون أن يعتمد في أي منها على كتاب أو سنة أو قول عن أحد الصحابة أو التابعين أو أحد المفسرين، أو عن أحد علماء اللغة.

وهذه التأويلات إنما تعتبر من قبيل تأويلات الباطنية، الذين يجعلون للنصوص

معاني باطنة، لاتدل عليها اللغة ولا الشرع، وتخالف مايفهمه المسلمون منها، كما في تأويل الشيعة لقوله تعالى: ﴿**مَرَج البحرين يلتقيان**﴾[1] بأن المقصود من ذلك علي وفاطمة، وكما في تأويلهم لقوله تعالى: ﴿**ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً**﴾[2] وأن المقصود بالظالم أبا بكر رضي الله عنه[3].

والبهي بتأويلاته هذه قد جمع بين إنكار مادل عليه الكتاب والسنة واجماع المسلمين على وجود الجن بحقيقتهم المعروفة من النصوص، وبين تحريف هذه النصوص ذلك التحريف الشنيع.

وكان الواجب على الدكتور البهي التقيد بالنصوص الصريحة المثبتة لحقيقة عالم الجن ــ وأنهم خلق مستقل في صفاته عن بقية العوالم ــ وعدم الخروج على الأصول التي درج عليها المسلمون، ودون اللجوء لتأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فإن جَحْد المعلوم من دين الإسلام بالضرورة، وتحريف الآيات بهذا الشكل يعتبر كفراً وردة عن الإسلام ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولِّه ماتولى ونُصْله جهنم وساءت مصيراً**﴾[4].

٣ ــ مع الشيخ طنطاوي جوهري والشيخ حامد محيسن عضو جماعة كبار العلماء بمصر سابقاً في تأويلهما لبعض الآيات المتعلقة بالجن.

لقد وقع هذان في نفس الانحراف عن منهج الحق الذي وقع به الشيخ محمد عبده والدكتور محمد البهي، حيث أوَّلا بعض الآيات القرآنية الدالة على وجود الجن تأويلاً يخالف المنهج السليم في المراد من هذه الآيات.

---

(١) سورة الرحمن الآية ١٩.
(٢) سورة الفرقان الآية ٢٧.
(٣) انظر الشيعة والسنة ص ٣٤ ــ ٣٥.
(٤) سورة النساء الآية ١١٥.

وإليك الحديث عن كل منهما :

(أ) مع الشيخ طنطاوي جوهري :

لقد فسر الشيخ جوهري بعض الآيات المتعلقة بالجن تفسيراً مخالفا لما أجمع عليه علماء المسلمين، فقد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا**﴾[1]: «وأما شياطين الجن فإنها تلك الأرواح التي كانت قلوبها في غطاء، فأصبحت في العالم الروحي كما كانت في الدنيا، فأصبحت ملحقة بالشياطين الذين يوسوسون إلى أمثالهم، لانغلاق أبواب السماء، ومفاتيح العلم بيد الله لايصلون إليها، فترتد نفوسهم إلى أهل الأرض، وتتسلى بما ترى من نفوس ناقصه، فتغريها بما كانت توده في الدنيا وعقولهم مقفلة، قد حكم عليها بذلك قصاصاً لها، فأصبحت نقمة على نفسها وعلى أمثالها من البشر، ولذلك سئلت بعض الأرواح فقيل لها: هل الأرواح تقدر على أذى الناس؟ فكان الجواب: كلا، وإنما الناس هم الذين يؤذي بعضهم بعضاً، وإنما الأرواح إذا قصدت الأذى، وسوست إلى الأحياء بما تريد، فهذا هو الأذى»[2].

إن هذا التأويل من الشيخ جوهري ــ من أن شياطين الجن مراد بها في هذه الآية بأنها الأرواح البشرية الشريرة التي فارقت أبدانها بعد الموت، واتصلت من هذا العالم الروحي بأمثالها من شياطين الإنس في الدنيا ــ تأويل فيه إنكار لشياطين الجن الذين نصت عليهم الآية القرآنية المتقدمة وغيرها من الآيات، وذكرتهم الأحاديث الصحيحة.

وأما شياطين الإنس فهم بشر، لكن صورتهم لاتشبه الشياطين، بل إن تصرفاتهم وإفسادهم في الأرض هي المشابهة لتصرفات الشياطين وافسادهم.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٢.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن ٤/١٠٧.

ثم من أين للشيخ طنطاوي أن الأرواح الشريرة بعد مفارقتها لأبدانها ــ بعد الموت ــ تتصل بأرواح الأحياء من البشر فتوسوس لها؟! ان المقرر في الإسلام أن الأرواح بعد مفارقتها للبدن: إما أن تكون في عليين أو في سجين، بحسب عمل صاحبها في الدنيا، لكن الأمر الذي يجب أن لايغيب عن الذهن هو: أن الشيخ طنطاوي جوهري يؤمن باستحضار الأرواح، ولذلك فإنه يعتبر أن هذه الأرواح الشريرة بعد مفارقتها للبدن تكون عندها القدرة على الوسوسة للأحياء من البشر في الدنيا، ونحن سنترك الحديث عن هذه القضية إلى الحديث عن استحضار الأرواح.

ثم إننا نجده يفسر قوله تعالى: ﴿**إلا من استرَق السمع فأتْبعه شهاب مبين**﴾[1] وقوله: ﴿**إلا من خَطفَ الخَطْفة فأتْبعه شهاب ثاقب**﴾[2] ــ تفسيراً مخالفاً للمراد من هذه الآيات فيقول:

«فهذه الخطفات التي يخطفها الناس من عالم الأرواح والعالم الأعلى هو غير عالم الحس، فخطفة تعطينا علماً، وخطفة تكون سبباً للهلاك، لأنها من شياطين مناسبين لمن كلموهم، فإن كانوا من المخلصين فالشهاب الثاقب يعطيهم نوراً وعلماً، وإن كانوا يريدون الحياة الدنيا، كان لهم عذاباً»[3].

وعلى هذا الأساس فإن الشيخ طنطاوي ينكر محاولة خطف الجن لأخبار السماء ورميهم بالشهب عند استراقهم للسمع، كما ورد ذلك في القرآن، ويفسر هذه الخطفات على أنها خطفات الناس في عالم الأحياء لبعض العلوم والمعارف من عالم الأرواح، وهذه الخطفات متنوعة ــ على حسب زعمه: فإن كانت هذه

---

(١) سورة الحجر الآية ١٨.
(٢) سورة الصافات الآية ١٠.
(٣) الجواهر في تفسير القرآن ١٢/٨.

الخطفات من أناس مخلصين في الدنيا اتصلوا بأرواح مخلصة كذلك، فإن هذا الاتصال يعطي علماً ونوراً، وإن كان هذا الاتصال وهذه الخطفات من أناس شريرين في الدنيا بأرواح شريرة في عالم الأرواح، فإنها تعطي عذاباً وشراً.

ونحن نقول له: إنك بتفسيرك هذا قد خالفت القرآن الذي أثبت استراق الجن لأخبار السماء ورميهم بالشهب، ولايجوز حمل ماورد فيه على تلك المعاني التي قصدها جوهري في تفسيره، لعدم وجود قرينة تدل على ذلك، بل ورد مايبطل ذلك ويدحضه:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل أناس النبي ﷺ عن الكهّان فقال: إنهم ليسوا بشيء. فقالوا: يارسول الله: فإنهم يحدِّثون بالشيء يكون حقاً، قال: فقال النبي ﷺ: تلك الكلمة من الحق يَخْطفها الجنيُّ، فيقرْقِرهُا في أذن وليه كقرقرة[1] الدجاجة، فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة»[2].

وعن عائشة أيضاً عن النبي ﷺ قال: الملائكة تتحدَّث في العَنان (والعَنان الغمام) بالأمر يكون في الأرض، فتسمع الشياطين الكلمة فتقرُّها في أذن الكاهن كما تُقَرُّ القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة»[3].

---

(١) القرقرة : ترديد الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه. انظر النهاية في غريب الحديث ٣٩/٤. وقال الخطابي وغيره معناه: أن الجني يقذف الكلمة إلى وليه الكاهن فتسمعها الشياطين كما تؤذن الدجاجة بصوتها صواحبها فتتجاوب، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢٢٦/١٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب التوحيد. باب قراءة الفاجر والمنافق ٥٣٥/١٣. وأخرجه مسلم بنحو هذا اللفظ. كتاب السلام. باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ١٧٥٠/٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب صفة إبليس وجنوده ٣٣٨/٦.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة جاء فيه: «... فيسمع ــ أي الجني ــ الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»(١).

فهذه الأحاديث قد أثبتت استراق الجن لأخبار السماء، ثم رميهم بالشهب حقيقة، فكيف بالشيخ طنطاوي جوهري يذهب إلى ذلك التأويل البعيد لآيات القرآن الكريم؟!.

ثم ما الغرابة أو العجب من استراق الجن لأخبار السماء ورميهم بالشهب وإنما الكل يدخل في مشيئة لله وقدرته؟! فإن الله قد جعل للجن القدرة على استراق السمع، ولكنه رصد لهم شهباً يقذفون بها.

وهو بهذا التأويل يكون قد خالف إجماع المسلمين لما فهموه من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ابتداء، حيث نزل القرآن باللغة العربية، والرجم في الآية إنما يفهم على أساس رمي الشياطين بالشهب عند استراقهم لأخبار السماء.

ثم إن الآية التي استدل بها صريحة في حفظ السماء من الشياطين، وهذا يدل على محاولتهم استراق أخبارها.

(ب) مع الشيخ حامد محيسن (عضو جماعة كبار العلماء بمصر سابقاً):

ولم يقتصر الأمر في تأويل الآيات القرآنية هذا التأويل المتعسف على هؤلاء فحسب، بل شاركهم في هذا التيه والضلال الشيخ حامد محيسن، فقد انتقد آراء

(١) من حديث آخرجه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير. باب حتى إذا فزع عن قلوبهم ٨/٥٣٧. وأخرج ابن ماجه نحوه في المقدمة. باب فيما أنكرت الجهمية ١/٦٩.

المفسرين القائلين: بأن معنى (رجوماً للشياطين) ــ في قوله تعالى: **﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين﴾**[(١)] ــ هي أن النجوم بجانب ازديان السماء بها، واهتداء السابلة[(٢)] بعلاماتها، قذائف للشياطين مسترقي السمع إلى أنباء السماء.

وقرر الشيخ محيسن أن معنى الرجوم في الآية: هو أن النجوم حجج واضحة قوية على وجود الله ومايجب له من صفات الكمال، فهي كناية بارعة بالغة عن قوة الحجة وسطوع البرهان المسكت للمجادل والمعاند، وأنها حجج يرجم بها الكافرون الذين استحقوا لكفرهم أن يسموا شياطين»[(٣)].

وهو نفس الضلال الذي وقع به البهي في تفسيره للشهب حيث يقول (أي البهي) في قوله تعالى: **﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرسا شديداً وشهبا﴾**[(٤)] (وأنا): أي رجال الجن حاولنا بعد نزول الوحي والقرآن وتكليف الرسول برسالة من ربه أن نسترق السمع من عالم السماء كما كنا نقول، أو كما كنا ندعي للكهنة، فلم ننجح. **﴿فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا﴾**: وسبب إخفاقنا أنا وجدنا أبواب السماء موصدة دوننا، وعليها حرس قوي، وفيها قطع من نار يقذف بها كل من يحاول القرب منها، وهذا كناية عن أن نزول القرآن وضع فاصلاً قوياً بين الخرافة وممارستها من جانب، والحق والواقع من جانب آخر، إذ بعد نزوله وقد اشتمل على كل الحقائق التي تتعلق بذات الله جل شأنه، والتي تتصل بالإنسان ومنهجه وسلوكه في الحياة، فرداً أو جماعة، لايمكن أن يكون للخرافة وضع في البشرية، كما لايمكن أن تكون هناك طبقة كطبقة الكهان تحترف بالعقيدة، تملي

(١) سورة الملك الآية ٥.

(٢) السابلة : المسافرون.

(٣) على مائدة المفسرين والكتاب ص ٢٦٤ بتصرف.

(٤) سورة الجن الآية ٨.

على الناس بدعوى علم الغيب، مما يعود عليها بالفائدة المادية وحدها، كما لايمكن أن يكون هناك طبقة أخرى تُسَخَّر للحصول على معلومات تتعلق بالله جل شأنه، وهي نفسها تقع تحت تأثير المادية، وتكفر بالحياة الآخرة كما تكفر بالله»(١).

فقد فسر البهي الشهب بالحقائق التي تتعلق بالذات الإلٰهية، وهي بذلك حقائق تقذف في وجوه المدعين للكهانة من الجن: الظاهرين وغير الظاهرين من البشر كما زعم، وهو نفس الزعم الذي زعمه الشيخ حامد محيسن.

والشيخ حامد محيسن يؤيد ماذهب إليه بعدة شبه لاتقوى على الوقوف أمام البرهان والحجة هي :

١ ــ أن في تصور محاولة الشياطين لاستراق السمع إلى أنباء السماء تهوينا لحرم الله، واستهانة بمكان تصرفه وتدبيره.

٢ ــ إنه لايعقل أن يتساوى الله وخلقه في اجراء المشاورات والمحاورات قبل إصدار أمره بما يشاء، حتى يكون هناك مجال لاستراق الشياطين لما يجري ثمة(٢) من كلام؟

٣ ــ أن سورة الملك جميعها تهدف إلى غاية واحدة هي لفت الأنظار إلى بديع آيات الله وجميل صنعه، ثم إن الآية السابقة(٣) تقرر خلو السماء من الفطور والشقوق التي نتيح للشياطين استراق الأنباء.

٤ ــ انه لايتصور أن يفهم فاهم أن النجوم التي جعلت زينة السماء وهداية في الأرض يمكن أن تكون قذائف للشياطين مستمعي أخبار الملأ الأعلى.

---

(١) تفسير سورة الجن ص ٢١ ــ ٢٢.

(٢) ثمة من كلام : أي هل هناك من كلام؟.

(٣) يقصد قوله تعالى في سورة الملك ﴿ماترى في خلق الرحمٰن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ آية ٣.

٥ ــ أن القرآن أنزل هداية للإنس، فكيف نتصور أن يكون فيه نذير على معصية يقترفها غيرنا من الجن أو الشياطين الذين لانفهم كنههم؟.

٦ ــ أنه لو صح أن نفهم أن معنى (رجوماً للشياطين) بأنها قذائف لمسترقي السمع منهم، لزم أن يكون ذلك منذ بداية خلق السمٰوات، ليوافق العطف بالواو على تزيين السماء بالمصابيح، إذ لايعقل أن يكون التزيين منذ البداية، والرجم عند بعثة النبي عليه الصلاة والسلام، ويعطفان بالواو»[1].

ويمكن دحض هذه الشبه بعدة أدلة منها :

(أ) أما ماذكره الشيخ محيسن من أن استراق الشياطين لأخبار السماء فيه تهوين لحرم الله واستهانة بمكان تصرفه وتدبيره فالجواب عليه:

أن استراق الشياطين الذي دل عليه القرآن والسنة لم يكن قهراً على الله سبحانه، بل كان لمشيئة وحكمة أرادها، وأن استراقهم يكون امتهاناً لحرم الله لو كان ذلك قهراً عليه سبحانه، وحاشا لله أن يقهره أحد.

(**ب**) أن كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد نصت على أن النجوم ــ بالإضافة لكونها زينة للسماء ــ هي رجوم للشياطين أيضاً ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿**ولقد جعلنا في السماء بروجا وزينّاها للناظرين. وحفظناها من كل شيطان رجيم. إلا من استَرق السمع فأتبعه شهاب مبين**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**إنَّا زينا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب. وحفظاً من كل شيطان مارد. لايسمَّعون إلى الملأ الأعلى ويُقْذَفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب. الا من**

(١) على مائدة المفسرين والكتاب ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥.
(٢) سورة الحجر الآيات من ١٦ ــ ١٨.

خطِف الخطْفة فأتبعه شهابٌ ثاقب﴾[1] وغير ذلك من الآيات الدالة على رمي الشياطين بالشهب عند استراقهم للسمع.

وقد تقدمت الأحاديث التي صرحت برمي الشياطين بالشهب. وقد دلت بعض الآثار على رميهم بها كذلك، فعن قتادة قال: «إن الله جلَّ ثناؤه خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بعد ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلَّف مالا علم له به»[2].

فماذا يقول الشيخ محيسن وأمثاله في مثل هذه الأحاديث والآثار؟!.

(جـ) إن قوله: بأنه لايعقل أن يتساوى الله مع خلقه في إجراء المشاورات والمحاورات قبل اصدار أمره بما يشاء فالجواب عليه:

أن إلقاء الله الأمر لملائكته لايعتبر من قبيل المشاورات والمحاورات، بل هو توجُّه الخطاب لملائكته بتنفيذ مايشاء، فتضرب الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، قال تعالى: ﴿**حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾**[3].

(د) وأما قوله بأن سورة الملك جميعها تهدف إلى غاية واحدة هي لفت الأنظار إلى بديع آيات الله وجميل صنعه فإننا نقول له:

إذا كانت سورة الملك تدعو إلى لفت الأنظار إلى بديع آيات الله وجميل صنعه، فإن تساقط الشهب عند رمي الشياطين بها آية من آيات عظمة الله، تنضم إلى الآيات الأخرى الدالة على عظمة الخالق، ثم إن الرمي بالشهب تذكير لنا بتساقط النجوم والشهب يوم القيامة.

---

(١) سورة الصافات الآيات من ٦ ــ ١٠.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب في النجوم ٦/٢٩٥.
(٣) سورة سبأ الآية ٢٣.

ورمي الشياطين بالشهب لايناقض مادلت عليه سورة الملك من خلو السماء من الشقوق والخلل، لأنه لايتصبور في حق الله أن يصف السماء بعدم الخلل والعيب، مع جعله الشهب التي زينت بها رجوماً للشياطين، فكيفية الرجم وحقيقة هذه الشهب لايعلمها إلا الله سبحانه.

(هـ) أما قوله: بأنه لايتصور أن يفهم فاهم أن النجوم التي جعلت زينة السماء وهداية في الأرض، يمكن أن تكون قذائف للشياطين مستمعي أخبار الملأ الأعلى فجوابه:

أن تصور الشيخ حامد محيسن وأمثاله لمثل ذلك تصور معتل، لأن مصدر ذلك إنما سببه إخضاع النصوص الدالة على رمي الشياطين بالشهب إلى تأويل مسبق في أذهانهم، حيث يصبح الرمي أمراً مستغرباً على هذا الأساس.

ولماذا يعترف الشيخ محيسن بأن النجوم جعلت زينة للسماء وهداية للمسافرين في الأرض، وينكر رمي الشياطين بها، مع دلالة الأحاديث والآثار على ذلك؟! ولماذا لم يقل بأن النجوم التي جعلت هداية للمسافرين يمكن أن تكون هداية للضالين والمنحرفين من الناس في عقائدهم وأفكارهم جرياً على تأويله في أن هذه النجوم حجج يرجم بها الكافرون؟!.

ويبدو أن استبعاده أن تكون النجوم رجوماً للشياطين مع كونها زينة للسماء ناشيء عن فهم خاطيء، وهو أن ذلك ـــ في تصوره ـــ يؤدي إلى خلو السماء من النجوم التي تتزين بها.

(و) أما قوله: بأن القرآن أنزل هداية للإنس، فكيف نتصور أن يكون فيه نذير على معصية يقترفها غيرنا من الجن والشياطين الذين لانفهم كنهم؟! فجوابه:

أن هذا الاستغراب إنما يرجع سببه إلى الجهل بتكليف الجن وإنذارهم بالقرآن، فالقرآن كما أنزل للإنس أنزل للجن وخوطبوا به، والآيات صريحة في ذلك، قال تعالى: ﴿**وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلا ليعبدون**﴾[1] فمن يروم استراق السمع فإن الله قد أرصد لها شهاباً يحرقه على تمرده وعصيانه.

(ز) أما قوله: بأنه لو صح أن نفهم أن معنى (رجوماً للشياطين) بأنها قذائف لمسترقي السمع منهم، لزم أن يكون ذلك منذ بداية خلق السمٰوات ليوافق العطف بالواو على تزيين السماء بالمصابيح، إذ لايعقل عاقل أن يكون التزيين منذ البداية والرجم عند بعثة النبي ﷺ ويعطفان بالواو، فجواب ذلك:

أن الواو لاتقتضي ترتيباً زمنياً، فليس معنى الآية: أن النجوم كانت زينة للسماء ثم جعلت رجوماً للشياطين مع مبعث الرسول ﷺ، إضافة إلى تزيينها السماء. فقد ذكر المفسرون أن الشياطين كانت ترجم بالشهب قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام ثم ازداد الرجم بها عند مبعثه، قال الإمام القرطبي بعد أن ذكر أقوال العلماء في رمي الشياطين بالشهب قبل البعثة: «والقول بالرمي قبل البعثة أصح لقوله تعالى: ﴿**فوجدناها مُلِئت حرساً شديداً وشهباً**﴾[2]، وهذا إخبار عن الجن أنه زيد في حرس السماء... ولما روي عن ابن عباس قال: «أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: فإنها لايرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش، ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٢) سورة الجن الآية ٨.

العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخبر بعض أهل السمٰوات بعضاً، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخْطف الجن السمع فَيَقْذِفون إلى أوليائهم ويرْمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يَقْرفون[1] فيه ويزيدون»[2]. وهذا يدل على أن الرجم كان قبل المبعث[3].

وقوله بأن الشهب لو كانت رجوماً للشياطين للزم أن يكون ذلك منذ بداية خلق السمٰوات، فغير لازم، إذ أن خلق النجوم منذ بداية خلق السمٰوات وجعلها رجوماً للشياطين لايستلزم الرمي بها عند خلقها، إذ أن وصف النجوم بأنها جعلت رجوماً للشياطين يدل على أنها خصصت لذلك، مع تزيين السماء بها، ففي أي زمان يحدث استراق الشياطين فإنهم سيرمون بذلك.

وهكذا نرى أن حجة الشيخ حامد محيسن ــ ومن بعده الدكتور البهي ــ حجة واهية، لاتقوم أمام الأدلة من القرآن والسنة والمعقول، وهي تعليلات باطلة، سببها الانهزام أمام المادية التي لاتؤمن إلا بالمحسوس، وقد تقدم بطلان ذلك.

ومما تقدم من أدلة المؤولين للنصوص الدالة على وجود الجن يتبين لنا أنها أدلة تعتمد على الهوى الذي لايثبت أمام الأدلة والبراهين الدامغة التي سقناها من كتاب الله وسنة نبيه، أو من كلام العلماء المسلمين.

والذين يؤولون بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن شياطين الجن ورميهم بالشهب، إنما هي تأويلات فاسدة كسابقتها، وكلها تكلف منهم لم يسعفهم فيه دليل على الاطلاق.

* * *

(١) يقْرفون : يخلطون فيه الكذب، انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٢٢٧/١٤.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب تحريم الكهانة ١٧٥٠/٤، وأخرجه أحمد في مسنده ٢١٨/١ والترمذي في سننه. أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة سبأ ٣٥٧/٨. وهذه رواية مسلم.
(٣) تفسير القرطبي ١٣/١٩.

المبحث الثالث
حكم من أنكر وجود الجن

تبين لنا مما تقدم من الحديث عن الأدلة على وجود الجن، على أن هناك عالماً حقيقياً اسمه الجن، خلقه الله من النار، وله حياته الخاصة، وأنه مكلف بالتكاليف الشرعية، وأنه يموت ويبعث للحساب على أعماله.

وهذه الأدلة على وجود الجن إنما هي مستمدة من القرآن الكريم، الذي صرح على وجودهم في آيات كثيرة، موزعة على سور شتى من القرآن.

ودل على وجودهم كذلك الأحاديث الصحيحة، بالاضافة إلى أن العقل لايستبعد وجود مخلوقات غائبة عن حواسنا.

وهذه الأدلة على وجودهم لايجوز انكارها أو تأويلها تأويلاً يؤدي إلى إنكار وجودهم، واعتبارهم نوعاً من البشر الغريبين وغير المعهودين، أو اعتبارهم أرواح تتصل بأرواح الناس، أو أنها تلك الأرواح التي تفارق أبدانها بعد الموت، فتتصل بما يماثلها من الأرواح في الحياة الدنيا، أو أي تأويل آخر بحيث يؤدي إلى إنكار وجودهم.

وان الذي ينكر وجود الجن أو يؤولهم تأويلاً يؤدي إلى مسح حقيقتهم فقد كفر، يقول ابن حزم: «فمن أنكر الجن أو تأول فيهم تأويلاً يخرجهم عن ظاهرهم فهو كافر مشرك حلال الدم والمال، قال تعالى: ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني**﴾[1] وقال ابن حجر الهيثمي: «وإنكار المعتزلة لوجودهم فيه مخالفة للكتاب والسنة والاجماع، بل ألزموا به كفرا، لأن فيه تكذيب النصوص القطعية بوجودهم، ومن ثم قال بعض المالكية: الصواب كفر من أنكر وجودهم لأنه جحد نص

---

(١) سورة الكهف الآية ٥٠، الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٢/٥ بتصرف.

القرآن والسنن المتواترة والاجماع الضروري»[1] وقال الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي: «وإذا كان وجود هذه الخليقة مستنداً إلى الأخبار اليقينية التي وردت إلينا من الكتاب، وفصلتها السنة، وكان أمرها معلوماً من الإخبارات الإلهية بالضرورة أجمع المسلمون على أن الإيمان بوجود الجن من المستلزمات الأساسية للإيمان بالله عز وجل، وأن إنكارهم أو الشك في وجودهم يستلزم الردة والخروج عن الإسلام.

إن انكارهم يستلزم نتيجتين اثنتين:

الأولى : إنكار شيء علم ثبوته من الدين بالضرورة.

الثانية : تكذيب الخبر المتواتر اليقيني، الوارد إلينا عن الله عز وجل، وهو يناقض الإيمان بالله جل جلاله، كما يناقض الإيمان بكتابه المعجز، وكلا هاتين النتيجتين تتنافيان مع الإسلام ومقومات الإيمان بالله عز وجل»[2]. وقال ابن تيمية: «فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء عليهم السلام تواتراً ظاهراً يعرفه العامة والخاصة، لم يمكن لطائفة من الطوائف المؤمنين بالرسل أن ينكروهم»[3] وقال الألوسي: «ونفي ذلك ــ أي الجن ــ كفر صريح كما لايخفى»[4] وقال الشيخ محمود شلتوت: «وبإخبار القرآن والكتب السماوية بوجود الجن كان إنكارهم تكذيباً لإخبار الله سبحانه، وبذلك يكون من لم يؤمن بعالم الجن غير مؤمن بالقرآن ولا برسالات السماء، وتكون محاولة تأويل هذه العبارات الواضحة تحريف للكلم عن مواضعه، وسلخا للألفاظ عن معانيها، وإفساداً لهذه المقابلة التي جاءت بها تلك الكتب بين الإنس والجن، وكان بعد ذلك ضيق عَطِنٌ[5] من المولعين بإنكار مالا يدركه الحس.

---

(١) الفتاوى الحديثية ص ١٢٣.

(٢) كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٩٩.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/١٠ بتصرف.

(٤) تفسير روح المعاني ٨٢/٢٩.

(٥) عَطَن، (الأَعْطَانُ) والمَعَاطِن: مبارك الإبل عند الماء، ومرابض الغنم أيضاً واحدها (عَطَنٌ ومَعْطَنٌ) انظر مختار الصحاح للجوهري ص ٣٢٧ ط. المركز العربي للثقافة والعلوم.

وإذن فليس في وجودهم شك، وليس في مسؤوليتهم عن التكاليف ومؤاخذتهم على التقصير شك، وليس في استعدادهم لاستماع القرآن وتلقيه وفهمه وتدبره والتأثر به شك، فكل هذا حق ولاريب فيه(١).

وعلى هذا وجب الاعتقاد الجازم بوجود الجن، وأنهم عالم حقيقي، ليس وهماً تخييلياً، ولاضرباً من النفوس البشرية، ولامن القوى البشرية الخبيثة، أو أنها نوع من الأرواح التي تتصل بالناس، فإن جميع هذه الأفهام والأوهام حول عالم الجن هي تحريف لكلام الله تعالى عن معانيه المرادة منه، وإنما الجن عالم حقيقي الوجود، له شأنه وأحكامه وصفاته كما تقدم.

إن الإيمان بعالم الجن هو كالإيمان بأي قضية غيبية أخرى كوجود الله والملائكة، والجَنَّة والنار واليوم الآخر، وإن المكذب بواحد من هذه القضايا يعتبر مكذباً بها جميعاً، لأنه في هذه الحالة يكون قد كذب ماجاء به القرآن والسنة النبوية، والإيمان كل متكامل لايتجزأ، فالإيمان بالملائكة مثلاً وإنكار الجن، يكون نقضاً للإيمان من أساسه، ومن أنكر معلوماً من الدين بالضرورة فقد كفر.

وقد وصف الله رسوله وعباده المؤمنين بقوله: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كُلٌ آمن بالله وملٓئكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾(٢).

(١) الفتاوى لمحمود شلتوت ص ٢٣.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

الباب الثاني

تكليف الجن

وفيه أربعة فصول : ـــ

الفصل الأول : إثبات تكليف الجن والإرسال إليهم.

الفصل الثاني : جنس الرسول المرسل إلى الجن.

الفصل الثالث : كيفية تكليف الجن.

الفصل الرابع : جزاء الجن في الآخرة.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

إثبات تكليف الجن والإرسال إليهم

المبحث الأول

الأدلة على تكليف الجن

نصت كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أن الجن مكلفون بالتكاليف الشرعية، وأنهم مأمورون بفعل الطاعات والقيام بالعبادات، وأنهم منهيون عن ارتكاب المعاصي والمحرمات، وأنهم مختارون لهذا الأمر والنهي، وهذا ماعليه جمهور أهل الإسلام. وهم بهذا كالبشر الذين كلفهم الله بالتكاليف الشرعية أمراً ونهياً(١).

وذهب قوم إلى أن الجن مضطرون، أي أنهم غير قادرين على فعل الطاعات أو ارتكاب المنهيات، وعلى هذا الأساس فهم غير مكلفين، وهذا يقتضي عدم الجزاء بالثواب على فعل الطاعات، وعدم الجزاء بالعقاب على ارتكاب المنهيات(٢).

وقد نقل القاضي عبد الجبار الهمداني هذا القول عن زرقان الذي حكاه عن بعض الحَشَوية(٣) على ماذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري(٤).

(١) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤١٨، وانظر تفسير القرطبي ١٦٩/١٧.

(٢) انظر آكام المرجان في أحكام الجان ص ٣٤.

(٣) الحشوية : بفتح الشين وإسكانها، وسبب تسميتهم حشوية أن طائفة منهم حضروا مجلس الحسن البصري بالبصرة، وتكلموا بالكلام الرديء عنده، فقال الحسن: ردُّوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أي جانبها ــ، فتسامع الناس ذلك وسموا الحشوية. أو لقولهم بالتجسيم، لأن الجسم محشو. وقيل: أن تلقبهم بها ناشيء من حشو صحاح الأحاديث بالأخبار الباطلة. والحشوية هم الذين حادوا عن التنزيه، وتقولوا في الله تعالى بأفهامهم المعوجة وأوهامهم الممجوجة. انظر مقدمة كتاب عصمة الأنبياء للإمام فخر الدين الرازي رقم ج الحاشية.

(٤) انظر فتح الباري ٣٤٤/٦.

والصواب الذي لاريب فيه أن الجن مكلفون أمراً ونهياً، مختارون لهذا التكليف، قال ابن القيم: «الصواب الذي عليه جمهور أهل الإسلام أنهم مأمورن منهيون، مكلفون بالشريعة الإسلامية، وأدلة القرآن والسنة على ذلك أكثر من أن تحصر، وإضافة القول إلى المعتزلة بتكليفهم، بمنزلة أن يقال: ذهب المعتزلة إلى القول بمعاد الأبدان، ونحو ذلك مما هو من أقوال سائر أهل الإسلام»(١). وقال الإمام القرطبي: «إن سورة الرحمٰن والأحقاف وقل أوحي دليل على أن الجن مخاطبون مكلفون، مأمورون منهيون، معاقبون كالإنس سواء بسواء، مؤمنهم كمؤمنهم، وكافرهم ككافرهم، لافرق بيننا وبينهم في شيء من ذلك»(٢). وقال الفخر الرازي: «وأطبق المحققون على أن الجن مكلفون»(٣)، ونقل مثل هذا القول ابن حجر العسقلاني عن القاضي عبد الجبار الهمداني(٤) ورجَّح القاضي عبد الجبار قول الجماعة بعد أن ذكر عن بعض الحشوية قولهم: بأن الجن مضطرون إلى أفعالهم وليسوا مكلفين، ثم قال: «والدليل للجماعة مافي القرآن من ذم الشياطين والتحرز من شرهم، وماأعد لهم من العذاب، وهذه الخصال لاتكون إلا لمن خالف الأمر وارتكب النهي، مع تمكنه من أن لايفعل، والآيات والأخبار الدالة على تكليفهم كثيرة جداً»(٥).

وإليك تفصيل هذه الأدلة:

أولاً : الأدلة من القرآن :

وردت آيات كثيرة تدل على تكليف الجن، وهي على أنواع مختلفة هي:

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤١٨ ــ ٤١٩ بتصرف، وانظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ١٢٧/٢.

(٢) تفسير القرطبي ١٦٩/١٧.

(٣) التفسير الكبير ٣١٣/٢٨.

(٤) انظر فتح الباري ٣٤٤/٦.

(٥) فتح الباري ٣٤٤/٦.

١ ـــ ماجاء من التصريح في الحكمة من خلق الجن والإنس.

وذلك في قوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يُطْعِمون**﴾(١). فالآية صريحة في أن الله قد خلق الجن والإنس للعبادة، وعلى هذا وردت أقول العلماء:

قال ابن عباس: « (إلا ليعبدون) أي إلا ليقروا بعبادتي، طوعاً أو كرهاً، وهذا اختيار ابن جرير الطبري»(٢).

وورد عن علي بن أبي طالب وابن جريج والربيع بن أنس أن معنى قوله تعالى: (إلا ليعبدون) أي إلا لآمرهم بالعبادة، وهو اختيار الزجّاج»(٣).

ويدل على ماتقدم قوله تعالى: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا إلٰهاً واحداً**﴾(٤) وهي عامة في الجن والإنس. قال ابن كثير: «ومعنى الآية: أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لاشريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم»(٥).

٢ ـــ ماورد عن صرف الجن إلى الرسول ﷺ، واستماعهم للقرآن منه.

(أ) قال تعالى: ﴿**وإذ صَرَفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين. قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم. ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به..**﴾(٦).

---

(١) سورة الذاريات الآيات ٥٦، ٥٧.

(٢) تفسير الطبري ٢٧/٨ الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٧/٥٥ وانظر تفسير فتح القدير ٥/٩٢.

(٤) سورة التوبة الآية ٣١.

(٥) مختصر تفسير ابن كثير ٣/٣٨٧.

(٦) سورة الأحقاف الآيات من ٢٩ ـــ ٣١.

فقد أخبر القرآن الكريم أن الله قد صرف الجن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام لاستماع القرآن منه، وسواء كان حضورهم إلى مكة ــ حيث كان الرسول عليه السلام يقرأ القرآن، بعد منعهم من استراق أخبار السماء ــ أو كان حضورهم بتوفيق من الله هداية لهم، على ماذكره الإمام الماوردي[1]، فإن في ذلك دلالة على استماعهم للقرآن منه عليه السلام وانصاتهم لسماعه. قال ابن القيم: وقوله تعالى: ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن**﴾[2] الآية، تدل على تكليف الجن من عدة وجوه:

أحدها: أن الله تعالى صرفهم إلى رسوله يستمعون القرآن ليؤمنوا به، ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه.

الثاني: أنهم أخبروا أنهم سمعوا القرآن وعقلوه وفهموه، وأنه يهدي إلى الحق، وهذا القول منهم يدل على أنهم عالمون بموسى وبالكتاب المنزل عليه، وأن القرآن مصدق له، وأنه هاد إلى صراط مستقيم، وهذا يدل على تمكنهم من العلم الذي تقوم به الحجة، وهم قادرون على امتثال مافيه، والتكليف إنما يستلزم العلم والقدرة.

الثالث: أنهم قالوا لقومهم: ﴿**ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به**﴾[3]. والآية صريحة في أنهم مكلفون، مأمورون بإجابة الرسول، وهو تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر[4]. اهـ.

وقال الألوسي في قوله تعالى: ﴿ **ياقومنا أجيبوا داعي الله**﴾ وهذا ونحوه يدل على أن الجن مكلفون[5].

---

(١) انظر أعلام النبوة ص ١٤٣ ــ ١٤٤.

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٩.

(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٠.

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢١.

(٥) تفسير روح المعاني ٢٦/٣٢.

وقال ابن كثير: «وفي هذا دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الثقلين: الجن والإنس، حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم وهي سورة الرحمن، ولهذا قال: (أجيبوا داعي الله)[1].

(ب) قوله تعالى في سورة الجن: ﴿قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجبا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا. وأنه تعالى جَدُّ ربِّنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ ــ إلى قوله ــ: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾[2].

وقد جاءت هذه الآيات إخباراً للرسول عليه الصلاة والسلام باستماع نفر من الجن إليه وهو يقرأ القرآن باصحابه، وذلك بعد أن منع الجن من استراق أخبار السماء، فعرفوا أن هذا المنع ماحصل إلا لشيء قد حدث في الأرض، فجابوا الأرض، فكان النفر الذين أخذوا نحو تهامة في بلاد الحجاز قد مروا على الرسول عليه السلام وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم منذرين، فأنزل الله تعالى إلى نبيه: ﴿**قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن...**﴾[3] الآية ولم يكن يعلم باستماعهم إليه على الراجح من الروايات في ذلك، وظاهر القرآن يدل عليه.

وقد دلت هذه الآيات على إيمانهم بالقرآن وأخذهم عهداً على أنفسهم أن

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٣/٣٢٧.

(٢) سورة الجن الآيات من ١ ــ ١٥.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٩/٢. ورد هذا المعنى من حديث أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح ١/٣٣١، وأخرجه أحمد في مسنده ١/٢٥٢. وأخرجه البخاري بلفظ مقارب. كتاب الأذان باب الجهر بالقراءة في صلاة الفجر ٢/٢٥٣.

لايشركوا بالله، وذلك في قوله تعالى عنهم: ﴿إنَّا سمعنا قرءاناً عجبا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾[1]، وقوله عنهم: ﴿وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به﴾[2]. ففي إيمانهم بالقرآن، ووصفهم له بأنه يهدي إلى الرشد، وعدم إشراكهم بالله، دلالة على أنهم مكلفون، وكذلك مسارعتهم لاستماعه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَدا﴾[3] أي: «لما قام رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقرأ القرآن اجتمع الجن عليه متلبدين متراكمين، حرصاً على جاء به من الهدى»[4]، فقد كانوا فرحين حريصين متأملين عند سماعهم للقرآن، وفي هذا دلالة على كمال عقولهم وهو يقتضي التكليف، وقد وردت آيات كثيرة تخاطب العقل كقوله تعالى: ﴿أفلا تعقلون﴾[5] وقوله: ﴿أفلا تذكرون﴾[6] وقوله: ﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾[7] وفي هذا دلالة على توجه الخطاب للعاقل، وقد تقدم أن الجن مخلوقات عاقلة مريدة مختارة، عندها القدرة على التمييز بين الحق والباطل.

٣ ــ مايتضمن التصريح بإرسال رسل إليهم :

قال تعالى : ﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصُّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى﴾[8].

ففي هذه الآية خطاب للجن والإنس يوم القيامة، وهذا الخطاب فيه تقرير من الله في أنه قد بعث رسلاِ إلى الجن والإنس «حيث يسألهم وهو أعلم: هل بلَّغتم

---

(١) سورة الجن الايتان ١،٢.

(٢) سورة الجن الآية ١٢.

(٣) سورة الجن الآية ١٩.

(٤) انظر تفسير كلام المنان ٧/٤٩٤.

(٥) سورة البقرة الآية ٧٦.

(٦) سورة يونس الآية ٣.

(٧) سورة الحشر الآية ٢.

(٨) سورة الأنعام الآية ١٣٠.

الرسل رسالاته؟»[1]، وبذلك يزول العذر وتنقطع الحجة لأي واحد من الجن والإنس، إذ بعث الله رسلاً يوضحون الطريق ويأمرون بعبادة الله وينهون عن معصيته، ولاشك أن أمر الرسل ونهيهم للجن والإنس هو محض التكليف، قال ابن القيم: «وهذه الآية تدل على أن الجن كانوا متعبَّدين بشرائع الرسل قبل محمد ﷺ، لكن دعوة أولئك الرسل كانت مقصورة على بعض الإنس والجن، أما رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام فهي عامة لجميع الجن والإنس»[2].

٤ ــ مايتضمن خطاب الجن والإنس معاً :

وذلك في سورة الرحمٰن في قوله تعالى بعد الحديث عن نعمه على عباده: ﴿**فبأي ءَالآءِ ربكما تكذبان**﴾[3]، حيث ورد هذا الخطاب في واحد وثلاثين موضعاً من سورة الرحمٰن، وفيه خطاب للجن والإنس معاً، وفي هذه المواضع امتنان من الله على عباده بهذه النعم التي لايجحدها إلا كافر.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ فقرأ سورة الرحمٰن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً[4] منكم، كلما أتيت على قوله ﴿**فبأي ءَالآءِ ربكما تكذبان**﴾ **قالوا:** «لابشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»[5] قال ابن القيم: «وهذا يدل على

---

(١) انظر مختصر تفسير ابن كثير ٦١٩/١.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢١ بتصرف.

(٣) سورة الرحمٰن الآية ١٣.

(٤) أي أحسن ردا.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه. كتاب التفسير. من سورة الرحمن قال عنه: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ٣٣/٩ وقد ورد الحديث بلفظ: «مالي أرى الجن أحسن ردا منكم» قال الهيثمى في مجمع الزوائد ١١٧/٧: رواه البزار عن شيخه عمرو بن مالك الراسبي، وثقة ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

ذكائهم وفطنتهم ومعرفتهم بمؤنة الخطاب وعلمهم أنهم مقصودون به»[1] ويقول: «وقد دلت سورة الرحمٰن على تكليفهم بالشرائع كما كلف الإنس، ولهذا يقول في إثر كل آية: ﴿فبأي ءَالآءِ ربكما تكذبان﴾ فدلَّ على أن السورة خطاب للثقلين معاً، ولهذا قرأها رسول الله ﷺ على الجن قراءة تبليغ، وأخبر أصحابه أنهم كانوا أحسن رداً منهم، فإنهم جعلوا يقولون كلما قرأ عليهم ﴿فبأي ءَالآءِ ربكما تكذبان﴾ لانكذب بشيء من آلائك ربنا فلك الحمد»[2].

٥ ــ مايتضمن تحدي الثقلين بالاتيان بمثل القرآن :

وذلك في قوله تعالى: **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾**[3].

فهو تحد للإنس والجن معاً في أن يقدروا على الاتيان بمثل هذا القرآن، ولكنهم لن يستطيعوا ذلك. وتوجُّه الخطاب بالتحدي للإنس والجن من دون الخلائق دليل على أنهم هم المعنيون بأمر هذا القرآن وما اشتمل عليه من أنواع الإعجاز المختلفة، وفي هذا دليل على تكليف الجن كالإنس.

٦ ــ مايتضمن بشارة المؤمنين من الجن بالثواب على أعمالهم وتحذير الكافرين والعصاة منهم بالعقاب على كفرهم ومعصيتهم في الآخرة:

وقد وردت البشارة بالتحذير في مواضع متعددة من القرآن منها:

(أ) قوله تعالى في سورة الأحقاف: **﴿أولَٰئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين. ولكلٍ درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾**[4].

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢٢.

(٢) نفس المصدر ص ٤١٧.

(٣) سورة الاسراء الآية ٨٨.

(٤) سورة الأحقاف الايات ١٨ ــ ١٩.

«فقد أخبر الله في هذه الآيات أن في الجن من حق عليه القول، أي: وجب عليه العذاب مع أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس، وفي هذا أبين دليل على تكليف الثقلين، وتعلق الأمر والنهي بهم، ثم قال بعد ذلك: ﴿**ولكلٍ درجات مما عملوا**﴾ أي في الخير والشر يوفونها ولايظلمون شيئاً من أعمالهم، فدل ذلك لامحالة أنهم كانوا مأمورين بالشرائع، متعبدين بها في الدنيا، ولذلك استحقوا الدرجات بأعمالهم في الآخرة في الخير والشر»[1].

وقوله تعالى كذلك: ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين**﴾[2].

«والانذار هو الاعلام بالخوف بعد انعقاد أسبابه، فعلم أنهم منذرون لهم بالنار ان عصوا الرسول عليه الصلاة والسلام»[3].

ثم ما جاء من أمر هذا النفر من الجن لقومهم بإجابة دعوة الرسول عليه السلام المستجابة لمغفرة الله لذنوب الجن ونجاتهم من العذاب، وذلك في قوله تعالى عن هؤلاء النفر: ﴿**ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم**﴾[4]. والذنب هو مخالفة الأمر وارتكاب النهي، وقوله: ﴿**ويُجِرْكم من عذاب أليم**﴾ وهذا يدل على أن من لايستجب منهم لداعي الله لم يجره من العذاب الأليم، وفيه بشارة لمن آمن بالرسول واستجاب لدعوته، وإنذار لمن كذب وعصى، وهذا صريح في تعلق الشريعة الإسلامية بهم»[5].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤١٩ بتصرف.
(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٩.
(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢١.
(٤) سورة الأحقاف الآية ٣١.
(٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢١ بتصرف.

ثم عقّب تعالى على ذلك بقوله عنهم: ﴿**ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين**﴾[1].

وهذا تهديد شديد لمن تخلف عن إجابة داعيَ الله منهم، قال الإمام الطبري: «يقول تعالى مخبراً عن قيل هؤلاء النفر لقومهم: ومن لايجب أيها القوم رسول الله محمدا ﷺ وداعيه إلى مابعثه بالدعاء إليه، وهو توحيده والعمل بطاعته، فليس بمعجز ربه بهربه إذا أراد عقوبته على تكذيبه داعيه إلى الإسلام وتركه تصديقه، وإن ذهب في الأرض هارباً، لأنه حيث كان فهو في سلطانه وقبضته، وليس لمن لم يجب داعي الله من دون ربه نُصَراء ينصرونه من الله إذا عاقبه ربه على كفره به وتكذيبه داعيه»[2].

(ب) قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿**ويوم يحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتَع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجَّلت لنا قال النار مثوٰكم خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم**﴾[3] ثم قوله بعد ذلك: ﴿**يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين**﴾[4].

فهذه الآيات تتحدث عن الجن والإنس وموقفهم من بعضهم بعضاً، واستذكارهم لاستمتاعهم ببعضهم في الدنيا «سواء كان بطاعة الإنس للجن فيما يأمرون به من الشهوات، أو التجاء الإنس بالجن عند النزول في واد أو قفر موحش لا أنيس به، وتلذذ بهذه الطاعة من قبل الإنس، التيٰ تشعر بسيادة الجن على

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٢.
(٢) تفسير الطبري ٣٤/٢٦.
(٣) سورة الأنعام الآية ١٢٨.
(٤) سورة الأنعام الآية ١٣٠.

الإنس»[1] فكان من نتيجة هذا الاستمتاع البعد عن طاعة الله، الذي ترتب عليه الخلود في النار كما نصت عليه الآية الكريمة.

وقوله: ﴿**قال النار مثوٰكم خالدين فيها إلا ماشاء الله**﴾ فيه خطاب للصنفين، وهو صريح في اشتراكهم في العذاب، واشتراكهم في العذاب يدل على اشتراكهم في التكليف.

وقوله في الآية الأخرى: ﴿**يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا**﴾ فيه إنذار لهم بالخوف من عذاب ربهم على لسان الرسل الذين بعثوا إليهم، إذا هم تنكبوا الطريق ولم يمتثلوا لهذا الانذار.

(جـ) قوله تعالى في سورة سبأ إخباراً عن سليمان عليه السلام: ﴿**ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير**﴾[2].

ففي هذه الآية تهديد للجن بالعذاب إذا هم خالفوا أمره تعالى في طاعة نبيه سليمان عليه السلام فيما يسخرهم به من القيام بشتى الأعمال التي يأمرهم بها، وهو يدل على تكليفهم، وإلا لما استحقوا العذاب على هذه المخالفة.

(د) ماجاء في سورة الرحمن من التهديد للجن والإنس في قوله تعالى: ﴿**سنفرغ لكم أيُّه الثقلان. فبأي ءَالآءِ ربكما تكذبان. يامعشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السمٰوات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان. فبأي ءَالآءِ ربكما تكذبان. يُرْسَل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران. فبأي ءَالآءِ ربكما تكذبان. فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدِّهان. فبأي ءَالآءِ ربكما تكذبان. فيومئذ لايُسْأل عن ذنبه إنس ولا جان. فبأي ءِالآءِ ربكما تكذبان**﴾[3].

---

(١) التفسير الكبير ١٩١/١٣ باختصار وتصرف.

(٢) سورة سبأ الآية ١٢.

(٣) سورة الرحمٰن الآيات من ٣١ ـــ ٤٠.

«فقد جاءت هذه الآيات بعد الحديث عن خلق النوعين: الإنس والجن في قوله تعالى: ﴿**خلَق الإنسان من صلصال كالفخار. وخلق الجان من مارج من نار. فبأي ءَالآءِ ربكما تكذبان**﴾[1]، ثم خاطب الله النوعين بالخطاب المتضمن لاستدعاء الإيمان منهم، وإنكار تكذيبهم بآياته، وترغيبهم في وعده، وتخويفهم من وعيده، وتهديده بقوله تعالى: ﴿**سنفرغ لكم أيُّه الثقلان**﴾ وتخويفهم من عواقب ذنوبهم وأنه لعلمه بها لايحتاج أن يسألهم عنها سؤال استعلام، بل ﴿**يُعْرَف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام**﴾[2]، ثم ذكر عقاب الصنفين وثوابهم، وهذا كله صريح في أنهم هم المكلفون المنهيون المثابون المعاقبون»[3].

وقوله تعالى ﴿**سنفرغ لكم أيُّه الثقلان**﴾ وعيد للصنفين المكلفين بالشرائع، قال قتادة: معناه فراغ الدنيا وانقضاؤها ومجيء الآخرة والجزاء فيها، والله سبحانه لايشغله شيء عن شيء، والفراغ في اللغة على وجهين: فراغ من الشغل، وفراغ بمعنى القصد، وهو في هذا الموضع بالمعنى الثاني، وقد قصد لمجازاتهم بأعمالهم يوم الجزاء»[4].

أما قوله تعالى: ﴿**يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السمٰوات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان**﴾[5] فعلى الراجح من أقوال المفسرين أن هذا خطاب للجن والإنس في الآخرة[6] عندما يجتمعون في صعيد واحد للحساب، جيث تكون الملائكة قد أحاطت بأقطار الأرض وأحاط سرادق النار بالآفاق،

---

(١) سورة الرحمٰن الآيات من ١٤ ــ ١٦.

(٢) سورة الرحمٰن الآية ٤١.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢٢ بتصرف.

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢٢.

(٥) سورة الرحمٰن الآية ٣٣.

(٦) انظر مختصر تفسير ابن كثير ٤١٩/٣ وانظر تفسير القرطبي ١٦٩/١٧ ــ ١٧٠.

فهرب الخلائق، فلا يجدون مهرباً ولامنفذاً، كما قال تعالى: ﴿**ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد. يوم تولون مدبرين**﴾(١). قال مجاهد: فارين غير معجزين. وقال الضحاك: إذا سمعوا زفير النار ندُّوا هرباً، فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا الملائكة ضفوفاً، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله تعالى: ﴿**والمَلَكُ على أرجائها**﴾(٢)، وعلى هذا فيكون المعنى: يامعشر الجن والإنس إن قدرتم أن تتجاوزوا أقطار السمٰوات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لايقدر على عذابكم في الآخرة فافعلوا. وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿**فيومئذ لايُسأل عن ذنبه إنس ولاجان**﴾(٣) فيه دليل على إضافة الذنوب إلى الثقلين، وهذا دليل على أنهما سوياً في التكليف»(٤).

وكذلك ما ورد من الآيات في ذم الشياطين ولعنهم والتحرز من غوائلهم وشرهم، وذكر ماأعد الله لهم من العذاب، وهذه الخصال لايفعلها الله تعالى إلا لمن خالف الأمر والنهي، وارتكب الكبائر وهتك المحارم مع تمكنه أن لايفعل ذلك، وقدرته على فعل خلافه، وهذا كله يدل على أنهم مكلفون(٥).

(هـ) ماجاء في سورة الجن من إخبار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام من استماع نفر من الجن إليه بقوله عنهم: ﴿**وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولارهقا. وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولٓئك تحرَّوْا رشدا. وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا. وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا. لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صَعَدًا**﴾(٦). ثم التعقيب في أواخر

---

(١) سوره عافر الأيتان ٣٢،٣٣.
(٢) سورة الحاقة الآية ١٧.
(٣) سورة الرحمٰن الآية ٣٩.
(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢٣ ــ ٤٢٤ باختصار.
(٥) انظر آكام المرجان في احكام الجان ص ٣٤.
(٦) سورة الجن الآيات من ١٣ ــ ١٧.

السورة بقوله: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾[1].

«فهو الجزاء من الله للمؤمنين من الجن والإنس على أعمالهم، فإن الله لا يبخس أحدا من عباده على عمل عمله في الدنيا، بالإضافة إلى أن الله لن يحمله في الدنيا أكثر مما يستطيع، أما في الآخرة فإن الله أعد للمسلمين نعيماً مقيما، لأنهم تحروا الصواب واختاروه عن معرفة وقصد، بعد تبين ووضوح. وأما القاسطون وهم الجائرون الظالمون المجانبون للعدل والصلاح، فهم حطب جهنم جزاء أعمالهم، ولو استقام هؤلاء النفر من الجن والإنس على الإسلام لأسقيناهم ماء موفوراً نغدقه عليهم، فيفيض عليهم بالرزق والرخاء، لنفتنهم فيه ونبتليهم أيشكرون أم يكفرون»[2].

وقد دلت هذه الآيات على أن الجن يجزون بأعمالهم خيراً أو شراً، وأنهم لايعذبون في النار، وهذا مترتب على تكليفهم في الدنيا بفعل الطاعات وترك المعاصي، وإلا لما كان هذا العذاب للعصاة منهم، والثواب للطائعين منهم كذلك.

ومن خلال ماتقدم يتبين لنا أن الجن مكلفون بنص القرآن، وأنهم هم والإنس في ذلك سواء، وأنهم سيحاسبون على هذا التكليف في الآخرة، فإن أحسنوا فلهم الجنة، وإن إساءوا فالنار مثواهم جزاء عادلاً من الله سبحانه.

ثانياً : الأدلة من السنة : ــ

وردت كثير من الأحاديث التي تثبت تكليف الجن، وأن رسول الله ﷺ قد قرأ عليهم القرآن، وأنهم مكلفون بالإيمان برسالته، فمن هذه الأحاديث:

١ ــ أخرج مسلم في صحيحه من حديث عامر قال: سألت علقمة: هل

---

(١) سورة الجن الآية ٢٣.

(٢) في ظلال القرآن ٢٩/٣٣٠ ــ ٣٣٢ باختصار.

كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو أغتيل[1]، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال فقلنا: يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم؟ فقال: أتاني داعي الجن فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم، وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر مايكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم، فقال رسول الله ﷺ: فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم»[2].

فقد دل هذا الحديث أن رسول الله ﷺ قد أتاه داعي الجن في إحدى الليالي، فذهب معه، وقرأ عليهم القرآن. وقراءته ـــ عليه السلام ـــ القرآن على الجن تدل على أنهم مكلفون بهذا الكتاب كما كلف به الإنس.

٢ ـــ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ماقرأ رسول الله ﷺ على الجن ومارآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: مالكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ماذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ماهذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهم بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ[3]، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له

(١) معنى استطير أي طارت به الجن، ومعنى اغتيل: قتل سرا.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الصلاة. باب الجهر بالقراءة في الصبح ٣٣٢/١.

(٣) عكاظ: أحد أسواق العرب المشهورة في الجاهلية.

وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: **﴿إنَّا سمعنا قرءاناً عجبا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾**(١) فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: **﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن...﴾**(٢).

فقد دل هذا الحديث على استماع الجن للقرآن وتعجبهم منه، ثم انطلاقهم إلى قومهم منذرين بهذا القرآن، ولاشك أن هذا يدل على تكليفهم، وإلا لما انطلقوا إلى أقوامهم محذرين من عدم الإيمان به، وهو ظاهر في تعلق الشريعة بهم(٣).

٣ ــ روى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«أمرت أن أتلو القرآن على الجن، فمن يذهب معي؟ فسكتوا، ثم قال الثانية، فسكتوا، ثم قال الثالثة، ثم قال عبد الله بن مسعود: أنا أذهب معك يارسول الله، فانطلق حتى جاء الحَجَون عند شعب أبي دُبّ، فخطَّ عليَّ خطًّا فقال: لاتجاوزه، ثم مضى إلى الحجون، فانحدر عليه، أمثال الحجل، يحدرون الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دفوفهم، كما تقرع النسوة دفوفها، حتى غشوه فلا أراه، فقمت، فاوحى إلي بيده، أن اجلس، فتلا القرآن، فلم يزل صوته يرتفع، ولصقوا بالأرض حتى ماأراهم، فلما انفتل إليَّ قال: أردتَ أن تأتيني؟ قلت: نعم يارسول الله، قال: ماكان ذلك لك، هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ثم ولوا إلى قومهم منذرين، فسألوني الزاد، فزودتهم العظم والبعر، فلا يستطيبن أحدكم بعظم ولابعر»**(٤)

---

(١) سورة الجن الآية ١، ٢.

(٢) سورة الجن الآية ١، أخرجه مسلم في كتاب الصلاة. باب الجهر بالقراءة في الصبح ٣٣١/١. وأخرجه الترمذي في سننه. كتاب التفسير ٦٢/٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أحمد في مسنده ٢٥٢/١.

(٣) انظر فتاوى السبكي ٥٩٩/٢.

(٤) أخرج علاء الدين الهندي في كنز العمال نحوه ونسبه لعبد الرزاق انظر كنز العمال ١٦٨/٦. وقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير حديثا قريبا منه ٨٥/١ عن الزبير بن العوام. وقد تقدم الحديثان.

فقوله عليه الصلاة والسلام: «**أمرت أن أتلو القرآن على الجن**» فيه دليل على تكليف الجن، حيث أمره الله سبحانه بقراءته عليهم، ثم قوله في الحديث: «**هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ثم ولوا إلى قومهم منذرين**» فيه دليل على تكليفهم كذلك، بعد استماعهم للقرآن انطلقوا منذرين محذرين من الاعراض عن كتاب الله، ولايكون هذا إلا فيمن كلفهم الله بالإيمان به والتبليغ لدينه.

٤ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرْسلتُ إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**»(١).

قال السبكي «ومحل الاستدلال قوله: «**وأرسلت إلى الخلق كافة**» فإنه يشمل الجن والإنس، وحمله على الإنس خاصة تخصيص بغير دليل، فلا يجوز»(٢). ثم يقول: «وحديث مسلم الذي استدللنا به أصرح الأحاديث الدالة على شمول الرسالة للجن والإنس»(٣).

وجاء من طرق هذا الحديث ماورد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**أرسلت إلى الجن والإنس، وإلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم دون الأنبياء، وجعلت لي الأرض كلها مسجدا وطهورا**»(٤).

---

(١) اخرجه مسلم في صحيحه. كتاب المساجد. المقدمة ٣٧١/١، والترمذي في سننه. كتاب ما جاء في الغنيمة ٢٧٣/٥. وأحمد في مسنده ٤١٢/٢.

(٢) فتاوى السبكي ٥٩٧/٢.

(٣) نفس المصدر ٥٩٧/٢.

(٤) قال علاء الدين الهندي في كنز العمال ٤٣٧/١١ ــ ٤٣٨: أخرجه البيهقي في السنن الكبرى عن ابن عباس. ولم أعثر عليه في السنن وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده ١٤٥/٥ نحوه عن أبي ذر، وجاء فيه قوله عليه السلام: «وبعثت إلى الأحمر والأسود» قال الأعمش: فكان مجاهد يرى أن الأحمر: الأنس، والأسود: الجن. وقد

قال السبكي: «وهذا الحديث أصرح من حديث مسلم، لكنه ليس في الصحة مثله»[1].

هذا وقد تكررت وفادات الجن على الرسول ﷺ، وقد ذكر الألوسي أنها ست وفادات كما تقدم. وفي إحدى المرات التي قرأ فيها الرسول عليه السلام القرآن عليهم تبعه رجلان منهم وهو يصلي بأصحابه، فصليا بصلاته، وهذا صريح في تكليفهم.

والأحاديث الواردة في قراءة الرسول عليه الصلاة والسلام القرآن على الجن، تفيد أنهم مكلفون بالتكاليف الشرعية، ومحاسبون على أفعالهم، واجتماع هذه الروايات مع بعضها آكذ في دلالتها على تكليف الجن من دلالتها على تكليفهم في حال انفرادها.



روى الطبراني عن ابن عباس حديثا طويلا جاء فيه: «وقال ـــ أي الله سبحانه ـــ لمحمد ﷺ: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ فأرسله الله إلى الأنس والجن. انظر مجمع الزوائد للهيثمي ٨/٢٥٤. قال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير الحكم بن ابان وهو ثقة. انظر مجمع الزوائد ٨/٢٥٥.

(١) فتاوى السبكي ٢/٥٩٨.

المبحث الثاني

شبه المنكرين لتكليف الجن والرد عليها

تبين لنا مما تقدم من الحديث عن عقائد الناس في الجن إنكار بعض الناس لوجود الجن، مع الإقرار بوجودهم عند غالبيتهم، مع انحراف في تصور بعض المقرين بوجودهم، من زعم بعضهم أن الجن مشاركون لله في الخلق والتدبير وزعم آخرين أن للجن سلطاناً في الأرض، وأنهم يعلمون الغيب، إلى غير ذلك من التصورات المنحرفة، فمن باب أولى أن ينكر هؤلاء تكليف الجن، مادام أنهم يجعلون لهم الهيمنة والتدبير في الأرض.

وعرفنا كيف لجأ فريق لتأويل الآيات الدالة على وجود الجن تأويلاً أدى إلى عدم الاعتراف بوجود الجن الذين خلقهم الله من النار، واقتصار هذا الفريق على إطلاق اسم الجن على الملائكة باعتبارهم غائبين عن الأبصار، واعتبار ابليس واحداً منهم، وماعدا ذلك ــ من عالمٍ خلقه الله من النار فيما يسمى بعالم الجن ــ فلا وجود له في نظر هؤلاء، واعتبروا أن المقصود من الآيات الوارد فيها اسم الجن، إنما هو ذلك النفر من البشر الغريبين وغير المعهودين كانوا قد قدموا على الرسول ﷺ من المدينة ــ وهو بمكة ــ فآمنوا به سراً دون أن يراهم أحد من الناس، ولأنهم غريبون وغير معهودين أطلق عليهم اسم الجن، كما لاحظنا ذلك عند الدكتور البهي.

وإذا كان البهي ينكر وجود الجن ويؤولهم بذلك التأويل المتعسف، فإنه من البداهة أن ينكر تكليفهم، ويعتبر أن التكليف إنما هو مقصور على البشر: ظاهرين وغير ظاهرين، ونحن سنذكر فيما يلي الأقوال التي تبين انكار البهي لتكليف الجن، وقصر هذا التكليف على البشر فقط.

فبعد أن يبين البهي أن من الذين يدخلون في عالم الجن ــ مع ملاحظتنا أن المراد بعالم الجن عنده الملائكة ومنهم إبليس ــ ملحقاً بطبائعه الأصلية ــ من يتخفى من عالم الإنس في إيمانه وكفره، فالمؤمنون منهم قريبون من الملائكة لصفاء أرواحهم والكافرون قريبون من ابليس في أخلاقه من حيث وسوستهم بالشر بين الناس، دون أن يعلم بهم أحد، والمؤمنون غير الظاهرين من هذا العالم ــ الذي أطلق عليه اسم الجن ــ هم الذين ورد ذكرهم في سورتي الأحقاف والجن ــ كما لاحظنا ذلك عنده ــ فيما تقدم، وأنهم هم الذين عرفوا اليهود بالمدينة، فشيء عادي أن يعرفوا عن التوراة وذلك بحكم جوارهم لهم.

بعد هذا يقول البهي: «فهذا الفريق الذي تخفّى، ولم يكن معروفاً للمكيين ــ حتى كذلك لرسول الله ﷺ ــ عند سماعه القرآن بمكة، ثم في إيمانه وفي دعوته، وتبشيره بين قومه، هو من البشر وليس من القوى النارية، ويرجح إلى درجة كبيرة من الترجيح، أن يكون من يثرب»[1].

ثم يقول: «أما إنه من البشر فقد ساقت آيات الجن والأحقاف معا ــ في عرض الوحي بشأنه عدة قضايا:ــ

القضية الأولى : إيمان هذا الفريق بوحدة الله في الألوهية **﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا إحداً﴾**[2].

القضية الثانية :حكم هذا الفريق على القرآن بعدما سمعوا منه بعض آياته ــ ويقال أن الذي تلي منه كان من سورة العلق ــ بأنه كتاب مصدق لما بين يديه من التوارة: **﴿إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مسقيم﴾**[3].

---

(١) تفسير سورة الجن للدكتور محمد البهي ص ١٠.

(٢) سورة الجن الآية ٢.

(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٠.

القضية الثالثة : دعوة هذا الفريق للإسلام بين قومه، ووعده لمن آمن منهم بغفران الله لذنوبه، وإنقاذه من عذاب أليم، ووعيده لمن بقي على كفره ومن لم يجب منهم داعي الله بنفاذ العقاب والعذاب فيه حتماً، مع وصف طريقه في الحياة بأنه طريق الضالين ﴿**ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجِرْكم من عذاب أليم. ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولّئك في ضلال مبين**﴾(١).

يقول البهي بعد عرض هذه القضايا الثلاث: «وهذه القضايا الثلاث جميعها تختص برسالة الله للبشر، فالبشر وحدهم هم المكلفون باتباع رسالة الله ﴿**يابني آدم إمَّا يأتينكم رسل منكم يقصُّون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون. والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولّئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾(٢) فرسالة الله ــ بما فيها من دعوة إلى الإيمان بوحدة الألوهية، وبما فيها من دعوة للمؤمن، ووعيد لمن بقي على كفره ــ هي للناس ولعالم الإنس، وليست لتلك القوى الأخرى التي خلقت من نار وهي الملائكة التي توجد في العالم الثاني، وهو العالم غير المرئي، أو عالم الجن، وذلك لأنه: ــ

أولاً : أن القوى النارية ــ وهي الملائكة ــ أختبرت في طاعتها لله عندما أمرها سبحانه بالسجود لآدم، وقد أطاعت جميعها عدا واحداً منها فقط وهو ابليس... والتكليف بالرسالة الإلّهية اختيار قائم لمن يطيع ولمن يبقى على كفره، وذلك وضع ليس موجوداً بين الملائكة، بعد أن سجدت لآدم، وهي لاتتوالد ولا تتناسل حتى يكون لها أجيال متتابعة، حتى يمكن أن يستمر اختبارها، لأن تعبير القرآن بقوله: ﴿**وإذ قلنا للملّئكة اسجدوا لآدم**﴾(٣) وبقوله في سورة الحجر:

---

(١) سورة الأحقاف الايات ٣١ ــ ٣٢، تفسير سورة الجن ص ١٠.
(٢) سورة الأعراف الآيات ٣٥ ــ ٣٦.
(٣) سورة البقرة الآية ٣٤.

﴿**فسجد الملئكة كلهم أجمعون. إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين**﴾[1] لأن تعبيره عن الملائكة بصيغة الجمع وبصيغة الشمول (**كلهم أجمعون**) يفيد أن ماأراده الله من أعداد الملائكة في كونه متكامل من أول خلقهم، بينما لم يوجد عندئذ ــ أي عند تكامل الملائكة ــ من عالم الإنس إلا آدم وحواء، إلا ذكر وأنثى فقط، مما يدل على أن هذا العالم سيتكاثر ويتزايد تباعاً، جيلاً بعد جيل، ولذا أرسل إلى البشر عدة رسل برسالة الله في عهود مختلفة من تاريخهم، وجاءت رسالة محمد ﷺ خاتمة الرسالات بدين الله إلى يوم البعث.

ثانياً : أن الملائكة لا ذنوب لها،لا قبل أمرها بالسجود، لأنها لم تعص، ولا بعد أن أطاعت فسجدت، فما معنى غفران الذنوب لها في قوله تعالى كما جاء على لسان فريق الجن هنا في سورة الأحقاف: ﴿**ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجِرْكم من عذاب أليم**﴾[2]؟ ثم ما معنى قول هذا الفريق أيضاً هنا: ﴿**ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولٓئك في ضلال مبين**﴾[3]؟ علماً بأن الذي عصى من الملائكة واحد وقد عرف، ثم لحقه بالفعل عقاب من الله، على أن يكون العقاب الأخير له في جهنم، كما ورد في قوله سبحانه: قال ــ (أي الله جل شأنه) ــ اخرج منها ــ (والخطاب موجه لابليس عند طرده من الجنة) ــ مذؤما مدحوراً ــ (أي ملعونا ومطرود) ــ لَمَنْ تبعك منهم ــ (أي من البشر) ــ (لأملأن جهنم منكم أجمعين)[4].

ثالثاً : لو كانت الملائكة ــ أو القوى النارية الخفية وهي الجن ــ مكلفة

(١) سورة الحجر الآيات ٣٠ ــ ٣١.
(٢) سورة الأحقاف الآية ٣١.
(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٢.
(٤) سورة الأعراف الآية ١٨، الكلام بين القوسين للدكتور محمد البهي تفسير سورة الجن ص ١١.

برسالةإلٰهية، لكان لها رسول منها وليس من البشر، أي من عالم آخر غير عالمها، وقد كانت سنة الله في رسالته أن لايرسل رسولاً إلى قوم إلا بلسانهم ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم**﴾[١] وذلك حتى تقوم الحجة على من يكلفون بالرسالة، ورسالة الرسول محمد ﷺ هي رسالة عامة، ولكن للناس دون غيرهم ﴿**وماأرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً**﴾[٢] والحصر في التعبير هنا يحول قطعا دون أن تكون رسالته لغير عالم الإنس[٣].

ثم يقول الدكتور البهي: «وعلى فرض أن تكون القوى النارية مكلفة، وأن رسولاً منها يرسل إليها من قبل الله، فإن هذا الرسول لايوجد على الأرض ﴿**قل لو كان في الأرض ملٰئكة يمشون مطمئنين لنزّلنا عليهم من السماء مَلَكاً رسولا**﴾[٤] يجيب القرآن الكريم بهذه الآية على المشركين الماديين في الجزيرة العربية لرسول الله سبحانه ومعارضتهم لرسالته، لأنه من البشر، كما عبر عن تحديهم هذا في الآية السابقة على هذه الآية وهي: ﴿**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا**﴾[٥].

أي: لم يمنع الذين عارضوا دعوة القرآن من الإيمان بها، إلا كون الرسول في نظرهم من البشر، وهذا التبرير في رفض رسالة الرسول لم يكن قاصراً على رسالته، بل تقريباً كل رسالة سبقت رسالته، وجدت من بين الأسباب المدعاة للرفض

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٤.
(٢) سورة سبأ الآية ٢٨.
(٣) تفسير سورة الجن ص ١٣ ــ ١٤ باختصار.
(٤) سورة الاسراء الآية ٩٥.
(٥) سورة الاسراء الآية ٩٤.

بشرية الرسول. ومعنى إجابة القرآن على هذا التحدي أن الملائكة ليست لهم صلاحية للاستقرار على الأرض التي يعيش فوقها عالم الإنس(١).

يقول البهي بعد ذلك: «فكيف إذن يستقر النفر من الجن ـــ وهو من القوى النارية ـــ الذي جاء الوحي به في سورتي الجن والأحقاف مكلفاً برسالة الرسول ﷺ فآمن بها، ثم أخذ يدعو إليها بين قومه، ورسالة الرسول هي للناس وحدهم؟.

وكيف يستقر هذا النفر من الجن ـــ وهو من القوى النارية ـــ على الأرض في نصيبين ـــ كما ذكر أكثر المفسرين ـــ ويأتي إلى مكة للاستماع إلى القرآن، والملائكة على العموم ليست لهم صلاحية الاستقرار ولا صلاحية الاطمئنان في سيرهم على هذه الأرض، حسب حجة الله في عدم إرسال الرسل من الملائكة من عالم الجن ـــ للناس؟.

ثم بعد ذلك: وأما أن هذا الفريق من الجن، أي من العالم غير المرئي يرجح أنه من أهل يثرب، فلأنه جاء على لسانه في سورة الأحقاف: ﴿**إنَّا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم**﴾(٢)، ويشير بذلك إلى التوراة، والتوراة كانت معروفة في الجزيرة العربية في شمالها، وعلى الأخص في بني قريظة وبني النضير بالقرب من يثرب، وفي تفسير أبي السعود أن هذا الفريق كان على ملة اليهود(٣)، ولكن من المرجح أنه كان من مشركي العرب في المدينة، وكان يسمع بحكم الجوار عن التوارة ومافيها من عقائد، وذلك لأنه جاء على لسانه أيضاً

(١) تفسير سورة الجن ص ١٤.
(٢) سورة الأحقاف الآية ٣٠.
(٣) انظر تفسير أبي السعود أواخر ص ٦٩ ط ١٣٧٢ ـــ ١٩٥٢ مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ـــ القاهرة.

في سورة الجن: ﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾[1]، أي: آمنا بالله وحده، وإعلان الإيمان بالله وحده لايكن من يهودي يؤمن بالتوحيد أصلاً، وإنما من مشرك يعتقد بالوثنية المادية، على أن الأقرب أن من يحضر إلى مكة، يحضر للحج، وهذا كان تقليد المشركين في الجزيرة العربية، واليهودي لم تكن له حاجة بذلك[2].

وأخيراً يقول البهي: «في عالم الجن ــ أي في العالم غير المرئي ــ مكلفون برسالة الرسول ﷺ، كما كان في هذا العالم من قبل مكلفون برسالة الرسل السابقين، وسيظل فيه مكلفون برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين، ولكن جميعاً من الناس الذي يخفون مباشرتهم للإيمان أو الشر»[3]. انتهى كلام الدكتور البهي.

الرد على الدكتور محمد البهي :

إن جملة الأدلة التي يتمسك بها البهي في إنكار تكليف الجن وتأويله للنصوص الدالة على ذلك، إنما تقوم على أساس إنكاره لوجود عالم خلقه الله من النار غير الملائكة، وأن مراده بهذا العالم ــ الوارد اسمه في القرآن والسنة ــ وهو نفر من الناس متخفون وغير ظاهرين، ومن ثم فإن الآيات والأحاديث التي صرحت بتكليف الجن ــ كما تقدم ــ إنما هي خاصة بهذا النفر من البشر، الذين أطلق عليهم اسم الجن ــ على حد قول البهي: إذ يعتبر أن التكليف مختص بالبشر فقط: ظاهرين وغير ظاهرين، أما أن يكون ذلك العالم المخلوق من النار مكلفاً بشريعة إلهية، فإن هذا مالايتصوره البهي على الإطلاق.

وعلى هذا الأساس فإن الرد عليه إنما يرجع لنفس الرد عليه في إنكاره لتكليف الجن، فلا داعي للإعادة، ونحن نضيف إليه الردود التالية:

---

(١) سورة الجن الآية ٢.

(٢) تفسير سورة الجن ص ١٥ ــ ١٦.

(٣) تفسير سورة الجن ص ١٧.

أولاً : إن قصره إطلاق اسم الجن على عالم الملائكة ـــ بما فيهم إبليس باعتباره واحداً منهم ـــ كما قرر ـــ فقط ـــ إطلاق قاصر، حيث أخرج هذا العالم المخلوق من النار من عالم هم فيه أصل، وأدخل عالم الملائكة فيه، مع أن اسم الجن إنما يطلق على ذلك العالم المخلوق من النار، والمميز عن الملائكة في صفات كثيرة، والذي تحدث عنه القرآن والسنة النبوية في مواضع متعددة، والملائكة إنما تدخل في هذا العالم على أساس أنها مجتنة عن الأبصار فلا ترى، لا على أساس أنها من الجن حقيقة، إذ هناك فرق كبير بين الملائكة والجن، من حيث المادة التي خلق منها كلاً منهما، ومن حيث الوظائف والخصائص التي تميز بينهما، إذ تقدم في الحديث الصحيح أن الملائكة خلقت من النور، والجن خلقوا من نار، وفرق كبير بين النار والنور كما أسلفنا.

وإذا تبين لنا بطلان ما ادعاه البهي من قصر إطلاق اسم الجن على الملائكة، وعلى إبليس باعتباره واحداً منهم كما قرر ـــ، وإنكاره لحقيقة الجن عالماً ثالثاً، مما يناقض الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، فإن مابناه على هذا الأساس من إنكار تكليف الجن باطل جملة وتفصيلاً، فطوائف المسلمين من أهل السنة وغيرهم، لم يقل أحد منهم بأن الملائكة مكلفة كالإنس، بل إن الملائكة مخلوقات فطرت على الطاعة، معصومة عن المعصية قال تعالى: ﴿**وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل عباد مُكْرَمون. لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾(١) وقال تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملئكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون**﴾(٢).

وإذا كان البهي يتصور أن الجن هم الملائكة فقط، بما فيهم إبليس ـــ ثم جاء ليبرر عدم حاجتهم لرسالة إلهية، تبشر المطيع منهم بالثواب، وتنذر العاصي

---

(١) سورة الأنبياء الآيات ٢٦ ـــ ٢٧.

(٢) سورة التحريم الآية ٦.

بالعقاب ــ فقد أخطأ خطأً فاحشاً، إذ لم يقل مسلم عاقل آن الملائكة تعصي، وأنها قاصرة على الاستقلال بالعقل وحده، حتى تكون بحاجة إلى رسالة إلٰهية، إنما المقرر شرعاً أن الجن والإنس وجميع المخلوقات هم الذين قصرت عقولهم عن تصور الذات الإلٰهية، ومايجب لها من صفات الكمال، وما يجب أن تنزه عنه، مما لايليق بها من صفات النقص، وبناء على هذا الأساس فإننا نقول مع الدكتور البهي: إن الملائكة قد أمرت بالسجود لآدم فأطاعت أمر ربها، وأنها لاتعصي الله في أمر من الأمور على الإطلاق، وعندئذ فإنها غير محتاجة إلى رسالة إلٰهية تدلها على الصواب.

أما أن يأتي البهي ليقصر اسم الجن على الملائكة فقط ــ ثم يأتي ليقيم أدلته بعدم تكليف الجن، الذين خلقهم الله من النار على هذا الأساس ــ فهذا مالانسلِّم له به على الإطلاق، وعندئذ نقول له: إن الجن عالم مخلوق من النار، يختلف عن الملائكة، وهو قاصر بمفرده عن معرفة الله ومايجب له من الحقوق على عباده، ومادام الأمر كذلك فهو بحاجة إلى رسالة إلٰهية، حاجته إلى ذلك كحاجة الإنسان الذي أختبر بالطاعة لله، مبتدأ بآدم وحواء عليهما السلام، حيث عصى أمر ربه، فقبل الله توبته، فكان أن أسكنه الأرض هو وإبليس بعضهم لبعض عدو، غير تارك هذا الإنسان فريسة للشيطان ونزعاته، بل أيده بالعقل، وبعث الرسل هادين، مبشرين ومنذرين، موضحين له الطريق، قال تعالى: ﴿**قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدىً فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون**﴾(١)، وقال: ﴿**قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدىً فمن اتبع هداي فلا يضل ولايشقى**﴾(٢)، ثم جاء بيان الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب فقال:

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٨.
(٢) سورة طه الآية ١٢٣.

﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾[1]، وذلك حتى يستقيم الإنس والجن على طاعة الله وعبادته، إذ هي الغاية التي من أجلها خلقوا ﴿**وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[2]، ومن ثم كانت عمومية بعثته عليه الصلاة والسلام للثقلين ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[3]، فهي الرسالة للجن والإنس على السواء.

وأما مايقوله البهي من أن الجن لم تكن موجودة عند اختبار الله لملائكته بالسجود لآدم، وعند اختبار آدم وزوجه بعدم الأكل من الشجرة التي نهاهم الله عنها ــ مادام أن الجن عالم يراد به ذلك العالم المخلوق من النار ــ فإن هذا القول لايبرر عدم القول بتكليف الجن، بل إن ماقاله البهي من عدم وجود الجن ــ عند اختبار الملائكة واختبار آدم ــ فباطل، لأن الجن كانوا موجودين قبل آدم بنص القرآن ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾[4]، أي من قبل خلق آدم، لكن أين كان وهل كان مأموراً بالسجود مع الملائكة؟ فهذا محل نظر، ويرجع إلى الخلاف في أبي الجن، وفي الجنس الذي منه ابليس، وسيأتي الكلام فيه.

فعلى القول بأن ابليس أبو الجن فالأمر واضح، إذ قد أمر بالسجود مع الملائكة، وأما على القول بأن أبا الجن غير ابليس، فلم يرد دليل على نفي تكليفه، في الوقت الذي أمرت فيه الملائكة بالسجود لآدم، وأمر آدم وزوجه بعدم الأكل من الشجرة، ولايمكن اللجوء إلى النفي مع عدم ورود دليل يدل عليه، فالنفي حكم يفتقر إلى الدليل كالاثبات، بالإضافة إلى أنه قد بنى حجته بعدم تكليف الجن ــ وقت أمر الله ملائكته بالسجود لآدم ــ على جزمه أن أبليس واحد من الملائكة، وماذهب إليه قول مرجوح كما سيأتي بيانه.

(١) سورة الحديد الاية ٢٥.
(٢) سورة الذاريات الآية ٥٦.
(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.
(٤) سورة الحجر الآية ٢٧.

وإذا كان آدم قد أختبر فأخفق في الامتحان ــ على حد تعبيره ــ فلماذا ترسل هذه الرسل المتتابعة لذرية هذا المخلوق من بعده، مادام أن أباهم قد امتحن وعرفت النتيجة؟!.

ثانياً: أما القضايا الثلاث الواردة في سورتي الأحقاف والجن التي عرضها البهي، وجعلها أساساً لتأويل الجن بفريق من البشر وهي: إيمان هذا النفر بعد استماعه للقرآن وحكمه عليه بأنه كتاب هداية، وأنه كتاب مصدق لما بين يديه من التوراة، وانطلاق هذا النفر إلى قومهم، داعين لهم إلى إجابة الرسول ﷺ، ومنذرين لهم سوء العاقبة إن تخلفوا عن إجابته، وأن ذلك كله لايمكن أن يكون من القوى النارية، بل هو خاص برسالة الله للبشر، لأن البشر وحدهم هم المكلفون برسالة إلٰهية ــ كما زعم ــ لقوله تعالى: ﴿**يابني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي...**﴾(١) الآيتان فهي دعوى باطلة.

فإن ماتصوره من أن الآيات التي نزلت في تكليف الله لعباده، إنما جاءت تخاطب الإنسان فقط ــ على نحو قوله تعالى: ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً. إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً**﴾(٢) وقوله: ﴿ **يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذَّكّرون**﴾(٣)، وغير ذلك من الآيات التي تخاطب الإنسان ــ فغير مسلم به للدكتور البهي، وذلك للأسباب التالية:

(أ) أنه بالإضافة إلى الآيات التي خاطبت الإنسان بالرسالة الإلٰهية، فقد وردت آيات كذلك تخاطب الجن والإنس معاً كقوله تعالى: ﴿**يامعشر الجن**

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ٣٥،٣٦.
(٢) سورة الدهر الآيتان ١،٢.
(٣) سورة الأعراف الآية ٢٦.

والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾(١)، وماورد من الإخبار الذي يتضمن معنى الخطاب في قوله تعالى: ﴿**وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾(٢)، وغير ذلك الكثير من الآيات التي فيها خطاب للجن والإنس معاً، فماذا يقول البهي في أمثال هذه الآيات الناطقة بتكليف الجن، وأمثالها من الأحاديث المصرحة بتكليفهم كذلك؟!.

(**ب**) أن مخاطبة الإنسان في مثل تلك الآيات التي ساقها البهي، التي يفهم من ظاهرها اختصاص الإنسان بالرسالة دون غيره كقوله تعالى: ﴿**قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً**﴾(٣)، وقوله: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس**﴾(٤)، إضافة إلى الأحاديث التي يفهم من ظاهرها كذلك اختصاص الإنسان بالرسالة، كقوله ﷺ: «...**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»(٥)، هذه الآيات والأحاديث التي يفهم من ظاهرها اختصاص الإنسان بالرسالة، لاتدل على ماذهب إليه «إذ أن اختصاص الإنسان بالرسالة يكون إذا كانت كلمة «الناس» من باب قول الأصوليين: بأن مفهوم اللقب حجة، وليس الأمر كذلك إذ أن كلمة «الناس» الواردة في الآيات والأحاديث المتقدمة، ليست لقباً، بل هي اسم جنس غير صفة، فلا مفهوم له، فقوله تعالى: ﴿**ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً**﴾ ليس فيه أصلاً مايفهم منه أنه ليس رسولاً إلى غيرهم إلا على

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٣٠.

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٨.

(٤) سورة سبأ الآية ٢٨.

(٥) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التيمم ٤٣٦/١. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب المساجد. المقدمة ٣٧٠/١ ــ ٣٧١ ولفظه: «كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود».

مذهب الدقاق[1]، الذي يقول بأن مفهوم اللقب حجة، وحتى الدقاق فإنه يقول بذلك حيث لم يظهر غرض آخر سواه في تخصيص ذلك الاسم بالذكر، وحيث ظهر غرض لايقال بالمفهوم، بل يحمل التخصيص على ذلك الغرض، والغرض في الآية التعميم في جميع الناس، وعدم اختصاص الرسالة ببعضهم، فلا يلزم منه نفي الرسالة عن غيرهم، لا على مذهب الدقاق ولا على غيره، وإنما خاطب الناس لأنهم هم الذين تغلب رؤيتهم والخطاب معهم ومجادلتهم، فمقصود الآية خطاب الناس، والتعميم فيهم لا النفي عن غيرهم. وقوله تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾**[2]، كذلك، بل وفيه زيادة أخرى وهي تقديم قوله: (كافة) على قوله: (للناس)، فإن ذلك أفاد أنه ليس المقصود حصر الرسالة بالناس حتى يكون التقدير: وما أرسلناك إلى أحد إلا للناس،فإن هذه لم تنطق به الآية ولا أفهمته، بل أشارت بخلافه بتقديم (كافة) وبالعدول في (الناس) عن (إلى) إلى اللام، فصار مقصود الآية إثبات عموم الرسالة ونفي خصوصها، فإن الرسالة أنواع: منها خاص، ومنها عام، فصار التقدير وما أرسلناك من الرسالات إلا رسالة عامة، كافة لجميع الناس، فلا يتوهم أحد أنها خاصة ببعض الناس، وحينئذ فلا تعرض فيها للجن البتة»[3].

وقوله تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**[4] حجة على البهي: «فقد أجمع المفسرون على دخول الجن في ذلك، في هذه الآية، ومع ذلك فهو مدلول لفظها،

---

(١) الدقاق : هو محمد بن محمد بن جعفر البغدادي المعروف بابن الدقاق ويلقب بالخياط (أبو بكر) فقيه اصولي، ولي القضاء بكرخ بغداد، من آثاره شرح المختصر وفوائد الفوائد وكتاب في أصول الفقه. ولد سنة ٣٠٦هـ وتوفي سنة ٣٩٢هـ، انظر معجم المؤلفين لعمر كحاله ١١/٢٠٣.

(٢) سورة سبأ الآية ٢٨.

(٣) فتاوى السبكي ٢/٦٠٢ ـ ٦٠٣ بتصرف.

(٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

فلا يخرج عنه إلا بدليل، وإن قيل إن الملائكة خارجون من ذلك فلا يضر، لأن العام المخصوص حجة في النافي»(1)، فالجن من العوالم التي خلقها الله فتكون داخلة في التكليف على هذا الأساس.

إضافة إلى ماتقدم فإن حديث الرسول ﷺ: «**وأرسلت إلى الخلق كافة**»(2) يشمل الجن والإنس، وحمله على الإنس خاصة، تخصيص بغير دليل فلا يجوز»(3).

ومادام أن الجن مكلفون بالرسالة الإلٰهية كالإنس فليس غريباً بعد ذلك أن يعلن النفر الذين استمعوا للقرآن من الرسول عليه السلام إيمانهم بالله سبحانه وتعالى، حيث إنهم مخلوقات عاقلة مريدة مختارة، فقد اختار هذا النفر الإيمان بالله، بعدما رأى صدق المبلغ عليه الصلاة والسلام وصدق ماجاء به، وليس غريباً بعد ذلك حكمهم على القرآن بأنه كتاب هداية، وأنه مصدق لما بين يديه من التوراة، فهذه الأمور من خصائص العقلاء، وقد تميزوا بالعقل كما تقدم.

أما زعمه أن الجن لو كانوا مكلَّفين برسالة إلٰهية لكان هذا الرسول من الجن وليس من البشر ـــ لأن سنة الله اقتضت أن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم ـــ فهو زعم مردود، إذ أن الله قادر على إرسال رسول إلى الجن من البشر يخاطبهم ويتحدث إليهم، بحيث يجسدهم له في صور مرئية، وهذا ماثبت من الأحاديث التي دلت على أن الجن تجسدوا في صور بحيث يراهم ذلك النبي ويتحدث إليهم، كما حدث مع النبي سليمان عليه السلام، وكما حدث مع رسولنا محمد عليه

(1) فتاوى السبكي ٢/٥٩٥.
(2) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة. كتاب المساجد المقدمة ١/٣٧١.
(3) فتاوى السبكي ٢/٦٠٣.

الصلاة والسلام عندما جاءوا إليه في أكثر من مرة، فرآهم وخاطبهم وتلا عليهم القرآن، ثم ولوا إلى قومهم منذرين.

أما قوله بأن الملائكة أو القوى النارية الخفية ــ وهي الجن ــ لو كانت مكلفة برسالة إلهية لكان لها رسول منها وليس من البشر ــ لأن سنة الله اقتضت إرسال رسول إلى البشر من جنسهم ــ فالجواب عليه: صحيح أن سنة الله اقتضت إرسال الرسل إلى البشر من جنسهم، لكن هذا لايمنع أن يكون رسول الجن من البشر، وذلك لأن الجن والإنس يوجد بينهم من التشابه في الصفات العامة، حيث تعتورهم جميعاً نزعات الخير والشر والأكل والشرب والتناسل كما تقدم، بينما هذه الأمور ليست موجودة في الملائكة.

ثم إن إرسال الرسول إلى البشر من جنسهم وردُّ القرآن على تعنُّت المشركين بعدم إرسال رسول إليهم من الملائكة عندما طلبوا ذلك، إنما هو لهذا الاختلاف المتباين بين طبيعة الملك وطبيعة البشر، وهذا الأمر ينسحب على الجن كذلك، فلو أرسل رسولاً إلى الجن من الملائكة لما قدروا على مخاطبته والأخذ عنه ومشاهدته على هيئته التي خلقه الله عليها، لاختلاف طبيعة الجن عن الملائكة من جهة، وعدم التناسب في الطباع التي تقوم عليها القدوة من جهة ثانية، وذلك كأحكام الطعام والشراب والتناسل، وغير ذلك مما يتصف به الجن والإنس على حد سواء، فكيف يتسنى للجن والإنس أن يأخذوا أحكام هذه الأمور من الملك؟!.

فالمانع على هذا الأساس من إرسال رسول من الملائكة إلى الإنس والجن ليس راجعاً لاختلاف الجنس، ولا لعدم صلاحية الملك للاستقرار على الأرض كما يزعم البهي، إنما هو راجع لاختلاف الطباع، ولايمنع الاختلاف بين الجن والإنس في بعض الأمور أن يكون رسول الجن من الإنس، كما سيأتي في الفصل التالي، وذلك لوجود التشابه الكبير في الصفات بينهما، وتبليغ الأحكام الشرعية لايتوقف على رؤية الرسول لهم، بل يمكن إبلاغهم هذه الأحكام دون رؤيتهم، على أن الرسول عليه

الصلاة والسلام رآهم أكثر من مرة وقرأ عليهم القرآن وصلى الجماعة بنفر منهم، وقضى بينهم في بعض الأمور التي اختصموا إليه فيها كما تقدم.

أما استغراب البهي لكيفية استقرار نفر من الجن على أرض نصيبين ومجيئهم إلى مكة لاستماع القرآن من الرسول عليه السلام فهو استغراب في غير محله، فهل غاب عن بال الدكتور البهي أن الله قد أهبط آدم وابليس ــ وهو من الجن ــ إلى الأرض، بحيث تكون مستقراً لهما ومتاعاً إلى حين؟! يقول تعالى: ﴿**وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**﴾[1]. وهل نسي أن الجن مخلوقات عندها قدرة السير على الأرض بسرعة فائقة جداً وذلك من خلال قصة سليمان عليه السلام، عندما تعهد العفريت أن يأتي بعرش بلقيس قبل قيام سليمان من مجلسه؟! أم أن الدكتور البهي يؤول هذه الآيات بما يخدم غرضه في الوصول إلى مراده؟!.



(١) سورة البقرة الآية ٣٦.

الفصل الثاني
في جنس الرسول المرسل إليهم

تبين لنا مما تقدم أن الله سبحانه قد كلف الجن وخاطبهم على لسان رسله كما خاطب الإنس، وذلك لورود الأدلة القاطعة في ذلك، وهو أمر قد أجمعت عليه الأمة الإسلامية، وإنكار ذلك كفر، لمخالفته صريح القرآن.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل بُعث إلى الجن رسل منهم، أم أن الرسل المبعوثين إليهم من الإنس فقط؟.

اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

الأول : أن رسل الجن هم من البشر، ولم يبعث إلى الجن رسول منهم، وهو رأي الجمهور من العلماء[1].

الثاني : أنه ليس في الجن رسل ولكن منهم نذر عن الرسل، وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج وأبو عبيد[2].

الثالث : أنه قد بعث إلى الجن رسل منهم، وهو رأي مقاتل والضحاك[3] وابن حزم الأندلسي[4].

---

(١) انظر فتاوى السبكي ٦١٨/٢، والأشباه والنظائر ٣٣٠/٢، والتفسير الكبير ١٩٥/١٣ والفتاوى الحديثية ص ٦٩.

(٢) انظر تفسير الطبري ٣١/٢٦، وتفسير القرطبي ٨٦/٧، وطريق الهجرتين وباب السعادتين ٤١٦/١، وفتاوى السبكي ٦١٨/٢.

(٣) انظر تفسير القرطبي ٨٦/٧، وتفسير روح المعاني ٢٨/٨ والتفسير الكبير ١٩٥/١٣.

(٤) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٦٤/٣.

والذي ينبغي أن يعلم في هذا المقام أن الجمهور والضحاك ومن معه متفقون على أن محمداً ﷺ مبعوث إلى الجن والإنس معاً، وإنما الاختلاف بينهم في أنه هل بعث إلى الجن رسل من جنسهم قبل مبعث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أم لا؟.

فالضحاك ومن معه يقولون: بأنه قد بعث إلى الجن رسل منهم قبل نبينا عليه السلام، والجمهور على خلافه، قال السبكي: «ومن نقل عن الضحاك مطلقاً أن رسل الجن منهم فهو محمول على هذا التقييد (أي قبل نبينا عليه السلام) ولم ينقل أحد عنه أن ذلك في هذه المسألة، وإن توهم أحد ذلك عليه فقد أخطأ، ويجب عليه النزوع وعدم اعتقاده، وأن لاينسب إلى رجل عالم مايخالف الإجماع، فيكون قد جنى عليه جناية يطالبه بها بين يدي الله تعالى»[1] وقال: «ولم يقل الضحاك ولا أحد غيره باستمرار ذلك في هذه الملة، وإنما محل الخلاف في ذلك في الملل المتقدمة خاصة، وأما في هذه الملة فمحمد ﷺ هو المرسل إليهم وإلى غيرهم، والاستدلال بالإجماع في ذلك صحيح»[2].

وإليك تفصيل هذه الأقوال مع ذكر أدلتها:

القول الأول: وهو قول الجمهور بأن رسل الجن هم من البشر وليسوا من الجن.

قال السبكي: «كونه ﷺ مبعوثاً إلى الإنس والجن كافة، وأن رسالته شاملة للثقلين، فلا أعلم فيه خلافاً، ونقل جماعة الاجماع عليه»[3]، وقال ابن نجيم:

(١) فتاوى السبكي ٢/٦١٩.
(٢) نفس المصدر ٢/٦٠٩.
(٣) نفس المصدر ٢/٥٩٤.

«الجمهور على آنه لم يكن من الجن نبي»[1] وقال ابن حجر الهيتمي: «وجمهور الخلف والسلف أنه لم يكن فيهم رسول ولانبي خلافاً للضحاك»[2]، وقال في موضع آخر: «ولم يبعث إليهم نبي قبل نبينا قطعاً على ماقاله ابن حزم[3]، وإيمان الجن بالتوراة كما يدل عليه أواخر سورة الأحقاف كان تبرعاً كإيمان بعض العرب من قريش وغيرهم بالانجيل، إذ لم يثبت أن موسى أرسل لغير بني إسرائيل والقبط، ولا أن عيسى أرسل لغير بني إسرائيل»[4]، وقال القاضي بدر الدين الشبلي: «وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أنه لم يكن من الجن قط رسول، ولم تكن الرسل إلا من الإنس، ونقل معنى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن جريج ومجاهد والكلبي وأبي عبيد والواحدي»[5]، وقال ابن مفلح الحنبلي: «وليس منهم رسول، ذكره القاضي[6]، وابن عقيل وغيرهما»[7] وقال ابن القيم «ولما كان الإنس أكمل من الجن وأتم عقولاً ازدادوا عليهم بثلاثة أصناف أخر ليس شيء منها للجن وهم: الرسل والأنبياء والمقرَّبون، فليس في الجن صنف من هؤلاء، بل حليتهم الصلاح»[8].

أدلة الجمهور :

استدل الجمهور بالكتاب والسنة والإجماع:

أولاً : الأدلة من الكتاب : ومنها:

(١) الأشباه والنظائر ٢/٣٣٠.
(٢) الفتاوى الحديثية ص ٦٦.
(٣) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/٢٦٤.
(٤) انظر الفتاوى الحديثية ص ١٢٣ ــ ١٥٣.
(٥) آكام المرجان في احكام الجان ص ٣٤ ــ ٣٥، وانظر فتاوى السبكي ٢/٦١٨.
(٦) يقصد القاضي: أبو يعلى الحنبلي.
(٧) كتاب الفروع ١/٦٠٣.
(٨) طريق الهجرتين وباب السعادتين ١/٤١٦

١ ــ قوله تعالى: ﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾[١].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: «ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل قال: (منكم) وإن كانت الرسل من الإنس، وغلَّب الإنس في الخطاب كما يغلِّب المذكر على المؤنث، وفي التنزيل: ﴿**يَخْرُجُ منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾[٢]، أي من أحدهما، وإنما يخرج من الملح دون العذب، فكذلك الرسل من الإنس دون الجن، فمعنى: (منكم) أي: من أحدكم، وكان هذا جائزاً، لأن ذكرها سبق. وقيل: إنما صير الرسل في مخرج اللفظ من الجميع لأن الثقلين قد ضمتهما عرصة القيامة، والحساب عليهم دون الخلق، فلما صاروا في تلك العرصة في حساب واحد، في شأن الثواب والعقاب ــ خوطبوا يومئذ بمخاطبة واحدة، كأنهم جماعة واحدة، لأن بدء خلقهم للعبودية، والثواب والعقاب على العبودية، ولأن الجن أصلهم من مارج من نار وأصلنا من تراب، وخلقهم غير خلقنا، فمنهم مؤمن وكافر، وعدونا ابليس عدو لهم يعادي مؤمنهم ويوالي كافرهم، وفيهم أهواء: شيعة وقدرية ومرجئة يتلون كتابنا»[٣].
وقال الألوسي: «(منكم أي من جملتكم، لكن لاعلى أن يأتي كل رسول كل واحدة من الأمم، ولا على أن أولئك الرسل عليهم السلام من جنس الفريقين معاً، بل على أن يأتي كل أمة رسول خاص بها، وعلى أن تكون من الإنس خاصة، إذ المشهور أنه ليس من الجن رسل وأنبياء، ونظيره في هذا قوله تعالى: ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾[٤]، فإنهما إنما يخرجان من الملح فقط. والفرَّاء قدر مضافاً لذلك: أي من أحدكم»[٥].

---

(١) سورة الأنعام الاية ١٣٠.
(٢) سورة الجن الآية ٢٢.
(٣) تفسير القرطبي ٨٦/٧ ــ ٨٧
(٤) سورة الرحمٰن الآية ٢٢.
(٥) تفسير روح المعاني ٢٨/٨

وهذا هو تأويل الآية عند فريق من الجمهور، وهو منقول عن الكلبي وطائفة من السلف[1].

٢ ــ قوله تعالى: ﴿**وماأرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى**﴾[2].

قال القرطبي: «هذا رد على القائلين: ﴿**لولا أُنزل عليه ملك**﴾[3]، أي: أرسلنا رجالاً ليس فيهم امرأة ولاجني ولاملك... قال الحسن: لم يبعث الله نبياً من أهل البادية قط ولا من النساء ولا من الجن... قال العلماء: من شرط الرسول أن يكون آدمياً مدنياً، وإنما قالوا آدمياً تحرّزا من قوله: ﴿**يعوذون برجال من الجن**﴾[4] والله أعلم»[5]. وقال ابن القيم في الآية: «فهذا يدل على أنه لم يرسل جنياً ولاامرأة ولا بدوياً، وأما تسميته تعالى الجن رجالاً في قوله: ﴿**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن**﴾[6]، فلم يطلق عليهم الرجال، بل هي تسمية مقيدة بقوله: (من الجن) فهم رجال من الجن، ولايستلزم دخولهم في الرجال عند الإطلاق، كما تقول: رجال من حجارة ورجال من خشب ونحوه»[7].

٣ ــ قوله تعالى: ﴿**إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبرٰهيم واسمٰعيل واسحٰق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرٰون وسليمٰن وآتينا داود زبورا**﴾[8] وبقوله تعالى: ﴿**ووهبنا له اسحٰق ويعقوب وجعلنا في**

(١) انظر فتاوى السبكي ٦١٩/٢.
(٢) سورة يوسف الآية ١٠٩.
(٣) سورة الأنعام الآية ٨.
(٤) سورة الجن الآية ٦.
(٥) تفسير القرطبي ٢٧٤/٩ مختصرا.
(٦) سورة الجن الآية ٦.
(٧) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٤١٦/١ ـــ ٤١٧.
(٨) سورة النساء الآية ١٦٣.

ذريته النبوة والكتاب﴾[1] وذلك إخباراً عن إسماعيل عليه السلام.

فهذه الآيات قد أخبرت أن الله قد جعل النبوة في الرجال من البشر، ولو كان في الجن رسل وأنبياء لأخبر القرآن بذلك، والآيات السالفة إخبار من الله عن إبراهيم عليه السلام أن الله قد جعل النبوة في ذريته من بعده، قال القرطبي: «فلم يبعث الله نبياً بعد إبراهيم إلا من صلبه»[2].

٤ ــ قوله تعالى: **﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾**[3].

فقد أخبر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن الرسل الذين بعثهم قبله كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، والمقصود بذلك أنهم بشر، وليس في الآية مايدل على بعث الرسل من خلاف الإنس.

٥ ــ قوله تعالى: **﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبرٰهيم، وآل عمران على العالمين﴾**[4].

قال الفخر الرازي: «وأجمعوا على أن المراد بهذا الاصطفاء إنما هو النبوة، فوجب كون النبوة مخصوصة بهؤلاء فقط»[5]، فلا يدخل فيه الجن أو غيرهم من البشر.

٦ ــ مجموع الأدلة التي دلت على أن نبينا محمداً ﷺ قد بعث إلى الجن،

(١) سورة العنكبوت الآية ٢٧.
(٢) تفسير القرطبي ١٣/٣٤٠.
(٣) سورة الفرقان الآية ٢٠.
(٤) سورة آل عمران الآية ٣٣.
(٥) التفسير الكبير الآية ١٣/١٩٥.

وهي كثيرة جداً، وقد تقدمت[1]، وهذه الأدلة تفيد أن الرسل المبعوثين إلى الجن هم من البشر، كما هو الشأن في رسالة نبينا إلى الثقلين، حيث كانت دعوته عليه السلام شاملة للإنس والجن جميعاً، قال ابن تيمية: «يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين: الإنس والجن، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته... وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى، كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين، وسائر طوائف المسلمين: أهل السنة والجماعة وغيرهم رضي الله عنهم، لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمدا ﷺ إليهم»[2]، وقال أيضاً: «والآيات التي أنزل الله على محمد ﷺ فيها خطاب لجميع الخلق من الإنس والجن، إذ كانت رسالته عامة للثقلين، وان كان من أسباب نزول الآيات ماكان موجوداً في العرب، فليس شيء من الآيات مختصاً بالسبب المعين الذي نزل فيه باتفاق المسلمين»[3] وقال ابن حجر الهيتمي: «وقد تساهل من قال: بأن رسالته ﷺ — إلى الجن — اشتهرت اشتهاراً قريباً من الضروري بآيات القرآن، وشهرة عموم رسالته تدل على ذلك كمنكر الإجماع، وفي كفره خلاف مذكور في الأصول»[4].

والأدلة الدالة على إرسال نبينا عليه الصلاة والسلام إلى الجن إنما تفيد أن الرسل من البشر، ولو كان رسل الجن منهم لما كلف نبيه بقراءة القرآن عليهم وتبليغهم وإنذارهم، ولكانت هذه من مهمة رسول الجن إليهم.

(١) راجع الفصل الأول من هذا الباب: إثبات تكليف الجن، فقد بسطنا القول في هذه الأدلة مما يغني عن الاعادة.
(٢) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٣.
(٣) نفس المصدر ص ٨.
(٤) الفتاوى الحديثية ص ٦٩.

٧ ــ قوله تعالى إخباراً عن النفر من الجن الذين ولوا إلى قومهم منذرين بعد سماعهم القرآن من الرسول عليه السلام: ﴿**إنَّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم**﴾[١].

والذي نفهمه من هذه الآية أن هذا النفر من الجن كان منهم من آمن بموسى عليه السلام، مما يدل على أنه مرسل إليهم، قال القرطبي: عن ابن عباس: أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى، فلذلك قالت: ﴿**أنزل من بعد موسى**﴾... قال مقاتل: ولم يبعث الله نبياً إلى الجن والإنس قبل محمد ﷺ»[٢] وفي هذا دليل على أنه لم يبعث إلى الجن رسولا منهم.

ثانيا: الأدلة من السنة :

أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود...**»[٣] الحديث.

فإخباره عليه الصلاة والسلام أن كل نبي من الأنبياء السابقين كان يبعث إلى قومه خاصة فيه دليل على أن الجن لم يبعث إليهم رسول منهم، وذلك أن القوم في اللغة: هم جماعة الرجل من الرجال والنساء، فتخصيص الحديث بعث الرسل السابقين إلى أقوامهم بقوله: (إلى قومه) فيه دليل على أنهم جماعة ذلك النبي من الناس دون الجن، إذ لم يعهد في اللغة إطلاق لفظ القوم على جماعة الرجل من الجن.

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٠.

(٢) تفسير القرطبي ٢١٧/١٦.

(٣) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد. المقدمة ٣٧٠/١ وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣٠٤/٣.

وقوله عليه الصلاة والسلام بعد ذلك: «**وبعثت إلى كل أحمر وأسود**» فيه مزيد بيان لما قلناه، حيث أن رسالة من قبله من الأنبياء كانت لأقوامهم من البشر خاصة، وامتاز نبينا عليه الصلاة والسلام على غيره من الأنبياء بأنه قد بعث إلى الجن والإنس جميعاً، كما نص على ذلك الحديث المتقدم، وفي هذا دلالة على أنه لم يكن في الجن رسل منهم.

وأما من ذكر بأن الرسل السابقين قبل نبينا عليه الصلاة والسلام كانوا يبعثون إلى الإنس والجن جميعاً ــ كما ذكر الكلبي ــ فإن ذلك معارض بالحديث المتقدم، حيث اختص الرسول عليه السلام على غيره من الأنبياء بأنه بعث إلى الجن والإنس جميعاً، ولم يحصل هذا لغير نبينا عليه الصلاة والسلام.

ثالثا: الاجماع[1] :

قال الألوسي: «وادَّعى بعض قيام الإجماع على أنه لم يرسل إلى الجن رسل منهم، وإنما أرسل إليهم من الإنس»[2]. ولكن الفخر الرازي اعترض على هذا الإدعاء فقال: «ومارأيت في تقرير هذا القول حجة إلا ادعاء الإجماع وهو بعيد، لأنه كيف ينعقد الإجماع مع حصول الاختلاف»[3]؟.

القول الثاني : بأن في الجن نذراً، وليس منهم رسل، وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم من السلف كما تقدم.

قال القرطبي: «وقال ابن عباس: رسل الجن هم الذين بلغوا قومهم ماسمعوه من الوحي كما قال: ﴿**ولَّوْا إلى قومهم منذرين**﴾[4] ثم قال: وقال مجاهد: الرسل من

(١) ذكر السبكي أن الأجماع منعقد على أن نبينا عليه الصلاة والسلام مرسل إلى الجن والأنس جميعا، ولم يذكر حصول الاجماع على أنه لم يبعث إلى الجن رسل منهم، بل ذكر الخلاف كما تقدم قريبا.

(٢) تفسير روح المعاني ٢٨/٨.

(٣) التفسير الكبير ١٣/١٩٥.

(٤) سورة الأحقاف الآية ٢٩.

الإنس والنذر من الجن ثم قرأ: ﴿**إلى قومهم مُنْذِرين**﴾ يقول القرطبي: وهو ــ أي قول مجاهد ــ معنى قول ابن عباس، وهو الصحيح»[1] وقال ابن القيم: «قال غير واحد من السلف: الرسل من الإنس، وأما الجن ففيهم النذر»[2] وقال الإمام الطبري: عن ابن عباس ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن**﴾[3]، قال: كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم»[4]، وقال السبكي: «والذين خالفوا الضحاك في تمسكه بظاهر قوله تعالى: ﴿**يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم**﴾[5] إنما يؤلون هذه الآية، فقد قال ابن عباس ومجاهد وابن جريج وأبو عبيد: معناه: أن رسل الإنس رسل من الله إليهم، ورسل الجن قوم من الجن ليسوا رسلاً عن الله، ولكن بثهم الله في الأرض، فسمعوا كلام رسل الله، الذين هم من بني آدم، وجاءوا إلى قومهم من الجن فأخبروهم، كما اتفق للذين صرفهم الله إلى النبي ﷺ واستمعوا القرآن وولوا إلى قومهم منذرين، فهم رسل عن الرسل، لا رسل عن الله تعالى، ويسمون نذرا، ويجوز تسميتهم رسلاً، لتسمية رسل عيسى رسلاً في قوله تعالى: ﴿**إنا إليكم مُرْسَلون**﴾[6] وجاء قوله: ﴿**يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم**﴾ على ذلك، فالرسل على الاطلاق من الإنس، وهم رسل الله، والنذر من الجن، وهم رسل الرسل ويجوز تسميتهم رسلاً»[7].

وهذا القول هو التوجيه الآخر لفريق من الجمهور[8] لقوله تعالى: ﴿**يامعشر**

(١) تفسير القرطبي ٨٦/٧.
(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٤١٦/١.
(٣) سورة الأحقاف الآية ٢٩.
(٤) تفسير الطبري ٣١/٢٦.
(٥) سورة الأنعام الآية ١٣٠.
(٦) سورة يسٓ الآية ١٤.
(٧) فتاوى السبكي ٦١٨/٢ ــ ٦١٩.
(٨) تقدم قول الفريق الأول من الجمهور عند الحديث عن أدلة الجمهور (أنظر الدليل الأول).

الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ وعلى هذا الأساس فهو لايخالف رأي الجمهور، بل يؤيده ويدعمه.

وبناء على ماتقدم فإن القولين معناهما واحد، وهو أنه لم يبعث إلى الجن رسل منهم بل الرسل من الإنس فقط، وأدلة الفريق الثاني هي نفس أدلة الفريق الأول.

القول الثالث : القائلون بأن في الجن رسلاً منهم، وهو قول الضحاك، وذكر القرطبي ذلك عن مقاتل رحمه الله فقال: «وقال مقاتل والضحاك: أرسل الله رسلاً من الجن كما أرسل من الإنس»(١). وذكر الإمام الطبري أنه يوجد غير الضحاك من القائلين بهذا القول فقال: «وأما الذين قالوا بقول الضحاك فإنهم قالوا: إن الله أخبر أن من الجن رسلاً أرسلوا إليهم، كما أخبر أن من الإنس رسلاً أرسلوا إليهم»(٢). فلعل ابن جرير قصد مقاتلاً رحمه الله. ونقل الألوسي أن الذين ذكروا بأن من الجن أنبياء منهم قد صرحوا بأن رسولاً منهم يسمى يوسف»(٣). وقال ابن حزم: ولم يبعث إلى الجن نبي من الإنس البتة قبل محمد ﷺ، لأنه ليس الجن من قوم انسي، وباليقين ندري أنهم قد أنذروا، فصح أنه جاءهم أنبياء منهم قال تعالى: **﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾**(٤).

أدلة هذا الفريق :

استدل هذا الفريق على ماذهب إليه بما يلي: —

١ — قوله تعالى: ﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم..﴾(٥).

---

(١) تفسير القرطبي ٨٦/٧.
(٢) تفسير الطبري ٣٦/٨.
(٣) انظر تفسير روح المعاني ٢٨/٨.
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٦٤/٣.
(٥) سورة الأنعام الآية ١٣٠.

قال الشوكاني: «وظاهر أن الله بعث في الدنيا إلى الجن رسلاً منهم، كما بعث إلى الإنس رسلا منهم»[1]. وقال ابن حجر الهيتمي: «وظاهر القرآن يشهد للضحاك، والأكثرون على خلافه»[2]. وقال الألوسي: «وظاهر الآية يقتضي إرسال الرسل إلى كل من المعشرين من جنسهم»[3].

ووجه استدلال الضحاك بهذه الآية: أن الله خاطب الجن والإنس بأنه قد بعث إليهم رسلاً منهما، بدليل قوله تعالى: (منكم) وهو يقتضي بعث الرسل إلى الجن منهم وبعث الرسل إلى الإنس منهم كذلك.

٢ ـ وذكر الفخر الرازي أن الضحاك احتج لقوله بإرسال الرسل إلى الجن منهم بقوله تعالى: ﴿**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾[4]، ويقول «ويمكن أن يحتج الضحاك بوجه آخر وهو قوله تعالى: ﴿**ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً**﴾[5] قال المفسرون: السبب في استئناس الإنسان بالإنسان أكمل من استئناسه بالملك، فوجب في حكمة الله تعالى أن يجعل رسول الإنس من الإنس ليكمل هذا الإستئناس، إذا ثبت هذا المعنى فهذا السبب حاصل في الجن، فوجب أن يكون رسول الجن من الجن»[6].

٣ ـ قال ابن حجر الهيتمي: «ومايدل لما قاله الضحاك ماصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: ﴿**ومن الأرض مثلهن**﴾[7] قال: سبع

---

(١) تفسير فتح القدير ١٦٣/٢.
(٢) الفتاوى الحديثية ص ٦٦.
(٣) تفسير روح المعاني ٢٨/٨.
(٤) سورة فاطر الآية ٢٤.
(٥) سورة الأنعام الآية ٩.
(٦) التفسير الكبير ١٩٥/١٣.
(٧) سورة الطلاق الآية ١٢.

أرضين، في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدمكم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى»[(١)].

٤ ـــ ذكر ابن نجيم أن الضحاك وابن حزم احتجا على أنه كان من الجن نبي بقوله عليه الصلاة والسلام: «... **وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة**»[(٢)] الحديث. قال: وليس الجن من قومه، ولاشك أنهم أنذروا، فصح أنه جاءهم أنبياء منهم»[(٣)].

القول الراجح : يتبين لنا مما تقدم من أدلة الفريقين أن قول الجمهور هوالقول الراجح، وذلك للأدلة التي اعتمدوا عليها.

وقد رد الفخر الرازي على الضحاك في تمسكه بظاهر قوله تعالى: ﴿**يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم**﴾[(٤)] ـــ على أن المراد بها: أن الله أرسل إلى الجن والإنس رسلاً من كل منهما ـــ بقوله: فأما تمسك الضحاك بظاهر هذه الآية فالكلام عليه من وجوه:

الوجه الأول :

أنه تعالى قال: ﴿**يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم**﴾، **فهذا يقتضي أن**

(١) الفتاوى الحديثية ص ٦٩ وورد في تفسير الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ قوله: وخلق من الأرض مثلهن لما في كل واحدة منهن مثل ما في السموات من الخلق، واستشهد على ذلك بقول ابن عباس إذ يقول: وعن ابن عباس قال في هذه الآية ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾ قال عمرو: قال في كل أرض مثل إبراهيم، ونحو ما على الأرض من الخلق. تفسير الطبرى ٩٨/٢٨ ط ١ سنة ١٣٢٩هـ.

(٢) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التيمم ٤٣٦/١ وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب المساجد المقدمة ٣٧٠/١ ـــ ٣٧١ وقد تقدم.

(٣) الأشباه والنظائر ٣٣٠/٢.

(٤) سورة الأنعام الآية ١٣٠.

رسل الجن والإنس تكون بعضاً من أبعاض هذا المجموع، وإذا كان الرسل من الإنس، كان الرسل بعضاً من أبعاض ذلك المجموع، فكان هذا القدر كافياً في حمل اللفظ على ظاهره، فلم يلزم من ظاهر هذه الآية إثبات رسول من الجن.

الوجه الثاني : لايبعد أن يقال: أن الرسل كانوا من الإنس، إلا أنه تعالى كان يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل، ويأتوا قومهم من الجن، ويخبرونهم بما سمعوه من الرسل وينذرونهم به كما قال تعالى: ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن**﴾[1]، فأولئك الجن كانوا رسل الرسل، فكانوا رسلاً لله تعالى، والدليل عليه أنه تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال: ﴿**إذ أرسلنا إليهم اثنين**﴾[2]. وتحقيق القول فيه: أنه تعالى بكّت الكفار بهذه الآية، لأنه تعالى أزال العذر وأزاح العلة بسبب أنه أرسل الرسل إلى الكل مبشرين ومنذرين، فإذا وصلت البشارة والنذارة إلى الكل بهذا الطريق فقد حصل ماهو المقصود من إزاحة العذر وإزالة العلة، فكان المقصود حاصلاً.

الوجه الثالث : قال الواحدي: قوله تعالى: ﴿**رسل منكم**﴾ أراد من أحدكم وهو الإنس، وهو كقوله: ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾[3] أي: من أحدهما وهو الملح الذي ليس بعذب»[4].

قال الفخر الرازي بعد ذكره لهذه الأوجه الثلاثة: «واعلم أن الوجهين الأولين لاحاجة معهما إلى ترك الظاهر، أما الثالث فإنه يوجب ترك الظاهر، ولايجوز المصير إليه إلا بالدليل المنفصل»[5].

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٢٩.
(٢) سورة يٓسٓ الآية ١٤.
(٣) سورة الرحمٰن الآية ٢٢.
(٤) التفسير الكبير ١٣/١٩٥.
(٥) نفس المصدر ١٣/١٩٥.

لكننا نجد السيد محمد رشيد رضا يتوقف في ترجيح أي من القولين على الآخر، مع اعتراضه على تأويل الآيات التي اعتمد عليها الجمهور في دعم قولهم بعدم إرسال رسل إلى الجن من جنسهم فيقول:

«والجمهور على أن الرسل كلهم من الإنس، كما يدل عليه ظاهر الآيات، كحصر الرسالة في الرجال وجعلها في ذرية نوح وإبراهيم، ولذلك صرفوا النظم عن ظاهره وقالوا: إن المراد بقوله: (منكم): من جملتكم لا من كل منكم، وهو يصدق برسل الإنس الذين تثبت رسالتهم إلى الإنس والجن، وذكروا له شاهداً من القرآن قوله تعالى: **﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾**[1] بعد قوله **﴿مرج البحرين﴾**[2]، الخ، أي الملح والحلو، وهو البحيرات وكبار الأنهار»[3].

يقول رشيد رضا معلقاً على ماقدمه من استدلال الجمهور بالآية الكريمة: «وهذا مبني على زعمهم ــ يقصد الجمهور ــ أن البحار الحلوة لايخرج منها لؤلؤ ولامرجان، والصواب أن اللؤلؤ يخرج من بعضها كبعض أنهار الهند، ثبت ذلك قطعا، واستدركه (سايل) مترجم القرآن باللغة الانكليزية على البيضاوي، وهو مما أخبر به القرآن من حقائق الأكوان التي لم تكن معروفة عند العرب، حتى في أيام حضارتهم واستعمارهم للأقطار»[4].

قال رشيد رضا: «ذكر هذا الشاهد ــ أي قوله تعالى: **﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾** ــ ابن جرير، وتبعه من بعده، وروي عن ابن جرير أنه قال في الآية: جمعهم كما جمع قوله: **﴿ومن كلٍ تأكلون لحماً طريا وتستخرجون حلية تلبسونها﴾**[5]،

---

(١) سورة الرحمٰن الآية ٢٢.
(٢) سورة الرحمٰن الآية ١٩.
(٣) تفسير المنار ١٠٦/٨.
(٤) نفس المصدر ١٠٦/٨.
(٥) سورة فاطر الآية ١٢.

ولايخرج من الأنهار حلية»[1].

قال رشيد رضا معلقاً على هذا الكلام: «وقد علمت أن هذا خطأ، ولفظ هذه الآية أبعد عن هذا التأويل من آية الرحمٰن ـــ وهي قوله تعالى **﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾** ـــ بل هو يبطله[2].

ثم إننا نجده يقول بعد أن ذكر أدلة الضحاك ـــ التي تقدم ذكرها: وذكر ابن جرير أن المسألة خلافية[3].

ويختم رشيد رضا حديثه فيقول: «وجملة القول في الخلاف: أنه ليس في المسألة نص قطعي، والظواهر التي استدل بها الجمهور يحتمل أن تكون خاصة برسل الإنس، لأن الكلام معهم، وليست أقوى من ظاهر الآيات التي استدل بها على كون الرسل من الفريقين، والجن عالم غيبي لا نعرف عنه إلا ماورد به النص، وقد دل القرآن وكذا الحديث الصحيح على رسالة نبينا ﷺ إليهم، وحكى الله عن الذين استمعوا القرآن عنهم أنهم قالوا: **﴿إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾**[4]، فظاهره أنه كان مرسلاً إليهم، فنحن نؤمن بما ورد، ونفوض الأمر فيما عدا ذلك إلى الله تعالى»[5].

وأما ما ذهب إليه محمد رشيد رضا -من القول بالتوقف- فهو أولى بالاعتبار من القول: بأن الله قد أرسل إلى الجن رسلاً منهم، إلا أنه قول مرجوح؛ لقيام الأدلة عند الجمهور على أن الله لم يرسل إلى الجن رسلاً منهم.

---

(١) تفسير المنار ١٠٦/٨، انظر تفسير الطبري ٣٦/٨.
(٢) نفس المصدر ١٠٦/٨.
(٣) نفس المصدر ١٠٦/٨، انظر تفسير الطبري ٣٦/٨.
(٤) سورة الأحقاف الآية ٣٠.
(٥) تفسير المنار ١٠٧/٨.

وما ذكره من أن بعض الأنهار الحلوة يخرج منها اللؤلؤ، فهو -وإن كان يُضعف من قوة استدلال الجمهور بالآية - فما ذكره الجمهور من خروج اللؤلؤ والمرجان من البحار المالحة دون العذبة غير مسلّم به، والصحيح أن البحار العذبة يخرج منها اللؤلؤ المرجان، كما دل عليه ظاهر القرآن، وما ذكره بعض العلماء[1] . - إلا أن الأدلة الأخرى التي قدَّموها على أن الرسل من الإنس دون الجن- كافية في ترجيح قولهم على قول مخالفيهم.

وأما ما ذكره من استدلال الجمهور بقوله تعالى: ﴿**رسل منهم**﴾ إنما يحتمل أن تكون خاصة برسل الإنس، لأن الكلام معهم، وليست أقوى من ظاهر الآيات التي استدل بها مع كون الرسل من الفريقين، فيرد عليه:

أن الاحتمال في هذا بعيد؛ لأن الأدلة التي احتج بها الجمهور صريحة في أن الله لم يبعث رسلاً إلى الجن منهم، بل إن الرسل من الإنس، وظاهر قوله: ﴿**رسل منهم**﴾ إنما يحمل على ما قاله ابن عباس وغيره، أنهم نذر عن الرسل، وليسوا رسلاً من الله.

---

(١) انظر: غرائب القرآن للنيسابوري ٦٥/٢٧، وأضواء البيان للشنقيطي ٢/٢١٠، وفكرة إعجاز القرآن نعيم الحمصي ص ٢٣٤.



الفصل الثالث
كيفية تكليف الجن

تقدم أن الجن مكلفون بالتكاليف الشرعية، وأن الله أرسل إليهم نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام، ولكن: هل هذه التكاليف التي طالب الله بها الجن تماثل تكاليف الإنس في الحد والحقيقة، أم أنها لاتماثل تكاليف الإنس في ذلك؟

اختلف العلماء في هذه المسألة إلى فريقين:

الفريق الأول : يرى أن تكاليف الجن تماثل تكاليف الإنس، إلا فيما لايتأتّى منهم حسب خِلْقتهم وطبيعتهم كما يقتضيه قول السبكي الآتي[1].

الفريق الثاني : ويرى أن الجن مكلفون في الجملة، وأن تكاليفهم لاتماثل تكاليف الإنس في الحد والحقيقة[2].

الفريق الأول: في سؤال وجِّه إلى الإمام السبكي يقول فيه سائله: هل الجن ممتازون عنا بشريعة وعبادات، أو الواجب علينا وعليهم واحد؟ فإن كان الأول: فما الحكمة في إخفاء شريعتهم عن الأمة، وقد بين ﷺ أحوال الملائكة الكرام عليهم السلام وأذكارهم وعباداتهم وهم أشرف وأرفع منهم؟ أجاب السبكي على ذلك بقوله:

«الذي يظهر لنا أنهم لم يمتازوا بشريعة، بل الواجب علينا وعليهم شيء واحد، لعموم أدلة الشريعة، فتجب عليهم الصلاة والطهارة كما هي واجبة علينا، لايختلف حكم من الأحكام في حقهم، إلا أن لايوجد فيهم شبه، أو لايعلموا أنه هو، هذا

---

(١) ذكر ابن حجر الهيتمي هذا القول عن الجمهور ونسب ذلك إلى الحنابلة انظر الفتاوى الحديثية ص ٢٣٥.

(٢) انظر فتاوى ابن تيمية ٤/٢٣٣.

الذي نختاره في ذلك تمسكاً بإطلاق النصوص، وأن القرآن هو الإمام للجميع، وأحكامه جارية عليهم في كل شيء، ولو فرضنا أن بعض الفروع لا تلزمهم، وأنه يكتفى منهم بالتوحيد والاقرار بالرسالة والمعاد واجتناب المحرمات، ماذا يلزم عليه من الإشكال؟ ولو فرض أنهم يمتازون ببعض الأحكام يختصون بها عن الإنس فما يلزم من ذلك؟ وعدم إعلامنا بذلك لعدم حاجتنا إليه، ولايقال في ذلك إخفاء حتى تطلب الحكمة فيه، وبيان أحوال الملائكة وهم أشرف منهم كيف يلزم منه بيان أحوال الجن؟ على أن أحوال الملائكة لم تتبين كلها، وإنما بين بعضها مما يحصل ببيانه اعتبار وفائدة»(١).

وقال السبكي في موضع آخر: «وكذلك لاشك في وجوب الإيمان بالنبي ﷺ على كل مكلف، فالقرآن والنبي ﷺ كل منهما تجب إجابته والإيمان به، ووجوب إجابه النبي ﷺ تقتضي تعلق شرعه بهم، ووجوب إجابة القرآن تقتضي وجوب امتثال مافيه، فيتعلق بهم جميع تكاليفه من الأصول والفروع»(٢).

وقال الدميري: «وأما الاجماع فنقل ابن عطية وغيره الاتفاق على أن الجن متعبَّدون بهذه الشريعة على الخصوص، وأن نبينا ﷺ مبعوث إلى الثقلين، فإن قيل: لو كانت الأحكام بجملتها لازمة لهم لكانوا يترددون إلى النبي ﷺ حتى يتعلموها، ولم ينقل أنهم أتوه إلا مرتين بمكة وقد تجدد بعد ذلك أكثر الشريعة؟ قلنا: لايلزم من عدم النقل عدم اجتماعهم به وحضورهم مجلسه وسماعهم كلامه من غير أن يراهم المؤمنون، ويكون هو ﷺ يراهم ولايراهم أصحابه، فإنه تعالى يقول: ﴿**إنه يرٰكم هو وقبيله من حيث لاترونهم**﴾(٣)، فقد يراهم ﷺ بقوة يعطيها الله له زائدة عن قوة أصحابه، وقد يراهم بعض الصحابة في بعض الأحوال كما رأى أبو

(١) فتاوى السبكي ٢/٦٢٣.
(٢) نفس المصدر ٢/٦١١، ٦١٢.
(٣) سورة الأعراف الآية ٢٧٢.

هريرة رضي الله عنه الشيطان الذي أتاه ليسرق من زكاة رمضان كما رواه البخاري»[1] وقد تقدم.

فعلى هذا القول فإن الجن مماثلون للإنس في التكليف في كل شيء: في الأمر والنهي والتحليل والتحريم.

الفريق الثاني : وهم الذين يرون أن تكاليف الجن لاتماثل تكاليف الإنس في الحد والحقيقة.

قال ابن تيمية : «لاريب أن الجن مأمورن بأعمال زائدة على التصديق، ومنهيون عن أعمال غير التكذيب، فهم مأمورون بالأصول بحسبهم، فإنهم ليسوا مماثلي الإنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحد، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكاليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم، وهذا مالم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين»[2] وقال ابن مفلح الحنبلي: «والجن مكلفون بالجملة، يدخل كافرهم النار ويدخل مؤمنهم الجنة»[3].

القول الراجح :

والذي يظهر أن الراجح هو قول الفريق الأول الذين قالوا بأن الجن يماثلون الإنس في التكليف، وذلك لأن الآيات والأحاديث الدالة على تكليفهم بشريعة نبينا عليه الصلاة والسلام جاءت عامة في كل شيء، فإذا ثبت إرساله عليه الصلاة والسلام إليهم كإرساله إلينا، لزمهم على هذا الأساس كل تكليف وجد سببه فيهم، إلا أن يدل دليل على التخصيص، ولم يرد مثل هذا الدليل[4].

(١) حياة الحيوان الكبرى ٢٥٠/١ ـــ ٢٠٦.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣٣/٤. وانظر كتاب الفروع ٦٠٤/١.
(٣) كتاب الفروع ٦٠٣/١.
(٤) انظر فتاوى السبكي ٦١٢/٢.

ويستأنس لهذا بما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمكة وهو في نفر من أصحابه إذ قال: ليقم معي رجل منكم، ولايقومن رجل في قلبه من الغش مثقال ذرة، قال: فقمت معه وأخذت أداوة[1] ولا أحسبها إلا ماء، فخرجت مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بأعلى مكة رأيت أسْوِدة مجتمعة، قال: فخطَّ لي رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: قم ههنا حتى آتيك، قال: فقمت ومضى رسول الله ﷺ إليهم، فرأيتهم يتثورن إليه قال: فسمر معهم رسول الله ﷺ ليلاً طويلاً، حتى جاءني مع الفجر فقال: مازلت قائماً ياابن مسعود؟ قال: فقلت له يارسول الله: أو لم تقل لي أقم حتى آتيك؟ قال: ثم قال لي: هل معك من وضوء؟ قال: فقلت: نعم، ففتحت الأداوة فإذا هو نبيذ، قال: فقلت له يارسول الله: لقد أخذت الأداوة ولا أحسبها إلا ماء فإذا هو نبيذ قال: فقال رسول الله ﷺ: تمرة طيبة وماء طهور، قال: ثم توضأ منه، فلما قام يصلي أدركه شخصان منهم ــ أي من الجن ــ قالا له: يارسول الله انا نحب أن تؤمنا في صلاتنا قال: فصفَّهما رسول الله ﷺ خلفه، ثم صلى بنا، فلما انصرف قلت له: من هؤلاء يارسول الله؟ قال: هؤلاء جن نصيبين جاءوا يختصمون إليَّ في أمور كانت بينهم. وقد سألوني الزاد فزودتهم قال: فقلت له: وهل عندك يارسول الله من شيء تزودهم إياه؟ قال فقال: قد زودتهم الرَّجْعَة[2] وماوجدوا من روث وجدوه شعيراً، وما وجدوا من عظم وجدوه كاسياً، قال: وعند ذلك نهى رسول الله ﷺ عن أن يُستطاب بالروث والعظم»[3].

(١) الاداوة : اناء صغير من جلد يتخذ للماء كالسطحية ونحوها وجمعها آداوى. انظر النهاية في غريب الحديث ٣٣/١.

(٢) الرجعة أو الرجيع: الروث أو العذرة، لأنه رجع، أي رد من حالة إلى أخرى. ورجعت الدابة إذا راثت. انظر الفائق في غريب الحديث ٤٢/٢.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤٥٨/١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو داود وغيره باختصار. ورواه أحمد وفيه أبو زيد مولى عمرو بن حريث وهو مجهول. وقد

ووجه الاستدلال بالحديث قوله: «فلما قام يصلي أدركه شخصان منهم فقالا له: يارسول الله إنا نحب أن تؤمنا في صلاتنا قال: فصفهما رسول الله ﷺ خلفه ثم انصرف».

فقد دل هذا على أن هذين الشخصين من الجن صليا بنفس الصلاة التي يصليها الإنس، لاتختلف عنها في ركن من الأركان، ودل الحديث كذلك على جواز ائتمام الجن بالإنس في الصلاة.

ومما يؤيد ذلك ما أخرجه البزار عن معاذ بن جبل أنه ﷺ قال: «من صلَّى منكم من الليل فليجهر بقراءته، فإن الملائكة تصلي بصلاته وتسمع لقراءته، وان مؤمني الجن الذين يكونون في الهواء وجيرانه معه في مسكنه يصلون بصلاته ويسمعون قراءته، وإنه يطرد بجهره بقراءته عن داره وعن الدور التي حوله فسَّاق الجن ومردة الشياطين...»(1).

«بل إن أبا البقاء العكبري أفتى بصحه الصلاة خلف الجني، لأنهم مكلفون، والنبي ﷺ مرسل إليهم»(2). وذكر ابن الصيرفي الحنبلي أن الجمعة تنعقد بالجن إن تحقق وجود شرط الإمامة، والجمعة في العين منهم الذي يراد الائتمام به أو حسبانه من الأربعين»(3).

= أخرج الطبراني حديثاً قريباً منه، قال الهيثمي: رواه الطبرني، وفيه أبو زيد وقيس بن الربيع أيضا. وقد ضعفه جماعة. انظر مجمع الزوائد ٨/٣١٤.

(١) أخرجه البزار من حديث طويل، قال الهيثمي: رواه البزار وقال: ابن معدَّان لم يسمع من معاذ ... قلت: وفيه من لم أجد من ترجمه. انظر مجمع الزوائد ٢/٢٥٣ ــ ٢٥٤.

(٢) انظر آكام المرجان في احكام الجان ص ٦٢.

(٣) الفتاوى الحديثية ص ٢٣٤.

وأفتى جماعة من أصحاب أحمد رضي الله عنه بأن الشيطان الجني يقطع الصلاة إذا علم بمروره، تمسكاً بحديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه: «**إن عفريتاً من الجن تفلّت عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة..**»(١) الحديث وقد تقدم.

وعلى هذا فإن كل مايلزم الإنس من العبادات وغيرها يلزمهم، قال ابن حجر الهيتمي: «فنقول تلزمهم الصلاة والزكاة بشرطها، والصوم والحج وغيرها من الواجبات، ويحرم عليهم كل حرام... وقد جاء في آثار كثيرة عن السلف: أن جمعاً من الجن كانوا يقرأون القرآن عليهم ويتعلمون العلم. وبالجملة: فالتكليف شرطه العلم، فما علموه لزمهم ومالا، فلا»(٢).

وأما عن جمعهم للصدقة فقد روى سفيان الثوري عن عكرمة عن ابن عباس: قال: خرج رجل من خيبر، فأتبعه رجلان وآخر يتلوهما يقول: إربعا اربعا(٣) حتى ردَّهما، ثم لحق الأول فقال: إن هذين شيطانان، وإني لم أزل بهما حتى رددتهما، فإذا أتيت رسول الله ﷺ فأقرئه السلام وأخبره أنا ههنا في جمع صدقاتنا، ولو كانت تصلح له لبعثنا بها إليه، فلما قدم الرجل المدينة أخبر النبي ﷺ، فعند ذلك نهى رسول الله ﷺ عن الخلوة»(٤).

وذكر بعضهم أن مايجري من الأحكام في المعاملات وغيرها بين الإنس

---

(١) انظر القواعد النورانية ص ١٠ أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير باب هب لي ملكا لاينبغي لأحد من بعدي ٨/٥٤٦.

(٢) الفتاوى الحديثية ص ٢٣٤.

(٣) إربعا: أي توقفا وانتظرا. النهاية في غريب الحديث ٢/١٨٧.

(٤) اخرجه أحمد في مسنده ١/٢٩٩ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/١٠٤: رواه أحمد وأبو يعلى إلا أنه قال: خرج رجل من خيبر، ورجالهما رجال الصحيح والبزار كذلك.

ببعضهم ينطبق على الجن كذلك، قال البهوتي في شرح منتهى الارادات: «وروي عن ابن عباس: ويقبل قولهم أن مابيدهم ملكهم مع إسلامهم، كما يقبل قول الآدمي في ذلك، فيصح معاملتهم بشرطها، ويجرى التوارث بينهم، وكافرهم كالحربي، يقتل ان لم يسلم، ويحرم عليهم ظلم الآدميين وظلم بعضهم بعضا للحديث القدسي: «**ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**..»[1] الحديث، وكان الشيخ تقي الدين (أي ابن تيمية) إذا أتي بالمصروع وعظ من صرعه وأمره ونهاه، فإذا انتهى وفارق المصروع أخذ عليه العهد أن لايعود»[2]

وقال: «وتحل ذبيحتهم لعدم المانع، وأما مايذبحه الآدمي لئلا يصيبه أذى من الجن فنهي عنه»[3].

وفيما ذكره الفقهاء من الأحكام المتعلقة بالجن يؤيد مارجحناه من أن تكاليف الجن تماثل تكاليف الإنس في الحد والحقيقة، مع اختصاصهم ببعض الأحكام التي تناسب طبيعة خلقتهم.

---

(١) من حديث اخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر الغفاري. كتاب البر والصلة. باب تحريم الظلم ١٩٩٤/٤، وأخرجه أحمد في مسنده بنحوه ١٦٠/٥.

(٢) شرح منتهى الارادات ٢٥٤/١.

(٣) نفس المصدر ٢٥٤/١. وقد ذكر ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الموضوعة أن حديث النهي عن ذبائح الجن موضوع. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ص ٢٧٢ وذكره المنياوي في مختصر شرح الجامع الصغير وقال: أخرجه البيهقي في السنن الكبرى عن الزهرى مرسلا ٣٤١/٢.

الفصل الرابع
جزاء الجن في الآخرة

وإذا كان الجن مكلفين بالإيمان بالله وطاعته فلا شك أن مؤمنهم يستحق الثواب، وأن كافرهم يستحق العقاب، جزاء لكل منهم حسب عمله.

وقد تحدثت آيات القرآن الكريم عن ثواب الجن وعقابهم في مواضع متعددة، جامعة بينهم وبين الإنس:

قال تعالى مخاطباً الجن والإنس: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان. فبأي ءالآء ربكما تكذبان**﴾[١] وقال: ﴿**فيهنَّ قاصرات الطَرْف لم يطمثهنَّ إنس قبلهم ولا جان. فبأي ءالآءِ ربكما تكذبان**﴾[٢] وقال: ﴿**ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجِرْكم من عذاب أليم**﴾[٣] وقال: ﴿**وتمَّت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين**﴾[٤] وقال: ﴿**فكُبكِبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون**﴾[٥] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ثواب الجن وعقابهم بحسب أعمالهم.

وقد أتفق الجمهور على أن كفارهم يعذبون في النار قال ابن القيم: «وقد اتفق المسلمون على أن كفار الجن في النار، وقد دل على ذلك القرآن في غير موضع كقوله تعالى ﴿**ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين**﴾[٦]،

---

(١) سورة الرحمٰن الآيات ٤٦،٤٧.
(٢) سورة الرحمٰن الآيات ٥٦،٥٧.
(٣) سورة الأحقاف الآية ٣١.
(٤) سورة هود الآية ١١٩.
(٥) سورة الشعراء الآية ٩٥.
(٦) سورة السجدة الآية ١٣.

وقوله: ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾[1]، فملؤها منه ــ أي ابليس به وبكفار ذريته. وقال تعالى: ﴿أدخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار﴾[2].. إلى أن يقول: وبالجملة فهذا أمر معلوم بالاضطرار في دين الإسلام»[3] وقال: «ولما كان أبوهم[4] ــ أي ابليس ــ هو أول من دعا إلى معصية الله، وعلى يده حصل كل كفر وفسوق وعصيان فهو الداعي إلى النار، وكان أول من يكسى حلة من النار يوم القيامة، يسحبها وينادي: (واثبوراه)[5]، فأتباعه من أولاده وغيرهم خلفه ينادون: (واثبوراه) حتى قيل: ان كل عذاب يقسم على أهل النار يبدأ به فيه ثم يصير إليهم»[6]. وقال ابن حجر الهيتمي: «واعلم أن العلماء اتفقوا على أن كافرهم يعذب في الآخرة[7]، قال الألوسي في قوله تعالى: ﴿ولقد عَلِمت الجِنَّة إنهم لمُحْضَرون﴾[8] أي: والله لقد علمت الشياطين ــ أي جنسهم ــ أن الله تعالى يحضرهم، ولابد من النار ويعذبهم بها، ولو كانوا مناسبين له تعالى أو شركاء في استحقاق العبادة أو التصرف لما عذبهم سبحانه»[9].

---

(١) سورة (صۤ) الآية ٨٥.
(٢) سورة الأعراف الآية ٣٨.
(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤١٧.
(٤) على خلاف بين العلماء في أن إبليس هل هو أبو الجن أم لا؟ فقال جماعة: أن إبليس أب للجن والشياطين، وقال آخرون: أن الجان أبو الجن وعلى هذا فابليس ليس أبا للجن، وسيأتي هذا.
(٥) الثبور: الهلاك انظر النهاية في غريب الحديث ٢٠٦/١ وهو دعاء الشيطان بالويل والهلاك.
(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤١٧.
(٧) الفتاوى الحديثية ص ٧٠.
(٨) سورة الصافات الآية ١٢٨.
(٩) تفسير روح المعاني ١٥١/٢٣.

وقال الإمام الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين**﴾[1] عن السدي: (وحق عليهم القول) أي: وحق على هؤلاء الذين قيضنا لهم قرناء من الشياطين، فزينوا لهم مابين أيديهم وماخلفهم العذاب في أمم قد مضت قبلهم من ضربائهم، حق عليهم من عذابنا مثل الذي حق على هؤلاء: بعضهم من الجن، وبعضهم من الإنس. ﴿**إنهم كانوا خاسرين**﴾ أن تلك الأمم الذين حق عليهم عذابنا من الجن والإنس كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته، بسخطه وعذابه)»[2].

وأما بالنسبة لثواب مؤمنيهم في الآخرة : فقد اختلف العلماء في ذلك على أقوال:

القول الأول : أنه لاثواب لهم إلا النجاة من النار ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم. وهو قول أبي حنيفة، وحكاه سفيان الثوري عن الليث بن أبي سليم، وهو رواية مجاهد، وبه قال الحسن البصري.

قال ابن القيم: «وحكي عن أبي حنيفة وغيره أن ثوابهم نجاتهم من النار»[3]. وقال الماوردي: «وحكى سفيان عن ليث أنهم يثابون على الإيمان بأن يجازوا على النار خلاصاً منها، ثم يقال لهم: كونوا تراباً كالبهائم»[4].

وقال القرطبي: «وقال أبو حنيفة: ليس ثواب الجن إلا أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم»[5]، وذكر الشوكاني عن أبي الشيخ عن ليث بن

(١) سورة فصلت الآية ٢٥.
(٢) تفسير الطبري ١١/٢٤.
(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤١٨.
(٤) اعلام النبوة ص ١٤٥.
(٥) تفسير القرطبي ٢١٧/١٦.

أبي سليم قال: «مسلمو الجن لايدخلون الجنة ولا النار، وذلك أن أخرج أباهم من الجنة، فلا يعيده ولايعيد ولده»[1]. وقال ابن نجيم: «واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن: فقال قوم: لاثواب لهم إلا النجاة من النار، وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله[2]، وعن الليث: ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم: كونوا تراباً كالبهائم، وعن أبي الزناد كذلك[3]» وقال الحسن: ليس لمؤمني الجن ثواب غير نجاتهم من النار»[4] وذكر القرطبي في رواية عن مجاهد أن الجن لايدخلون الجنة وإن صرفوا عن النار[5].

أدلة هذا الفريق :

استدل هذا الفريق بقوله تعالى إخباراً عن النفر من الجن الذين استمعوا القرآن: ﴿**ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجِرْكم من عذاب أليم**﴾[6].

ووجه استدلالهم بها: «أن المغفرة للذنوب لاتستلزم الإثابة لأنه ستر، والإثابة بالوعد فضل»[7]. وقال ابن القيم: «واحتج هؤلاء بهذه الآية فجعل غاية ثوابهم إجارتهم من العذاب الأليم»[8]، والآية قد دلت على إجارتهم من النار ولم تذكر دخولهم الجنة، أو الثواب على أعمالهم.

(١) تفسير فتح القدير ٢/١٦٤.
(٢) ذكر ابن حجر الهيتمي أن الإمام أبو حنيفة وأصحابه قالوا بأن الجن يدخلون الجنة، انظر الفتاوى الحديثية ص ٧١،١٢٣.
(٣) الأشباه والنظائر ص ٣٣٠.
(٤) تفسير القرطبي ١٦/٢١٧.
(٥) انظر تفسير القرطبي ١٩/٥.
(٦) سورة الأحقاف الآية ٣١.
(٧) الأشباه والنظائر ٣٢٦.
(٨) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤١٨.

القول الثاني : أنهم يثابون على الطاعة بدخول الجنة، على خلاف في حالهم فيها، نقله ابن حزم عن الجمهور، وممن قال به الضحاك وابن عباس، وهو قول الخليفة عمر بن عبد العزيز، وإليه ذهب الأئمة: مالك والشافعي وأحمد وأصحابهم[١]، وابن أبي ليلى والأوزاعي، ورجحه القرطبي، وهو قول أكثر المفسرين.

القول الثالث : التوقف في المسألة.

قال الألوسي: قال الكردري: وهو في أكثر الروايات. وفي فتاوى أبي اسحق الصفار أن الإمام ــ أبا حنيفة ــ يقول: لايكونون في الجنة ولكن في معلوم الله تعالى، لأنه لا استحقاق للعبد على الله تعالى، ولم يقل بطريق الوعد في حقهم إلا المغفرة والإجارة من العذاب، أما نعيم الجنة فموقوف على الدليل»[٢]، وقال القشيري: «والصحيح أن هذا ــ أي دخولهم الجنة ــ مما لم يقطع فيه بشيء والله أعلم»[٣].

لكن الجمهور من المسلمين القائلين بثواب المؤمنين من الجن في الآخرة اختلفوا في كيفية هذا الثواب؟:

١ ــ فقد ذهب الأكثرون منهم إلى أنهم في الجنة ويصيبون من نعيمها[٤].

٢ ــ ونقل عن الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنهم يكونون في ربض الجنة، وذكره الألوسي عن الإمام مالك وطائفة من العلماء[٥]. وقال ابن تيمية: «وروي في حديث رواه الطبراني: أنهم يكونون في ربض الجنة، يراهم الإنس من حيث لايرونهم»[٦]، وذكر ابن القيم أن سهل بن عبد

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣٣/٤.
(٢) تفسير روح المعاني ١٢/٢٧، ٣٢/٢٦.
(٣) تفسير القرطبي ٢١٧/١٦.
(٤) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤١٨.
(٥) انظر تفسير روح المعاني ١٢٠/٢٧، والأشباه والنظائر ٣٣٠/٢.
(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣٣/٤، ولم أعثر عليه في مجمع الزوائد للهيثمي.

الله قال: بأنهم يكونون في ربض الجنة، يراهم المؤمنون من حيث لايرونهم»[١].

— وقال جماعة : أنهم على الأعراف بين الجنة والنار، ذكره الألوسي[٢] ومقتضى هذا القول أنهم يدخلون الجنة فيما بعد، إذ أن هذا هو نهاية أصحاب الأعراف.

— وفي رواية ذكرها ابن نجيم عن الضحاك أنهم يلهمون التسبيح والذكر، فيصيبون من لذته مايصيبه بنو آدم من نعيم الجنة»[٣]. ولكن ذكر النووي في شرحه لصحيح مسلم أن الضحاك قال: بأن الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون»[٤]، وهو مانقله الفخر الرازي عنه إذ يقول: قال الضحاك: يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون، والدليل على صحة هذا القول: أن كل دليل دل على أن البشر يستحقون الثواب على الطاعة فهو بعينه قائم في حق الجن»[٥] وعقَّب الفخر الرازي على ذلك بقوله: «والفرق بين البابين بعيد»[٦] أي ثواب الإنس وثواب الجن. وقال القرطبي: «واختلفوا في دخول مؤمني الجن الجنة على حسب الاختلاف في أصلهم، فمن زعم أنهم من الجان لا من ذرية ابليس قال: يدخلون الجنة بإيمانهم، ومن قال: إنهم من ذرية ابليس فلهم فيه قولان: أحدهما: وهو قول الحسن: يدخلونها. الثاني: وهو رواية مجاهد: لايدخلونها وإن صرفوا عن النار، حكاه الماوردي»[٧].

---

(١) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤١٨.
(٢) انظر تفسير روح المعاني ١٢٠/٢٧.
(٣) الأشباه والنظائر ٣٣٠/٢.
(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٦٩/٤.
(٥) التفسير الكبير ٣٣/٢٨.
(٦) نفس المصدر ٣٣/٢٨.
(٧) تفسير القرطبي ٥/١٩، ولم أعثر على هذا القول في أعلام النبوة للماوردي كما ذكره

القول الراجح مما تقدم :[1].

والراجح ــ والله أعلم ــ أن الجن يثابون على أعمالهم ويدخلون الجنة ويصيبون من نعيمها، وذلك لأن ظواهر الآيات الواردة في جزاء الجن في الآخرة تقتضي ذلك، لأنها جاءت عامة في استحقاق المحسنين لجزاء أعمالهم، ولم يرد دليل يخصصها، فتبقى على عمومها، وهو مذهب أكثر الفقهاء.

قال الفخر الرازي: «والصحيح أنهم في حكم بني آدم، فيستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية، وهذا القول قول ابن أبي ليلى ومالك، وجرت بينه وبين أبي حنيفة في هذا الباب مناظرة»[2]. وقال الألوسي: «وعموميات الآيات تدل على الثواب»[3]. وقال ابن حجر الهيتمي: «والصحيح الذي قاله ابن أبي ليلى والأوزاعي ومالك والشافعي وأحمد وأصحابهم رضي الله عنهم، أنهم يثابون على طاعتهم»[4]. وقال الشوكاني: «وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس قال: الخلق أربعة: فخلق في الجنة كلهم، وخلقان في الجنة والنار، فأما الذين في الجنة كلهم فالملائكة، وأما الذين في النار كلهم فالشياطين، وأما الذين في الجنة والنار فالإنس والجن، لهم الثواب وعليهم العقاب»[5]، وقال النووي في شرح صحيح

القرطبي، وعبارة الماوردي: فأما كفارهم فيدخلون النار، وأما مؤمنوهم فقد اختلفوا في دخولهم الجنة، وحكى سفيان عن ليث: أنهم يثابون بهذا الإيمان، بأن يجازوا على النار خلاصا منها ثم يقال لهم: كونوا ترابا كالبهائم. اعلام النبوة ص ١٤٥.

(١) ويشمل ذلك الأقوال الثلاثة الأولى المتقدمة على ذكر خلاف الجمهور في كيفية ثوابهم وخلاف الجمهور مع بعضهم كذلك.

(٢) التفسير الكبير ٢٨/٣٣.

(٣) تفسير روح المعاني ٢٦/٣٢.

(٤) الفتاوى الحديثية ص ٧٠.

(٥) تفسير فتح القدير ٢/١٦٤.

مسلم: «والصحيح أنهم يدخلونها ويتنعَّمون فيها بالأكل والشرب وغيرهما، وهذا قول الحسن البصري والضحاك ومالك بن أنس وابن أبي ليلى وغيرهم»[1]، وقال ابن القيم: «وأما الجمهور فقالوا: مؤمنهم في الجنة كما أن كافرهم في النار»[2].

وأيضاً فقد تقدم القول بتكليفهم فيكون الواجب عليهم كالواجب علينا وهو مافيه ثواب، ولاثواب في الآخرة إلا الجنة.

وأما القول: بأنه لاجزاء لهم إلا الجنة محتجاً بقوله تعالى: ﴿**يغفر لكم من ذنوبكم ويجِرْكم من عذاب أليم**﴾[3] فمن الواضح أنه لايلزم من الاقتصار على ذكر المغفرة والنجاة من العذاب نفي ثوابهم، كيف وقد ثبت بالأدلة المتعددة ثوابهم وتنعمهم بالجنة كما سيأتي.

وأما من قال بأنهم على الأعراف: بين الجنة والنار فهو قول لادليل عليه، ثم إن وقوف أصحاب الأعراف عقاب من الله يعقبه دخول الجنة كما قال تعالى: ﴿**لم يدخلوها وهم يطعمون**﴾[4]، ولذلك قال بعض السلف: ماأطمعهم إلا ليدخلهم، والحديث في مؤمني الجن الذين لا عقاب عليهم[5].

وأما من قال بالتوقف في كيفية ثوابهم فهو بعيد، إذ لا موجب له مع شهادة النصوص بدخولهم الجنة[6].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/١٦٩.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤١٨.

(٣) سورة الأحقاف الآية ٣١.

(٤) سورة الأعراف الآية ٤٦.

(٥) انظر الفتاوى الحديثية ص ١٢٣.

(٦) الفتاوى الحديثية ص ١٢٣.

وأما من قال بأنهم في ربض الجنة، أو أنهم يلهمون التسبيح فيصيبون من لذته ما يصيبه بنو آدم من النعيم، فأنها أقوال لادليل عليها.

قال محمد رشيد رضا في هذه الأقوال: «وشذ من قال ان مسلمي الجن لايدخلون الجنة، إذ ليس لهم ثواب، وأشذ منه شذوذا من زعم أنهم لايدخلون الجنة ولا النار، نقل ذلك السيوطي عن ليث بن أبي سليم، وهو مخالف لنصوص القرآن، وليث هذا مضطرب الحديث وان روى عنه مسلم، وقد اختلط عقله في آخر عمره، ولعله قال هذا القول وغيره مما أنكر عليه بعد اختلاطه»[1].

الأدلة على ذلك :

١ ــ قوله تعالى: **﴿ولكلٍ درجات مما عملوا..﴾**[2].

قال ابن القيم: «أي ولكلٍ درجات في الخير والشر يوفونها ولا يظلمون شيئاً من أعمالهم، وهو ظاهر جداً في ثوابهم وعقابهم، وأن مسيئهم يستحق العذاب باساءته، ومحسنهم يستحق الدرجات بإحسانه»[3]، وقال محمد رشيد رضا: (ولكلٍ درجات مما عملوا..) أي ولكل من معشري الجن والإنس الذين بلغتهم دعوة الرسل درجات ومنازل من جزاء أعمالهم، تتفاوت بتفاوتهم فيها»[4]، وقال بدر الدين الشبلي: وقال ابن الصلاح في بعض تعاليقه: حكي عن ابن عبد الحكم أنه سئل عن الجن: هل لهم جزاء في الآخرة على أعمالهم؟ فقال نعم، والقرآن يدل

(١) تفسير المنار ١١٢/٨، قال الهيتمي في مجمع الزوائد ٢١٦/٧: وليث بن أبي سليم مدلس. قال الذهبي في ميزان الإعتدال ٤٢٠/٣، الليث بن أبي سليم الكوفي الليثي أحد العلماء. قال أحمد: مضطرب الحديث، ولكن حدَّث عنه الناس. وقال يحيٰ والنسائي: ضعيف ... وقال ابن حِبَّان: اختلط في آخر عمره. اهـ.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٣٢.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ١٤٩.

(٤) تفسير المنار ١١١/٨.

على ذلك، قال الله تعالى: ﴿ولكل درجات مما عملوا..﴾[1] الآية.

٢ ــ قوله تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾[2].

قال سيد قطب: «ودل هذا على أن الجن يعذبون بالنار، ومفهومه أنهم كذلك ينعمون بالجنة، هكذا يوحي النص القرآني، وهو الذي نستمد منه تصورنا، فليس لقائل بعد هذا أن يقول شيئاً يستند فيه إلى تصور غير قرآني عن طبيعة الجن وطبيعة النار أو الجنة، فسيكون ماقاله الله حقاً بلا جدال»[3].

٣ ــ قوله تعالى: ﴿ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجِرْكم من عذاب أليم﴾[4].

قال الآلوسي: «وهذا ونحوه يدل على أن الجن مكلفون، ولم ينص ههنا على ثوابهم إذا أطاعوا، وعموميات الآيات تدل على الثواب، وعن ابن عباس: لهم ثواب وعليهم عقاب، يلتقون في الجنة ويزدحمون على أبوابها، ولعل الاقتصار هنا على ماذكر لما فيه من التذكير بالذنوب، والمقام مقام الانذار، فلذا لم يذكر فيه شيء من الثواب»[5]، وقال ابن القيم: «وقد ثبت أنهم إذا أجابوا داعي الله غفر لهم وأجارهم من عذابه، وكل من غفر له دخل الجنة ولابد، وليس فائدة المغفرة إلا الفوز بالجنة والنجاة من النار»[6]. وقال القرطبي في الآية السالفة: هذه الآي تدل على أن الجن كالإنس في الأمر والنهي والثواب والعقاب[7].

(١) آكام المرجان في احكام الجان ص ٥٦.
(٢) سورة الجن الآية ١٥.
(٣) في ظلال القرآن ١٥٦/٢٩.
(٤) سورة الأحقاف الآية ٣١.
(٥) تفسير روح المعاني ٣٢/٢٦.
(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢٧.
(٧) تفسير القرطبي ٢١٧/١٦.

والله سبحانه وهو أعدل العادلين إذا كان يعذب عاصيهم فعدله يقتضي أن يكافيء طائعهم بالثواب على عمله، قال تعالى: ﴿**ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولاهضماً**﴾[1] أي لايخاف زيادة سيئاته ولانقصان حسناته، وإذا كان المؤمنون ينادون يوم القيامة لاستلام جوائزهم فكيف لا ينادى مؤمنو الجن لاستلام هذه الجوائز؟!، وذلك جزاء عادلاً من الله على عملهم في الدنيا، ورحمة منه لعباده المؤمنين.

وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه باباً سماه: «باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم»[2] وفي هذا دلالة على ثوابهم بنعيم الجنة يوم القيامة.

٤ ـــ قوله تعالى:﴿**وأنّا لما سمعنا الهدى آمنّا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً**﴾[3].

قال ابن القيم: وبهذه الحجة احتج البخاري، ووجه الاحتجاج بها: أن البخس المنفي هو نقصان الثواب، والرهق: الزيادة في العقوبة على ماعمل، فلا ينقص من ثواب حسناته، ولايزداد في سيئاته»[4].

٥ ـــ قوله تعالى في سورة الرحمٰن: ﴿**فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهنَّ إنس قبلهم ولاجان**﴾[5].

(١) سورة طه الآية ١١٢.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٤٣/٦، وقد استدل البخاري بالآيات الدالة على حضور الجن للحساب يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿يامعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم..) الآية وقوله تعالى: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾.

(٣) سورة الجن الآية ١٣.

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢٤.

(٥) سورة الرحمٰن الآية ٥٦.

قال الشوكاني: «وفي هذه الآية ــ بل في كثير من آيات هذه السورة دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا بالله سبحانه وعملوا بفرائضه وانتهوا عن مناهيه»(١).

وفي هذه الآية دليل على ان الجن ينالهم نصيبهم من الحور العين كالإنس، قال الإمام القرطبي: «في هذه الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس وتدخل الجنة، ويكون لهم فيها جنيات، قال ضمرة: للمؤمنين منهم أزواج من الحور العين، فالإنسيات للإنس والجنيات للجن»(٢). وقال النسفي: «وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس»(٣). وقال الألوسي: «ويجوز أن تكون الحور كلهن نوعاً واحداً، ويُعطى الجن منهن، لكنه في تلك النشأة غيره في هذه النشأة، ويقال: مايعطاه الإنسيُّ منهن، لم يطمثها إنسي قبله، وما يعطاه الجني لم يطمثها جني قبله، وبهذا فسر البلخي الآية. وقال الشعبي والكلبي: تلك القاصرات الطرف من نساء الدنيا لم يمسهن منذ أنشئن النشأة الآخرة خلق قبل، والذي يعطاه الإنسيُّ زوجته المؤمنة التي كانت له في الدنيا، ويعطى غيرها من نسائها المؤمنات أيضاً، وكذا الجني يعطى زوجته المؤمنة التي كانت له في الدنيا من الجن، ويعطى غيرها من نساء الجن المؤمنات أيضاً، ويبعد أن يعطى الجني من نساء الدنيا الانسانيات في الآخرة. والذي يغلب على الظن أن الإنسي يعطى من الانسيات والحور، والجن يعطى من الجنيات والحور، ولا يعطى إنسي جنية ولاجني إنسية، وما يعطاه المؤمن إنسياً كان أو جنياً من الحور شيء يليق به وتشتهيه نفسه، وحقيقة تلك النشأة وراء ما يخطر بالبال»(٤).

(١) تفسير فتح القدير ١٤١/٥.

(٢) تفسير القرطبي ١٨١/١٧.

(٣) تفسير النسفي ١٣٣/٥ المكتبة الأموية / بيروت / دمشق.

(٤) تفسير روح المعاني ١١٩/٢٧ وانظر تفسير القرطبي ١٨١/١٧.

ثم قال الألوسي: «واستدل بالآية على أن الجن يدخلون الجنة ويجامعون فيها كالإنس، فهم باقون فيها منعمين، كبقاء المعذبين منهم في النار، وهو مقتضى ظاهر ماذهب إليه أبو يوسف ومحمد وابن أبي ليلى والأوزاعي، وعليه الأكثر كما ذكره العيني في شرح البخاري من أنهم يثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية ويدخلون الجنة، فإن ظاهره أنهم كالإنس يوم القيامة»(١).

وقد استدل ابن القيم بقوله تعالى في سورة الرحمٰن: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان، فبأي آلآء ربكما تكذبان...**﴾ إلى قوله: ﴿**لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان**﴾(٢) قال ابن القيم: وهذا يدل على أن ثواب محسنهم الجنة من عدة وجوه:

(أ) أن (من) من صيغ العموم، فتتناول كل خائف.

(ب) أنه رتب الجزاء المذكور على خوف مقامه تعالى، فدل على استحقاقه به.

(جـ) قوله عقيب هذا الوعد: ﴿**فبأي آلآء ربكما تكذبان**﴾(٣).

(د) أنه ذكر في وصف نسائهم أنهن: (لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان) وهذا والله أعلم معناه: أنه لم يطمث نساء الإنس إنس قبلهم ولا نساء الجن جن قبلهم»(٤).

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾(٥) «وهذه الآيه عامة فى الإنس والجن، فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا»(٦).

---

(١) تفسير روح المعاني ١١٩/٢٧ ــ ١٢٠ انظر عمدة القارى شرح صحيح البخاري للعيني ١٨٤/١٥.

(٢) سورة الرحمٰن الآيات من ٤٦ ــ ٥٦.

(٣) سورة الرحمٰن الآية ٤٧.

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢٥ ــ ٤٢٦ باختصار.

(٥) سورة الرحمٰن الآية ٤٦.

(٦) مختصر تفسير ابن كثير ٤٢١/٣ ــ ٤٢٢.

إلى غير ذلك من آيات هذه السورة ــ أي سورة الرحمٰن ــ الدالة على ثواب الجن في الآخرة وتنعمهم بالجنة.

قال ابن القيم: «وقد ثبت أن منهم المؤمنين فيدخلون في العموم، كما أن كافرهم يدخل في الكافرين المستحقين للوعيد، ودخول مؤمنهم في آيات الوعد أولى من دخول كافرهم في آيات الوعيد، فإن الوعد فضله، والوعيد عدله، وفضله من رحمته، وهي تغلب غضبه. وأيضاً فإن دخول عاصيهم النار إنما كان لمخالفته أمر الله، فإذا أطاع الله أدخل الجنة، وأيضاً فإنه لادار للمكلفين سوى الجنة أو النار، وكل من لم يدخل النار من المكلفين فالجنة مثواه»(١).

وأما بالنسبة لرؤيتهم الله يوم القيامة : فقد اختلفوا في ذلك: فأجاز قوم رؤيتهم لله تعالى، ومنعه آخرون.

قال الألوسي: «وعلى القول بدخولهم الجنة قيل: نراهم ولايروننا عكس ما كانوا عليه في الدنيا، وإليه ذهب الحرث المحاسبي. وفي اليواقيت: الخواصُّ منهم يروننا، كما أن الخواص منا يرونهم في الدنيا. وعلى القول بأنهم يتنعمون في الجنة قيل: إن تنعمهم بغير رؤيته عز وجل، فإنهم لايرونه، وكذا الملائكة عليهم السلام، ماعدا جبريل عليه السلام، فإنه يرى الله مرة ولايرى بعدها على ماحكاه أبو إسحق إبراهيم بن الصفار في فتاويه عن أبيه، والأصح ماعليه الأكثر وأنه لافرق بينهم وبين البشر في الرؤية»(٢).

وقال بدر الدين الشبلي: «وقد وقع في كلام ابن عبد السلام في القواعد الصغرى مايدل على أن مؤمني الجن إذا دخلوا الجنة لايرون الله تعالى وأن الرؤية مخصوصة بمؤمني البشر، فإنه صرح بأن الملائكة لايرون الله تعالى في الجنة،

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢٦.
(٢) تفسير روح المعاني ١١٩/٢٧ ــ ١٢٠.

ومقتضى هذا أن الجن لايرونه»[١]. لكن القاضي جلال الدين البلقيني ذكر أن الجن يرون ربهم لعموم الأدلة، ونقل ذلك عن ابن العماد في شرح ارجوزته في الجن عن شيخه سراج الدين البلقيني»[٢].

والذي يظهر ــ والله أعلم ــ أن الجن يرون الله تعالى يوم القيامة وذلك لعموم الأدلة على دخولهم الجنة وتنعمهم بها، ورؤية الله تعالى من أكبر نعم الله على عباده في الجنة، وإذا كان الجن قد عبدوا الله وأطاعوه فإنهم يبقون داخلين في ذلك، وقياسهم على الملائكة بعدم الرؤية غير مناسب في هذا الأمر، وذلك لما بينهما من الاختلاف.

على أن رؤية الملائكة لله يوم القيامة لم يرد فيها دليل بالمنع، وذلك لأن الأدلة من الكتاب والسنة جاءت عامة في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، كالأدلة الدالة على استحقاقهم للثواب بدخولهم الجنة.

وهكذا يتبين لنا رجحان القول بدخول الجن المؤمنين الجنة، وذلك من مجموع الأدلة المتقدمة، فضلاً من الله ورحمة، وجزاء لهم على أعمالهم والله أعلم.

★ ★ ★

(١) آكام المرجان في أحكام الجان ص ٦٠.
(٢) نفس المصدر ص ٦٠ ــ ٦١.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثالث
علاقة الإنسان بالجن

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: تأثير الجن على أجسام الإنس وعقولهم.

الفصل الثاني: إلقاء الجن على الإنس علوماً وأخباراً وحكم ذلك.

الفصل الثالث: تأثير الجن على عقائد الناس وإراداتهم وأعمالهم.

الفصل الرابع: تسخير الجن للنبي سليمان عليه السلام.

الفصل الخامس: دعوى تحضير الأرواح وعلاقته بالجن.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة

خلال التاريخ الطويل للبشرية كانت هناك علاقات بين العالمين اللذين يعيشان على هذه الأرض وهما: عالم الإنس، وعالم الجن، ابتداء من خلق آدم عليه السلام وحتى اليوم.

فعندما خلق الله عز وجل آدم أمر ملائكته بالسجود لهذا المخلوق بما فيهم ابليس، فتطيع الملائكة أمر ربها ويأبى هذا اللعين الانصياع لهذا الأمر، فكان نتيجة تكبره ومخالفته أمر ربه أن طرده ولعنه وأهبطه هو وآدم إلى الأرض، ومنذ ذلك الحين ركز ابليس وذريته حملته المسعورة ضد هذا الإنسان، قال تعالى عنه: **﴿فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينَّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين﴾**[1].

واستمرت رحلة البشرية من يومها ذاك وسط حملات الشيطان لغواية هذا الإنسان من خلال وساوسه الخفية التي لاتنفك لحظة واحدة، مستجيبة هذه البشرية لغوايته تارة ورافضة تارة أخرى.

وتمضي البشرية في رحلتها، ويستمر هذا التسلط الشيطاني على الإنسان واستمتاعه به، وذلك من خلال الكهان والكهانة تارة، ومن خلال الاستجارة بالجن إذا نزل أحدهم وادياً أو مكاناً قفراً تارة أخرى، إلى غير ذلك.

ومرت فترة في التاريخ أن سخر الله الجن والشياطين لنبي من أنبيائه هو سليمان عليه السلام، فكان يسخرهم في بناء القصور والمعابد والحصون والقلاع وصناعة التماثيل وعمل أدوات الطبخ الكبيرة وغير ذلك.

(١) سورة الأعراف الآية ١٦، ١٧.

وتصل البشرية في رحلتها إلى مانحن عليه اليوم، وتستمر سخرية الجن بالانس من خلال مايسمى بـ(استحضار الأرواح)، وماهو في الواقع إلا تلاعب من قبل الجن الكفرة بأتباعهم من البشر، وصد لهم عن سبيل الله، قال تعالى في وصف هذا الاستمتاع على مدار التاريخ: **﴿ويوم يحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثوٰكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم﴾**[١].

لكن هذا الاتصال بين الجن والإنس اتصال من نوع خاص، يختلف فيه عن الاتصال بين الإنسان وأخيه الإنسان، بل هو اتصال يناسب طبيعة كل منهما، وفي الحدود التي رسمتها سنن الله تعالى وقوانينه الكونية والشرعية. والجن موجودون في كل مكان يكون فيه إنس، ضرورة أن يكون لكل إنسي شيطاناً وهو قرينه من الجن كما ورد في الحديث، وهم على هذا يحضرون جميع أحواله وتصرفاته، لايفارقونه إلا أن يحجزهم ذكر الله تعالى.

والجن مسلَّطون على الإنس بالوسوسة والاغواء تارة ـــ كما تقدم ـــ وتارة أخرى يلبسون جسم الإنسان، فيصاب عن طريقهم بمرض من الأمراض كالصرع والجنون والتشنج، وقد يضلون الإنسان عن الطريق، أو يسرقون له بعض الأموال، أو يعتدون على نساء الإنس[٢]، وغير ذلك مما سنكشف عنه في الفصول التالية إن شاء الله.

★ ★ ★

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٨.

(٢) انظر كتاب مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر ص ١٣٨ ـــ ١٤٠.

الفصل الأول

تأثير الجنّ على أجسام الإنس وعقولهم

المبحث الأول

صرع الجن للإنس

المطلب الأول

تعريف الصرع وأقوال الناس فيه

وإذا كان الجن مسلطين على كثير من الإنس بالاغواء والاضلال والوسوسة، فقد يسلطون كذلك على جسم الإنسان بإمراضه بأنواع من الأمراض كالصرع مثلاً، فنجد المصاب بالصرع يتخبط في حركاته وتصرفاته، فيصبح لايعقل من ذلك شيئاً، وسبب ذلك تسلط الكفرة من الجن على عقله وجسمه بحيث يصل إلى هذا الحال.

تعريف الصرع :

والصرع هو عبارة عن اختلال يصيب الإنسان في عقله، بحيث لايعي المصاب مايقول، فلا يستطيع أن يربط بين ماقاله وماسيقوله، ويصاب صاحبه بفقدان الذاكرة نتيجة اختلال في أعصاب المخ، ويصاحب هذا الاختلال العقلي اختلال في حركات المصروع، فيتخبط في حركاته وتصرفاته، فلا يستطيع أن يتحكم في سيره، وقد يفقد القدرة على تقدير الخطوة المتزنة لقدميه، أو حساب المسافة الصحيحة لها(١).

(١) انظر عالم الجن والملائكة ص ٧٦ ــ ٧٧.

وهذه القضية مما تنازع فيها الناس، فأثبت أهل السنة وغيرهم صرع الجن للإنس، وأنكر فريق ذلك، وعزا المنكرون سبب الصرع نتيجة لتصاعد الابخرة والاخلاط الرديئة إلى المخ، فيصاب الإنسان نتيجة لذلك بحالة عصبية يفقد معها المصاب عقله، فيتخبط في حركاته وتصرفاته.

وإليك هذه الأقوال في المسألة مفصلة مع أدلتها :

الفريق الأول :المثبتون للصرع.

لقد أثبت صرع الجن للإنس كثير من العلماء، فقد تكلم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عن الصرع وأوردا عليه الأدلة من الشرع، وأنكرا على الذين ينكرون مس الجن للإنسان، فبينا أسباب الصرع والطريق إلى علاجه، وذكراه عن الإمام أحمد ابن حنبل وابنه عبد الله رضي الله عنهما.

ونقل إثبات الصرع عن أكثر المفسرين كالإمام الطبري والقرطبي وابن كثير والألوسي وغيرهم، وكذلك نقل عن ا بن حزم إقراره لمسِّ الشيطان للإنسان(١).

واعترف به نفر من المعتزلة كالقاضي عبد الجبار الهمذاني.

ولم يقف الأمر بإثبات الصرع عند المسلمين، بل ورد في الأناجيل أن عيسى عليه السلام كان يعالج من الصرع ويخرج الشياطين.

واعترف به كذلك نفر من الأطباء، «فقد نقل عن أبقراط طبيب اليونان قديماً أنه قال في بعض المياه: أنه ينفع من الصرع الذي يعالجه الأطباء، وأنه قال: طبُّنا مع طب أهل الهياكل كطب العجائز مع طبنا»(٢).

---

(١) سيأتي الحديث عن إثبات هؤلاء للصرع عند الكلام عن الادلة على إثبات الصرع.
(٢) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٢٢.

وفي العصر الحديث اعترف نفر من الأطباء الغربيين بالصرع وعرَّفوه: بأنه غزو روح مشاغب لهالة[1] الإنسان بحيث تحدث عنده اضطرابات عصبية، يصبح المريض عندها مجنوناً[2].

وإليك بعض النصوص المتضمنة لاثبات هذه الطوائف للصرع :

١ ــ قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

«وجود الجن ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة، وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة، وهو أمر مشهود محسوس لمن تدبره، يدخل في المصروع ويتكلم بكلام لايعرفه، بل ولايدري به، بل يضرب ضرباً لو ضربه جمل لمات، ولايحس به المصروع، وقوله تعالى: ﴿**كالذي يتخبَّطه الشيطان من المَسّ**﴾[3] وقوله ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»[4] وغير ذلك يصدقه. وقال في موضع آخر: «وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر وادَّعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ماينفي ذلك»[5].

---

(١) الهالة في الأصل دائرة القمر، ويراد منها هنا رأس الانسان، انظر لسان العرب ٦١٤/١١ بتصرف.

(٢) انظر عالم الجن والملائكة ص ٨٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٥.

(٤) مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٨٤ من حديث أخرجه البخارى في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب صفة إبليس وجنوده ٣٣٧/٦. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليا بامرأة.. ١٧١٢/٤ وأخرجه أحمد في مسنده ١٥٦/٣.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧٧/٢٤.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «قلت لأبي: إن أقواماً يزعمون أن الجني لايدخل في بدن الإنسي فقال: يابني: يكذبون، هو ذا يتكلم على لسانه»[1].

٢ ــ قال القاضي عبد الجبار الهمذاني :

«إذا صح مادللنا عليه من رقة أجسامهم وأنهم كالهواء، لم يمتنع دخولهم في أبداننا كما يدخل الريح والنفس المتردد الذي هو الروح في أبداننا من التخرُّق والتخلخل، ولايؤدي ذلك إلى اجتماع الجواهر في حيز واحد، لأنها لاتجتمع إلا عن طريق المجاورة، لا على سبيل الحلول، وإنما تدخل في أجسامنا كما يدخل الجسم الرقيق في الظروف، فإن قيل: إن دخول الجن في أجسامنا في هذه المواضع يوجب تقطيعها أو تقطيع الشياطين، لأن المواضع الضيقة لايدخلها الجسم إلا ويتقطع الجسم الداخل فيها؟ قيل: إنما يكون ماذكرته، إذا كانت الأجسام التي تدخل في الأجسام كثيفة كالحديد والخشب، فأما إذا كانت كالهواء فالأمر بخلاف ماذكرته، وكذلك القول في الشياطين أنهم لايتقطعون بدخولهم في الأجسام، لأنهم: إما أن يدخلوا بكليَّتهم فبعضهم متصل ببعض فلا يتقطعون، وإما أن يدخلوا بعض أجسامهم، إلا أن بعضهم متصل ببعض فلا يتقطع أيضاً»[2].

حتى إن القاضي عبد الجبار يقول: «ولشهرة هذه الأخبار وظهورها عند العلماء ــ أي الأخبار الدالة على دخول الجني في بدن المصروع ــ قال أبو عثمان عمرو بن عبيد: إن المنكر لدخول الجن في أبدان الإنس دهري، أو يجيء منه دهري، قال القاضي عبد الجبار: وإنما قال ذلك لأنها صارت في الشهرة والظهور كشهرة الأخبار في الصلاة والصيام والحج والزكاة، ومن أنكر هذه الأخبار كان راداً، والرادُّ على الرسول ــ مالا سبيل إلى علمه إلا من جهته ــ كافر»[3].

---

(١) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٧.

(٢) آكام المرجان في احكام الجان ص ١٠٨.

(٣) نفس المصدر ص ١٠٩.

٣ ــ الصرع في الأناجيل :

أقرت الأناجيل بصرع الجن لبعض الناس وشفائهم بواسطة المسيح عليه السلام.

فقد ورد في انجيل متى: «ولما جاءوا إلى الجمع تقدم إليه ــ أي إلى المسيح ــ رجل جاثياً له وقائلاً: ياسيد ارحم ابني فإنه يصرع ويتألم شديداً، ويقع كثيراً في النار وكثيراً في الماء، وأحضرته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه. فأجاب يسوع وقال: أيها الجيل غير المؤمن الملتوي: إلى متى أكون معكم إلى متى أحتملكم، قدموه إليّ ههنا، فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفي الغلام من تلك الساعة، ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا: لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه، فقال لهم يسوع: لعدم إيمانكم فالحق أقول لكم: لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولايكون شيء غير ممكن لديكم، وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم»(١).

وقد ورد في انجيل لوقا مثل ذلك، حيث أمر المسيح عليه السلام الجني وانتهره فخرج من المصروع وشفي مما كان به(٢).

٤ ــ موقف الأطباء من الصرع :

(أ) موقف الأطباء في القديم:

قال ابن القيم: «فأما صرع الأرواح فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولايدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدفع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها، وقد نص على ذلك أبقراط في بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصرع وقال: هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه

---

(١) إنجيل متى الاصحاح السابع عشر الآيات من ١٤ ــ ٢١.

(٢) انظر إنجيل لوقا الاصحاح الرابع الآيات من ٣٣ ــ ٣٧.

الأخلاط والمادة، وأما الصرع الذي يكون من الأرواح، فلا ينفع فيه هذا العلاج.

أما جهلة الأطباء وسَقَطُهم وسِفْلَتهم[1] ومن يعتقد بالزندقة فضيلة فأولئك ينكرون صرع الأرواح ولا يقرُّون بأنها تؤثر في بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل، وإلا فليس في الصناعة الطبية مايدفع ذلك، والحس والمشاهدة شاهد به، وإحالتهم ذلك على غلبة بعض الأخلاط هو صادق في بعض أقسامه لا في كلها، وقدماء الأطباء كانوا يسمون هذا الصرع: «المرض الإلهي» وقالوا: إنه من الأرواح.

وأما جالينوس وغيره فتأولوا هذه التسمية عليهم وقالوا: انما سموه بالمرض الإلهي لكون هذه العلة تحدث في الرأس فتضر بالجزء الإلهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ، وهذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الأرواح وأحكامها وتأثيراتها.

وجاءت زنادقة الأطباء فلم يثبتوا إلا صرع الأخلاط وحده، ومن له عقل ومعرفة بهذه الأرواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء وضعف عقولهم»[2].

وانكار أكثر الأطباء للصرع إنما سببه إنكارهم للغيبيات بشكل عام، والجن من بينها، ودراساتهم وأبحاثهم إنما هي منصبة على هذا الجسد المحسوس وغيره من الماديات، ولذا فإنهم يعالجون علله بما توصل إليه علمهم.

(ب) موقف الأطباء في العصر الحديث :

لقد اعترف نفر من أطباء العصر الحديث بالصرع، وانصبت دراساتهم على هذه الظاهرة على أساس أنها من تأثير أرواح خبيثة، وليس على أساس أنها حالات عصبية كما يفسر ذلك أكثر الأطباء اليوم.

يقول العالم (كارنجتون) عضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية عن حالة المس:

---

(١) يقصد غير المتعمقين في الطب وعلومه.

(٢) زاد المعاد ٨٤/١.

«واضح أن حالة المس هي على الأقل حالة واقعية لايستطيع العلم بعد أن يهمل أمرها، مادامت توجد حقائق كثيرة مدهشة تؤيدها، ومادام الأمر كذلك فإن دراستها أصبحت لازمة وواجبة، لا من الوجهة الأكاديمية[1] فقط، بل لأن مئات من الناس وألوفاً يعانون في الوقت الحاضر من هذه الحالة، ولأن شفاءهم يستلزم الفحص السريع والعلاج الفوري، وإذا مانحن قررنا مكنة المس[2] من الوجهة النظرية انفتح أمامنا مجال فسيح للبحث والتقصي، ويتطلب كل مايتطلبه العلم الحديث والتفكير السكيولوجي من العناية والحذق والجلد»[3].

ويقول الدكتور (بل): «لدينا الكثير الذي يصح أن نميط عنه اللثام، وعلى الأخص ما كان متعلقاً بحالة المس باعتباره عاملاً مسبِّباً للأمراض النفسية والعصبية، ولقد ظهر لنا أن المس الروحي أكثر تعقيداً مما كان يظن أولاً، ولاتتألف الشخصية الماسة من نفس مخلوق غير مجسد، ولا من عقله وإرادته فقط، بل هما في الواقع شخصية مؤلفة من أشياء كثيرة، والشخصية الماسة المركزية وهي الشخصية التي اصطدمت أولاً بمجمع حواس الشخص الممسوس، وهي على وجه العموم قليلة المقاومة لايحاءات الغير، ومن ثم تصبح هذه الشخصية مطية سهلة لأولئك الذين يرغبون في الاقتراب من أي إنسان بهذه الطريقة التي تبدو كأنها لاشأن لها إلا في الحصول على الترضية الخاصة لمجموع الأرواح الماسة: كلها أو بعضها، وبمضي الزمن يزداد التضام[4] في هذه العملية حتى يتم في النهاية تلاشي

(١) الأكاديمية : تطلق على الجمعية العلمية التي يلتقي فيها العلماء، فيتباحثون في العلوم المختلفة، وأصبح لكل نوع من العلوم أكاديمية خاصة يلتقي فيها أصحاب هذا الفن. انظر كتاب دائرة المعارف لبطرس البستاني ٤/١٠٢ ــ ١٠٧ بتصرف واختصار ويراد منها هنا: الدراسة النظرية المجردة عن التجربة.

(٢) أي تمكن المس ووجوده.

(٣) عالم الجن والملائكة ص ٨٣.

(٤) التضام : الاجتماع.

الشخص الممسوس، الذي يصل إلى مثل هذه الحال تلاشياً تاماً.

ويظهر أن للأرواح الماسة ثلاث نقط اصطدام رئيسية هي: قاعدة المخ، ومنطقة الضفيرة الشمسية، والمركز المهيمن على أعضاء التناسل.

أما الضجة التي لابد أن تحدث بهذا المس وتفاعلات الشخص الممسوس فيمكن دراستها في مستشفيات الأمراض العقلية، ومع ذلك فحينما يأتي ممارسو القوة الروحية الحديثون بالعجب العجاب في طرد الشياطين أو الأرواح الماسة ومداواة المرضى المحزونين، فلا يكون نصيبهم من بعض الأطباء إلا نظرة الزراية والاستخفاف(١).

وقال الدكتور جيمس هايسلوب عن المس: «إنه تأثير خارق للعادة تؤثر به شخصية واعية خارجية في عقل شخص وجسمه، ولايمكن إنكار مكنة حدوث المس»(٢).

ويرى بعض الأطباء كالدكتور: (كارل ويكلاند) أن الجنون قد ينشأ من استحواذ روح خبيث على الشخص المريض، فيحدث اضطراباً واختلالاً في اهتزازاته، وأنه بالكهربائية الاستاتيكية(٣) تنظم الاهتزازات وتطرد الشخصية المستحوذة، ويعود العقل إلى حالته الطبيعية دون تأثير شخصية ماسة له(٤).

وهكذا لايملك هؤلاء الأطباء إلا الاعتراف بتأثير بعض العوالم الروحية على بعض أجسام البشر وعقولهم، فنشأ عن هذا التأثير حالات المس، التى لايقدر

---

(١) عالم الجن والملائكة ص ٨٤.

(٢) نفس المصدر ص ٨٤.

(٣) الكهرباء الاستاتيكية: أي الكهرباء الساكنة، وتطلق كلمة (استاتيكا) على علم دراسة توازن القوى. انظر دائرة معارف الشباب/فاطمة محجوب ص ٤٨.

(٤) نفس المصدر ص ٨٤.

الطب على معالجتها بمستوى العلاج بالطرق التي رسمها الإسلام لذلك من الأدعية الشرعية في الكتاب والسنة كما سيأتي.

الأدلة على إثبات الصرع :

استدل المثبتون للصرع بعدة أدلة من القرآن والسنة:

أولاً : الأدلة من القرآن :

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿**الذين يأكلون الربوا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان من المَسّ..**﴾[1] الآية.

قال الإمام القرطبي: «في هذه الآية دليل على فساد من أنكر الصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لايسلك في الإنسان ولايكون منه مس»[2]. وقال ابن كثير: (الذين يأكلون الربوا..) الآية، أي: لايقومون إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً»[3]، وقال الإمام الطبري في تفسير الآية: «حدثني بشر قال: قال ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: أن ربا الجاهلية: يبيع الرجل البيع إلى أجل مسمى، فإذا وصل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأخر عنه، فقال جل ثناؤه للذين يربون الربا الذي وصفنا صفته في الدنيا، لايقومون في الآخرة من قبورهم، إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، يعني بذلك: يتخبَّله الشيطان في الدنيا فيصرعه من المس، يعني من الجنون»[4]. وقال الألوسي: «إن الذين يأكلون الربا لايقومون إلا قياماً كقيام المصروع من الدنيا، والتخبط: تفعُّل بمعنى فعل، وأصله ضرب متوال على أنحاء مختلفة..، وقوله تعالى: (من المس) أي: الجنون، يقال: مس

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٥.

(٢) تفسير القرطبي ٣/٣٥٥.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٣٢٦.

(٤) تفسير الطبري ٣/١٠١.

الرجل فهو ممسوس: إذا جن، وأصله اللمس باليد، وسمي به لأن الشيطان قد يمس الرجل وأخلاطه مستعدة للفساد فتفسد ويحدث الجنون[1] ويقول: «واعتقاد السلف أن مادلت عليه الآية أمور حقيقية واقعة كما أخبر الشرع عنها، والتزام تأويلها كلها يستلزم خبطاً طويلاً، لايميل إليه إلا المعتزلة ومن حذا حذوهم، وبذلك خرجوا عن قواعد الشرع القويم، فاحذرهم قاتلهم الله أنَّى يؤفكون»[2].

وقال ابن حزم: «وصح أن الشيطان يمس الإنسان الذي يسلطه الله عليه مساً كما جاء في القرآن، يثير به من طبعائه السوداء والأبخرة المتصاعدة إلى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل مصروع، بلا خلاف منهم، فيحدث الله عز وجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده، وهذا هو نص القرآن وماتوجبه المشاهدة، ومازاد على هذا فخرافات من توليد العزَّامين والكذابين، وبالله تعالى نتأيد»[3].

قال الجاحظ: «وسمع عمرو بن عبيد رضي الله عنه ناساً من المتكلمين ينكرون صرع الجن للإنسان واستهواء الجن للإنس فقال: وماينكرون من ذلك وقد سمعوا قول الله عز ذكره في أَكَلَة الربا ومايصيبهم يوم القيامة حيث قال: ﴿**الذين يأكلون الربوا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾[4]؟ ولو كان الشيطان لم يخبط أحداً لما ذكَّر الله تعالى به أكلة الربا، فقيل له: ولعل ذلك كان مرة فذهب؟ قال: ولعله قد كثر فازداد أضعافاً! قال: وماينكرون من الاستهواء بعد قوله تعالى: ﴿**كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران..**﴾[5].

(١) تفسير روح المعاني ٤٩/٣ بتصرف.
(٢) تفسير روح المعاني ٤٩/٣.
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٤/٥.
(٤) سورة البقرة الآية ٢٧٥.
(٥) سورة الأنعام الآية ٧١.

إلى غير ذلك من أقوال العلماء في هذه الآية، وهذه الأقوال كما نرى مجمعة على أن الشيطان يصرع الإنسان ويتخبطه، بحيث يصير مجنوناً لا إرادة له ولا اختيار.

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية :

وردت أحاديث عديدة عن الرسول ﷺ تثبت صرع الجن للإنس وغلبتهم على عقله، وقد ورد في هذه الأحاديث معالجته عليه الصلاة والسلام للمصروعين بقراءة بعض الآيات والأدعية عليهم، فيشفون بإذن الله، ومن هذه الأحاديث:

١ ــ عن مطر بن عبد الرحمٰن الأعنق: قال: حدثتني أم أبان بنت الوازع عن أبيها: أن جدها الوازع انطلق إلى رسول الله ﷺ، فانطلق معه بابن له مجنون ــ أو ابن أخت له ــ قال جدي: فلما قدمنا إلى رسول الله ﷺ المدينة قلت: يارسول الله: إن معي ابن لي ــ أو ابن أخت لي ــ مجنون، أتيتك به فتدعو الله عز وجعل له قال: ائتني به، فانطلقت إليه وهو في الركاب، فأطلقت عنه وألقيت عنه ثياب السفر، وألبسته ثوبين حسنين وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ﷺ فقال: أدنه مني واجعل ظهره مما يلي، قال: فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله، فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض أبطيه ويقول: أخرج عدو الله، أخرج عدو الله، فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول، ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه فدعا له، فمسح وجهه، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه»[1].

فهذا الحديث قد دل على أن الشيطان يصرع الإنسان بحيث يصير مجنوناً، فقد انطلق الوازع بابن له ــ أو ابن أخت له ــ مجنون ــ كما جاء في الحديث، حتى جاء به إلى رسول الله ﷺ، فجعل يعالجه عليه الصلاة والسلام ويضرب

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢ ــ ٣: رواه الطبراني، وأم أبان لم يرو عنها غير مطر.

ظهره وهو يقول للشيطان: أخرج عدو الله، أخرج عدو الله» وفي هذا دليل على أن جنون الصبي كان بفعل صرع الشيطان له، فما كان الشيطان يملك إلا أن يطيع المصطفى عليه الصلاة والسلام فيخرج من الصبي، فيعود مشافى معافى، ليس في القوم أحد أفضل منه.

٢ ــ عن يعلى بن مرة قال: لقد رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثاً، مارآها أحد قبلي ولايراها أحد بعدي: لقد خرجت معه في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة، معها صبي لها، فقالت: يارسول الله: هذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء، يؤخذ في اليوم ماأدري كم مرة، قال: ناولينيه، فرفعته إليه، فجعلته بينه وبين واسطة الرحل، ثم فغر فاه، فنفث فيه ثلاثاً وقال: بسم الله أنا عبدالله، اخسأ عدو الله، ثم ناولها إياه فقال: القينا في الرجعة في هذا المكان فأخبرينا مافعل، قال: فذهبنا ورجعنا، فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث فقال: مافعل صبيك؟ فقالت: والذي بعثك بالحق ماحسسنا منه شيئاً حتى الساعة، فاجتَزِرْ[1] هذه الغنم قال: انزل خذ منها واحدة ورد البقية...»[2] وذكر الحديث بتمامه.

وقد ورد من طريق يعلى بن مرة كذلك قال: ثم سرنا فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جِنَّة، فأخذ النبي ﷺ بمنخره فقال: أخرج إني محمد رسول الله، قال: ثم سرنا، فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء فأتته المرأة بجُزر[3] ولبن، فأمرها أن ترد الجُزر، وأمر أصحابه فشرب من اللبن، فسألها عن الصبي فقالت: والذي بعثك بالحق مارأينا منه ريباً بعدك[4].

(١) اجتزر : أي خذ. النهاية في غريب الحديث ١/٢٧٦.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤/١٧٠ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٤: رواه أحمد باسنادين والطبراني بنحوه، وأحد اسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح.

(٣) الجزر بالضم: الإبل، وبالفتح: الشياه، ويراد بها هنا الشياه. انظر النهاية في غريب الحديث ١/٢٦٦ ــ ٢٦٧.

(٤) من حديث أخرجه أحمد في مسنده ٤/١٧٣.

وفي لفظ آخر أخرجه أحمد في مسنده قال: ثنا وكيع قال: ثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلى بن مرة عن أبيه قال وكيع: مرة يعنى الثقفي ولم يقل مرة عن أبيه: أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ معها صبي لها به لمم[١]، فقال النبي ﷺ: أخرج عدو الله، أنا رسول الله قال: فبرأ، فأهدت إليه كبشين وشيئاً من أقط[٢] وشيئاً من سمن، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**خذ الأقط والسمن وخذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر**»[٣].

٣ ـــ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله: ان ابني هذا به جنون، وانه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيفسد علينا، فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له، فثعَّ ثعَّة[٤] وخرج من جوفه مثل الجرو الأسود وسعى»[٥]. قال عثمان: فسألت أعرابياً فقال: بعضه على اثر بعض.

فهذه الأحاديث بطرقها المختلفة قد دلت على أن رسول الله ﷺ خاطب الشيطان الذي صرع الصبي وأفقده عقله، بقوله له: بسم الله، أنا عبد الله، اخسأ

(١) اللمم : طرف من الجنون يلم بالانسان، أي يقرب منه ويعتريه، انظر النهاية في غريب الحديث ٢٧٢/٤.
(٢) الأقط : هو لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به انظر النهاية كذلك ٥٧/١.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٧١/٤. قال في مجمع الزوائد ٦/٩: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٦١٨/٢ وقال عنه: حديث صحيح الاسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي. وأخرج الدارمي نحوه من حديث طويل. باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١٨/١.
(٤) الثع : القيء، والثعة: المرة الواحدة. انظر النهاية في غريب الحديث ٢١٢/١.
(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٢٥٤/١، والدارمي في سننه. باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١٩/١. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٩: رواه أحمد والطبراني، وفيه فرقد السبخي، وثقة ابن معين والعجلي وضعفه غيرهما.

عدو الله». فيعود الصبي وقد ذهب مابه، وتهدي تلك المرأة إلى رسول الله ﷺ كبشين وشيئاً من لبن وسمن، فيرد عليه السلام الكبشين كما جاء في بعض الروايات، ويأخذ أحدهما كما في روايات أخرى، ويأخذ اللبن والسمن، ولعلها تكون حوادث مختلفة، وهي تدل دلالة مباشرة على أن شرار الجن يصرعون الإنس، فيصاب المصروع بالجنون، حيث يجعله يتخبط في حركاته.

٤ ـــ وعن ابن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل في الصلاة يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه، قال: فهمزه الموتة، ونفثه الشعر، ونفخه الكبرياء»**[(١)].

وعن أبي سعيد قال: «كان رسول الله ﷺ يقول: **«أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه»**[(٢)].

وفي رواية عن أبي سلمة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم: من همزه ونفثه ونفخه. قال: وكان رسول الله ﷺ يقول: تعوذوا بالله من الشيطان الرجيم: من همزه ونفخه ونفثه، قالوا: يارسول الله: ماهمزه ونفخه ونفثه؟ قال أما همزه فهذه الموتة التي تأخذ بني آدم، وأما نفخه فالكبر، وأما نفثه فالشعر»**[(٣)].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك. كتاب الصلاة. باب الاقامة وصلاة الجماعة ٢٠٧/١ وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح الاسناد، وقد استشهد البخاري بعطاء بن السائب ووافقه الذهبي على ذلك. وأخرجه أبو داود في سننه. كتاب الصلاة. باب ما يستفتح الصلاة من الدعاء ٤٨٦/١. وابن ماجه في سننه من طريق جبير بن مطعم عن أبيه كتاب الصلاة. باب الاستعاذة في الصلاة ٢٦٥/١. والدارمي في سننه. كتاب الصلاة باب ما يقال في استفتاح الصلاة ٢٢٦/١.

(٢) أخرج أحمد في مسنده ٥٠/٣. والترمذي في سننه أطول من هذا اللفظ. كتاب الصلاة. باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ٣٢٤/١ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٥/٢ رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٥٦/٦.

فهذا الحديث بمختلف طرقه يثبت صرع الجن للإنس، حيث ورد فيه استعاذة الرسول ﷺ من الهمز، وتفسير الهمز كما ورد بأنه الموتة التي تأخذ الإنسان في حياته، وهي الصرع، إذ أن المصروع يصل بهذه الحالة إلى درجة الأموات لما يعانيه من ألم الصرع، قال ابن كثير في تفسير الهمز: «وقد ورد في الحديث: فهمزه الموتة وهو الخنق، الذي هو الصرع[1]، وفسر ابن الأثير الموتة بالجنون»[2].

٥ ــ وروى أبا اليسر حديثاً يستعيذ فيه عليه الصلاة والسلام من أن يتخبطه الشيطان فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهرم والتردِّي والهَدْم والغم والحريق والغَرَق، وأعوذ بك أن يتخبَّطني الشيطان عند الموت، وأن أقتل في سبيلك مدْبِراً، وأعوذ بك أن أموت لديغا»[3].

فقد أثبت عليه الصلاة والسلام تخبط الشيطان للإنسان عند موته، والتخبط هو الصرع[4]. قال ابن الأثير: «وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان» أي يصرعني ويلعب بي»[5].

٦ ــ ماثبت في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت

---

(١) البداية والنهاية ٦١/١، يشير ابن كثير إلى ما جاء في بعض الروايات من تفسير الهمز بأنه الموتة التي تأخذ بني آدم.

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث ٢٧٣/٥.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك. كتاب الدعاء ٥٣١/١ وقال عنه: حديث حسن صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. والنسائي في سننه. كتاب الاستعاذة: الاستعاذة من التردي والهدم ٢٨٣/٨. وأخرجه أحمد في مسنده ٤٢٧/٣. وأبو داود في سننه. كتاب الصلاة. باب في الاستعاذة ١٩٤/٢.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٠١/٣.

(٥) النهاية في غريب الحديث ٨/٢.

النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك؟ فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشَّف فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها»(١).

فقد دل الحديث على أن هذه المرأة كانت تصرع فتتكشف من وراء ذلك، وقد طلبت من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يدعو الله لها بالشفاء، فأمرها بالصبر مقابل الجنة، ودعا لها أن لاتتكشف وذلك لما فيه من أذى يلحقها نتيجة انكشاف عورتها.

٧ ــ قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»(٢).

وقد استدل به جماعة على أن الشيطان يستطيع النفاذ إلى باطن الإنسان، فينشأ عنه الصرع الذي يصيب بعض الناس، قال في شرح الاقناع: «والمشهور أن للجن قدرة على النفوذ في بواطن البشر لقوله ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**...»(٣)، وبهذا الحديث احتج القاضي أبو يعلى الحنبلي على صرع الجن لبعض الناس(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب المرضى. باب فضل من يصرع من الريح ١١٤/١٠. أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب البر والصلة. باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض. ١٩٩٤/٤٠. وأخرجه أحمد في مسنده ٣٤٦/١.

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه. كتاب الأحكام. باب الشهادة تكون عند الحاكم ١٥٨/١٣. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الصوم. باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خاليا بامرأة.. ١٧١٢/٤. وأخرجه أحمد في مسنده ١٥٦/٣.

(٣) الرسائل الحسان في نصائح الاخوان ص ٢٦.

(٤) انظر كتاب المعتمد في اصول الدين ص ١٧٤.

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على صرع الجن للإنسان، قال الفخر الرازي: «ومن تتبع الأخبار النبوية وجد الكثير منها قاطعاً بجواز وقوع ذلك من الشيطان، بل وقوعه بالفعل»(١).

الفريق الثاني : المنكرون للصرع :

وهو منقول عن أكثر المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي. والقفّال من الشافعية(٢) والبيضاوي في تفسيره(٣) وغيرهم.

قال الألوسي: «وقال المعتزلة والقفال من الشافعية: أن كون الصرع والجنون من الشيطان باطل، لأنه لايقدر على ذلك»(٤). وقال الفخر الرازي: «قال الجبائي: الناس يقولون: المصروع إنما حدثت به تلك الحالة لأن الشيطان يمسه ويصرعه، وهذا باطل، لأن الشيطان ضعيف لايقدر على صرع الناس وقتلهم»(٥).

وقال ابن تيمية: «وقد أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع، ولم ينكروا وجود الجن، إذ لم يكن ظهور هذا المنقول عن الرسول كظهور هذا، وان كانوا مخطئين في ذلك»(٦).

وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي: «ولاسبيل للشيطان إلى تخبيط الإنسي كما كان له سبيل إلى سلوكه ووسوسته، وماتراه من الصرع والتخبط والاضطراب ليس من

---

(١) التفسير الكبير ٨٩/٧.

(٢) انظر التفسير الكبير ٨٢/٢، ٨٩/٧، انظر إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٦. تفسير روح المعاني ٤٩/٣.

(٣) انظر تفسير البيضاوي ١٤٣/١.

(٤) تفسير روح المعاني ٤٩/٣.

(٥) التفسير الكبير ٨٩/٧.

(٦) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٦.

فعل الشيطان لاستحالة فعل الفاعل في غير محل قدرته، وإنما ذلك من فعل الله تعالى فيه بجري العادة، ولايكون المجنون مضطراً إلى ذلك»[١].

لكن القاضي أبا يعلى يعترف بخبط الشيطان للإنسان وصرعه إياه، لكنه يعتبر ذلك إنما هو عائد إلى الوسوسة التي يحصل بسببها الصرع، وفي هذا يقول: «وقد يتوصل من الشيطان وسواس، والوسواس يحتمل أن يفعل كلاماً خفياً يدركه القلب، ويمكن أن يكون هو الذي يقع عند الفكر، ويكون منه مس وسلوك ودخول في أجزاء الإنسان ويتخطفه، خلافاً لبعض المتكلمين في إنكارهم سلوك الشيطان في أجسام الإنس، وزعموا أنه لايجوز وجود روحين في جسد، والدلالة عليه قوله تعالى: «﴿**لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان من المس**﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿**الذي يوسوس في صدور الناس**﴾[٣]، وقال النبي ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»[٤]، ولأنه لايمتنع أن يدخل الشيطان في أجسامنا سواء كانت رقيقة أو كثيفة كالطعام والشراب»[٥].

وهذا دليل على إثبات أبي يعلى للصرع، لكنه لايعتبره بفعل الشيطان ابتداء، وإنما يحصل بالوسوسة التي ينشأ عنها الصرع، وبهذا يكون مذهبه مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصرع، وإن خالفهم في صفة صرع الشيطان للإنسان.

ثم إننا نجد الزمخشري في تفسيره يرى أن آية الربا إنما جاء بها القرآن وفق ما كان يعتقده العرب ويزعمونه من أن الشيطان يصرع الإنسان وليس هو في

(١) كتاب المعتمد في أصول الدين ص ١٧٤.
(٢) سورة البقرة الآية ٢٧٥.
(٣) سورة الناس الآية ٥.
(٤) تقدم قبل قليل.
(٥) كتاب المعتمد في أصول الدين ص ١٧٣ ــ ١٧٤.

الحقيقة كذلك. قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿**الذين يأكلون الربوا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان من المس...**﴾[1] الآية: أي لايقومون إذا بعثوا من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان: أي المصروع. وتخبط الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، والخَبْط: ضرب على غير استواء كخبط العشواء، فورد على ماكانوا يعتقدون. والمس: الجنون، ورجل ممسوس، وهذا أيضاً من زعماتهم، وأن الجني يمسه فيختلط عقله، وكذلك جن الرجل. معناه: ضربته الجن.

ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب، وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات»[2].

وذهب مذهب الزمخشري البيضاوي في تفسيره[3] وأبو السعود كذلك[4].

ثم إننا نجد من المحْدَثين من وافق هؤلاء في إنكار الصرع، أمثال الشيخ محمود شلتوت وعبد الله النوري وغيرهم.

يقول الشيخ محمود شلتوت بعد أن يتحدث عن النفر من الجن الذين ورد ذكرهم في سورة الجن، من حيث نفيهم أن يكون لهم معرفة بعلم الغيب كما في قوله تعالى: ﴿**وأنا لاندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رَشَدا**﴾[5] وقوله: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلكُ من بين يديه ومن خلفه رَصَدا**﴾[6] يقول بعد ذلك:

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٥.
(٢) تفسير الكشاف ٣٩٨/١ ــ ٣٩٩.
(٣) انظر تفسير البيضاوي ١٤٢/١ ط ٢ ١٣٨٨ ــ ١٩٦٨ مصطفى البابي الحلبي.
(٤) انظر تفسير أبي السعود ٤١١/١ ــ ٤١٢.
(٥) سورة الجن الآية ١٠.
(٦) سورة الجن الآيات ٢٦،٢٧.

«إذا كان هذا حديثهم بالنسبة لمعرفة الغيب، وكان حديثهم عن أنفسهم بالنسبة لسلطانهم على الإنس، وأن هذا وذاك موضع إنكار منهم أنفسهم، صرنا إلى يقين لايمسه ريب بأن الجن لايعلمون الغيب، ولايقدرون على الإيذاء الاتصالي أو التلبسي..

ومع هذا كله قد تغلَّب الوهم على الناس، ودرج المشعوذون في كل العصور على التلبيس، وعلى غرس هذه الأوهام في نفوس الناس، استغلوا بها ضعاف العقول والإيمان، ووضعوا في نفوسهم أن الجن يلبس جسم الإنسان وأن لهم قدرة على استخراجه، ومن ذلك كانت بدعة الزار[1]، وكانت حفلاته الساخرة المزرية، ووضعوا في نفوسهم أن لهم القدرة على استخدام الجن في الحب والبغض، والزواج والطلاق، وجلب الخير ودفع الشر، وبذلك كانت: (التحويطة والمندل وخاتم سليمان)، استخدموهم في إظهار الغيب من مسروق ضائع أو مستقبل مخبوء، واستخدموهم في العلاج، استغلوهم بكل ذلك في كل شيء، وصارت لديهم مهنة، منها يتعيشون، وللمال يجمعون، وبالعقول يعبثون، وقد ساعدهم على ذلك طائفة من المتسمين بالعلم والدين، وأيدوهم بحكايات وقصص موضوعة، أفسدوا بها حياة الناس، وصرفوهم عن السنن الطبيعية في العلم والعمل، عن الجد النافع المفيد»[2].

وقال عبد الله النوري تعقيباً على آية الربا: «وليس في الآية دليل على أن الصرع أو الجنون يأتي من شيطان أو زار، وقد تكلمنا في هذا الموضوع أكثر من مرة، أنكرنا فيها دخول الشياطين في الناس أو تلبسهم أجساد الناس، فوجدنا

---

(١) الزار : حفلات يحضرها المصروع والدجالون الذين يزعمون شفاء المريض وإخراج الجني منه بالتقرب إلى الجن بالقرابين. وهي بدعة منتشرة في مصر والكويت وبعض البلاد الأخرى.

(٢) الفتاوى ص ٢٦ ـــ ٢٧.

اعتراضاً وانتقاداً من المؤيدين»[1] يعني المؤيدين للصرع.

وقد حمل هذا الرجل تفسير الآية على نفس ماحملها الزمخشري ومن نهج نهجه من أن القرآن خاطب العرب على وفق مايزعمون ويعتقدون، من دخول الجني في بدن المصروع، وأن سلطان الشيطان على الإنسان ماهو إلا بالوسوسة والإغواء، دون الإيذاء الجسمي وهو الصرع[2].

أدلة المنكرين للصرع :

استدل المنكرون لصرع الجن للإنس بأدلة هي:

١ ــ قوله تعالى عن الشيطان: ﴿**وماكان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي...**﴾[3].

قال الفخر الرازي في بيان وجه استدلالهم بهذه الآية: «وهذا صريح في أنه ليس للشيطان قدرة على الصرع والقتل والإيذاء»[4].

٢ ــ الشيطان إما أن يقال: إنه كثيف الجسم، أو يقال: إنه من الأجسام اللطيفة، فإن كان الأول وجب أن يرى ويشاهد، إذ لو جاز فيه أن يكون كثيفاً ويحضر ثم لايرى، لجاز أن يكون بحضرتنا شموس ورعود وبروق وجبال ونحن لانراها، وذلك جهالة عظيمة. ولأنه لو كان جسماً كثيفاً فكيف يمكنه أن يدخل في باطن بدن الإنسان. وأما إن كان جسماً لطيفاً كالهواء، فمثل هذا يمتنع أن يكون فيه صلابة وقوة، فيمتنع أن يكون قادراً على أن يصرع الإنسان ويقتله.

---

(١) سألوني لعبد الله النوري ٢٥١/١.
(٢) انظر نفس المصدر ٢٥١/١ ــ ٢٥٤.
(٣) سورة إبراهيم الآية ٢٢.
(٤) التفسير الكبير ٨٨/٧.

٣ ـــ لو كان الشيطان يقدر على أن يصرع ويقتل، لصح أن يفعل مثل معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك يجر إلى الطعن في النبوة.

٤ ـــ أن الشيطان لو قدر على ذلك، فلم لا يصرع جميع المؤمنين؟ ولم لايخبطهم مع شدة عداوته لأهل الإيمان؟، ولم لايغصب أموالهم ويفسد أحوالهم ويفشي أسرارهم ويزيل عقولهم؟. وكل ذلك ظاهر الفساد.

وإن أحتج القائلون بأن الشيطان يقدر على هذه الأشياء بوجهين:ـــ

الأول: ماروى أن الشياطين في زمن سليمان بن داود عليهما السلام كانوا يعملون الأعمال الشاقة، على ماحكى الله عنهم أنهم كانوا يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات؟.

فالجواب عنه : أنه تعالى كلفهم في زمن سليمان، **فعند ذلك قدروا** على هذه الأفعال، وكان ذلك من المعجزات لسليمان عليه السلام.

والثاني: أن هذه الآية وهي قوله: ﴿**يتخبطه الشيطان**﴾ صريح في أن يتخبطه الشيطان بسبب مسه؟!.

والجواب عنه: أن الشيطان يمسه بوسوسته المؤذية التي يحدث عندها الصرع، وهو كقول أيوب عليه السلام: ﴿**أني مسَّنيَ الشيطان بنُصْبٍ وعذاب**﴾[1].

وإنما يحدث الصرع عند تلك الوسوسة، لأن الله تعالى خلقه من ضعف الطباع وغلبة السوداء عليه، بحيث يخاف عند الوسوسة، فلا يجترىء فيُصْرع عند تلك كما يصرع الجبان من الموضع الخالي، ولهذا المعنى لايوجد هذا الخبط عند الفضلاء الكاملين وأهل الحزم والعقل، وإنما يوجد عند من به نقص في المزاج وخلل في الدماغ.

---

(١) سورة(صٓ)الآية ٤١.

قال الفخر الرازي: فهذا جملة كلام الجبائي في هذا الباب»[١].

وذكر الفخر الرازي وجهاً آخر عن القفال في تأويل الآية فقال: «ان الناس يضيفون الصرع إلى الشيطان وإلى الجن، فخوطبوا على ماتعارفوه من هذا، وأيضاً: من عادة الناس أنهم إذا أرادوا تقبيح شيء أن يضيفوه إلى الشيطان كما في قوله تعالى: ﴿طَلْعُها كأنه رؤُس الشياطين﴾[٢].

وتأويل القفال لهذه الآية هو قريب من تأويل الزمخشري والبيضاوي، وتبعهم على ذلك أبو السعود في تفسيره، إذ بيَّن أن التخبط وارد في أَكَلة الربا، حيث يكون حالهم يوم القيامة بأنهم يحاولون النهوض، فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين، لا لاختلال عقولهم، بل لأن الله تعالى أربى في بطونهم ماأكلوا من الربا، فأثقلهم فصاروا مخبَّلين ينهضون ويسقطون»[٣].

الشيخ محمد رشيد رضا[٤] ومنشأ الصرع :

لكننا نجد الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره يتوقف في ترجيح أحد الرأيين على الآخر في تفسير الآية وفي منشأ الصرع، فهو يقول بعد أن ذكر قول أبي السعود المتقدم:

(١) ذكر هذه الأدلة والاعتراضات عن المنكرين للصرع الفخر الرازي في التفسير الكبير ٨٨/٧ ــ ٨٩. وانظر نفس المصدر أيضا ١٩٠/١٩، ٨/٢١، ٢٤٨/٢٥.

(٢) سورة الصافات الآية ٦٥. التفسير الكبير ٨٩/٧.

(٣) انظر تفسير أبي السعود ٤١١/١ ــ ٤١٢.

(٤) محمد رشيد رضا: صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في القلمون من أعمال طرابلس الشام، وتعلم فيها، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، فاتصل بالشيخ محمد عبده، وتتلمذ عليه، وأصدر «مجلة المنار» لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي. توفي في القاهرة سنة ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م. من أشهر مؤلفاته «تفسير القرآن الكريم» المسمى بتفسير المنار. انظر الأعلام للزركلي ٣٦١/٦.

«فالآية على هذا لا تثبت أن الصرع المعروف يحصل بفعل الشيطان حقيقة، ولاتنفي ذلك، وفي المسألة خلاف بين العلماء، أنكر المعتزلة وبعض أهل السنة أن يكون للشيطان في الإنسان غير مايعبر عنه بالوسوسة. وقال بعضهم: إن سبب الصرع مس الشيطان كما هو ظاهر التشبيه، وإن لم يكن نصاً فيه»(١).

على أنه يميل إلى اعتبار الصرع من الأمراض العصبية التي تحصل بفعل الميكروبات التي أطلق عليها اسم الجن لخفائها فيقول:

وقد ثبت عند أطباء هذا العصر أن الصرع من الأمراض العصبية التي تعالج كأمثالها بالعقاقير وغيرها من طرق العلاج الحديثة، وقد يعالج بعضها بالأوهام، وهذا ليس برهاناً قطعياً على أن هذه المخلوقات الخفية التي يعبر عنها بالجن يستحيل أن يكون لها نوع اتصال بالناس المستعدين للصرع، فتكون من أسبابه في بعض الأحوال، والمتكلمون يقولون: إن الجن أجسام حية خفية لاترى، وقد قلنا في المنار غير مرة: إنه يصح أن يقال أن الأجسام الحية الخفية التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة وتسمى (بالميكروبات) يصح أن تكون نوعاً من الجن، وقد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض، قلنا ذلك في تأويل ماورد أن الطاعون من وخز الجن(٢).

على أننا نحن المسلمين لسنا في حاجة إلى النزاع فيما أثبته العلم وقرره الأطباء، أو إضافة شيء إليه، مما لادليل في العلم عليه، لأجل تصحيح بعض الروايات الآحادية، فنحمد الله تعالى أن القرآن أرفع من أن يعارضه العلم»(٣).

فهو يعزي الصرع كما تلاحظ إلى هذه الميكروبات التي هي مسببة لأكثر

(١) تفسير المنار ٣/٩٥.

(٢) سيأتي الحديث عن هذه القضية في آخر هذا الفصل.

(٣) تفسير المنار ٣/٩٥ ــ ٩٦.

العلل والأمراض، أما سلطة الشيطان على الإنسان فهي لاتعدو عنده أكثر من الوسوسة وفي هذا يقول:

«ومن المصائب على البشر أن أكثر المؤمنين بطب الدين الروحي في هذه القرون الأخيرة لايقفون عند حدود ماأنزل الله على رسوله، وما فهمه منه حملته من السلف الصالح، بل زادوا ومازالوا يزيدون فيه من الخرافات والبدع والضلالات، ماجعلهم حجة على دينهم، وفتنة للذين كفروا، ينفرونهم منه، فنراهم لايتقون الوسواس الضار، الذي يجدونه في خواطرهم كما يجب، وإنما يتبعون في الجن والشياطين تضليل الدجالين والدجالات، كزعمهم أن الشياطين يمرضون الأجساد ويخطفون الأطفال، وأن لهؤلاء الدجالين صلة بهم، وتأثيراً في حملهم على ترك الضرر، والمساعدة على النفع بشفاء المرضى ورد المفقودين، والحب والبغض بين الأزواج والعشاق، ومن ذلك (الزار) الذي يخرجون به الشياطين من الأجساد بزعمهم، ولهذه الخرافات مضار ورزايا كثيرة في الأبدان والأرواح والأحوال والأعراض، فهي بذلك شبهة كبيرة للماديين على المتدينين المقلدين للجهال والدجالين، والدين لم يثبت للشياطين مايزعمه الدجالون، ولم يثبت لهم ولا لغيرهم مايدعونه من التصرف فيهم، وإنما يثبت كتاب الله تعالى للشياطين وسوسة وهي من الأسباب العادية للتأثير في القلوب، المستعدة لها، كتأثير جِنَّة الهوام في الأجساد المستعدة، وأن مقاومة كل منهما في استطاعة الإنسان، وقد أرشده إليه القرآن»(١).

على أننا مانلبث أن نجد الشيخ محمد رشيد رضا يعود ولايستبعد صرع الجن للإنس، وذلك من خلال إجابته على سؤال حول ماورد من إشارة إلى الصرع في القرآن الكريم، وماورد عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في إخراج الشياطين من المصروعين، وحديث الأناجيل عن إخراج المسيح عليه السلام للشياطين كذلك، فيقول حول ذلك:

---

(١) تفسير المنار ٣٦٧/٨ ــ ٣٦٨.

«إننا وإن كنا لانعرف لهذه الأناجيل أسانيد صحيحة متصلة، وقد أمرنا أن لانصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم فيما لاحجة له أو عليه في كتابنا، وإن كان شيخا الإسلام من أجلِّ الثقات عندنا فيما يرويان عن أنفسهما وعن غيرهما بالجزم، فإننا نقول: إن وقائع الأحوال في هذا المقام فيها إجمال هي به قابلة لأنواع شتى من الاحتمال على مايؤخذ على ظاهره، لاحجة فيه على شيء من أعمال الدجالين التي ينكرها الشرع والعقل، وأين دجل هؤلاء الفسَّاق المحتالين من معجزة أو كرامة يكرم الله بها نبياً مرسلاً، أو ولياً صالحاً فيشفي على يديه مصروعاً ألمَّ به الشيطان أم لم يلم به؟!.

وما إلمام الشيطان ببعض الناس بالمحال عقلاً حتى نحار في فهم أمثال هذه الروايات النادرة عند أهل الكتاب وعندنا، بل عند جميع الأمم، وإن بعض الأمراض العصبية التي يصرع أصحابها لابسهم الشيطان فيها أم لا، لتشفى بتأثير الاعتقاد وبتأثير إرادة الأرواح القوية إذا توجهت إلى الله تعالى سائله شفاءها، ومانحن بالذين يدارون الماديين أو يبالون بإنكارهم لكل مالا يثبته الحس لهم، بل نرى أن جملة ماروي عن الأنبياء والعلماء وما اشتهر عند كل الأمم، يفيد في مجموعه التواتر المعنوي في إثبات أصل لهذه المسألة»[1].

وفي هذا المجال يذكر رشيد رضا واقعة حصلت معه بالفعل فيقول:

«ومالنا لانذكر أنه قد وقع لنا من ذلك مايعده كثير من الناس أمراً عظيماً، ويستبعدون أن يكون من فلتات الاتفاق ونوادر المصادفات، من ذلك: أنه كان في بلدنا (القلمون) في سورية رجل صياد اسمه (عمر كسن) رمى شبكته ليلة في البحر، فسمع صوتاً غير مألوف، فما لبث بعد ذلك أن صار يصرع، ويخيل إليه هجوم فئة من الجن عليه يضربونه، متهمين إياه باصابة فتاة منهم، ورآني وهو غائب

---

(١) تفسير المنار ٨/٣٧٠.

عن الحس بالهيئة التي كنت أخلو فيها للعبادة، وذكر الله في حجرة خاصة، وبيدي مخصرة[١] قصيرة من الأبنوس، كنت أعتمد عليها ـــ ولم يكن رأى ذلك قط ـــ رآني أطرد الجن عنه بهذه المخصرة، وكان أهله قد ذكروا لي أمره، ثم دعوني إلى رؤيته ورقيته والدعاء له، فذهبت فألفيته مغمى عليه، لايرى ولايسمع ممن حوله شيئاً، ولكنه كان يقول: جاء سيدنا الشيخ رشيد...، ولما رأيته على هذه الحالة توجهت إلى الله تعالى بإخلاص وخشوع، ووضعت يدي على رأسه وقلت: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿**فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**﴾[٢]، ففتح عينيه وقام كأنما نشط من عقال، ثم عاد إليه هذا بعد زمن طويل لا أذكره، وشفاه الله تعالى، وأذهب عنه الروع ثانية بنحو ما أذهبه عنه في المرة الأولى، ولكنني لم أر أولئك الجن الذين كان يراني أجادلهم وأذودهم عنه.

والواقعة تحتمل التأويل عندي، ولا أعدها دليلاً قطعياً على كون صرعه كان من الجن، كما أنه لامانع عندي أن يكون منهم، وقد ذكرت هذه الواقعة لشهرتها عندنا في البلد، وكثرة من شهدها.

وقد يكون من غريب الاتفاق أنني كنت أعاشر بعض أصحاب هذا الصرع، ولكن لم يحدث لهم وأنا معهم قط، ومنهم (حمودة بك) أخو شيخنا الأستاذ الإمام[٣]، كنت أكثر الناس معاشرة لهم، وما من أحد كان يكثر زيارتهم إلا ورأى حمودة يصرع، ولاسيما بعد اشتداد النوبات في أثناء مرض الشيخ وبعده، حتى ربما كانت تتعدد في اليوم الواحد، ولكنني كنت أمكث عندهم في الاسكندرية الأيام والليالي، ولم يقع له شيء من ذلك أمامي، ومثله في ذلك صديقنا (محمد شريف الفاروقي) رحمهما الله تعالى...

(١) المخصرة : كالسوط. وقيل: شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه، مثل العصا ونحوها. انظر لسان العرب ٢٤٢/٤ ويراد بها هنا العصا التي يتوكأ عليها.

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٧.

(٣) يقصد الشيخ محمد عبده استاذه.

ولاأستبعد أن يكون لبعض الأرواح تأثير في بعض بإذن الله تعالى، كما لا أنفي على سبيل القطع أن يكون ذلك من نوادر الاتفاق، وكان شيوخ بلدنا ينقلون عن جدي الثالث[1] غرائب في هذا الباب.

وانني لم أذكر مثل هذا الأمر إلا لأمرين:

أحدهما: أن لايظن ظان أني أميل في تشددي في كشف غش الدجالين إلى آراء الماديين.

وثانيهما: أن لايجعل أحد مانقل عن مثل شيخ الإسلام ـــ يقصد ابن تيمية ـــ من إرساله رسولاً إلى المصروع يخرج منه الشيطان حجة على من ينكر دجل هؤلاء الضالين من عباد الشياطين، أو الدعاء إلى عبادتهم وتخويف الناس مما لايخيف منهم، أو التقرب إليهم مما يعد عبادة لهم، كما يعبد اليزيدية إبليس جهراً، بدعوى أنهم بذلك يتقون شره ـــ والعياذ بالله تعالى ـــ فأمثال هؤلاء الدجالين وأتباعهم هم الذين قال الله تعالى فيهم: **﴿إنا جعلنا الشياطينَ أولياءَ للذين لايؤمنون﴾**[2].

وجملة القول: أن الله تعالى فضل الإنس على الجن وجعلهم أرقى منهم، ولو كانوا يرون المكلفين منهم كالشياطين، لتصرفوا فيهم كما يتصرفون بجِنَّة الهوام وميكروبات الأمراض، وفاقاً لقول الحبر ابن عباس رضي الله عنهما: «أن خوفهم منا أشد من خوفنا منهم، والوسوسة منهم تكون على قدر استعدادنا لقبولها، فذنبها علينا، ومايذكره الناس من ضررهم وصرعهم، فأكثره كذب ودجل، والنادر لاحكم له»[3] انتهى كلام الشيخ محمد رشيد رضا.

(١) هو منلا علي خليفة القلموني انظر الأعلام للزركلي ٣٦١/٦.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٧.

(٣) تفسير المنار ٣٧٠/٨ ـــ ٣٧٢، وقد أثبتنا كلام الشيخ محمد رشيد رضا بتمامه حتى يتضح موقفه من قضية الصرع

والذي يظهر من كلام الشيخ محمد رشيد رضا أنه ينكر على الدجالين الذين يدعون إخراج الشياطين من المصروعين، ويعتبر ذلك خطورة على الإسلام يجب محاربتها، أما مايحصل من شفاء بعض المصروعين على يد نبي أو ولي فهو معجزة لذلك النبي أو كرامة من الله لذلك الولي، وهو لايستبعد أن تكون مثل هذه الحالات من قبيل الأمراض العصبية، كما أنه لاينفي أن تكون بفعل الجن، والحالات التي تحدث بفعل الجن إنما هي من نوادر الاتفاق، والنادر لاحكم له كما قال.

الصواب في هذه المسألة :

بعد هذا العرض لأقوال العلماء مع أدلتهم يتبين لنا رجحان القول بجواز صرع الجن للإنس ووقوعه بالفعل، وذلك من خلال ماتقدم من الأدلة على ذلك، وهو الذي تشهد به الوقائع قديماً وحديثاً من تسلط الشياطين على بعض الأجسام فتمرضها، مع عدم قدرة الطب على شفاء مثل هذه الحالات.

فقد روي أن الإمام أحمد بن حنبل عالج كثيراً من حالات الصرع وكان يرسل إلى المصروع شخصاً يخاطب الجني ويأمره بالخروج على لسانه، فما يملك الجني إلا أن يخرج استجابة له.

وكذلك ماورد أن شيخ الإسلام ابن تيمية كان يعالج مثل هذه الحالات وسيأتي مزيد بيان لذلك فيما بعد.

ونحن سنذكر واقعة حدثت في الوقت الحاضر، ذكرها الشيخ أبو بكر الجزائري في كتابه (عقيدة المؤمن) وهذه الواقعة حدثت في بيته، وعاش آلامها، وعانى آثارها السيئة.

يقول أبو بكر الجزائري: «إنه كان لي أخت أكبر مني تدعى (سعدية) وكنا يوماً ونحن صغار نطلع عراجين التمر من أسفل البيت إلى سطحه بواسطة حبل

يربط به القنو (العرجون)[1]، ونسحبه إلى السطح ونحن فوقه، فحصل أن أختي سعدية جرت الحبل، فضعفت عنه، فغلبها فوقعت على الأرض على أحد الجنون[2]، فكأنها بوقوعها عليه آذته أذى شديداً، فانتقم منها، فكان يأتيها عند نومها في كل أسبوع مرتين أو ثلاثاً أو أكثر، فيخنقها، فترفس المسكينة برجليها، وتضطرب كالشاة المذبوحة، ولايتركها إلا بعد أن تصبح أشبه بميتة، ونطق مرة على لسانها مصرحاً بأنه يفعل بها هذا لأنها آذته يوم كذا في مكان كذا، ومازال يأتيها ويعذبها بصرعة تأتيها عند النوم فقط، حتى قتلها بعد عشر سنوات من العذاب الذي لايطاق، فصرعها ليلة على عادته، فما زالت ترفس برجليها وتضطرب حتى ماتت غفر الله لها ورحمها آمين.

هذه الحادثة عشتها بنفسي، وبعيني رأيتها، وماراء كمن سمع»[3].

ولاغرابة أن يفعل الجني بهذه الفتاة مثل هذا، مع أنها لم تتعمد آذاه، فإن الجن كما يقول ابن تيمية أجهل وأكذب وأظلم وأغدر من الإنس[4].

أما بالنسبة لأدلة المنكرين فيمكن دفعها بما يأتي:

١ ــ أن نفي السلطان في الآية التي استدلوا بها إنما يراد به سلطان الاجبار على فعل المعاصي، أو سلطان الحجة الذي يبرر اغواءهم لهم، فالشيطان ليس له إلا أن يزين المعاصي للإنسان، وليس له أن يجبره على فعلها بدليل قوله تعالى عنه يوم الحساب: ﴿**وماكان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني**

(١) العرجون : وهو العود الأصفر الذي فيه شماريخ العذق وهو مأخوذ من الانعراج، وهو الانعطاف وجمعه عراجين/انظر النهاية في غريب الحديث ٢٠٣/٣.

(٢) أي أحد الجن.

(٣) عقيدة المؤمن ص ٢٢٠ ــ ٢٢١.

(٤) انظر إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٣٦.

ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وماأنتم بمصرخي...﴾[1] الآية وليس في الآية دليل على نفي الصرع كما زعم المنكرون.

ثم انه قد دل الدليل على ثبوت صرع الجن للإنس من القرآن والسنة النبوية كما تقدم.

٢ ــ أن ادعاءهم أن الآية التي أثبتت صرع الجن للإنس إنما وردت على وفق مايزعمه العرب في الجاهلية، ادعاء غير صحيح، لأن القرآن شبَّه حالة آكل الربا وقيامه يوم القيامة بالذي يتخبطه الشيطان من المس، والتشبيه بشيء غير صحيح أو لا أصل له منزه عنه القرآن، فإذا شبه القرآن قيام آكل الربا بمن يتخبطه الشيطان من المس، فقد دل ذلك على وجوده حقيقة.

وادعاؤهم أن الصرع لايحدث إلا إذا كان الشيطان كثيفاً، وعلى هذا الأساس فإن دخوله في بدن المصروع مستحيل، لأن بدن الإنسان لايتسع للشيطان، فالجواب عليه:

أن صرْع الشيطان للإنسان يتم بطَريقة لايعلمها إلا الله، إذ جعل فيه هذه الخاصية، كما جعل الوسوسة صفة له كذلك، ونحن لا ندري كيف يتم ذلك، فالملائكة تقاتل مع المؤمنين مثلاً، ولكن لانعلم كيفية قتالها، فكل هذه الأمور من عالم الغيب الذي لايعلمه إلا الله، وحسبنا الوقوف عند النصوص المثبتة لأمثال هذه الأمور، وعدم الخوض في تفصيلاتها وكيفياتها.

والمعلوم أن الشيطان ليس بالكثيف كثافة الأجسام المحسوسة التي يتعذر معها دخوله في بدن الإنسان.

وأما قولهم: إن الشيطان لو كان جسماً لطيفاً كالهواء، فمثل هذا يمتنع أن

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٢.

يكون فيه صلابة وقوة، فيمتنع أن يكون قادراً على أن يصرع الإنسان ويقتله فالجواب عليه :

أن الصرع لايختص بالأجسام الكثيفة، بل إن الصرع بتيار الهواء أو الكهرباء يكون أقوى من الصرع بالأجسام الكثيفة.

أما قولهم: إن الشيطان لو قدر على مثل هذه الأمور لكان في ذلك مضاهاة لمعجزات الأنبياء، وهذا يجر إلى الطعن في النبوة، فالجواب عليه:

أن هناك فروقاً كثيرة بين المعجزة وأفعال الشيطان،، فالمعجزة هي أمر خارق للعادة، يجريها الله على يد نبي من أنبيائه تأييداً له وحجة له على قومه، أما أفعال الشيطان فهي تخييل وخداع، كما ثبت من تشكله في بعض الصور، وهي أمور معروفة للناس من ذوي البصائر والمعرفة، بقدرته على هذه الأمور.

ثم إن مايحصل للمصروع من قبل الجن ليس من قبيل الخوارق في شيء، حتى يشتبه الأمر بمعجزات الأنبياء.

أما قولهم: إن الشيطان لو قدر على تصريع الناس، لكان تصريعه لذوي العلم والإيمان من باب أولى، لشدة عدواته لهم، فالجواب عليه:

أن الله قد حمى المؤمنين من تسلطه ووسوسته، لأنهم قد أخذوا بالأسباب التي تدفع عنهم ذلك كقوله تعالى عن الشيطان: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتَّبعك من الغاوين**﴾[1]. ثم قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿**ان المؤمن لينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر**﴾[2].

---

(١) سورة الحجر الآية ٤٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة ٢/٣٨٠. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١١٦: رواه أحمد وفيه ابن لهيعه. ومعنى ينضي شيطانه: أي يُهْزِله ويجعله نضْوا.

«وتسلط الأرواح الخبيثة على أهلها يكون من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصنات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لاسلاح معه، وربما كان عرياناً فيؤثر فيه هذا»(١).

ثم إن الله قد وكل ملائكة بحفظ عباده، وذلك قوله تعالى: ﴿«**له معقِّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله...**﴾(٢).

قال الإمام الطبري: «قال مجاهد: مامن عبد إلا له ملك يحفظه: نومه ويقظته، من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال: وراءك، إلا شيئاً يأذن الله فيه فيصيبه»(٣). وقال ابن كثير: «قال كعب الأحبار: لو تجلى لابن آدم كل سهل وحزن(٤) لرأى كل شيء من ذلك شيئاً يقيه، ولولا أن الله وكل بكم ملائكة يذبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذاً لتُخُطِّفتم»(٥).

وللنفس المؤمنة من الحفظ ماليس لغيرها.

أما إنكار الشيخ شلتوت لذلك بحجة أن الجن نفوا أن يكون لهم معرفة بعلم الغيب، أو أن يكون لهم سلطان في الأرض، فهو استدلال مردود، إذ أن السلطان المنفي هو سلطان الاجبار، أو سلطان الحجة الذي يبرر إغواءهم للإنس كما تقدم.

والنِضْو: الدابة التي أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها انظر النهاية في غريب الحديث ٧٢/٥. وجاء عن ابن كثير: «أن أحدكم لينصي شيطانه «بالصاد، ومعناه: أنه يأخذ بناصيته إذا شرد، فيغلبه ويقهره. انظر البداية والنهاية لابن كثير ٦٧/١.

(١) الطب النبوى ص ٥٣.

(٢) سورة الرعد الآية ١١.

(٣) تفسير الطبري ١١٦/١٣.

(٤) تجلى : ظهر. الحزن: نقيض الفرح وهو ما يؤلم الانسان ويحزنه. وانظر مختصر تفسير ابن كثير ٢٧٣/٢.

(٥) تفسير الطبري ١١٨/١٣.

ثم إن من السلطان المنتفي عن الجن كذلك قدرتهم على النفع والضر بدون مشيئة الله تعالى، أما أن يكون لهم قدرة على صرع بعض الناس وإيذائهم بلون أو بآخر من أنواع الأذى، أو معرفة ببعض الأمور التي تغيب عن الإنسان مما هو على وجه الأرض، مما يرجع إلى ما أقدرهم الله عليه وميز به خلقتهم، فأي مانع أو محذور في هذا، ماداموا لايخرجون عن قدرته وسلطانه، مع حماية الله للمؤمنين من تسلطهم بجميع أشكاله، لأخذهم بالأسباب التي تحميهم من الشياطين، كما علمهم الإسلام ذلك؟!.



المطلب الثاني

أسباب الصرع وأنواعه

وعالم الجن له نوع علاقة بعالم الإنس، لكن هذه العلاقة تختلف عن علاقة الإنس بعضهم ببعض، وذلك لاختلاف طبائع كل من عالمي الجن والإنس عن بعضهما، وهذه العلاقة بين بغض الإنس وبعض الجن قد تكون علاقة قائمة على المحبة والمساعدة، كما يكون من تسخير الله بعض الجن المؤمنين لمساعدة بعض عباده وأوليائه المتقين، وقد تكون هذه العلاقة قائمة على أساس من البغض والكراهية، فينشأ منها اعتداء من قبل بعض الجن على بعض الإنس. «والجن أعظم شيطنة، وأقل عقلاً، وأكثر جهلاً، والجني قد يحب الإنسي كما يحب الإنسيُّ الإنسي، وكما يحب الرجل المرأة، والمرأة الرجل، ويغار عليه ويخدمه بأشياء، وإذا صار مع غيره فقد يعاقبه بالقتل وغيره»[(١)].

إذا تبين لنا ماتقدم، فيمكن على هذا الأساس إجمال أسباب الصرع في الأمور التالية:

١ ــ أن صرعهم للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق، كما يتفق للإنس مع الإنس.

٢ ــ وقد يكون ــ وهو الأكثر ــ عن بغض ومجازاة، مثل أن يؤذيهم بعض الإنس، أو يظنوا أنهم يتعمدوا أذاهم: إما ببول على بعضهم، وإما بصب ماء حار، وإما بقتل بعضهم، وإن كان الإنسي لايعرف ذلك، وفي الجن جهل عظيم وظلم، فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه.

٣ ــ وقد يكون عن عبث منهم وشر، كما يفعل سفهاء الناس[(٢)].

---

(١) النبوات ص ٢٧٩.

(٢) انظر إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٢٧.

وهذه الأسباب الثلاث غالباً ماتنشأ مع الإنس الذين يكون فكرهم خالياً من ذكر الله، أو يكون لهم نوع ارتباط مع الكفرة من الجن ليساعدوهم في بعض الأمور، كما يفعل السحرة من الإنس، حيث يتصلون مع بعض الجن ليدلوهم على مكان السحر أو يجلبونه له، إلى غير ذلك من هذه الأمور. قال ابن القيم :

«وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصنات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه، وربما كان عرياناً فيؤثر فيه هذا»(١).

كيفية حدوث الصرع كما يرى الألوسي :

«إن الشيطان قد يمس الرجل وأخلاطه مستعدة للفساد، فتفسد ويحدث الجنون، وهذا لاينافي ماذكره الأطباء من أن ذلك من غلبة المرة السوداء(٢)، لأن ماذكروه سبب قريب، وماتشير إليه الآية(٣) سبب بعيد، وليس بمطَّرد أيضاً، بل ولا منعكس، فقد يحصل مس ولايحصل جنون، كما إذا كان المزاج قوياً، وقد يحصل جنون ولم يحصل مس، كما إذا فسد المزاج من دون عروض أجنبي، والجنون الحاصل بالمس قد يقع أحياناً، وله عند أهله الحاذقين أمارات يعرفونه بها، وقد يدخل في بعض الأجساد على بعض الكيفيات ريح متعفن تعلقت به روح خبيثة تناسبه، فيحدث الجنون أيضاً على أتم وجه، وربما استولى ذلك البخار على الحواس وعطلها، واستقلت تلك الروح الخبيثة بالتصرف، فتتكلم وتبطش، وتسعى بآلات

---

(١) الطب النبوي ص ٥٣.

(٢) المرة السوداء: نوع من الأخلاط والابخرة الرديئة المتصاعدة من المعدة إلى الدماغ بحيث تسبب له الصرع. ومن علاماتها زيادة الوسواس والفكر والغم. انظر كتاب تسهيل المنافع في الطب لإبراهيم الازرق ص ٦ بتصرف.

(٣) يقصد آية سورة البقرة التي أثبتت الصرع وهي قوله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربوا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ سورة البقرة الآية ٢٧٥.

هذا الشخص الذي قامت به، من غير شعور للشخص بشيء من ذلك أصلاً، وهذا كالمشاهد المحسوس، الذي يعد منكره مكابراً منكراً للمشاهدات»[1].

والذي يظهر من كلام الألوسي أن الصرع يكون بأحد سببين:

الأول: أن يكون مس من الشيطان لمن فسدت أخلاطه ومزاجه.

الثاني: أن يدخل ريح متعفن، مع روح خبيثة في بعض الأجساد، على بعض الكيفيات.

وهذه محاولة للتوفيق من جانب الألوسي بين مذهب القائلين: بأن الصرع يحدث بدخول الشيطان في بدن المصروع، ومذهب القائلين: بأن الصرع يحدث نتيجة لفساد الأخلاط وغلبة المرة السوداء على الدماغ.

إلا أن هذه المحاولة عليها بعض الاشكالات، حيث أن اعتبار حدوث الصرع من الشيطان بسبب فساد أخلاط الشخص ومزاجه، تعليل لا دليل عليه، ثم إن الصرع لايشترط لحدوثه فساد أخلاط الشخص ومزاجه، بل إن الصرع يحصل للشخص قوي المزاج وفاسده على حد سواء، وهذا مايدل عليه الواقع.

لكن الجنون عند الأطباء إنما يحدث نتيجة اختلال في الدماغ، ناشيء عن ناحية عضوية عند المصاب، وهذا هو تفسيرهم للصرع بنوعيه، وهم يلجأون لذلك لأنهم لا يعترفون بمس الشيطان للبشر، فسواء كان الصرع بسبب روح خبيثة أو بسبب الأخلاط الرديئة، فهو نوع واحد عندهم، لما ذكرناه.

وأما الألوسي فإنه لايجعل مجرد المس وفساد الاخلاط موجباً للصرع والجنون كما تقدم.

(١) تفسير روح المعاني ٣/٤٩.

أنواع الصرع : يمكن تقسيم الصرع إلى قسمين هما:

١ ــ صرع من الأرواح الخبيثة.

٢ ــ وصرع من الأخلاط الرديئة.

أما النوع الأول فقد تحدثنا عنه فيما تقدم، وسنتحدث فيما يلي عن:

الصرع بسبب الأخلاط الرديئة :

وهو الذي يقره الأطباء، وأكثرهم لايعترفون بما سواه، وهو الصرع بسبب الأرواح الخبيثة.

تعريفه وأسبابه :

يقول ابن القيم في تعريف هذا النوع وبيان أسبابه :

«وأما صرع الأخلاط فهو علة تمنع الأعضاء النفسية عن الانفعال والحركة والانتصاب منعاً غير تام.

وسببه: خلط غليظ لزج، يسد منافذ بطون الدماغ سدة غير تامة، فيمتنع نفوذ الحس والحركة فيه وفي الأعضاء نفوذاً ما، من غير انقطاع بالكلية، وقد يكون لأسباب أخر: كريح غليظ يحتبس في منافذ الروح، أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء، أو كيفية لاذعة، فينقبض الدماغ لدفع المؤذي، فيتبعه تشنج في جميع الأعضاء، ولايمكن أن يبقى الإنسان معه منتصباً، بل يسقط، ويظهر في فيه الزبد غالباً.

وهذه العلة تعد من جملة الأمراض الحادثة، باعتبار وقت وجوده المؤلم خاصة، وقد تعد من جملة الأمراض المزمنة، باعتبار طول مكثها وعسر برئها، لاسيما ان جاوز في السن خمساً وعشرين سنة، وهذه العلة في دماغه، وخاصة في جوهره، فإن صرع هؤلاء يكون لازماً، قال أبقراط: إن الصرع يبقى في هؤلاء حتى يموتوا»[1].

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ص ٥٥.

الفرق بين النوعين :

هناك فرق بين الصرع بسبب الأرواح الخبيثة، وبين الصرع بسبب الأخلاط الرديئة أو الفاسدة.

فالمسبب للنوع الأول هو تسلط الأرواح الخبيثة من الشياطين على بعض الناس، يفقدون على إثر ذلك عقولهم، ويتخبطون في حركاتهم وربما يتكلم الشيطان على لسانهم، ويسيرهم في تصرفاتهم، ولايشترط استمرار تلبس الشيطان لمن يصابون بهذا النوع من الصرع، وإنما تتفاوت نوبات الصرع من شخص إلى آخر، وكثيراً مانشاهد المصاب بذلك يتصرف تصرفاته العادية قبل مجيء نوبات الصرع إليه.

وذكر ابن تيمية أن الشيطان يتلبس المصروع، وربما ضرب المصروع، فتسمعه يصيح ويصرخ، مع أنه لايحس بذلك، لأن الضرب إنما هو واقع في الحقيقة على الجني[1].

أما المسبب للنوع الثاني فإنما ينتج عن ناحية عضوية في بدن المصاب كما تقدم، فيؤدي ذلك إلى تعطيل الدماغ، مما ينشأ عنه فقدان الوعي، وهو مايسمي بـ(الجنون)، وهذا الجنون: إما أن يكون مطبقاً، أو يكون جنوناً غير مطبق، بحسب غلبة هذه الأخلاط الفاسدة على دماغه، مع عدم نسياننا أن الله هو فاعل الأسباب والمسببات لهذه الأمور كلها.

* * *

(١) انظر إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٤٨.

المطلب الثالث

كيفية علاج الصرع

سنتحدث فيما يلي عن علاج الصرع بسبب مس الشياطين لبعض الإنس، أما الصرع الناتج عن الأخلاط الرديئة فللأطباء في ذلك طرق يعالجونه بها، وليس هذا محلها.

وإذا كان الصرع بسبب الأرواح الخبيثة تقصر علوم الطب عن علاجه العلاج الناجح، لكونه خارجاً عن نطاق الحس والمشاهدة، فعلاجه إنما يكون بالتعاويذ والرقى والأدعية[1]، وبناء على ذلك فإن حديثنا سيكون في أمرين:

الأول: مايجوز من هذا العلاج ومالايجوز.

الثاني: الشروط التي يجب توفرها في المصروع والمعالج له

الأول: مايجوز من أنواع العلاج ومالا يجوز :

وإذا كان هذا النوع من الصرع لايتم شفاؤه إلا بالأدعية والرقى والتعاويذ، فإن هناك قسماً منها يجوز المعالجة به شرعاً، وقسماً آخر لايجوز المعالجة به، لمخالفته قواعد الشرع وأصوله، لأنه قد يفضي بصاحبه إلى الشرك والتجرد من الإسلام بالكلية، وإليك فيما يلي الحديث عن كل منهما :

(أ) مايجوز من الرقى والتعاويذ والأدعية في معالجة المصروع وحكم ذلك:

من فضل الله على عباده المؤمنين أن جعل القرآن شفاء لما في الصدور من

(١) الرقى : جمع رقية وهي العَوْذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات. انظر النهاية في غريب الحديث ٢/٢٥٤ والتعاويذ: هي الآيات التي تقرأ على المريض ويكون فيها التجاء إلى الله لكشف البلاء، والاستعاذة: الالتجاء. والمعوذتان هما سورة الفلق وسورة الناس.

وساوس الشيطان ونزغاته وتسلطه على الناس، وهذه الأمور لايمكن دفعها إلا بما يطردها ويزيل آثارها، لأن الشيطان من العوالم غير المنظورة، ولا سلطة للإنسان عليه إلا بما رسمه الشرع الحنيف.

والأصل لهذا قوله تعالى: ﴿**وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خسارا**﴾(١) وبقوله: ﴿**وإما ينزغنَّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سَميع عليم**﴾(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن**»(٣).

إلى غير ذلك مما يدل على فائدة القرآن وفضله في شفاء الأمراض الحسية والمعنوية، وذلك كقراءة الفاتحة وسورة الاخلاص، والمعوذتين وآية الكرسي، إذ لها تأثير كبير في طردهم، قال ابن تيمية: «ومن أعظم ماينتصر به عليهم آية الكرسي، فقد ثبت في صحيح البخاري حديث أبي هريرة قال: «وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان...» الحديث، وفي قول الجني لأبي هريرة عندما همَّ أن يرفع أمره للرسول ﷺ: «قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ماهن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾ حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولايقربك شيطان.. إلى قوله ﷺ: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب...**»(٤) وقد تقدم.

(١) سورة الاسراء الآية ٨٢.
(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠٠.
(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطب باب الغسل ١٤٢/٢ والحاكم في المستدرك ٢٠٠/٤ وقال صحيح ووافقه الذهبي.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الوكالة. باب: إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه ٤٨٧/٤.

فقد أخبر عليه الصلاة والسلام بصدق قول الشيطان في فضل آية الكرسي بدفع الشياطين، وقد جرب المجربون الذين لايحصون كثرةً أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم مالاينضبط من كثرته وقوته، وكذلك في دفعهم عن المصروع، وعمن تعينه الشياطين»[1].

وقد جاءت السنة بفيض من الأدعية والرقى التي تدفع سلطان الشيطان عن المؤمن، وترده صاغراً ذليلاً، فقد رقى عليه الصلاة والسلام بعض المصابين من الصرع، كما تقدمت الأحاديث في ذلك، وكان يقول للجني: أخرج عدو الله، أنا رسول الله» فلا يملك الجني إلا الخروج عندما يأمره عليه الصلاة والسلام.

والأصل في هذه المسألة: أن كل رقية يُعرف معناها، ولم يدل الشرع على تحريمها، يجوز قراءتها على المصروع، لأنه ﷺ أذن في الرقى مالم تكن شركاً، وقال لأصحابه: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»[2]، وذلك حينما لدغت عقرب رجلاً كان يجلس مع الرسول ﷺ، فأذن لجابر برقياه.

قال ابن حجر الهيتمي: «وإن كانت العزيمة[3] أو الرقية مشتملة على أسماء الله تعالى وآياته والإقسام به، جازت قراءتها على المصروع وغيره وكتابتها كذلك»[4].

وإخراج الجني بالرقى والتعاويذ المشروعة تعتبر من باب دفع الظلم، والظلم

---

(١) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٤٢ ــ ٤٤ بتصرف واختصار.

(٢) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب استحباب الرقية ١٧٢٦/٤.

(٣) العزيمة: هي الرقية، وعزم الراقي كأنه أقسم على الداء، وعزائم القرآن: الآيات التي تقرأ على ذوي الآفات لما يرجى من البرء بها، والعزيمة من الرقى: التي يعزم بها على الجن والأرواح. انظر لسان العرب ٤٠٠/١٢.

(٤) الفتاوى الحديثية ص ١٢٠ بتصرف واختصار.

لايجوز بأي حال من الأحوال، فيخاطَب الجني الذي صرع الشخص أن هذا الذي يفعله فاحشة وظلم، لأن فيه اعتداء على الآخرين، ولذا لايجوز للجن أن يسكنوا في مساكن الإنس، لأن هذا ملكهم، فيخاطبوا بالخروج كما بين عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بجِنَّان البيوت بالتحريج عليها، فإن خرجت كان به، وإن لم تخرج فهي حية، أو جن معتد، وكل منهما يقتل شرعاً(١).

قال ابن تيمية: «وقد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجني عنه إلى الضرب، فيضرب ضرباً كثيراً جداً، والضرب إنما يقع على الجني، ولايحس به المصروع، حتى يفيق المصروع، ويخبر أنه لم يحس بشيء من ذلك، ولايؤثر في بدنه، ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه ثلاثمائة وأربعمائة ضربة أو أكثر أو أقل، بحيث لو كان على الإنس لقتله، وإنما هو على الجني، والجني يصيح ويصرخ، ويحدث الحاضرين بأمور كثيرة، كما قد فعلنا هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها، بحضرة خلق كثيرين»(٢).

وهذا ليس من باب الظلم الذي حرمه الله، لأنه ليس فيه اعتداء عليهم، بل هو من الأمور المشروعة، قال ابن تيمية: «وأما من سلك في دفع عداوتهم مسلك العدل الذي أمر الله به ورسوله، فإنه لم يظلمهم، بل هو مطيع لله ورسوله في نصر المظلوم، وإغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعي التي ليس فيها شرك بالخالق، ولا ظلم للمخلوق، ومثل هذا لاتؤذيه الجن: إما لمعرفتهم بأنه عادل، وإما لعجزهم عنه.

وإن كان الجن من العفاريت وهو ضعيف فقد تؤذيه، فينبغي لمثل هذا أن يحترز بقراءة العُوَذ مثل آية الكرسي والمعوذات والصلاة والدعاء ونحو ذلك، مما

(١) انظر إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٢٨.
(٢) انظر نفس المصدر ص ٤٩.

يقوي الإيمان ويجنب الذنوب التي بها يسلطون عليه، فإنه مجاهد في سبيل الله، وهذا من أعظم الجهاد، فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه، وإن كان الأمر فوق قدرته فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فلا يتعرض من البلاء لما لايطيق»[(١)].

وقال في موضع آخر: «والصائل المعتدي يستحق دفعه، سواء كان مسلماً أو كافراً، وقد قال النبي ﷺ: «**من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد**»[(٢)]، فإذا كان المظلوم له أن يدفع عن ماله ولو بقتل الصائل المعتدي، فكيف لايدفع عن عقله وبدنه وحرمته؟ فإن الشيطان يفسد عقله ويعاقبه في دينه، وقد يفعل معه فاحشة إنسي بإنسي، وإن لم يندفع إلا بالقتل جاز قتله»[(٣)].

وهكذا يجوز في إبراء المصروع قراءة ماورد الشرع بالارشاد إليه من الآيات والأدعية المأثورة، التي لها أثر عظيم في دفع المعتدين من الجن بل إنه يجوز قتل الجني إذا كان لايخرج إلا بذلك، والمعتدي يقتل شرعاً إذا لم يخرج إلا بمثل هذا.

(ب) مالايجوز من العلاج في معالجة المصروع :

وإذا كان الشرع قد أمر بدفع الظلم عن المظلوم، فإنه لايجوز للراقي: (المعالِج) أن يسلك طريقاً قد ورد الشرع بتحريمه، فإن الإسلام لايقر المثل القائل: «الغاية تبرر الوسيلة»، بل أمر الإسلام بإتباع الطريق السليم الذي لم يحرمه الشارع في الوصول إلى الغاية، فإذا كان الراقي يقرأ بكلمات غير مفهومة أو كلمات محرمة

---

(١) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٤٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه من حديث سعيد بن زيد. كتاب الديات. باب: فيمن قتل دون ماله فهو شهيد، وقال عنه: حديث حسن صحيح ١٠٥/٥. وأخرجه أبو داود في سننه. كتاب السنة. باب: في قتال اللصوص ١٢٨/٥، وأخرجه البخاري ومسلم والنسائي مختصرا.

(٣) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٤٤.

تدل على الشرك، فلا يجوز ذلك إطلاقاً، قال ابن تيمية: «وإن كان في ذلك كلمات محرمة مثل الشرك، أو كانت كلها أو بعضها مجهول المعنى، يحتمل أن يكون فيها ماهو كفر، فليس لأحد أن يرقى بها ولايعزم ولايقسم، وإن كان قد يصرف عن المصروع بها، فإنما حرم الله عز وجل ماضرره أكثر من نفعه كالسيمياء[1]، وغيرها من أنواع السحر، فإن الساحر السيمياوي وإن كان ينال بذلك بعض أغراضه، فهو كما ينال الزاني بعض أغراضه، فليس للعبد أن يدفع كل ضرر بما شاء، ولا أن يجلب كل منفعة بما شاء، بل لابد من تقوى الله.. إلى أن يقول: ومن جوز أن يفعل الإنسان مايراه مؤثراً من غير أن يزنه على شريعة الإسلام فقد أخطأ خطأً بيناً، وفيما أباحته الشريعة مما يدفع ضرر الشيطان وأذاه كثير»[2].

وقال في موضع آخر: «والمسلمون وان اختلفوا في جواز التداوي بالمحرمات كالميتة والخنزير، فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لايجوز التداوي به بحال، لأن ذلك محرم في كل حال، وليس هذا كالتكلم به عند الإكراه، فإن ذلك إنما يجوز إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان، والتكلم به إنما يؤثر إذا كان بقلب صاحبه، ولو تكلم به مع طمأنينة قلبه بالإيمان، لم يؤثر، والشيطان إذا عرف أن صاحبه مستخف بالعزائم لم يساعده، وأيضاً فإن المكره مضطر إلى التكلم به، ولاضرورة إلى إبراء المصاب به لوجهين:

أحدهما: أنه قد لايؤثر أكثر مما يؤثر من يعالج بالعزائم، فلا يؤثر بل يزيده شراً.

(١) السيمياء : كانت الكيمياء في العصور الوسطى تسمى سيمياء، وكان كثير من السيميائيين يلجأ إلى السحر لتحقيق أغراضه، وقد حاولوا الحصول على مادة سموها «حجر الفلاسفة» كانوا يزعمون أنها لا تحول المواد إلى ذهب فحسب، بل تشفي الأمراض وتحفظ الشباب. انظر الموسوعة الذهبية ٥٨٢/٧.

(٢) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ص ٥٨٥ ــ ٥٨٦.

والثاني: أن في الحق مايغني عن الباطل»[1].

وكثير من الدجالين يلجأون إلى مانهى الله عنه من دعاء الجن والاستعانة بهم في إبراء المصروع، وذلك بعد أن يدفعوا الثمن بالخروج من الإسلام بالكلية، كما يفعل صانعو الزار[2] في بعض البلاد الإسلامية، من التقرب إلى الجن واسترضائهم بالقرابين[3].

فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك، صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم، فيقضون بعض أغراضه، وتجد هؤلاء من يكتبون كلام الله تعالى بالنجاسة، وقد يقلبون حروف بعض الآيات ويكتبونها بالنجاسة كدم وغيره مما يرضاه الشيطان ويحبه، فإذا فعل أولياؤه ذلك أطاعهم ببعض مايطلبونه كالخروج من المصروع، أو سرقة مال لهم وغير ذلك[4]، مما نهى عنه الشرع أشد النهي، لأن فيه توجه لغير الله، والله وحده هو الذي يسأل في قضاء الحوائج وإزالة الكرب ودفع البلاء وشفاء المريض وغير ذلك.

الثاني: الشروط التي يجب توفرها في المصروع والمعالِج له :

وليس كل الناس يقدر على إخراج الجني من المصروع، أو أن القراءة على المصروع توجب خروجه، بل لابد من أن تتوفر شروط في الرجل الذي يعالج المصروع، وشروط أخرى في المصروع.

قال ابن القيم: «فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه

---

(١) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٤٩ ــ ٥٠.

(٢) تقدم تفسير الزار.

(٣) انظر تفسير المنار ٨/٣٦٨ ــ ٣٦٩.

(٤) انظر ايضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٢٩ ــ ٣٠.

إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان، فإن هذا نوع محاربة، والمحارب لايتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين:

أن يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيداً.

وأن يكون الساعد قوياً.

فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل، فكيف إذا عدم الأمران جميعاً؟!، يكون القلب خراباً من التوحيد والتوكل والتقوى والتوجه، ولا سلاح معه.

والذي يكون من جهة المعالِج بأن يكون فيه هذان الأمران أيضاً، حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله: أخرج منه، أو يقول: بسم الله، أو يقول: لاحول ولا قوة إلا بالله، والنبي ﷺ كان يقول: «**أخرج عدو الله، أنا رسول الله**»[1] وقد تقدم الحديث بتمامه.

ولقد تم شفاء كثير من المصروعين، ممن توجهت أفئدتهم إلى خالقهم، طالبين منه كشف البلاء، قال تعالى: ﴿**وقال ربكم أدعوني أستجب لكم**﴾[2]، وذلك أن القلب المتعلق بالله هو الذي تتنزل عليه الرحمة والعفو، فينكشف البلاء الذي ألم بصاحبه، والقرآن إنما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، وليس للكفرة والعصاة الذين خبث قلوبهم من الإيمان، فأصبح مظلماً، وأنَّى يستجيب الله لهؤلاء وهم غارقون في المعاصي؟! فقد جاء من حديث في صحيح مسلم قوله عليه الصلاة والسلام: «... **ثم ذكر الرجل أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنَّى يُستجَاب لذلك**»[3].

---

(١) الطب النبوي ص ٥٢.

(٢) سورة غافر الآية ٦٠.

(٣) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الزكاة. باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب ٢/٧٠٣.

ولما كان عليه الصلاة والسلام أكمل الخلق وأعلاهم مرتبة وأصدقهم عبادة وتوجهاً إلى الله تعالى، فإنه بمجرد قراءته على المصروع أو الدعاء له يخرج الجني فوراً، ويعود المريض ينظر نظر الصحيح، كما تقدمت الأحاديث في شفاء الصبي الذي لقيه مع أمه على الطريق، وغير ذلك.

ولمَّا كان أولياء الله وأحباؤه في المرتبة الثانية بعد أنبيائه، فلا عجب أن نجد الكثير منهم قد شفى الله على أيديهم كثيراً من المصروعين أو يتم ذلك بإرسال شخص إلى المصروع، ليخاطب الجني الذي تلبسه بالخروج منه.

قال ابن القيم: «وشاهدت شيخنا ــ أي ابن تيمية ــ يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه ويقول: قال لك الشيخ: أخرجي فإن هذا لايحل لك، فيفيق المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردة، فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع ولايحس بألم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مراراً.

وكان كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع: ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاتُرجَعون**﴾[1]، وحدَّثني مرة أنه قرأها في أذن المصروع فقالت الروح: نعم، ومدَّ بها صوته، قال: فأخذت له عصا وضربته بها في عروق عنقه، حتى كلَّت يداي من الضرب، ففي أثناء الضرب قالت: أنا أحبه، فقلت لها: هو لايحبك، قالت: أنا أريد أن أحج به، فقلت لها: هو لايريد أن يحج معك، فقالت: أنا أدعه كرامة لك، قال: قلت: لا ولكن طاعة لله ولرسوله، قالت: فأنا أخرج منه، قال: فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً وقال: ماجاء بي إلى حضرة الشيخ؟ قالوا له: وهذا الضرب كله؟ فقال: وعلى أي شيء يضربني الشيخ ولم أذنب؟ ولم يشعر بأنه وقع به الضرب البتة»[2].

(١) سورة المؤمنون الآية ١١٥.

(٢) الطب النبوي ص ٥٢ ــ ٥٣.

ومن ذلك ماورد أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كان جالساً في مسجده، إذ جاءه صاحب له من قبل الخليفة المتوكل فقال: إن في بيت أمير المؤمنين جارية بها صرع، وقد أرسلني إليك لتدعو الله لها بالعافية، فأعطاه الإمام أحمد نعلين من الخشب وقال: اذهب إلى دار أمير المؤمنين واجلس عند رأس الجارية وقل للجني: قال لك أحمد: أيما أحب إليك: تخرج من هذه الجارية، أو تصفع بهذا النعل سبعين؟ فذهب الرجل ومعه النعل إلى الجارية، وجلس عند رأسها وقال كما قال له الإمام أحمد، فقال المارد على لسان الجارية: السمع والطاعة لأحمد، لو أمرنا أن نخرج من العراق لخرجنا منه، إنه أطاع الله، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء، ثم خرج من الجارية، فهدأت ورزقت أولاداً.

فلما مات أحمد عاودها المارد، فأنفذ المتوكل إلى صاحبه أبي بكر المروزي وعرَّفه الحال، فأخذ المروزي النعل ومضى إلى الجارية، فكلمه العفريت على لسان الجارية وقال له: لاأخرج من هذه الجارية ولا أطيعك ولا أقبل منك، أما أحمد بن حنبل فقد أطاع الله فأمرنا بطاعته»[1].

ففي هذه الحوادث وغيرها دلالة على أن من بلغ درجة عالية في العبادة والاخلاص لله تعالى فإن الله يأمر ماشاء من مخلوقاته بطاعة عبده والامتثال لأمره، وصدق الرسول الكريم ﷺ إذ يقول: «... **ومايزال عبدي يتقرب اليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنَّه**»[2].

---

(١) آكام المرجان في احكام الجان ص ١١٤ ــ ١١٥ بتصرف. وقد رويت قصص مشابهة لذلك من طاعة الجن للإمام أحمد وخروجهم من المصروعين. انظر مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ص ٤٢٠ وما بعدها. ط١ ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م. دار الآفاق الجديدة / بيروت.

(٢) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الرقاق. باب التواضع ٣٤٠/١٠ وأخرجه أحمد في مسنده مختصرا ٢٥٦/٦.

فإذا وصل بعض الناس إلى مقام الولاية، فإن هذا يكون أحد الأسباب التي يمكن بها استجلاب طاعة المخلوقات، تكريماً من الله له.

موقف الطب من علاج الصرع :

تحدثنا فيما تقدم عن موقف الأطباء من الصرع، فبينا أن قسماً منهم يعترف بصرع الأرواح الخبيثة للإنسان وهم أئمتهم وعقلاؤهم، «حيث قال أبقراط في بعض المياه: أنه ينفع من الصرع الذي يعالجه الأطباء، وأنه قال: طبنا مع طب أهل الهياكل كطب العجائز مع طبنا»(١).

ولقد كان الصرع موضع اهتمام الأطباء منذ قديم الزمان، من حيث دراسة هذه الظاهرة، وإيجاد العلاج لها، وتنوعت طرق العلاج هذه

«فلقد اهتم أبقراط ــ الذي عرف بأبي الطب ــ بمحاربة الشياطين وإخراجهم من جسد المصروع، وذلك عن طريق العرافة والسحر، وكان يقول عن الصرع الذي وصفوه بأنه المرض المقدس: بأنه خال من القداسة.

ثم جاء جماعة من الأطباء مثل (كرامر واسبرنجر وتوماس ويليز)، حيث كانت طريقتهم في إخراج الشياطين تعتمد على الضرب والركل والقيد للمصروع.

وكان البروفسور (كالين) والدكتور (ريل) الألماني يناديان بأن خير وسيلة للعلاج، إنما تعتمد على العلاج التعذيبي الذي لايضر المريض، والقائم على الضرب والربط للمصروع»(٢).

وهذه الطريقة التي اعتمد عليها هؤلاء الأطباء ــ كما نلاحظ ــ تشبه طريقة الإمام أحمد وابن تيمية وغيرهما في معالجة المصروع، حيث كان الضرب من أحد

---

(١) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٢٢.

(٢) عالم الجن والملائكة لعبد الرزاق نوفل ص ٧٩ بتصرف واختصار.

طرق العلاج التي استعملوها في ذلك، والضرب في واقع الأمر إنما يقع على الجني وليس على المصروع، مع الفارق بين هؤلاء وأولئك.

ثم جاء الطبيب النمساوي (فرانز أنطون) بطريقة جديدة في العلاج سماها: (العلاج السحري)، وعرفت فيما بعد (بالسمريزم)، واحتضن هذه الطريقة من بعده الطبيب الانجليزي (أليوتسون) رئيس جمعية الأطباء والجراحين الملكية البريطانية في عصره.

وتتلخص هذه الطريقة في إدخال المريض إلى غرفة خافتة الضوء، وحول برميل يبرز منه قضبان حديدية، يمسك المريض بقضيب منها، ويضعه على مكان الألم، ويدخل الطبيب على أنغام الموسيقى، ثم يمسك بالقضيب الذي يمسك به المريض، وعندما يصيح الطبيب تعتري المريض نوبة هستيرية، يفيق بعدها صحيحاً سليماً»[1].

وانتشرت بعد ذلك طريقة التنويم المغناطيسي، والعلاج بها إنما يتم بتأثير شخص قوي يقظ على شخص أضعف منه، في حالة وسط بين النوم واليقظة، ويتم فيها ــ كما يدعي أصحابها ــ طرد كل فكر متأثر بالمرض، وإحلال فكر صحيح سليم مكانه»[2].

ولعل هذه الطريقة وطريقة العلاج السحري تعتمدان على استجابة الشياطين لمن يوالونهم من البشر المعالجين لمثل هذه الحالات، لأن الإسلام لم يعرف طرقاً كهذه في معالجة المصروعين، وإذا كانت النفس القوية تؤثر على أضعف منها، فإنما تؤثر في الإسلام بقوة إيمان الشخص، حيث تطرد هذه الروح المؤمنة الشياطين التي تتلبس بعض الناس بما تقرأه من الآيات القرآنية والأدعية النبوية.

---

(١) عالم الجن والملائكة ص ٨٠ بتصرف واختصار.

(٢) نفس المصدر ص ٨١ بتصرف واختصار.

أما في الوقت الحاضر: فقد آمن فريق من الأطباء بأن علاج المس إنما يتم بالصلوات والأدعية التي تعتبر خير وسيلة للعلاج في مثل هذه الحالات.

يقول الدكتور (باورز) أستاذ الأمراض العصبية في جامعة (مينا بوليس) بأمريكا بعد أن يتحدث عن علاج الأمراض التي تصيب الجسم، والناتجة عن الجراثيم:

«تبقى بعد ذلك ألوف الحالات التي لم يجد فيها أشهر الأطباء وأشدهم تنطساً(١) أدنى بارقة أمل، والتي تم فيها مع ذلك شفاء المرضى واستعادتهم الصحة والعقل خلال معجزة من معجزات الصلاة والابتهال، أو العلاج القدسي، ومن لغو القول أن ننسب هذه النتائج إلى تأثير الايحاء، لأن كثيرين ممن عولجوا بهذه الطريقة ونقهوا كانوا واقعين في سبات عميق حينما بدأ المصلون صلاتهم وابتهالهم بجوار فراشهم، وقد حدث في حالات أعرفها أنا شخصياً أن أبتهل إلى الله أن يمنح المريض مساعدة قدسية، وكان ذلك في اجتماع ضم بعض أصدقاء المريض المحتضر، وعقد في مكان يبعد أميالاً عن مكان المريض، بل حدث مرة أنْ عقد الاجتماع في مدينة أخرى ثانية تقع في منتصف القارة...، بل حتى المزارات أو مايسمونها: الأماكن المقدسة، تساهم بنصيب كبير من البيِّنات على ذلك، فمزارات (سان آن دي بوبر) و(سيدة لورد)و(الكعبة)التي يقدسها المسلمون في جميع أنحاء العالم ويحجون إليها، وضفاف نهر (الجانج) وعشرات الكنائس والمعابد والآبار والعيون وغير ذلك، قد اعتبرها الناس في كل مكان وزمان مهبط معجزات عظيمة لاتحصى»(٢).

وقد سوَّى الدكتور (باورز) بين الكعبة المشرفة والصلاة عندها وبين مزارات

---

(١) التنطس : يطلق على كل من تأنق في الأمور ودقق النظر فيها. النهاية في غريب الحديث ٥/٧٤ ويراد بالتنطس هنا: البارع في الطب.

(٢) عالم الجن والملائكة ص ٨٧.

النصارى وعبدة الأوثان وغيرها في تأثير الدعاء والعبادة في هذه الأماكن في شفاء المرضى من الصرع، وهو تصور باطل منشؤه الضلال وعدم الفرقان بين الحق والباطل، فالكعبة عظمها الله وشرفها على غيرها من الأماكن مما تحدث عنه الدكتور، بل إن هذه المزارات لليهود والنصارى وعبدة الأوثان وغيرهم من المسلمين الذين استدرجهم الشيطان، لتتنزَّل عليهم فيها الشياطين التي تأوي إلى هذه الأماكن كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية «حيث يلتجىء أولياء الشيطان وأتباعه إلى المغارات والجبال مثل (مغارة الدم) في جبل (قاسيون) بالشام، أو جبل (الفتح) بأسوان بمصر، أو جبل (شهنك) عند (تبريز)[1] وغيرها، فيلتجىء رجال الجن إلى هذه الأماكن ليخدموا أتباعهم من الإنس»[2].

فإذا دعا المسلم ربه مخلصاً عند الكعبة أو في الصلاة لكشف بلاء أو تفريج كربة، فإن الله يستجيب له، وأما مايحصل لأولئك من نيل مطالبهم فقد يكون خدمة من الشياطين لهم لتضليلهم، وقد يكون إجابة من الله إن توجهوا إليه بالدعاء مضطرين، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه، فيكون في ذلك فتنة واستدراج لهم.

ولقد بين الدكتور (الكسيس كاريل) الحائز على (جائزة نوبل) في الطب والجراحة حقيقة الصلاة التي تجدي في شفاء المريض فيقول:

«قد تحدث بعض المناشط الروحية في أنسجة الجسم وأعضائه تعديلات تشريحية ووظيفية معاً، وتشاهد هذه الظواهر العضوية في عدة حالات من بينها الصلاة، ويجب أن نفهم أن الصلاة ليست مجرد تلاوة ميكانيكية[3]، للأدعية،

(١) تبريز : مدينة في إيران وهي أشهر مدن أذربيحان، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ١٣/٢ بتصرف.

(٢) انظر الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ص ٨٣.

(٣) تلاوة ميكانيكية : أي قراءة بعيدة عن الروح حيث تكون مجرد تحريك اللسان ليس إلا.

ولكنها تسام صوفي أو انغمار الوعي واستغراقه عند التأمل والتمعن في قانون ينفذ في دنيانا ويتجاوزها معاً.

ومثل هذه الحالة السكيولوجية[1] ليست مفهومة، وهي غير معقولة لدى الفلاسفة والعلميين، ومحظورة عليهم، ولكن الظاهر أن الشخص البسيط يحس بالله سبحانه كما يحس بحرارة الشمس، والمريض الذي كتب له الشفاء لايصلي لأجل نفسه عادة، ولكنه يصلي لأجل غيره، لأن مثل هذا النوع من الصلاة يتطلب انكار النفس انكاراً كاملاً، أي أنه يتطلب نوعاً أرقى من الزهد، ويكون متوسطو الحال والمساكين أقدر من الأغنياء والمتنورين على هذا النكران الذاتي، وحينما يكون للصلاة هذه الميزات فإنها تخلق ظاهرة غريبة، إنها تأتي بالمعجزات... إلى أن يقول:

والشرط الوحيد الذي لايمكن الاستغناء عنه لحدوث ظاهرة الإبراء هو الصلاة، ولاحاجة لأن يقوم المريض بنفسه بالصلاة، ويكفي أن يقوم بالصلاة لأجله شخص آخر بجواره، ولأمثال هذه الأمور دلالتها العميقة، فهي تظهر حقيقة بعض علاقات لاتزال طبيعتها مجهولة بين العمليات السكيولوجية والعضوية، وهي تثبت الأهمية المحسوسة للمناشط الروحية، التي يهمل بحثها كل الإهمال علماء الصحة والأطباء، مع أنها تفتح للإنسان دنيا جديدة»[2].

ومهما يكن في كلام الدكتور (الكسيس كاريل) من المآخذ إلا أنه يدل دلالة حقيقية على الشروط التي يجب أن تتوفر في الصلاة ــ والصلاة التي يعنيها (كاريل) هي الدعاء، سواء كانت من مسلم أو نصراني أو غيرهما ــ وهذه الشروط هي كمال الإقبال بالقلب والروح على الله لإجابة الدعاء، فالصلاة إذن هي التجاء الطبيب المعالج إلى خالقه في إبراء المصروع، وإنكار أن يكون لشخصية الطبيب

---

(١) السكيولوجية : علم النفس، والمقصود هنا: الدراسات النفسية.

(٢) عالم الجن والملائكة ص ٨٧ ــ ٨٩.

أثر في هذا العلاج، ولاشك أن هذه الحال من أقوى الأسباب لإجابة الدعاء، وهذا المعنى يشبه ماذكره ابن القيم في شروط علاج الصرع بالأذكار والأدعية كما تقدم.

ومما تقدم يتبين لنا اعتراف جماعة من الأطباء في القديم والحديث بمس الشياطين لبعض الناس، وأن علاج مثل هذه الحالات إنما يتم بالصلاة والتوجه إلى الله بالدعاء، مع انحراف في تصور بعض الأطباء لحقيقة الصلاة والدعاء اللازمة لإبراء المصروع.

وإذا كان كثير من الأطباء وعلماء النفس ينكرون الصرع فإن ذلك ناتج عن عدم إيمانهم بما وراء المادة من العوالم التي تسكن هذا الكون، ومن ثم يكون أمراً عادياً عندهم إنكار علاج الصرع بمثل هذه الصلوات والأدعية التي تحدثنا عنها، وتحدث عنها غير المسلمين.

التأثير على أجسام الإنس :

على أن هناك تأثيراً للجن على أجسام الإنس دون أن يصاحبه تأثير على عقولهم، ومن ذلك:

١ ــ نخس الشيطان للمولود عند الولادة :

فالشيطان ينخس المولود ساعة ولادته لما ثبت في الحديث الصحيح، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه**»، ثم قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم: ﴿**وإني أُعيذُها بك وذريَّتها من الشيطان الرجيم**﴾(١).

(١) سورة آل عمران الآية ٣٦. أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الأنبياء. باب قوله تعالى: ﴿وأذكر في الكتاب مريم﴾ ٤٦٩/٦. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب

قال ابن الأثير في تفسير النخس: «والنَّخْس هو الدفع والحركة»[1].

وأخرج مسلم عن أبي هريره أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان»[2].

قال النووي: قوله عليه السلام: «**صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان**» أي حين يسقط من بطن أمه، ومعنى نَزْغة: نخسة وطعنة منه، ومنه قولهم: نزغه بكلمة سوء. أي رماه بها»[3].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مامن مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم،**» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**﴾[4].

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان بحضنيه**[5] **إلا ما كان من مريم وابنها، ألم تروا إلى الصبي**

الفضائل. باب فضائل عيسى عليه السلام ٤/١٨٣٨ واللفظ له. وأخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٣٣. وأخرج الحاكم في المستدرك قريبا منه ٢/٥٩٤.

(١) النهاية في غريب الحديث ٥/٣٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الفضائل. باب فضائل عيسى عليه السلام ٤/١٨٣٨.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/١٢٠ ــ ١٢١.

(٤) ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ٣/٢٣٩ ــ ٢٤٠.
وأخرج الدارمي في سننه نحوه ٢/٢٨٣ باب ميراث الصبي ولفظه: عن ابن عباس قال «ليس مولود إلا يستهل، واستهلاله بعصر الشيطان بطنه فيصيح، إلا عيسى بن مريم عليه السلام».

(٥) بحضنيه : الحضن: الجنب. والمعنى: يضربه بكفه على جنبه، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد ٢٠/١٣٢.

حين يسقط كيف يصرخ، قالوا: بلى يارسول الله، قال: فذاك حين يلكزه الشيطان بحضنيه»[1].

فقد أثبتت هذه الأحاديث أن الشيطان له تأثير على أجسام الإنس وذلك بدفع الشيطان للولد وطعنه ساعة الولادة بحيث يصرخ من ذلك، وأن ذلك يعم كل مولود كما يدل عليه قوله عليه السلام: «**مامن مولود..**» وقوله: «**كل إنسان تلده أمه...**»، ولم يستثن من ذلك الدفع والطعن إلا عيسى بن مريم عليه السلام وأمه استجابة لدعاء أم مريم، قال ابن حجر العسقلاني: «قال القرطبي: هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط، فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت: ﴿**وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**﴾ ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى»[2].

قال النووي: «وهذه فضيلة ظاهرة، وظاهر الحديث اختصاصها بعيسى وأمه، واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها»[3]، وليس هناك مايدل على ما اختاره القاضي عياض، والأحاديث صريحة في اختصاص عيسى وأمه بذلك، ويؤيد ماذكره القرطبي حيث يقول في قوله عليه السلام «**مامن مولود..**».

«قال علماؤنا: فأفاد هذا الحديث أن الله تعالى استجاب دعاء أم مريم، فإن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء، إلا مريم وابنها، قال قتادة: كل مولود يطعن الشيطان في جنبيه حين يولد غير عيسى وأمه، جعل بينهما حجاب، فأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ لهما منه شيء[4] قال علماؤنا: وإن لم

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٣٦٨.

(٢) فتح الباري ٦/٤٧٠، ولم أعثر على كلام القرطبي هذا عند تفسيره لآية ٣٦ من سورة آل عمران.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/١٢٠.

(٤) ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ٣/٢٤٠.

يكن كذلك بطلت الخصوصية بهما، ولايلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال الممسوس وإغواؤه، فإن ذلك ظن فاسد، فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الفساد والاغواء، ومع ذلك عصمهم الله مما يرومه الشيطان، كما قال تعالى: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**﴾[1]، هذا مع أن كل واحد من بني آدم قد وكل به قرينه من الشياطين كما قال رسول الله ﷺ[2]، فمريم وابنها وإن عصما من نخسه فلم يعصما من ملازمته لهما ومقارنته والله أعلم»[3].

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني أن الطعنة إنما تصيب المشيمة التي فيها الولد»[4]، ولكن الأحاديث المتقدمة تدل على أن ذلك الطعن والدفع من الشيطان إنما يصيب المولود مباشرة.

وقد أنكر الزمخشري طعن الشيطان للمولود عند ولادته، وأنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك فقال:.

«ومايروى من الحديث: «**ما من مولود يولد**..» فالله أعلم بصحته، فإن صح فمعناه: أن كل مولود فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين، وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى: ﴿**لأغوينَّهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين**﴾[5].

---

(١) سورة الأسراء الآية ٦٥.

(٢) ورد هذا من حديث أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه ٢١٦٧/٤٠٠ ـــ ٢١٦٨ وأخرجه أحمد في مسنده ٣٨٥/١ والدارمي في سننه ٢١٥/٢، وقد جاء فيه «قرينه من الجن» وليس قرينه من الشياطين وسيأتي.

(٣) تفسير القرطبي ٦٨/٤.

(٤) انظر فتح الباري ٤٧٠/٦.

(٥) سورة (ص) الآية ٨٢ ـــ ٨٣.

واستهلاله صارخاً من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول: هذا ممن أغويه، ونحوه من التخييل قول ابن الرومي:

لما تؤذن الدنيا من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلّا، ولو سُلِّط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخاً وعياطاً مما يبلونا به من نخسه»[١].

ونقل هذا الإنكار: الألوسي في تفسيره عن القاضي عبد الجبار الهمذاني فقال: «وطعن القاضي عبد الجبار باصبع فكره في هذه الأخبار بأنها خبر واحد على خلاف الدليل، وذلك أن الشيطان إنما يدعو إلى الشر من له تمييز، ولأنه لو تمكن من هذا الفعل لجاز أن يهلك الصالحين، وأيضاً لم خص عيسى وأمه دون سائر الأنبياء؟ وأنه لو وجد المس أو النخس لدام أثره، وليس فليس»[٢].

وليس للزمخشري وأمثاله من المعتزلة كالقاضي عبد الجبار أي حجة فيما ذهبوا إليه من إنكار طعن الشيطان ونخسه للمولود عند الولادة، والأحاديث الصحيحة المتقدمة حجة قوية في إبطال ماذهبوا إليه، يقول ابن المنير الاسكندري في تعليقه على كلام الزمخشري في الكشاف:

«وما أرى الشيطان إلا طعن في خواصر القدرية[٣] حتى يقرها، ووقر في قلوبهم، حتى حمل الزمخشري وأمثاله أن يقول في كتاب الله تعالى وكلام رسوله

(١) تفسير الكشاف ٤٢٦/١.

(٢) تفسير روح المعاني ١٣٧/٣: ومعنى قوله: وليس فليس: أي وليس الأثر دائما فليس الطعن واقعا.

(٣) يقصد بالقدرية هنا المعتزلة لأنهم ورثوا عن القدرية القول بنفي القدر، ونسبة الأفعال كلها إلى العبد بلا تأثير من الله، انظر موقف المعتزلة من السنة النبوية لأبي لبابة حسين ص ٣٣.

ﷺ بما يتخيل، كما قال في هذا الحديث ــ يقصد قوله عليه السلام فيما أخرجه البخاري ومسلم: «**ما من مولود يولد..**» الحديث ــ ثم نظّره[١] بتخييل ابن الرومي في شعره جراءة وسوء أدب، ولو كان معنى ما قاله صحيحاً لكانت هذه العبارة واجباً أن تجتنب، ولو كان الصراخ غير واقع من المولود لأمكن على بعد أن يكون تمثيلاً، وماهو واقع مشاهد، فلا وجه لحمله على التخييل إلا الاعتقاد الوبي وارتكاب الهوى الوبيل»[٢].

وقال الألوسي في الرد عليهم: «ولايخفى أن الأخبار في هذا الباب كثيرة، وأكثرها مدون في الصحاح، والأمر لا امتناع فيه، وقد أخبر به الصادق عليه الصلاة والسلام فليتلق بالقبول، والتخييل الذي ركن إليه الزمخشري ليس بشي، لأن المس باليد ربما يصلح لذلك، أما الاستهلال صارخاً فلا، على أن أكثر الروايات لايجري فيها مثل ذلك.

وقوله ــ أي الزمخشري ــ: «لامتلأت عياطاً» قلنا: هي مليئة، فما من مولود إلا يصرخ، ولايلزم من تمكنه من تلك النخسة تمكنه منها في جميع الأوقات، كيف وفي الصحيح: «لولا أن الملائكة يحفظونكم لاحتوشتكم[٣] الشياطين كما يحتوش الذباب العسل»[٤]، وفسر قوله تعالى: ﴿**له معقّبات من بين يديه ومن خلفه..**﴾[٥] في أحد الوجوه به.

(١) نظَّره : أي جعله نظيرا ومشابها.

(٢) تفسير الكشاف ٤٢٦/١ انظر تعليق ابن المنير الاسكندري في الحاشية.

(٣) احتوشتكم : تجمعت عليكم.

(٤) ورد مثله في تفسير الطبري عن أبي بن كعب ونصه: «لو تجلى لابن آدم كل سهل وحزن لرأى على كل شيء من ذلك شياطين، لولا أن الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم اذن لتخطفم» انظر تفسير الطبري ١١٨/١٣.

(٥) سورة الرعد الآية ١١.

وبهذا يندفع أيضاً قول القاضي: من أنه لو تمكن من هذا الفعل لجاز أن يهلك الصالحين، وبقاء الأثر وحصوله أيضاً ليس أمراً ضرورياً للمس ولا للنخس، والحصر باعتبار الأغلب، والاقتصار على عيسى عليه السلام وأمه إيذاناً باستجابة دعاء امرأة عمران على أتم وجه، ليتوجه أرباب الحاج[1] إلى الله تعالى بسرائرهم، أو يقدر له ما يخصصه، وعلى التقديرين يخرج النبي ﷺ من العموم، فلا يلزم تفضيل عيسى عليه الصلاة والسلام في هذا المعنى، ويؤيده خروج المتكلم من عموم كلامه، وقد قال به جمع... وهذا أولى من إبقاء العام على عمومه.

والقول: بأنه لايبعد اختصاص عيسى وأمه بهذه الفضيلة دون الأنبياء عليهم السلام، ولايلزم منه تفضيله عليهم عليه السلام، إذ قد يوجد في الفاضل مالا يوجد في الأفضل (قول حسن)[2] . وعلى كلا الأمرين الفاضل والمفضول لا إشكال في الأخبار من تلك الحيثية، نعم قد يشكل على ظاهرها، أن إعاذة أم مريم كانت بعد الوضع، فلايصح حملها على الإعاذة من المس الذي يكون حين الولادة، وأجيب: بأن المس ليس إلا بالانفصال، وهو الوضع ومعه الإعاذة، غايته أنه عبر عنه بالمضارع كما أشرنا إليه لقصد الاستمرار فليتأمل»[3].

ويمكن أن يقال: إن القول بأن عصمة عيسى وأمه من طعن الشيطان ببركة دعاء امرأة عمران ليس مما تضمنته الأحاديث، وإنما هو استنباط لايمكن الجزم به، فلا تشكل معارضته بما تقدم.

٢ ــ مرض الطاعون من وخز الجن :

وردت بعض الأحاديث التي تبين أن مرض الطاعون إنما هو من وخز الجن، فمن ذلك :

(١) أي أصحاب الحوائج.
(٢) وضعنا هذه الزيادة بين القوسين حتى يتم الكلام ويستقيم المعنى.
(٣) تفسير روح المعاني ١٣٧/٣ ــ ١٣٨.

(أ) عن أبي موسى الأشعري قال: سئل رسول الله ﷺ عن الطاعون فقال: «**وخز أعدائكم الجن، وفي كل شهادة**»(١).

(ب) عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عبد الله بن قيس أن النبي ﷺ ذكر الطاعون فقال: «**وخز من أعدائكم من الجن، وهو شهادة المسلم**»(٢).

(جـ) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «**الطاعون شهادة لأمتي ورجز أعدائكم من الجن، غُدَّة كغُدَّة البعير، يخرج في الآباط والمَراق، من مات فيه مات شهيداً، ومن أقام فيه كان كالمرابط في سبيل الله، ومن فَرَّ منه كان كالفار من الزحف**»(٣).

فهذه الأحاديث قد أثبتت أن مرض الطاعون الذي يصيب الناس إنما هو من وخز الجن، وأن الذي يموت منه يموت شهيداً، وهي لم تذكر أن الطاعون من الجن،

---

(١) من حديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٤/٣٩٥ والحاكم في المستدرك ١/٥٠ وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وورد في صحيح البخاري قوله عليه السلام «الطاعون شهادة لكل مسلم». كتاب الجهاد. باب الشهادة سبع ٦/٤٢. وقوله: «وفي كل» يقصد الطعن والطاعون الواردين في الحديث. قال العجلوني في كشف الخفا ٢/١٥٢: رواه الحاكم عن أبي هريرة. وأشتهر على الألسنة: وخز أعدائكم من الجن» وأورده الهروي في الغريب كذلك، وابن الأثير في النهاية ــ انظر النهاية ٤/٣٢١ ــ ونسبه الزركشي لرواية أحمد، وأنكره الحافظ بن حجر وقال: قد تطلبته في كتب الحديث فلم أجده.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤/٤١٣.

(٣) قال علاء الهندي في كنز العمال ١٠/٧٨: أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في فوائد أبي بكر بن خلاد عن عائشة. والمراق بالفتح: مارق من أسفل البطن. وقال: والمراق: ماسفل من البطن فما تحته من المواضع التي ترق جلودها. انظر النهاية في غريب الحديث ٤/٣٢١، ٢/٢٥٢.

ولكنها ذكرت أنه من وخز الجن، ولايستبعد أن يكون من وخز الجن حقيقة «إذ لامانع أن يكون السبب الأصلي في الطاعون هو تسليط الله تعالى الجن على بني آدم بتمهيد الأسباب التي وصل إليها علم الأطباء، وأن ذلك راجع إلى ميكروبات دقيقة جداً تصيب الإنسان بهذا المرض، والنص الشرعي أخبر بالسبب الأصلي وكنّى عنه بوخز الجن، والأطباء قد اطلعوا على أسباب جديدة لهذا المرض، فقالوا بما اطلعوا عليه وبما وصل إليه علمهم، ولاإشكال في ذلك»[1].

قال ابن القيم :

«وهذه العلل والأسباب ليس عند الأطباء مايدفعها، كما ليس عندهم مايدل عليها، والرسل تخبر بالأمور الغائبة، وهذه الآثار التي أدركوها من أمر الطاعون ليس معهم ماينفي أن تكون بتوسط الأرواح، فإن تأثير الأرواح في الطبيعة وأمراضها وهلاكها أمر لاينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وتأثيراتها وانفعال الأجسام وطبائعها منها.

والله سبحانه قد يجعل لهذه الأرواح تصرفاً في أجسام بني آدم عند حدوث الوباء وفساد الهواء، كما يجعل لها تصرفاً عند غلبة بعض المواد الرديئة التي تحدث للنفوس هيئة رديئة، ولاسيما عند هيجان الدم والمِرَّة السوداء وعند هيجان المني، فإن الأرواح الشيطانية تتمكن من فعلها بصاحب هذه العوارض مالا تتمكن من غيره، مالم يدفعها دافع قوي من هذه الأسباب: من الذكر والدعاء، والابتهال والتضرع، والصدقة وقراءة القرآن، فإنه يستنزل لذلك من الأرواح الملكية مايقهر هذه الأرواح الخبيثة ويبطل شرها ويدفع تأثيرها»[2].

---

(١) الإيمان بالملائكة أحمد عز الدين البيانوني ص ١٦٨ بتصرف. وانظر كتاب الجن بين الحقائق والأساطير ٨٥/٢.

(٢) الطب النبوي لابن القيم ص ٣٠ ــ ٣١.

٣ ـ قتل الجن لبعض الإنس :

وكما أن الجن يمكن أن يتلبسوا بعض الأجسام فيصاب صاحبها بالصرع كما تقدم، فإن الجن يمكن أن يقتلوا بعض الإنس، كما يقتل بعض الإنس بعضهم، والدليل على ذلك:

(أ) أخرج مسلم في صحيحه: أن أبا السائب دخل على أبي سعيد الخدري في بيته، قال: فوجدته يصلي، قال: فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكاً في عراجين[١] في ناحية البيت، فالتفت فإذا حية، فوثبت لأقتلها، فأشار إليَّ أن أجلس فجلست، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار فقال: أترى هذا البيت؟ فقلت: نعم، قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس، قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: «**خذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قريظة**[٢] فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع، فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به وأصابته غيرة، فقالت له: أكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به[٣]، ثم خرج فركزه في الدار، فاضطربت عليه، فما يُدرى أيهما كان أسرع موتا،: الحية أم الفتى؟ قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له وقلنا: أدع الله يحييه لنا، فقال: «**استغفروا لصاحبكم ثم قال: إن بالمدينة جناً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه**[٤] **ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان**»[٥] وقد تقدم.

---

(١) العراجين : أراد بها العيدان التي في سقف البيت.

(٢) أي يهود بني قريظة وقد كانوا يسكنون المدينة.

(٣) انتظمها به : أي طعنها به.

(٤) آذنوه : أعلموه بأن يخرج.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب قتل الحيات وغيرها ١٧٥٦/٤

فقد دل هذا الحديث على أن الجن يمكن أن يقتلوا بعض الإنس فإن الفتى حديث عهد بعرس عندما طعن الحية برمحه، وخرج بها إلى قاع الدار جعلت تضطرب عليه حتى مات الاثنان، فيمكن أن يكون صرع الفتى كان بسبب تلك الحية، وهي جان تمثل بصورتها كما دل عليه الحديث، ويمكن أن يكون صرعه بسبب أنصار الجني الذي تشكل بصورة الحية انتصاراً لصاحبهم بسبب قتل الفتى له، ولو أنه لم يتعمد ذلك ولم يعلم بأنه جني، فان الجن أظلم وأغدر من الإنس.

وعندما سأل أقارب الفتى رسول الله ﷺ أن يدعو ربه بأن يحييه لهم، قال لهم: «**استغفروا لصاحبكم، ثم قال: إن بالمدينة جناً قد أسلموا...**» مما يشير إلى أن موت الفتى كان على يد الجن.

قال ابن تيمية بعد أن ذكر الحديث السابق: وقتل الجن بغير حق لايجوز، كما لايجوز قتل الإنس بلاحق، والظلم محرم في كل حال، فلا يحل لأحد أن يظلم أحداً ولو كان كافراً، بل قال تعالى: ﴿**ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾[1].

فإذا كانت حيات البيوت قد تكون جناً فتؤذن ثلاثاً، فإن ذهبت وإلا قتلت، فإنها إن كانت حية قتلت، وإن كانت جنية فقد أصرت على العدوان بظهورها للإنس في صورة حية تفزعهم بذلك، والعادي هو الصائل الذي يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلاً، وأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك فلا يجوز»[2].

واخرجه أبو داود مختصرا. كتاب الأدب ٤١٣/٥، وأخرجه مالك في الموطأ كتاب الاستئذان. باب ما جاء في قتل الحيات ٩٧٦/٢.

(١) سورة المائدة الآية ٨.

(٢) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٣٤ ــ ٣٦.

(ب) أخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عون عن محمد أن سعد بن عبادة أتى سباطة[1] قوم فخرَّ ميتاً، فقالت الجن:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده   ورميناه بسهمين فلم تخط فؤاده[2]

وذكر هذه القصة الدميري في كتابه (حياة الحيوان الكبرى) فقال: «ومما اشتهر أن سعد بن عبادة رضي الله عنه لما لم يبايعه الناس وبايعوا أبا بكر رضي الله عنه سار إلى الشام فنزل حوران، وأقام بها إلى أن مات في سنة خمس عشرة، ولم يختلف الناس أنه وجد ميتا في مغسله بحوران، وأنهم لم يشعروا بموته بالمدينة حتى سمعوا قائلاً يقول في بئر:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده   ورميناه بسهمين فلم نخطىء فؤاده.

فحفظوا ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذي مات فيه»[3].

وهذه الأخبار وإن لم تثبت صحتها إلا أنه يستأنس بها على أن الجن يمكن أن تقتل بعض الإنس، ويقويها ماتقدم من حديث مسلم في صحيحه.

٤ ــ مرض أيوب عليه السلام :

ومن تأثير الجن على أجسام الإنس ماجاء في قصة مرض أيوب عليه السلام، قال تعالى:

﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسَّني الشيطان بنُصْبٍ وعذاب. أركض برجلك هذا مُغتَسَل بارد وشراب﴾[4].

---

(١) السباطة : الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكنس من المنازل. انظر النهاية في غريب الحديث ٢/٣٣٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٢٥٣ ولم ينص على مرتبته، وروي نُخْطِ بالنون بدل تخط وكلاهما جائز.

(٣) حياة الحيوان الكبرى ١/٢٠٦.

(٤) سورة(صٓ)الآيتان ٤١،٤٢.

قال القرطبي: «قال أبو عبيدة وغيره: النُّصْب: الشر والبلاء، والنَّصَبْ: التعب والإعياء. وقد قيل في معنى ﴿**أني مسني الشيطان بنصب وعذاب**﴾ أي مايلحقه من وسوسته لاغير، والله أعلم، ذكره النحاس، وقيل: أن النصب ما أصابه في بدنه، والعذاب ما أصابه في ماله، وفيه بعد»[1].

وذكر الفخر الرازي الأقوال في سبب إسناد الفعل إلى الشيطان فقال: «للناس في هذا الموضع قولان :

الأول: أن الآلام والأسقام الحاصلة في جسمه ــ أي أيوب عليه السلام ــ إنما حصلت بفعل الشيطان.

الثاني: أنها إنما حصلت بفعل الله، والعذاب المضاف في هذه الآية إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة وإلقاء الخواطر الفاسدة»[2].

ثم قال بعد ذلك: «ولفظ الآية يدل على أن ذلك النصب والعذاب إنما حصل من الشيطان، ثم ذلك العذاب على القول الأول عبارة عما حصل في بدنه من الأمراض، وعلى القول الثاني عبارة عن الأحزان الحاصلة في قلبه بسبب إلقاء الوساوس، وعلى التقديرين فيلزم إثبات الفعل للشيطان، وأجاب أصحابنا رحمهم الله، بأننا لاننكر إثبات الفعل للشيطان، لكنا نقول: فعل العبد مخلوق لله تعالى على التفصيل المعلوم»[3].

وذكر الزمخشري أن الحاصل من الشيطان فيما أصاب أيوب عليه السلام إنما هو الوسوسة ليس إلا، ولا يجوز نسب ما أصاب أيوب في بدنه وأهله وماله إلى الشيطان، لأنه لا يقدر على ذلك فقال:

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/٢٠٧ ــ ٢٠٨.
(٢) التفسير الكبير ٢٦/٢١٤.
(٣) نفس المصدر ٢٦/٢١٤.

«فإن قلت: لم نسبه ــ أي النصب والعذاب ــ إلى الشيطان ولايجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضي من إتعابهم وتعذيبهم وطره، ولو قدر على ذلك لم يدع صالحاً إلا وقد نكبه وأهلكه، وقد تكرر في القرآن أنه لاسلطان له إلا الوسوسة فحسب؟

أجاب الزمخشري على هذا التساؤل فقال: لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما يوسوس سبباً فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه إليه، وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه مع أنه فاعله، ولا يقدر عليه إلا هو، وقيل: أراد ماكان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم مانزل به من البلاء، ويغريه على الكراهة والجزع، فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل»[1].

وذكر العلماء أقوالاً وقصصاً في توجيه كل من القولين المتقدمين اللذين ذكرهما الفخر الرازي، فعلى القول الأول: وهو أن النصب والعذاب الذي أصاب داود في جسده إنما حصل من الشيطان فقالوا في كيفيته، أن إبليس طلب من الله أن يُسلَّطَ على أيوب، فحاول إبليس أن يوسوس له، وأيوب لايلتفت إليه، فطلب من الله أن يُسلَّط على ماله، فسلط عليه فأهلكه، ثم طلب أن يسلط على أولاده فسلط عليهم، فحمل الدار بهم فماتوا جميعاً فصبر أيوب، ثم طلب أن يسلط على بدنه، فأصابه ثآليل فحكها بأظفاره ثم دميت، ثم حكها بأظفاره فتساقط لحمه، ولم يبق من جسده غير حشوة البطن، فكان يأكل ويشرب، ومع ذلك صبر أيوب»[2].

وعلى القول الثاني : وأن المراد بالنصب والعذاب هو مالحقه من الوسوسة فقالوا

---

(١) تفسير الكشاف ٣/٣٧٦.

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٥/٢٠٨ ــ ٢٠٩.

في كيفية ذلك: أن أيوب عليه السلام لما طال به الألم استقذره الناس ونفروا عن مجاورته، حتى منعوا امرأته من الدخول عليه، فكان الشيطان يذكره ما كان يحصل له من النعم بسبب دخول زوجته عليه من خدمتها له وغير ذلك، فلما قويت تلك الوساوس في قلبه خاف وتضرع إلى الله، وقيل: إن الشيطان لما طال مرض أيوب كان يزين له القنوط من رحمة الله، وقيل ماكان من فعل الشيطان من طلبه من امرأته أن يطيعه أيوب حتى يشفيه، فخاف على دينه فقال: ﴿**أني مسني الشيطان**﴾ وغير ذلك من الأقوال(١).

وهذه الأقوال جميعها ــ سواء ماكان منها في بيان كيفية ما أصاب أيوب من المرض والبلاء في جسده وماله وأهله، أو ما كان في بيان كيفية حصول الوساوس الحاصلة من الشيطان له كما تقدم ــ لا مستند لها على الإطلاق، وأغلبها ــ إن لم يكن كلها ــ من الإسرائيليات.

والذي تطمئن إليه النفس أنه لامانع أن يكون للشيطان تأثير على جسم أيوب، فيصاب بالمرض، مع أن ذلك إنما يكون بقدر من الله لحكمة أرادها. وأما كيفية إصابة الشيطان له بذلك فهذا مالا علم لنا به، وأمره إلى الله.

وما أصاب أيوب عندئذ من المرض بفعل الشيطان كما هو ظاهر القرآن لايتعارض مع عصمة الأنبياء، لأن عصمة الأنبياء من الشيطان إنما تكون باستبعاد تسلطه على عقولهم وقلوبهم بشتى أنواع الوساوس والغواية، فهذا هو ماعصم الله أنبياءه منه، قال الشيخ الشنقيطي:

«وغاية مادل عليه القرآن: أن الله ابتلى نبيه أيوب ــ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ــ وأنه ناداه فاستجاب له وكشف عنه كل ضر، ووهبه أهله ومثلهم معهم، وأن أيوب نسب ذلك في سورة (ص) إلى الشيطان، ويمكن أن يكون

(١) انظر التفسير الكبير ٢٦/٢١٣.

سلّطه الله على جسده وماله وأهله ابتلاء ليظهر صبره الجميل، وتكون له العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة، ويرجع له كل ما أصيب فيه والعلم عند الله تعالى، وهذا لاينافي أن الشيطان لاسلطان له على مثل أيوب، لأن التسليط على الأهل والمال والجسد من جنس الأسباب التي تنشأ عنها الأعراض البشرية كالمرض، وذلك يقع للأنبياء، فإنهم يصيبهم المرض، وموت الأهل وهلاك المال لأسباب متنوعة، ولامانع أن يكون من جملة تلك الأسباب تسليط الشيطان على ذلك للابتلاء. وقد أوضحنا جواز وقوع الأمراض والتأثيرات البشرية على الأنبياء في سورة طه»[١].

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤/٧٤٤ ــ ٧٤٥.

المبحث الثاني

التزاوج بين الجن والإنس

تقدم معنا أن الجن يتناكحون ولهم ذرية، كما قد دلت على ذلك الأدلة المتعددة، وإذا كان الجن يتناكحون فيما بينهم لاتحاد جنسهم، فهل ياترى يمكن أن يحدث تناكح وتزاوج بين الجن والإنس على الرغم من الاختلاف فيما بينهما في كثير من الأمور؟ وفي هذا المبحث مسألتان:

المسألة الأولى: في إمكان وقوع النكاح بين الجن والإنس.
المسألة الثانية: الحكم الشرعي في التزاوج بين الجن والإنس.

وإليك الحديث عن كل منهما :

المسألة الأولى : في إمكان وقوع النكاح بين الجن والإنس :

اختلف العلماء في هذه القضية على قولين :

القول الأول: أن التناكح بين الجن والإنس أمر ممكن، على الرغم مما بينهما من الاختلاف.

وقد قال بهذا الرأي جماعة من العلماء منهم: مجاهد والأعمش، وهو أحد الروايتين عن الحسن وقتادة، وبه قال جماعة من الحنابلة والحنفية، والإمام مالك وغيرهم[1].

---

(١) انظر الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٣٢٧ ــ ٣٢٨، والفتاوى الحديثية للهيتمي ص ٦٨، ٦٩، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٩/٣٩ وتفسير القرطبي ١٣/١٨٢، وآكام المرجان في أحكام الجان، ص ٦٦.

القول الثاني: عدم إمكان وقوع النكاح بين الجن والإنس لاختلاف جنسيهما.

ذكره ابن نجيم عن الحسن البصري وقتادة والحاكم بن قتيبة وإسحاق بن راهويه، وعقبة بن الأصم، وبه قال جماعة من الحنابلة، وذكر ابن حجر الهيتمي أنه المعتمد من قول الشافعية، وبه قال الماوردي، وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمود شلتوت وغيرهم[1].

وقد استدل كل من أصحاب القولين على ماذهب إليه بأدلة هي:

أولاً : أدلة القائلين بامكإن وقوع النكاح بين الجن والإنس :

١ ــ قوله تعالى في سورة الرحمٰن: **﴿فيهن قاصرات الطَّرْف لم يطمثْهنَّ إنس قبلهم ولاجان﴾**[2].

ووجه الاستدلال بهذه الآية: أن الله عز وجل قد نفى أن يكون قد واقع نساء الجنَّة قبل أزواجهن فيها أحد من الإنس والجن في الدنيا، مما يدل على إمكان وقاع الجن لنساء الإنس أو وقاع الانس لنساء الجن، قال ابن جرير الطبري: «وعني بالطمث هنا أنه لم يجامعهن إنس قبلهم ولاجان»[3]، وذكر روايات على ذلك فقال: عن ابن عباس في قوله: **﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾** يقول: لم يدمهن إنس ولاجان، وذكر نحو هذا عن علي بن أبي طالب وعكرمة ومجاهد، وذكر رواية عن عاصم عن أبي العالية تدل على إمكان وقوع النكاح بين الجن والإنس

(١) انظر الأشباه والنظائر ص ٣٢٨، والفتاوى الحديثية ص ٦٨ ــ ٦٩، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ١/٢١٣، وانظر هامش تفسير القرطبي ١٨٢/١٣، وفتاوى الإمام محمد رشيد رضا ٢٥٧/١، والفتاوى لشلتوت ص ٢٤ ــ ٢٥.

(٢) سورة الرحمٰن الآية ٥٦.

(٣) تفسير الطبري ٨٧/٢٧.

وفيها: فإن قال قائل: وهل يجامع النساء الجن؟ فيقال: **﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان﴾**(١)

وقال الألوسي: «ونفي طمثهن عن الإنس ظاهر، وأما عن الجن فقال مجاهد والحسن: قد تجامع الجن نساء البشر مع أزواجهن إذا لم يذكر الزوج اسم الله تعالى، فنفى هنا جميع المجامعين، وقيل: لاحاجة إلى ذلك، إذ يكفي في نفي الطمث عن الجن إمكانه منهم، ولاشك في إمكان جماع الجني إنسية، بدون أن يكون مع زوجها الغير الذاكر اسم الله تعالى»(٢).

وقال الفخر الرازي: ما الفائدة في ذكر الجان، مع أن الجان لايجامع؟ فنقول: ليس كذلك، بل الجن لهم أولاد وذريات، وإنما الخلاف في أنهم: هل يواقعون الإنس أم لا؟ والمشهور أنهم يواقعون، وإلا لما كان في الجِنَّة أحساب ولا أنساب، فكأن مواقعة الإنس إياهن كمواقعة الجن من حيث الإشارة إلى نفيها»(٣).

ومقصود كلام الفخر: أن الله قد نفى أن يكون قد جامع نساء الجنة من الحور العين أحد من الإنس والجن قبل ذلك، فكأن الآية فيها إشارة إلى إمكان وقاع الجن للإنسيات في الدنيا.

وقال ابن الجوزي في قوله تعالى: **﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان﴾** وفي الآية دليل على أن الجني يغشى المرأة كالإنسي»(٤).

٢ ــ قوله تعالى في سورة الإسراء: **﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب**

(١) تفسير الطبري ٨٧/٢٧ ــ ٨٨ ط سنة ١٣٢٨ المطبعة الكبرى الأميرية/القاهرة.
(٢) تفسير روح المعاني ١١٩/٢٧.
(٣) التفسير الكبير ١٣٠/٢٩.
(٤) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٢٢/٨.

عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعِدْهم ومايعدهم الشيطان إلا غروراً﴾[1].

ووجه استدلالهم بها : أن مشاركة الشيطان للإنسان في الأولاد هي جماعه معهم، إذا لم يسمِّ الرجل عند إتيان أهله.

وقد اعتمدوا في تفسير الآية بهذا على أحاديث وآثار في هذا الشأن هي:

(أ) أخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد قال: قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا جامع الرجل أهله فلم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه**»[2]. فهذا هو المقصود من مشاركة الشيطان للإنس في الآية السابقة.

(ب) روت عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن فيكم مغرَّبين، قلت يارسول الله: وما المغرَّبون؟ قال: الذين يشترك فيهم الجن**»[3].

قال ابن الأثير: «سموا مغربين لأنه دخل فيهم عرق غريب»[4] وقال الحكيم الترمذي: «فللجن مساماة بابن آدم في الأمور والاختلاط، فمنهم من يتزوج فيهم»[5].

---

(١) سورة الاسراء الآية ٦٤.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٧/٨٨ عن عثمان بن الأسود عن مجاهد ط ١ سنة ١٣٢٨. المطبعة الكبرى الأميرية/ القاهرة. وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٢٤٣.

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٢٤٣، وأورده ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٣/٣٤٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٣/٣٤٩.

(٥) نوادر الأصول ص ٢٤٣ ــ ٢٤٤.

(جـ) قال ابن كثير: وقد روى الثعلبي من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «**كان أحد أبوي بلقيس جنياً**»[1].

وقد ذكر ابن حجر الهيتمي القول بأن أحد أبوي بلقيس من الجن، وأشار إلى أن في ذلك حديثاً مروياً عن أبي الشيخ وابن مرديه وابن عساكر[2]،ولعل ماقصده ابن حجر حديث أبي هريرة هذا.

وذكر القرطبي في تفسيره رواية عن وهيب بن جرير بن حازم عن الخليل بن أحمد عن عثمان بن حاضر أن أمها يقال لها بلعمة بنت شيصبان»[3].

وقال الكلبي: كان أبوها من عظماء الملوك، وولده ملوك اليمن كلها، وكان يقول: ليس في ملوك الأطراف من يدانيني، فتزوج امرأة من الجن يقال لها: ريحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس، وتسمى بلقمة، ويقال أن مؤخره قدميها كان مثل حافر الدابة»[4].

(د) روى ابن جرير أن ابن عباس قال: «إذا أتى الرجل امرأته وهي حائض، سبقه الشيطان إليها فحملت فجاءت بالمخنَّث، فالمؤنثون أولاد الجن»[5].

وذكر عن ابن عباس أن رجلاً سأل عن امرأته قائلاً: إنها استيقظت وفي فرجها شعلة نار فقال: هذا من وطء الجن»[6].

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٢٤٣، وأورده ابن كثير في قصص الأنبياء ٢٩١/٢ وقال عنه: وهذا حديث غريب وفي سنده ضعف.

(٢) انظر الفتاوى الحديثية ص ٦٩.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٨٣/١٣.

(٤) آكام المرجان في احكام الجان ص ٧٠، وانظر تفسير القرطبي ٢١١/١٣.

(٥) آكام المرجان في احكام الجان ص ٦٦ ولم أعثر على هذا الأثر.

(٦) تفسير الخازن ١٣٧/٤ ولم أعثر على هذا الأثر أيضا.

(هـ) روى عثمان بن سعيد بن داود الزبيدي قال: كتب قوم من أهل اليمن إلى مالك يسألونه عن نكاح الجن، وقالوا: ان ههنا رجلاً يزعم أنه يريد الحلال، فقال: ما أرى بذلك بأساً في الدين، ولكن أكره إذا وجدت امرأة حامل قيل لها: من زوجك؟ قالت: من الجن، فيكثر الفساد في الإسلام»[١].

ففي هذه الأحاديث والآثار دليل على وقوع النكاح بين الجن والإنس، وقول مالك بن أنس بالكراهة لايدل على الامتناع، بل يدل على تحققه ووقوعه.

وقد ذكروا بهذا الصدد حكايات كثيرة تدل على تزوج بعض الإنس من الجن وتزوج بعض الجن من الإنس، فمن ذلك.

١ ــ ماورد عن الأعمش: فقد ذكر أبو الشعثاء الحضرمي أحد شيوخ مسلم عن أبي معاوية: سمعت الأعمش يقول: تزوج إلينا جني فقلت له: ماأحب الطعام إليكم؟ فقال: الأرز، قال: فأتيناه به، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحداً فقلت: فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم، قلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شرُّنا، قال بدر الدين الشبلي بعد سرد هذه الرواية: قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي تغمده الله برحمته: هذا إسناد صحيح إلى الأعمش»[٢].

٢ ــ وروى ابن عدي في ترجمة نعيم بن سالم بن قنبر ــ مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ــ عن الطحاوي قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال: قدم علينا نعيم بن سالم مصر، فسمعته يقول: تزوجت امرأة من الجن، فلم أرجع إليه»[٣].

---

(١) تفسير روح المعاني ١١٩/٢٧ وانظر آكام المرجان في احكام الجان ص ٦٧ وانظر الأشباه والنظائر ص ٣٢٨.
(٢) آكام المرجان في احكام الجان ص ٦٩.
(٣) حياة الحيوان الكبرى ٢١٣/١.

٣ ــ وذكر نجم الدين القمولي أنه رأى شيخاً كبيراً أخبره أنه تزوج جنية»[١].

وكان زيد العمى يقول: اللهم ارزقني جنية أتزوج بها، تصاحبني حيثما كنت»[٢].

وغير ذلك من الأقوال والحكايات في هذا الصدد، مما لايتسع المجال لذكرها[٣].

قال ابن العربي عن إمكان وقوع النكاح بين الجن والإنس: «وهذا أمر تنكره الملحدة ويقولون: «الجن لايأكلون ولا يلدون، كذبوا لعنهم الله أجمعين، ذلك صحيح، ونكاحهم جائز عقلاً، فإن صح نقلاً فبها ونعمت»[٤]. وقال ابن تيمية: «وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد، وهذا كثير معروف»[٥].

ثانياً : أدلة القائلين بامتناع وقوع النكاح بين الجن والإنس :

وقد استدل هؤلاء على قولهم بما يلي:

١ ــ قوله تعالى: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾**[٦].

ووجه الاستدلال بالآية: أن الله قد امتن على عباده بأن جعل لهم أزواجاً من جنسهم ونوعهم وعلى خلقهم، وللمودة تستدعي الجماع، والرحمة هي الولد، ومعنى السكن في الآية: الارتياح والقرار، وكيف يسكن الإنسي إلى جنية وهي من نار؟!،

(١) انظر الجن بين الحقائق والاساطير لعلي الجندي ١٦٣/٢
(٢) حياة الحيوان الكبرى ٢١٣/١.
(٣) راجع آكام المرجان في احكام الجان ص ٦٩ ــ ٧٥.
(٤) تفسير القرطبي ١٨٢/١٣.
(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩/١٩.
(٦) سورة الروم الآية ٢١.

وعلى هذا فإن حصول المقصود من النكاح قد انتفى في نكاح الإنسي جنية أو العكس. قال الشيخ محمود شلتوت: «وهذا يقطع حبل الشك في فساد القول بإمكان التزوج منهم، فضلاً عن صحته وفساده»[1].

٢ ــ الاختلاف بين الجن والإنس، فإن الجن خلقوا من النار، والإنس خلقوا من الطين، ولايمكن التقاء النار مع الطين، إذ لو سلطت النار على الطين لأحرقته، وعنصر النار يمنع أن تكون النطفة الإنسانية في رحم الجنية لما فيها من الرطوبة، فتضمحل لشدة الحرارة[2].

٣ ــ ولو كان ذلك ممكناً لظهر أثره في حل النكاح بينهم[3]، ومن ثم وردت أقوال العلماء بالنهي عن التزاوج بين الجن والإنس، فقد أخرج جرير عن أحمد وإسحق أنه ﷺ نهى عنه»[4] ومن ثم كرهه إسحق والإمام مالك كما تقدم عنه، وغير هؤلاء[5].

٤ ــ قالوا: والقول بعدم إمكان وقوع ذلك هو الذي يحكم به العقل، قال القرطبي: «قال الماوردي: والقول بأن أم بلقيس جنية مستنكر من العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبيعتين وتفارق الحسين، لأن الآدمي جسماني والجن روحاني، وخلق الله الآدمي من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار، ويمنع الامتزاج مع هذا التباين، ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف»[6].

(١) الفتاوى لمحمود شلتوت ص ٢٦. تفسير من استدل بهذه الآية على مراده بأن الرحمة في الآية: الولد ــ تفسير لا دليل عليه، بل الرحمة شفقة الرجل على زوجته أن يصيبها سوء. انظر صفوة التفاسير للصابوني ٤٧٦/٢.

(٢) انظر آكام المرجان في احكام الجان ص ٦٦.

(٣) نفس المصدر ص ٦٦.

(٤) الفتاوى الحديثية ص ٦٩.

(٥) انظر المصدر السابق ص ٦٨ ــ ٦٩.

(٦) تفسير القرطبي ٢١١/١٣.

قال في هامش تفسير القرطبي: «مسألة التزاوج بين الإنس والجن لايقرها العلم، وقد ورد النهي عن جمع من فحول العلماء كالماوردي، وذلك لاختلاف الجنس، ومايحيله العلم يحيله العقل»[1].

وقد أجاب القائلون بامتناع وقوع النكاح بين الجن والإنس على أدلة القائلين بالوقوع بما يلي :

(أ) أما استدلال المجيزين لوقوع النكاح بين الجن والإنس بقوله تعالى: ﴿**لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان**﴾[2] فقد قال شوقي ضيف:

«ومن الغريب أن بعض المفسرين حاولوا أن يستنبطوا من هذه الآية الكريمة أن الجن يمكن أن يعاشروا الانسيات، وأن الإنس يمكن أن يعاشروا الجنيات، وقالوا: إن العقل لايحيل ذلك... إلى أن يقول: واستدلوا ببعض الأساطير وما جاء فيها من أن أم بلقيس ــ ملكة سبأ ــ كانت جنية، وهي مجرد اسطورة، أو قل حديث خرافة لايثبت شيئاً، ومثله كثير من الخرافات العتيقة عند جميع الشعوب، سقط إليها من عصور تأليه الأسلاف للملوك، وما كان يقال حينئذ من أنهم أبناء آلهة أو من نسلهم.

ولعل من العجب العجاب أن يضاف إلى ابن عباس أنه قال: إن الخنثى المشكل من ولد الجان إذ يسبق الشيطان الرجل إلى زوجته حين لايعتزلها في المحيض فتحمل منه، فتجيء بولدها المخنّث، وهو محض خيال.

ويقال أن قوماً من أهل اليمن كتبوا إلى الإمام مالك يسألونه عن معاشرة الإنسيات لبعض الجن، فأوضح لهم خطورة الأخذ بهذه الفكرة، وأنها تجر إلى

---

(١) انظر هامش تفسير القرطبي ٢٨٩/١٠، ١٨٢/١٣، ٢١١ وهو قول المحقق لتفسير القرطبي: إبراهيم اطفيش.

(٢) سورة الرحمن الآية ٥٦.

فساد خطير في الأمة، إذ قد تزعم من حملت عن طريق غير شرعي، بأنها حملت من الجن، وهذا جميعه تصور خاطيء، فإنه لايمكن أن تحدث معاشرة بين جني وإنسية أو بين إنسي وجنية لاختلاف الطبيعتين وتباين الجنسين، فقد خلق الله الإنسان كما جاء في قوله تعالى: ﴿**من صلصال كالفخار.وخلق الجان من مارج من نار**﴾[1] وتمتنع المعاشرة، ويمتنع التناسل مع هذا التباين الشديد»[2].

(ب) أن قوله تعالى: ﴿**وشاركهم في الأموال والأولاد**﴾[3] لايدل على وقوع النكاح بين الجن والإنس، إنما المقصود من ذلك كما قال به جمهور المفسرين: «أن مشاركته هي الإغواء بالحمل على كسب الحرام، والتصرف والانفاق في الحرام، والإغواء بالحمل على التوصل إلى الولد بالسبب المحرم، والاشراك فيه كتسميته بعبد العزى، والحمل على العقائد الباطلة والأفعال القبيحة والحرف الذميمة»[4].

قال الإمام الطبري: «وقد اختلف أهل التأويل في صفة شركته بني آدم في أولادهم، فقال بعضهم: وشركته إياهم فيه بزناهم بأمهاتهم». وقد ذكر أقوالاً في ذلك منها:

قول ابن عباس إذ يقول: ﴿**وشاركهم في الأموال والأولاد**﴾ قال: أولاد الزنا، وكذلك ذكره مجاهد والضحاك.

وقال آخرون: عنى بذلك وأدهم أولادهم وقتلهموهم، وقد ذكر ابن عباس قال: ماقتلوا من أولادهم وأتوا فيهم الحرام، وقال آخرون: بل صبْغهم إياهم في الكفر. وعن الحسن: قد والله شاركهم في أموالهم وأولادهم، فمجّسوا وهوّدا ونصّروا وصبغوا غير صبغة الإسلام، وجزءوا جزءاً من أموالهم للشيطان.

---

(١) سورة الرحمٰن آية ١٤،١٥.

(٢) تفسير سورة الرحمٰن للدكتور شوقي ضيف ص ١٥٥،١٥٦.

(٣) سورة الاسراء الآية ٦٤.

(٤) فتاوى الامام محمد رشيد رضا ٢٥٧/١ بتصرف، وانظر تفسير البيضاوي ٢٠٦/٣.

وقال آخرون: بل عنى بذلك تسميتهم أولادهم عبد الحارث وعبد شمس»[1].

وقال الطبري بعد ذكر هذه الأقوال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: كل ولد ولدته أنثى عصى الله بتسميته مايكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بها، يفعله به أو فيه قد دخل في مشاركة ابليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه، لأن الله لم يخصص بقوله: ﴿**وشاركهم في الأموال والأولاد**﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكل ماعصى الله فيه أو به وأطيع به الشيطان أو فيه فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به، ابليس فيه»[2].

وقال الألوسي: «ثم إن دعوى أن الجن تجامع نساء البشر جماعاً حقيقياً مع أزواجهن إذا لم يذكروا اسم الله تعالى غير مسلَّمة عند جميع العلماء، وقوله تعالى: ﴿**وشاركهم في الأموال والاولاد**﴾ غير نص في المراد كما لايخفى»[3].

وقال محمد رشيد رضا: «إن المشاركة في الأولاد عبارة عن الإغواء في أمر اختيار المرأة والاتصال بها بالحرام، ويهمل هو وإياها تربية ولده: العقلية والنفسية حتى ينشأ ضالاً فاسقاً، فإنما يفعل ذلك بوسوسة الشيطان وإغوائه ومشاركته في هذا الأمر العظيم، وهو أمر الولد،من أحدهما: الوسوسة والإغواء، ومن الآخر: اتباع الشهوة وسوء الاختيار.

فالآية مبينة لمجامع وساوس الشيطان وإغوائه، والأمر فيها للتكوين كقوله تعالى: ﴿**كن فيكون**﴾[4]، أي تعلق إرادته بكونه ووجوده... إلى أن يقول: ومانقله

(١) تفسير الطبري ١٥/١٢٠ ــ ١٢١ بتصرف.

(٢) نفس المصدر ١٥/١٢١.

(٣) تفسير روح المعاني ٢٧/١١٩.

(٤) سورة النحل الآية ٤٠.

الخازن[1] وغيره عن ابن عباس غير صحيح، ولا يعقل أن يكون الشيطان من عالم الحس له أعضاء كأعضاء الإنسان، وهو مخالف لنص القرآن، ولو صح لكان كل من ترك التسمية يشاركه الشيطان، فتجد امرأته النار الذي وجدته المرأة[2]، وهو ظاهر البطلان»[3].

هذه هي اعتراضات المنكرين لتناكح الجن والإنس على أدلة المثبتين له، وهي في مجملها تدور حول إنكار العقل لحدوث مثل هذه العلاقة بينهما، وذلك لاختلاف طبيعة كل منهما عن الآخر.

القول الراجح :

وبعد هذا العرض لأدلة الطرفين من المثبتين والمنكرين لتناكح الجن والإنس يتبين لنا رجحان القول بإمكان وقوع التناكح بينهما، وذلك لما تقدم من الأدلة، وهي بمجموعها تصلح حجة على المطلوب.

وأما ماتمسك به القائلون بالمنع باختلاف الجنسين، مما يتعذر معه الألتقاء بينهما فالجواب عنه:

١ ــ أن الجن لم يبقوا على عنصرهم الناري، وإن كان له أثر في بعض صفاتهم، بل قد استحالوا عنه بالأكل والشرب، والتوالد والتناسل، كما استحال بنو آدم عن عنصرهم الترابي، ويظهر ذلك أن الرسول ﷺ قد وجد برد لعاب الشيطان على يده الشريفة عندما جاءه ليقطع عليه الصلاة كما تقدم معنا، ولو بقوا على عنصرهم الناري فمن أين جاء البرد؟!. وثبت أن الجن يدخلون في بدن المصروع ومع ذلك لايحترق المصروع.

(١) انظر تفسير الخازن ٤/١٣٧.

(٢) يقصد ما نقل عن ابن عباس أن رجلا سأله عن امرأته قائلا: إنها استيقظت وفي فرجها شعلة نار فقال: هذا من وطء الجن. وقد تقدم.

(٣) فتاوى الإمام محمد رشيد رضا ١/٢٥٧.

وليس شرطاً لوقوع النكاح بين الجن والإنس قرار النطفة في رحم الجنية أو العكس، فإن الآيسة والمرأة العقيم[1] لايتصور منهن علوق، ومع هذا فالنكاح لهن مشروع، فإن حكمة النكاح وإن كانت لتكثير النسل ومباهاة الأمم بذلك فقد يتخلف ذلك»[2].

٢ ـــ وأما ماورد من النهي عن هذا النكاح وكراهية كثير من العلماء له، فإنه لايدل على عدم الإمكان من وقوع النكاح بين الجن والإنس، إذ أن قولهم بالكراهة دليل على إمكانه، لأن غير الممكن لايحكم عليه بجوازه ولا بعدمه في الشرع.

وقولهم: أن ذلك لو كان ممكناً لظهر أثره في حل النكاح فهو غير لازم، فان الشيء قد يكون ممكناً ويتخلف المانع، فإن العلوق في المجوسيات والوثنيات ممكن، ومع ذلك لايحل نكاحهن[3].

٣ ـــ وإذا كان المانع عند بعضهم عدم حصول المقصود من هذا النكاح وهو السكن والولد، فإنما كان ذلك لأن الله امتن علينا بأن جعل لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها، وجعل بيننا المودة والرحمة، والجن ليسوا من أنفسنا، فلم يجعل منهم أزواجاً لنا، فلا يكونون لنا أزواجاً لفوات المقصود من حل النكاح من بني آدم، وهو سكون أحد الزوجين إلى الآخر، فالمانع الشرعي حينئذ من جواز النكاح بين الجن والإنس عدم سكون أحد الزوجين إلى الآخر، إلا أن تكون هذه العلاقة عن عشق وهوى من الإنس والجن، فيكون إقدام الإنسيِّ على نكاح الجنية للخوف على

---

(١) الآيسة : هي المرأة التي انقطع عنها الحيض بالكلية فلا تحيض لكبر سنها، ومن ثم فهي لا تحمل. والعقيم: التي لاتحمل.
(٢) انظر آكام المرجان في احكام الجان لبدر الدين الشبلي ص ٦٧.
(٣) انظر نفس المصدرَ ص ٦٦ ـــ ٦٧.

نفسه، وكذلك العكس، إذ لو لم يقدموا على ذلك لآذوهم وربما قتلوهم، فيكون الإنسان في قلق وعدم طمأنينة، وهذا يعود على مقصود النكاح بالنقض.

والمودة والرحمة التي تحصل بنكاح الإنسي لإنسية لاتحصل بسبب التقاء الجن مع الإنس بالزواج من بعضهما لتباين طباعهما، وهذا لايوجب امتناع علاقة بينهما لسبب أو لآخر(١).

وقد أثبت الواقع أن بعض الحيوانات تتناكح مع بعضها على الرغم من تباين الجنسين، مع أن التقارب بين الجن والإنس أكمل وذلك بسبب تشكل الجن بصور الإنس، فقد تتشكل بعض الجنيات بأجمل صور النساء مما يجعل ذلك دافعاً لبعض الإنس لنكاحهن، فيكون تلاقيهما على هذا الأساس ممكناً.

المسألة الثانية : الحكم الشرعي في التزاوج بين الجن والإنس :

وإذا كان التناكح بين الجن والإنس أمراً ممكناً وربما يحدث في شتى العصور، فيا ترى: ماهو الحكم الشرعي في مثل هذه العلاقة؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : النهي عن ذلك :

ففي رواية عن الزهري فيها ابن لهيعة ـــ وهو مرسل ـــ أن النبي ﷺ نهى عن نكاح الجن»(٢).

قال ابن نجيم: «وهو إن كان مرسلاً فقد إعتضد بأقوال العلماء، فروي المنع عن الحسن البصري وقتادة والحاكم بن قتيبة وإسحاق بن راهوية وعقبة بن الأصم رضي الله عنهم»(٣). ثم قال: «وإذا تقرر المنع من نكاح الإنسي الجِنيَّة، فالمنع من

(١) انظر آكام المرجان في احكام الجان لبدر الدين الشبلي ص ٦٨.
(٢) الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٣٢٨ ولم أعثر على هذا الأثر.
(٣) المصدر السابق ص ٣٢٨.

نكاح الجني الإنسية من باب أولى، ويدل عليه قوله في السراجية: لاتجوز المناكحة، وهو شامل لهما»[١].

وقال الدميري: «كان الشيخ عماد الدين بن يونس رحمه الله يجعل من موانع النكاح اختلاف الجنس ويقول: لايجوز للإنسي أن يتزوج جنية لقوله تعالى: **﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾**[٢] وقوله: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾**[٣]، فالمودة: الجماع، والرحمة: الولد»[٤].

«ونص على منعه جماعة من أئمة الحنابلة»[٥]، وفي الفتاوى السراجية للحنفية: «أنه لاتجوز المناكحة بين الإنس والجن وإنسان الماء لاختلاف الجنس»[٦]، وبه أفتى شيخ الإسلام البارزي من أئمة الشافعية، لأن الله تعالى امتن علينا بأن خلق لنا من أنفسنا أزواجاً، فلو جاز نكاح الجن ماحصل الامتنان بذلك»[٧]، وسئل أبو حامد عن الزواج بامرأة مسلمة من الجن فقال: لايجوز»[٨].

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٣٢٨.
(٢) سورة النحل الآية ٧٢.
(٣) سورة الروم الآية ٢١.
(٤) حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢١٢/١. تقدم التعليق على تفسير بعض العلماء بأن المراد بالرحمة: الولد، قبل قليل.
(٥) نفس المصدر ٢١٢/١.
(٦) الأشباه والنظائر ص ٣٢٧، والمقصود بانسان الماء ما يعيش في البحار من الحيوانات التي تشبه الانسان، والقائل بهذا القول من الحنفية هو الشيخ جمال الدين السجستاني. انظر الجن بين الحقائق والأساطير ١٦١/٢.
(٧) الفتاوى الحديثية ص ٦٩.
(٨) الأشباه والنظائر ص ٣٢٧.

القول الثاني: الكراهة لذلك :

وهو منقول عن جماعة من التابعين، قال بدر الدين الشبلي: «حدثنا معاوية عن الحجاج عن الحكم: أنه كره نكاح الجن»[1]، وذكر القول بالكراهة عن الحسن وقتادة[2]، فعن عقبة بن عبد الله أن رجلاً أتى الحسن البصري فقال: يا أبا سعيد: إن رجلاً من الجن يخطب فتاتنا، فقال الحسن: لاتزوجوه ولاتكرموه، فأتى قتادة فقال: يا أبا الخطاب: إن رجلاً من الجن يخطب فتاة لنا فقال: لاتزوجوه، ولكن إذا جاءكم فقولوا: نحرِّج[3] عليك إن كنت مسلماً لما انصرفت عنا ولم تؤذنا، فلما كان من الليل جاء الجني حتى قام على الباب فقال: أتيتم الحسن فسألتموه فقال لكم: لاتزوجوه ولاتكرموه، ثم أتيتم قتادة فسألتموه فقال: لاتزوجوه ولكن قولوا له: إنا نحرِّج عليك إن كنت رجلاً مسلماً لما انصرفت عنا ولم تؤذنا، فقالوا له ذلك فانصرف عنهم ولم يؤذهم»[4].

وقد تقدم قول الإمام مالك بن أنس بالكراهة لذلك عندما كتب إليه أهل اليمن بالسؤال عن رجل من الجن يريد أن يخطب فتاة من الإنس فأجاب مالك: لابأس به، ولكن أكره إذا وجدت امرأة حامل قيل لها: من زوجك؟ فتقول: من الجن، فيكثر الفساد في الإسلام[5].

---

(١) آكام المرجان في احكام الجان ص ٧١.

(٢) قد تقدم قول ابن نجيم بمنع الحسن وقتادة من الزواج بالجني، ولعلهما روايتان عن الحسن وقتادة، وهناك رواية ثالثة، أن الحسن قال بالاباحة. انظر الأشباه والنظائر ص ٣٢٧.

(٣) نحرِّج : هو أن يقول له : أنت في حرج، أي في ضيق، إن عدت الينا فلا تلمنا أن نضيق عليك بالتتبع والطرد والقتل، لسان العرب ٢/٢٣٣.

(٤) آكام المرجان في احكام الجان ص ٦٩.

(٥) انظر تفسير روح المعاني ٢٧/١١٩، انظر آكام المرجان في احكام الجان ص ٦٧، وانظر الأشباه والنظائر ص ٣٢٨.

القول الثالث: الاباحة :

وقد ذكر عن الحسن البصري في إحدى الروايات عنه، فقد سئل عنه فقال: يجوز بحضرة شاهدين»[1]. وتقدم قول زيد العمى: اللهم ارزقني جنية تصاحبني حيثما كنت. وقال الشيخ نجم الدين القمولي: وفي المنع من التزويج نظر، لأن التكليف يعم الفريقين، قال: وقد رأيت شيخاً كبيراً أنه تزوج جنية»[2]. والظاهر عن الأعمش جوازه»[3]. وصوَّب ابن العماد قول ابن يونس بحل نكاحهم[4].

الراجح من هذه الأقوال :

وبعد هذا العرض لأقوال العلماء في الحكم الشرعي لتزاوج الجن من الإنس أو العكس يظهر لنا أن القول بالنهي أصوب من غيره، وذلك أن الله قد أذن لنا بزواج الإنسيات، ولم يأذن لنا بالزواج من الجنيات، وسنة الله في خلقه أن جعل كل جنس يأنس إلى جنسه، فالقول بإباحة التزاوج من الجن أو العكس يفوت المقاصد من النكاح إذا تزوج الجنس من غير جنسه، والله قد وصف عباده المؤمنين بقوله: ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**﴾[5].

فنكاح غير الإنسيات يعتبر تعدياً وتجاوزاً للحدود التي رسمها لنا الشارع.

هذا وقد رتب الفقهاء بعض الأحكام الشرعية على التزاوج بين الجن والإنس وذلك كالغسل مثلاً.

«فقد قال بعض الحنابلة والحنفية: لاغسل بوطء الجني، والحق خلافه إن

(١) حياة الحيوان الكبرى ٢١٣/١ بتصرف.
(٢) نفس المصدر ٢١٣/١.
(٣) انظر آكام المرجان في احكام الجان ص ٦٥.
(٤) الفتاوى الحديثية ص ٦٩ بتصرف.
(٥) سورة المؤمنون الآيات من ٥ — ٧.

تحقق الايلاج»[1] وقال ابن مفلح الحنبلي: «لو قالت امرأة: لي جني يجامعني كالرجل، فلا غسل عليها لعدم الايلاج والاحتلام، ذكره أبو المعالي، وفيه نظر»[2]. وقال قاضيخان في فتاواه: «امرأة قالت: معي جني يأتيني في النوم مراراً وأجد في نفسي ماأجد لو جامعني زوجي، لاغسل عليها، وقيَّده الكمال بما إذا لم تنزل، أما إذا أنزلت وجب كأنه أحلام»[3].

وهكذا يظهر لنا مما تقدم أن النكاح بين الجن والإنس أمر ممكن عقلاً، بل هو واقع كما تقدم، على الرغم من تباين الجنسين، إلا أن هذا النكاح غير مأذون به شرعاً على ماترجح لديَّ، فإذا كان نكاح الإنسي لجنية مثلاً عن إكراه منها فلا إثم عليه في ذلك، وكذا العكس، لأنه لا قدرة له على دفعه. والله أعلم.

(١) الفتاوى الحديثية ص ٦٩.
(٢) المبدع شرح المقنع لابن مفلح الحنبلى ص ٢٣٤.
(٣) الأشباه والنظائر ص ٣٢٨.

الفصل الثاني

إلقاء الجن على الإنس علومًا وأخبارًا وحكم ذلك

المبحث الأول

استراق الجن لأخبار السماء وقضية الكهان والكهانة

كان الجن قبل مبعث الرسول ﷺ يسترقون أخبار السماء، وهو مايوحيه الله لملائكته، وأصل ذلك قوله تعالى إخباراً عنهم: ﴿**وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد لها شهاباً رصدا**﴾(١).

قال القرطبي: «كان الجن يقعدون مقاعد لاستماع أخبار السماء، وهم المردة من الجن، كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة، فحرسها الله بالشهب المحرقة، فقالت الجن حينئذ: ﴿**فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا**﴾(٢).

ويبين الرسول ﷺ هذا الأمر في حديثه الذي رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**الملائكة تتحدث في العنان ــ (والعنان الغمام) ــ بالأمر يكون في الأرض، فتستمع الشياطين فَتَقُرُّها في أذن الكاهن كما تُقَرُّ القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة**»(٣).

---

(١) سورة الجن الآية ٩.

(٢) تفسير القرطبي ١٢/١٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق ٦/٣٣٨. والقر: ترديد الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه. وقر القارورة. صوتها إذا أفرغ منها الماء. والمعنى أن الشياطين التي تسترق السمع تظل تردد الكلمة التي تسمعها في أذن الكهان كما يتتابع الماء إذا افرغ من القنينة، حتى يفهمونها. انظر لسان العرب ٥/٨٤.

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه البخاري قال: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان، حدثنا عمرو قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان[1]، فإذا فزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا: بعضه فوق بعض ــ ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدَّد بين أصابعه ــ فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن[2] فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كَذْبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا: كذا وكذا! فيصدَّق بتلك الكلمة التي سُمِعَ من السماء»[3].

وفي رواية عند مسلم في صحيحه: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قرَّ الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة[4].

---

(١) كأنه سلسلة على صفوان: هو صوت وقع السلسلة من الحديد على الحجر الأملس، ويراد بذلك أن صوت ضرب الملائكة باجنحتها كمثل صوت وقع السلسلة من الحديد على الحجر الأملس، وهو مثل قوله «كمثل صلصلة الجرس» انظر فتح الباري ٥٣٨/٨.

(٢) الكاهن : هو الذي يخبر عن بعض المضمرات، فيصيب بعضا ويخطىء أبعاضا، يزعم أن الجن تخبره بذلك كما كان يفعله في الجاهلية شق وسطيح وغيرهما من الكهان، وهو مما أبطله الإسلام وحرمه ونهى عن الذهاب إليه واستماع كلامه وتصديق ما يخبر به. انظر جامع الأصول لابن الأثير ٥٣٧/٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير. باب: حتى إذا فزع عن قلوبهم... ٥٣٧/٨.

(٤) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب: تحريم الكهانة ١٧٥٠/٤.

وهكذا فإن الجن كان يستمعون لأخبار السماء، ثم يلقون ذلك إلى الكهان من الإنس، فيزيدون على الكلمة مائة كذبة من عندهم، فيصدق الناس ذلك، قال الماوردي: «فأما استراقهم للسمع فقد كانوا في الجاهلية قبل بعث الرسول ﷺ يسترقونه، ولذلك كانت الكهانة في الإنس لإلقاء الجن إليهم ما استرقوه من السمع في مقاعد لهم، كانوا يقربون فيها من السماء كما قال تعالى: ﴿**وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع**﴾ ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء، فينقلونها إلى الكهنة ﴿**فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا**﴾[1].

وقال ابن جزى الكلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿**إلا من خطِف الخطْفة فأتبعه شهاب ثاقب**﴾[2]، والمعنى: لاتسمع الشياطين أخبار السماء، إلا الشيطان الذي خطف الخطفة»[3].

وقد اختلف العلماء في استراق الجن للسمع بعد مبعث الرسول ﷺ:

١ ــ فقال قوم: إن استراق الجن لأخبار السماء قد زال بمبعث الرسول ﷺ، ولذلك زالت الكهانة.

٢ ــ وقال آخرون: إن استراقهم باق بعد مبعثه عليه الصلاة والسلام[4].

واختلفوا كذلك في أن الجن هل كانوا يرمون بالشهب قبل مبعث الرسول ﷺ أم لا؟.

(أ) فقال قوم: لم تكن ترمى الجن قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام. وقد

---

(١) أعلام النبوة للماوردي ص ١٤٥.
(٢) سورة الصافات الآية ١٠.
(٣) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ٣٦٨/٣.
(٤) أعلام النبوة ص ١٤٥.

نسب النسفي هذا القول للجمهور فقال: «والجمهور على أن ذلك لم يكن قبل مبعث محمد ﷺ»[١].

قال القرطبي: وقال الكلبي وقوم: لم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه خمسمائة عام، وإنما كان من أجل بعثة النبي ﷺ، فلما بعث منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب، ومنعت من الدنو من السماء، وبه قال عطية العوفي عن ابن عباس، وهذا قول عبد الله بن سابور. وقال نافع بن جبير: كانت الشياطين في الفترة[٢] تسمع فلا ترمى، فلما بعث رسول الله ﷺ رميت بالشهب»[٣].

ومما يؤيد هذا القول ماورد عن ابن عباس قال: «كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، فأما الكلمة فتكون حقاً، وأما مازادوه فيكون باطلاً، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس ــ ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك ــ فقال لهم ابليس: ماهذا إلا من أمر قد حدث في الأرض، فبعث جنوده، فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين ــ أراه قال بمكة ــ فلقوه فأخبروه فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض»[٤].

وذكر القرطبي وجهاً آخر عن ابن عباس قال: وقد كانت الشياطين لايحجبون

---

(١) تفسير النسفي ٢٧٢/٥. المكتبة الأموية، بيروت/دمشق.

(٢) الفترة : وهي الفترة الزمنية بين رفع عيسى عليه السلام إلى السماء وبعث الرسول محمد ﷺ، وسميت بالفترة لأنه لم يبعث خلالها رسول إلى أهل الأرض.

(٣) تفسير القرطبي ١٢/١٩. ولم أقف على هذا القول الذي نسبه القرطبي للكلبي في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه. كتاب التفسير ــ تفسير سورة الجن ٦٣/٩، وقال عنه: حديث حسن صحيح.

عن السماء، فكانوا يدخلونها ويلقون أخبارها على الكهنة، فيزيدون عليها تسعاً، فيحدثون بها أهل الأرض، الكلمة حق والتسع باطل، فإذا رأوا شيئاً مما قالوه صدقوهم مما جاءوا به، فلما ولد عيسى بن مريم ــ عليهما السلام ــ منعوا من ثلاث سمٰوات، فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السمٰوات كلها، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب»[1].

وفي هذا دليل على أن الشياطين لم تكن ترمى بالشهب قبل بعثته عليه الصلاة والسلام.

وتمسك من قال بأن الشهب لم يكن يرمى بها أيضاً قبل بعثة الرسول عليه السلام بظاهر قوله تعالى: ﴿**فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا**﴾[2].

إذ قد دل على أن الجن لم تكن ترمى قبل المبعث حيث رتب الرمي على الاستماع بعد المبعث.

وقد أنكر الجاحظ الرمي قبل مبعث الرسول ﷺ وأنكر كل شعر ورد في الرمي فقال: «كل شعر روي فيه فهو مصنوع»[3].

(ب) وقال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ، ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة، وكانوا يسترقون في بعض الأحوال، فلما بعث منعوا من ذلك أصلاً.

فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الأرض وطلب السبب ــ

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/١٠.

(٢) سورة الجن الآية ٩.

(٣) تفسير القرطبي ١٣/١٩.

(أي السبب الذي من أجله منعوا من استراق السمع) ــ إنما كان لكثرة الرجم، ومنعهم عن الاستراق بالكلية»[1].

وقيل: إنما زاد الرمي إنذاراً بمبعث الرسول عليه الصلاة والسلام[2]

قال القرطبي: «وقال أوس بن حجر ــ وهو جاهلي:

فأنقضَّ كالدُّرِيِّ يتْبعه نقْع يثور تخاله طُنُبا[3]

قال بدر الدين الشبلي: وقال السهيلي: ولكن القذف في النجوم كان قديماً، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية... وذكر عبد الرزاق عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم أكان في الجاهلية؟ قال: نعم ولكنه لما جاء الإسلام غلظ وشدِّد[4].

وقال ابن إسحٰق: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدَّث: «أن أول العرب فزع للرمي بالنجوم ــ حين رمي بها ــ هذا الحي من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أمية أحد بني علاج، قال: وكان أدهى العرب وأنكرها رأياً[5]، فقالوا له: ياعمرو: ألم تر إلى ماحدث في السماء من القذف بهذه النجوم؟ قال: بلى، فانظروا: فإن كانت معالم النجوم ــ التي

(١) تفسير الخازن ٣١٧/٤ وانظر أيضا تفسير فتح القدير ٣٠٦/٥.
(٢) تفسير القرطبي ١٣/١٩ بتصرف.
(٣) نفس المصدر ١٣/١٩، الدُّرِّي: الثاقب المضيُ ، والنقع: الغبار، والطنب: هو الحبل الممتد، والمعنى: أن الشيطان عند استراقة للسمع يكون ممتدا وراءه سيل من الأجسام المتلألأة الصغيرة المتناثرة المحرقة.
(٤) آكام المرجان في احكام الجان ص ١٢٤.
(٥) أنكرها رأيا بالنون: أي أدهاهم رأيا، وروى بالباء والمعنى: أشدهم ابداء لرأى لم يُسْبق إليه، وروى بالميم: أي أمكرها رأياً انظر هامش سيرة ابن هشام ٢٢٤/١.

يهتدى به في البر والبحر وتعرف بها الأنواء[1] من الصيف والشتاء لما يصلح الناس معايشهم ـ هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها، وإن كانت نجوماً غيرها، وهي ثابتة على حالها، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق فما هو؟»[2].

وماذكره ابن إسحٰق فيه دليل على آن النجوم لم يكن يرمى بها قبل مبعث الرسول ﷺ، حتى إن ثقيفاً استغربت الأمر، وخافت أن يكون قد اقتربت نهاية العالم، حتى ذهبوا إلى عمرو بن أمية يخبرهم بالأمر.

القول الراجح:

والراجح أن الرمي كان قبل مبعث الرسول ﷺ، ولكنه لم يكن في الشدة مثلما كان بعد مبعثه تمسكاً بحديث ابن عباس الآتي في كلام القرطبي، وهو مارجحه ابن كثير والقرطبي وغيرهم.

قال ابن كثير: «وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك»[3]، وذكر أن ماورد من استغراب الإنس والجن للرمي بعد المبعث فإنما كان لكثرة الشهب في السماء والرمي بها، حيث ظنوا أن ذلك لخراب العالم»[4].

---

(١) الأنواء : هي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها، ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلها ذلك الوقت في الشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة، وقد كانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر وينسبونه إليها فيقولون: مطرنا بنوء كذا، وإنما سمي نوءا لأنه إذا سقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ينوء نوءا: أي نهض وطلع. انظر النهاية في غريب الحديث ١٢٢/٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٢٤/١.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٥٥٧/٣.

(٤) انظر نفس المصدر ٥٥٨/٣.

وقال القرطبي: «والقول بالرمي أصح لقوله تعالى: ﴿**فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا**﴾[1]، وهذا إخبار عن الجن أنه زيد في حرس السماء حتى امتلأت منا ومنهم. ولما روي عن ابن عباس قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: فإنها لايرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخبر بعض أهل السمٰوات بعضاً به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يَقْرِفون[2] فيه ويزيدون**»[3].

وهذا يدل على أن الرجم قبل المبعث، واشتدت الحراسة بعد المبعث، فمنعوا من ذلك أصلاً[4].

وقال بدر الدين الشبلي في قوله سبحانه: ﴿**وأنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشهباً**﴾[5]: ولم يقل (حرست) دليل على أنه ـــ أي الرمي ـــ قد

---

(١) سورة الجن الآية ٨.

(٢) يقرفون : يخلطون فيه الكذب. انظر هامش صحيح مسلم ١٧٥١/٤ ط٢ ١٣٩٨هـ ـــ ١٩٧٨م دار الافتاء بالرياض.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب: تحريم الكهانة واتيان الكهان ١٧٥٠/٤ وأخرجه أحمد في مسنده ٢١٨/١ والترمذي في سننه. كتاب تفسير القرآن ـــ سورة سبأ ٣٥٧/٨ وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) تفسير القرطبي ١٣/١٩.

(٥) سورة الجن الآية ٨.

كان منه شيء، فلما بعث النبي ﷺ ملئت حرساً شديداً وشهباً، وذلك لينحسم أمر الشياطين وتخليطهم، ولتكون الآية أبين، والحجة أقطع»[١].

وأما قوله تعالى: ﴿**فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصيداً**﴾[٢] فإنما يحمل على التشديد في حراسة السماء، فكل من يحاول من الشياطين استراق السمع بعد المبعث، فإن له شهاباً رصداً يرمى به، وذلك صيانة للوحي المنزل على محمد ﷺ أن يصل الشياطين إلى شيء منه.

وعلى هذا يحمل قول ابن إسحٰق المتقدم كذلك، فإن استغراب الحي من ثقيف وفزعهم للرمي إنما كان لكثرته وشدته.

وأختلف العلماء: هل كانت الشهب تأخذ الجن قبل استراق السمع أم بعد استراقهم؟.

١ ــ فذهب بعضهم إلى أن الشهب تأخذهم قبل استراق السمع حتى لايصل إليهم لانقطاع الكهانة بهم، وتكون الشهب منعاً من استراقه[٣].

٢ ــ وذهب آخرون منهم إلى أن الشهب تأخذهم بعد استراقه، وتكون الشهب عقاباً على استراقه[٤].

وبناء على ماتقدم : **هل يقتل الشهاب الجني عند رميه به أم لايقتله؟.**

(أ) فقال ابن عباس: «الشهاب يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل، ولذلك عادوا لاستراق السمع بعد الاحراق، ولولا بقاؤهم لانقطع الاستراق بعد الاحتراق،

(١) آكام المرجان في احكام الجان ص ١٢٤ ــ ١٢٥.
(٢) سورة الجن الآية ٩.
(٣) أعلام النبوة ص ١٤٥.
(٤) نفس المصدر ص ١٤٥.

ويكون مايلقونه من السمع إلى الجن دون الإنس لانقطاع الكهانة عن الإنس»[1].

(ب) وقال الحسن وطائفة: الشهاب يقتل بعد إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن، قال الشوكاني: «ذكره الماوردي ثم قال: والقول الأول أصح»[2].

وظاهر القرآن أن الرمي يكون بعد الاستراق لعطفه عليه بالفاء الدالة على التعقيب في قوله تعالى: ﴿**إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين**﴾[3] وقوله: ﴿**إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب**﴾[4].

والنص القرآني بعد ذلك لم يبين كيفية الرمي، وهل يقتل أم لا؟!، ولم يرد ذلك في حديث الرسول ﷺ. يقول سيد قطب: «أما أين يقف ذلك الحرس؟ ومن هو؟ وكيف يرجم الشياطين بالشهب؟ فهذا كله مما لم يقل لنا عنه القرآن ولا الأثر شيئاً، وليس لنا مصدر سواهما نستقي منه عن هذا الغيب شيئاً، ولو علم الله أن في تفصيله خيراً لنا لفعل، وإذ لم يفعل فمحاولتنا نحن في هذا الاتجاه عبث لايضيف إلى حياتنا ولا إلى معرفتنا المثمرة شيئاً»[5].

مع المنكرين لاستراق الجن لأخبار السماء ورميهم بالشهب :

على أن نفراً من المحْدثين قد أنكر استراق الجن لأخبار السماء، وأنكر رميهم بالشهب.

---

(١) انظر تفسير فتح القدير ١٢٥/٣ وانظر أعلام النبوة ص ١٤٥.
(٢) تفسير فتح القدير ١٢٦/٣ بتصرف وانظر أعلام النبوة للماوردي ص ١٤٥ ـ ١٤٦.
(٣) سورة الحجر الآية ١٨.
(٤) سورة الصافات الآية ١٠.
(٥) في ظلال القرآن ١٤٩/٢٩.

وإليك الحديث عن هؤلاء :

١ ــ مع الشيخ المراغي وإنكاره لذلك :

لقد أنكر الشيخ المراغي استراق الجن لأخبار السماء ورميهم بالشهب وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إنا زينا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب. وحِفْظاً من كل شيطانٍ مارد. لايسمَّعون إلى الملأ الأعلى ويُقْذَفون من كل جانب. دُحُورا ولهم عذاب واصِب. إلا من خطِف الخطْفة فأتبعه شهاب ثاقب**﴾[1].

قال الشيخ المراغي: ﴿**وحفظا من كل شيطان مارد**﴾ أي: وحفظنا السماء أن يتطاول لدرك جمالها وفهم محاسن نظامها الجهال والشياطين المتمردون من الجن والإنس، لأنهم غافلون عن آياتنا، معرضون عن التفكر في عظمتها، فالعيون مفتحة ولكن لاتبصر الجمال ولا تفكر فيه حتى تعتبر بما فيه.

﴿**لا يسمَّعون إلى الملأ الأعلى**﴾ أي: إن كثيراً من أولئك الجهال والشياطين محبوسون في هذه الأرض، غائبة أبصارهم عن الملأ الأعلى، لا يفهمون رموز هذه الحياة وعجائبها، ولا ترقى نفوسهم إلى التطلع إلى تلك العوالم والتأمل في أسرارها والبحث في سر عظمتها.

﴿**ويقذفون من كل جانب**﴾ أي: وقد قذفتهم شهواتهم وطردتهم من كل جانب، فهم تائهون في سكراتهم، تتخطفهم الأهواء والمطامع والعداوات والإحن، فلا يبصرون ذلك الجمال الذي يشرق للحكماء، ويبهر أنظار العلماء، ويتجلى للنفوس الصافية، ويسحرها بعظمته، وهم مازالوا يدأبون على معرفة هذا السر حتى ذاقوا حلاوته، فخروا ركعاً سجداً مذهولين من ذلك الجمال والجلال.

﴿**ولهم عذاب واصب**﴾ أي: أولئك لهم عذاب دائم لتقصيرهم عن البحث في سر عظمة هذا الكون، والوصول بذلك إلى عظمة خالقه وبديع قدرته.

---

(١) سورة الصافات الآيات من ٦ ــ ١٠.

ثم بين من وفقهم الله وأنعم عليهم ممن ظفروا بالمعرفة فقال: ﴿**إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب**﴾ أي: إلا من لاحت له بارقة من ذلك الجمال، وعنت له سانحة منه، فتخطفت بصيرته كالشهاب الثاقب، فحنَّ إلى مثلها وصبت نفسه إلى أختها، وهام بذلك الملكوت العظيم باحثاً عن سر عظمته ومعرفة كنه جماله، وهم من اصطفاهم الله من عباده، وآتاهم الحكمة من لدنه، وأيدهم بروح من عنده، وهم أنبياؤه وأولياؤه الذين أنعم عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين»[1].

قال الشيخ المراغي بعد أن ذكر هذا التفسير للآيات :

«وقد نحونا بهذا نحواً آخر يخالف ما في كثير من التفاسير، إذ أنهم قالوا: إن خطف الخطفة كان من الشيطان حين أراد أن يسترق السمع ويأخذ أخبار السماء، فأتبعه شهاب ثاقب فأحرقه، ولم يستطع أخذ شيء منه، وعصم الله وحيه وكتابه»[2].

٢ ـ مع الشيخ حامد محيسن وإنكاره لاستراق الجن ورميهم بالشهب :

وقد سلك هذا المسلك أيضاً الشيخ حامد محيسن عضو جماعة كبار العلماء بمصر سابقاً، عندما قرر أن معنى الرجوم في قوله تعالى: ﴿**وجعلناها رجوماً للشياطين**﴾[3] أنها حجج واضحة قوية على وجود الله ومايجب له من صفات الكمال، فهي كناية بارعة بالغة عن قوة الحجة وسطوع البرهان المسكت للمجادل والمعاند، وأنها حجج يرجم بها الكافرون الذين استحقوا لكفرهم أن يسموا شياطين»[4]، وقد تقدم ذكر شبهاته في هذا المقام والرد عليها.

---

(١) تفسير المراغي ٢٣/٤٤.

(٢) نفس المصدر ٢٣/٤٤ الهامش.

(٣) سورة تبارك الآية ٥.

(٤) على مائدة المفسرين والكتاب للأستاذ أحمد محمد جمال ص ٢٦٤ بتصرف.

٣ ـ مع الدكتور شوقي ضيف وإنكاره استماع الشياطين لأخبار السماء :

وقد أنكر الدكتور شوقي ضيف استماع الشياطين لما في السماء واتخاذهم منها مقاعد لذلك حيث يقول:

«وذكر مقاعد السمع في الآية ــ وهي قوله تعالى في سورة الجن: ﴿**وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد لها شهاباً رصدا**﴾[١] ــ وعدم الاستماع إلى الملأ الأعلى في آية الصافات ــ وهي قوله تعالى: ﴿**لا يسمَّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب**﴾[٢] ــ واستراق السمع في آية الحجر ــ وهي قوله تعالى: ﴿**ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين. وحفظناها من كل شيطان رجيم. إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين**﴾[٣] ــ كل ذلك جعل بعض المفسرين يأخذ مما قد يتبادر لأول وهلة من الآيات من أن الشياطين كانت تستمع إلى الملأ الأعلى وتتخذ لنفسها مقاعد هناك وتسترق السمع أو الغيب وقالوا: إنها منعت من ذلك نهائياً مع بعثة الرسول ﷺ، والآيات جميعها مجاز عن سلطان الله المبسوط على السماء، بحيث لايستطيع الشياطين أن يصلوا إليها، نفياً لما كان كهنتهم يزعمون لهم من اتصالهم بهم، وأنهم ينقلون إليهم ماكتب في ألواح الغد مما سجل في الملأ الأعلى، إذ كان كل كاهن يزعم أن له تابعاً من الشياطين أو من الجن يسخره في نقل الغيب له من السماء، فنفى القرآن ذلك ودحضه دحضاً بيناً، إذ قال: إن الشياطين لاتستطيع أن تصل إلى هذا الملأ الأعلى دون أن تحترق وتصبح رماداً، وقد أنكر القرآن إنكاراً جازماً استماع الشياطين لما في السماء ونقلها مافيها من غيب، إذ جاء في سورة الشعراء: ﴿**إنهم عن السمع لمَعْزولون**﴾[٤] أي: ممنوعون منعاً باتاً»[٥].

---

(١) سورة الجن الآية ٩.

(٢) سورة الصافات الآية ٨.

(٣) سورة الحجر الآيات من ١٦ ــ ١٨.

(٤) سورة الشعراء الآية ٢١٢.

(٥) تفسير سورة الرحمٰن للدكتور شوقي ضيف ص ١٨٠ ــ ١٨١.

ثم قال: ومن حمل الشياطين في قوله تعالى: ﴿**ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير**﴾[١] على شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين ـ وهو رأي ضعيف نقله أبو حيان عن بعض المفسرين[٢] ـ قال: إن كلمة (رجوماً) جمع رجم بمعنى الظن، كما قال تعالى في سورة الكهف: ﴿**رجماً بالغيب**﴾[٣] أي: ظناً، وكأن الرجوم تنبؤات المنجمين والكهنة، وقد نص الألوسي وكثيرون غيره على أن تفسير الشياطين في الآية بشياطين الإنس من المنجمين لايساعده المقام[٤]، وأن المراد حقاً شياطين الجن ومايقذفون من شعل النجوم»[٥].

وهكذا فإن الدكتور شوقي ضيف يصرح بأن الشياطين لم تكن تستمع إلى الملأ الأعلى وتتخذ لنفسها مقاعد لاستراق السمع في السماء، ويبرر هذا القول: بأن علم الغيب من اختصاص الله سبحانه، ولايمكن لأي مخلوق أن يستطلعه، لأنه مما استأثر الله بعلمه.

الرد على هؤلاء :

أما ماذهب إليه الشيخ المراغي فهو مسلك قد خالف فيه العلماء، كما صرح هو بذلك مما تقدم، وهو تأويل بعيد عن الصواب لاتقره اللغة العربية بأي حال من الأحوال، لأن الآيات صريحة في أن النجوم إضافة إلى كونها زينة للسماء فهي رجوم للشياطين الذين يحاولون استراق أخبار السماء، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن قتادة قال: خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء ورجوماً

---

(١) سورة تبارك الآية ٥.

(٢) انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢٩٩.

(٣) سورة الكهف الآية ٢٢.

(٤) انظر تفسير روح المعاني للألوسي ٢٩/١٠.

(٥) سورة الرحمٰن ص ١٨٣ بتصرف.

للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلّف مالا علم له به»[1].

والقول بأن نفي التسمع للملأ الأعلى الوارد في الآيات مراد به أن أولئك الجهال من الجن والإنس قد منعتهم شهواتهم وأهواؤهم عن ادراك جمال السمٰوات وأسرار تلك العظمة لهذا الخلق، هذا القول إنما هو نابع من تصورات نابعة من غير القرآن، وهو مسايرة للمادية التي ينكر أصحابها أن تكون تلك الشهب مما ترجم به الشياطين عند محاولتها استراق أخبار السماء.

وإذا كان هذا التأويل للآيات بهذا الشكل من قبل هؤلاء لاتقره اللغة التي نزل بها هذا القرآن، فإن الأحاديث الشريفة تبطل هذا التأويل كما صرحت بذلك الأحاديث المتقدمة، من أن الله إذا قضى أمراً في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لذلك، فيسمع مسترق السمع من الجن ما أمر الله به ملائكته، فيلقي بذلك إلى من تحته من الجن، فربما يدركه الشهاب قبل إلقاء الكلمة التي سمعها إلى الكاهن وربما ألقاها قبل إدراك الشهاب إياه، فيكذب معها الكاهن مائة كذبة.

أما تفسير الخطفة التي يخطفها الجني من آخبار السماء على أن المراد بها من تخطفت بصيرته كالشهاب الثاقب ــ فلاحت له بارقة من جمال السماء، فهام بذلك الملكوت باحثاً عن سر عظمته ومعرفة كنه جماله، ممن اصطفاهم الله من عباده لإدراك ذلك كما يقول الشيخ المراغي ــ فهو تأويل متعسف لايرتكز إلا على الهوى الذي لايعتمد على دليل.

وقريب من هذا ما تقدم من تأويل الشيخ حامد محيسن لقوله تعالى: ﴿**وجعلناها رجوماً للشياطين**﴾[2] في سورة تبارك، على أن المراد بها حجج واضحة

(١) اخرجه البخاري في صحيحه عن قتادة. كتاب بدء الخلق. باب في النجوم ٢٩٥/٦.

(٢) سورة تبارك الآية ٥.

قوية على وجود الله، يرجم بها المكذبون لذلك، وهو كله لايثبت أمام النصوص المخالفة له، وقد قدمنا الرد عليه.

وما أنكره الدكتور شوقي ضيف من استراق الجن لأخبار السماء فهو معارض بالنصوص من الكتاب والسنة، والتي صرحت بأن الجن كانوا يسترقون أخبار السماء قبل نبوة محمد ﷺ، فيخطفون الكلمة التي يسمعونها فيلقونها إلى الكاهن، وليس في هذا الاستماع استطلاع للغيب الذي استأثر الله بعلمه، لأن الذي يستمعونه إنما هو مما يخبر به أهل كل سماء أهل السماء الأخرى من الملائكة، وليس هذا من الغيب المطلق، وإن كان غيباً بالنسبة للناس، ويدل على هذا حديث ابن عباس، وقد جاء فيه: «ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخبر بعض أهل السموات بعضاً، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون»(١)، أما أن يكون استراقهم للغيب الذي استأثر الله بعلمه فنصوص القرآن تخالفه، ولم يقل به أحد من العلماء على الاطلاق.

وأما ماذكره شوقي ضيف من تضعيف حمل الشياطين في قوله تعالى: ﴿وجعلناها رجوماً للشياطين﴾ على شياطين الإنس وهو مانقله أبو حيان عن بعض المفسرين كما ذكر ــ فهو ضعيف كما قال، ولكنه لايحقق الغرض الذي قصد إليه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب تحريم الكهانة ٤/١٧٥٠، وأخرجه أحمد في مسنده ١/٢١٨. والترمذي في سننه. كتاب تفسير القرآن/ سورة سبأ ٨/٣٥٧ وقال: حديث حسن صحيح.

من نفي استراق الشياطين للسمع ووجود الكهان الذين يأخذون عن هؤلاء الشياطين من الجن.

أما ما احتج به على نفي استراق الشياطين للسمع في قوله تعالى: ﴿**إنهم عن السمع لمعزولون**﴾(١) فلا حجة فيه، فإن الآية في نفي سماعهم لما ينزل على النبي ﷺ من الوحي النازل، بدليل قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿**وما تنزلت به الشياطين وماينبغي لهم وما يستطيعون**﴾(٢).

إن هذه الأقوال لا تستند على أساس من كتاب أو سنة أو قول مأثور عن أحد من الصحابة أو التابعين، يقول سيد قطب في دحض هذه الشبهات وأمثالها:

«ولا مجال للاعتراض أو الجدل حول الشهب وأنها تسير وفق نظام كوني قبل البعثة وبعدها، ووفق ناموس يحاول علماء الفلك تفسيره بنظريات تخطيء وتصيب، وحتى على فرض صحة هذه النظريات فإن هذا لايدخل في موضوعنا، ولايمنع أن ترجم الشياطين بهذه الشهب عند انطلاقها، وأن تنطلق هذه الشهب رجوماً وغير رجوم وفق مشيئة الله الذي يجري عليها القانون.

فأما الذين يرون في هذا كله مجرد تمثيل وتصوير لحفظ الله للذكر من الالتباس بأي باطل، وأنه لايجوز أن يؤخذ على ظاهره، فسبب هذا عندهم أنهم يجيئون إلى القرآن بتصورات مقررة سابقة في أذهانهم، أخذوها من مصادر أخرى غير القرآن، ثم يحاولون تفسير القرآن وفق تلك التصورات السابقة المقررة في أذهانهم من قبل، ومن ثم يرون الملائكة تمثيلاً لقوة الخير والطاعة، والشياطين تمثيلاً لقوة الشر والمعصية، والرجوم تمثيلاً للحفظ والصيانة... إلخ، لأن في مقرراتهم السابقة ــ قبل أن يواجهوا القرآن ــ أن هذه المسميات: الملائكة والشياطين أو الجن لايمكن أن

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٢.

(٢) سورة الشعراء الآيات ٢١٠ ــ ٢١١.

يكون لها وجود مجسم على هذا النحو، وأن تكون لها هذه التحركات الحسية والتأثيرات الواقعية»[1]؟!.

وفي الجملة فإن هذه الاتجاهات في تفسير آيات حفظ السماء واستراق الشياطين للسمع ورميهم بالشهب هي من ضروب التحريف الذي يفتح الباب أم الفلاسفة والباطنية، ويجعل لهم حجة في تأويل نصوص المبدأ والمعاد، بل ونصوص الأحكام، فضلاً عن نصوص الأسماء والصفات، مما يدخل في الإلحاد الذي لا حد له.

قضية الكهان والكهانة :

مما تقدم يتبين لنا أن الجن كانوا يسترقون أخبار السماء قبل مبعث الرسول ﷺ، فيسمع أحدهم الكلمة مما تلقيه الملائكة إلى من دونها في السموات العلى، فيلقي الجني ما سمعه إلى الكاهن فيزيد عليها مائة كذبة، فيصدقهم الناس في كذبهم لما لاحظوه من صدقهم مرة، ولذلك كانت الكهانة في الجاهلية، وكان للكهان منزلتهم بين الناس، بسبب مايخبرون به الناس من الأمور التي يكون أكثرها باطلاً وزوراً.

وقد كانت الكهانة أمراً مألوفاً عندهم تتحكم في تصرفات كثير من الناس، قال ابن تيمية: «والكهانة كانت ظاهرة كثيرة بأرض العرب، فلما ظهر التوحيد هربت الشياطين وبطلت أو قلت، ثم إنها تظهر في المواضع التي يختفي فيها أثر التوحيد، وقد كان حول المدينة بعد أن هاجر النبي ﷺ كهان يتحاكمون إليهم، وكان أبو بردة بن نيار كاهناً، ثم أسلم بعد ذلك وهو من أسلم، والأصنام لها شياطين كانت تتراءى للسدنة أحياناً وتكلمهم أحياناً، قال أبي بن كعب: مع كل صنم جنية، وقال ابن عباس: في كل صنم شيطان يتراءى للسدنة فيكلمهم.

(١) في ظلال القرآن ١٤٩/٢٩.

والشياطين ـــ كما قال الله ـــ تقترن بما يجانسها بأهل الكذب والفجور قال تعالى: ﴿**هل أنبئكم على من تَنَزَّلُ الشياطين تنزَّل على كل أفَّاك أثيم. يلقون السمع وأكثرهم كاذبون**﴾[١].

وقال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بني سهم يقال لها الغيْطلة[٢] كانت كاهنة في الجاهلية، فلما جاءها صاحبها في ليلة من الليالي فأنقض تحتها[٣]، ثم قال: أدْر ما أدْر يوم عقْر ونحر، قالت قريش ـــ حين بلغها ذلك ـــ مايريد؟ ثم جاءها ليلة أخرى فأنقض تحتها ثم قال: شعوب ما شعوب[٤] تُصْرَع فيه كعب لجنوب، فلما بلغ ذلك قريشاً قالوا: ماذا يريد؟ إن هذا لأمر هو كائن، فأنظروا ماهو؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب، فعرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صاحبته»[٥].

فقد كانت هذه الكاهنة لها جني يخبرها ببعض الأمور، وغيرها كثير ممن كان لهم رئي من الجن يخبرونهم ببعض الأمور قبل أن يمنع الجن من استراق السمع، كما حدث مع (ربيعة بن نصر) ملك اليمن عندما رأى رؤيا هالته، فلم يدع كاهناً ولاساحراً ولا عائفاً[٦] ولا منجماً من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فأخبرهم بالخبر،

(١) سورة الشعراء الآيات ٢٢١ ـــ ٢٢٣ النبوات لابن تيمية ص ٢٨٠.
(٢) الغيطلة : كاهنة بني سهم، وذكر ابن هشام أنها من بني مرة بن عبد مناة. انظر سيرة ابن هشام ١/٢٢٦.
(٣) أنقض تحتها: أي صوت، والمعنى أنه تكلم تحتها، انظر لسان العرب ٧/٢٤٢ ـــ ٢٤٥.
(٤) شعوب بالضم: جمع شعب، وهو الموضع الخفي بين جبلين.
(٥) سيرة ابن هشام ١/٢٢٥ ـــ ٢٢٦.
(٦) العائف : العيافة زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادة العرب كثيرا، وهو كثير في أشعارهم، يقال: عاف. يعيف عيفا إذا زجر وحدس وظن. انظر النهاية في غريب الحديث ٣/٣٣٠ والعائف هو الذي يعرف ذلك ويقوم عليه.

فلم يقدروا على ذلك، فدلوه على شق وسطيح[1] وهما من كبار الكهنة في ذلك الزمان، ففسروا له الرؤيا قبل أن يخبرهم بها، واتفق تفسيرهما لتلك الرؤيا من أنه سيهبط أرض الملك باليمن أعداء فيغلبون عليها بعد ملكه بسبعين سنة أو نحوها، ثم يأتيهم ملك يهزمهم، ويستمر ملكه إلى أن يخرج نبي مرسل من عند الله، فيغلب على الجزيرة ويحكم بحكم الله»[2].

فلما بعث محمد ﷺ منعت الجن من استراق أخبار السماء، فكل من يحاول منهم استراق السمع فإنه يرمى بشهاب كما حكى الله تعالى عنهم قولهم: ﴿**وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً**﴾[3]، وبذلك زالت الكهانة وحل التوحيد في أرض العرب، وفاء الناس إلى الإسلام، وتركوا الكهانة والكهان.

وقد كانت الشياطين من الجن تكلم عابديها هؤلاء ــ ممن يدعون معرفة علم الغيب ــ وتخبرهم ببعض الأمور الغائبة، وتقضي لهم بعض الحوائج كإمراض شخص أو قتله، أو حمله إلى بلد بعيد، وإنما يحصل لهم ذلك بسبب شركهم وكفرهم[4].

---

(١) شق وسطيح: شق: هو شق بن صعب بن يشكر بن رهم القسري البجلي الأنماري الأزدي، كاهن جاهلي وهو من معاصري سطيح واسمه: ربيع بن ربيعة، وكانا يستدعيان أحياناللاستشارة أو تفسير بعض الأحلام، وعاش شق إلى ما بعد ولادة النبي ﷺ فيما يقال، وقد عمر طويلا ويذكرونه أنه كان نصف إنسان، له يد واحدة وعين واحدة ورجل واحدة، انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ٣/١٣٠، ٢٤٨.

(٢) سيرة ابن هشام ١/١٢ باختصار.

(٣) سورة الجن الآية ٩.

(٤) يمكن مراجعة كتاب النبوات وكتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، ففيهما تفصيل لهذه الأمور، مما لايتسع المجال لذكره.

حكم الإسلام في الكهانة :

ولما كانت الكهانة اعتداء على اختصاص الله بعلم الغيب من قبل الكهان بما تلقيه إليهم الشياطين والزيادة عليه، فلا عجب أن نجد الرسول ﷺ يحرم الكهانة ويحذر الكهان ومن يتعامل معهم، أو يصدقهم فيما يدعون به من الأخبار عن المغيبات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ[1].

وأخرج مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرافاً[2] فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[3].

قال في فتح المجيد: «وفي هذا النهي عن إتيان الكاهن ونحوه قال: وقال القرطبي: يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئاً من ذلك من الأسواق وينكر عليهم أشد النكير وعلى من يجيء إليهم، ولايغتر بصدقهم في بعض الأمور، ولا بكثرة المجيء إليهم ممن ينتسب إلى العلم، فإنهم غير

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٢٩/٢، وأبو داود في سننه. كتاب الطب باب في الكاهن ٢٢٥/٤ ولفظه: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: من أتى كاهنا فصدقه بما يقول، أو أتى امرأة في دبرها فقد برىء مما أنزل الله على محمد. وأخرجه الترمذي بهذا اللفظ. كتاب الطهارة. باب ما جاء في كراهية اتيان الحائض ١٦٤/١ وقال: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكم الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة.

(٢) العرَّاف : هو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات ويدعي معرفتها، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة... وقال الخطابي وغيره: العراف: هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوها. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢٢٣/١٤ وصفحة ٢٢٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب تحريم الكهانة ١٧٥١/٤، وأخرجه أحمد في مسنده ٦٨/٤.

راسخين في العلم، بل من الجهال بما في إتيانهم من المحذور»(١) وقال: «وظاهر الحديث أن من أتى الكاهن فإنه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان، وكان غالب الكهان قبل النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين»(٢).

فمن اعتقد صدق الكاهن كفر كما صرحت بذلك الأحاديث، وذلك لأن تصديق الكهان فيما يخبرون به، من أمور الغيب التي اختص الله بعلمها، ولأن فيها تكذيباً لما أخبر الله به من أنه يعلم الغيب وحده دون سواه، قال تعالى: ﴿**قل لايعلم من في السمٰوات والأرض الغيب إلا الله ومايشعرون أيان يُبْعَثون**﴾(٣).

وورد النهي عن الرسول ﷺ من إتيان الكهان وسؤالهم، فعن معاوية بن الحكم السلمي قال: «قلت يارسول الله أموراً كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان، قال: فلا تأتوا الكهان»(٤).

وسبب النهي أن الكهان كاذبون فيما يخبرون، وعلم الغيب لله وحده وليس للشياطين ومن يتصل بهم من الكهنة.

وأما إتيان الكهان وسؤالهم ليمتحن حالهم ويختبر باطن أمرهم، وعنده مايميز به صدقهم من كذبهم فهو جائز، كما ثبت أن النبي ﷺ سأل ابن صَّياد فقال: ماذا ترى؟ قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، قال النبي ﷺ: خُلِط عليك الأمر، قال النبي ﷺ: «**إني قد خبأت لك خبيئاً، قال ابن صياد: هو الدُّخ، قال النبي ﷺ: أخسأ فلن تعدو قدرك**»(٥).

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢٩٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٦ بتصرف

(٣) سورة النمل الآية ٦٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب تحريم الكهانة ١٧٤٨/٤ وأخرجه أحمد في مسنده ٤٤٣/٣.

(٥) ايضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٥١ من حديث أخرجه البخارى في صحيحه.

وإذا كان يسمع الشخص مايقوله الكهان دون سؤالهم عن ذلك، وهم يقولون بأنهم يخبرون عن الجن فحكمه حكم مانسمعه عن أهل الكتاب، وهو عدم تصديق ذلك أو تكذيبه(١).

وكان من نتائج قضاء الإسلام على الكهانة والتنجيم وما أشبههما من الأمور التي تجعل علم الغيب مقدوراً للكهنة والمنجمين الذين تقترن بهم شياطينهم أن نجد أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه يخالف رأي مسافر بن عوف أحد المنجمين عندما قال له: ياأمير المؤمنين: لاتسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار، فقال له علي رضي الله عنه: ولم؟ قال: إنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ماطلبت، فقال علي رضي الله عنه: ما كان لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعده ــ في كلام طويل يَحتَّج به من التنزيل ــ فمن صدقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نداً أو ضداً، اللهم لاطير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك، ثم قال للمتكلم: نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهانا عنها، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس: إياكم وتعلم النجوم إلا ماتهتدون به في ظلمات البر والبحر، وإنما المنجم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدنك في الحبس مابقيت وبقيت، ولأحرمنك العطاء ماكان لي سلطان ــ ثم سافر الساعة التي نهاه عنها، ولقي القوم فقتلهم، وهي وقعة النهروان الثانية في الصحيح لمسلم ــ ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال

= كتاب الجهاد باب: كيف يعرض الإسلام على الصبي ١٧٢/٦. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب ذكر ابن صياد ٢٢٤٤/٤ وأحمد في مسنده ١٤٨/٢. وأبو داود. كتاب الملاحم. باب في خبر ابن صياد ٥٠٥/٤. والترمذي في سننه. كتاب الفتن باب ما جاء في ذكر ابن صائد ٣٠/٧

(١) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٥٢.

قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجم، ماكان لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان ــ ثم قال: يا أيها الناس: توكلوا على الله وثقوا به، فإنه يكفي مما سواه»[1].

وفي هذه القصة وفيما تقدم من نصوص الكتاب والسنة دلالة بليغة لنظرة الإسلام للمنجمين والكهنة وأمثالهم، وأنه يجب عدم الوثوق بهم، والتوكل على الله، لأنه وحده علام الغيوب، وهو الذي بيده النصر.

(١) تفسير القرطبي ١٩/٢٨ ــ ٢٩.

المبحث الثاني

الجن وعلم الغيب وعلاقة ذلك بالإنس

إن العلوم والأخبار التي يلقيها الجن إلى الإنس يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: مايتعلق بالأمور الغيبية.

القسم الثاني: مايتعلق بالعلوم والأخبار التي تتعلق بالأمور المشهودة أو الإخبار عن الوقائع الماضية.

وإليك بيان كل قسم مع ذكر حكمه:

أما بالنسبة للقسم الأول فيمكن تقسيمه إلى قسمين :

(أ) أن تكون من الغيبيات التي استأثر الله بعلمها.

(ب) أن تكون من المغيبات التي قضى الله أمرها في السماء وأصبحت معلومة لذوي الاختصاص من الملائكة أو من البشر، مما يطلع الله عليه من شاء من رسله.

أما بالنسبة للقسم الأول : فقد تقدم معنا في المبحث السابق أن هذا من اختصاص الله، ولايمكن لأي مخلوق في هذا العالم أن يعرف عنه شيئاً، سواء كان في ذلك الملائكة أو الجن أو الإنس، لأن الآيات القرانية قد أخبرت أن علم ذلك لله وحده دون سواه، ولايكون التحدث عن شيء من هذا الغيب إلا من قبيل الافتراء على الله، وهو يناقض الإيمان، ومدَّعيه كافر، لمعارضته الآيات القرآنية الدالة على اختصاص الله بذلك قال تعالى: ﴿**وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو**﴾(١) وقال: ﴿**قل لايعلم من في السموٰات والأرض الغيب إلا الله**﴾(٢).

(١) سورة الأنعام الآية ٥٩.

(٢) سورة النمل الآية ٦٥.

أما بالنسبة للثاني : وهو المغيبات التي قضى الله أمرها في السماء، وأصبحت معلومة لذوي الاختصاص من الملائكة أو من البشر.... إلخ.

فقد تقدمت فيه الأحاديث من أن الله إذا قضى الأمر في السماء، بأن يتكلم بالأمر الذي يوحيه إلى جبريل بما أراده، فيخلص هذا القول ويمضي في الملائكة حتى يفزعوا منه، فيعلمون أن الله لايقول إلا الحق، فيسمع مسترق السمع من الجن الكلمة، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقي الكلمة، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها الكاهن مائة كذبة[1].

وفي الأحاديث الواردة بهذا الصدد دليل على أن الجن يسترقون السمع من الملائكة، وكانوا يقذفون بالشهب خصوصاً بعد مبعث النبي ﷺ.

فما تسمعه الملائكة بعد إلقاء الأمر إلى جبريل قد خرج عن الغيب الذي اختص الله به، إذ علمت به الملائكة، فعندئذ تحاول الجن استماع ذلك، فربما يسمعون كلمة، وربما لا يسمعون، لأن الشهب لهم بالمرصاد.

وأما قوله تعالى: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يَسْلُكُ من بين يديه ومن خلفه رصدا**﴾[2] فقد قال القرطبي:

«اختص الله بعلم الغيب فهو له وحده، إلا ماشاء الله من اطلاع بعض الرسل، لأنهم مؤيدين بالمعجزات، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات، وقال العلماء رحمهم الله تعالى: لما تمدَّح الله سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لايعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم،

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ١٩٧.
(٢) سورة الجن الآية ٢٦،٢٧.

وليس المنجم ومن ضاهاه، ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على مايشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسة وتخمينه وكذبه»[1].

والآية لا تناقض ما تقدم من الأحاديث الدالة على استراق الجن للسمع بعد أن يلقي الله كلامه إلى جبريل، لأن الجن قد منعوا من استراق السمع أصلاً، ومايستمعونه عندئذ لايعتبر غيباً بالنسبة للملائكة ولمسترقي السمع، كما حصل مع الرسول ﷺ في حديث ابن صياد المتقدم.

وموضع الاستدلال في الحديث أن الرسول عليه السلام أراد أن يبين كذب ابن صياد وأن مايقوله هو من الكهانة، بدليل أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد خبأ له سورة الدخان[2] فأخبره شيطانه الذي يأتيه ببعض حروفها، لأنه لم يقدر أن يستطلع إلا ذلك، ولن يقدر على أكثر منه، لأن الله قد حفظ رسله من الشياطين بما أرصده لهم من الملائكة الذين يحرسونهم من الشياطين عن أن يتشبهوا بصورة الملك، فإذا جاء أحدهم شيطان في صورة ملك قالوا: هذا شيطان فاحذره، وان جاء الملك قالوا: هذا رسولُ ربك»[3].

دلالة موت النبي سليمان عليه السلام على عدم معرفة الجن علم الغيب .

قصة موت النبي سليمان عليه السلام فيها دليل على أن الجن لايعلمون الغيب، كما أخبر القرآن بذلك، قال تعالى:

---

(١) تفسير القرطبي ٢٨/١٩.

(٢) ورد في سنن أبي داود ٥٠٥/٤ ومسند أحمد ١٤٨/٢ قوله عليه الصلاة والسلام لابن صياد: إني قد خبأت لك خبيئا ــ وخبأ له: ﴿يوم تأت السماء بدخان مبين﴾ سورة الدخان الآية ١٠، ولم ترد هذه الزيادة في صحيحي البخاري ومسلم.

(٣) انظر تفسير القرطبي ٣٠/١٩.

﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل مِنْسأته[1]، فلما خرَّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب، مالبثوا في العذاب المهين﴾[2].

قال القرطبي في تفسير الآية: «أي: فلما حكمنا على سليمان بالموت حتى صار كالأمر المفروغ منه ووقع به الموت، وذلك أنه كان متكئاً على عصا فأنكسرت به بسبب أكل الأرضة لها ــ وهي دابة صغيرة تأكل الخشب ــ فوقع ميتاً ــ فعُلم موته بذلك، فكانت الأرضة دالة على موته، وكان قد سأل الله تعالى أن لاتعلم الجن بموته حتى تمضي عليه سنة»[3].

وقد ذكر المفسرون أوجهاً لسبب طلب سليمان عليه السلام من ربه أن يعمِّي موته على الجن:

فقال جماعة منهم : إنه طلب ذلك حتى يُري الإنس أن الجن لايعلمون الغيب، بخلاف ماكانوا يظنونه من أن الجن تعلم ذلك، وقد كانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء، وأنهم يعلمون مافي غد.

وقال أخرون إن طلبه ذلك إنما كان لأن داود عليه السلام قد أسس بيت المقدس، فمات ولم يتمه، فأوصى سليمان بإتمام بنائه، فأمر سليمان الجن باتمام بنائه، فلما دنا أجله قال لأهله: لاتخبروهم بموتي حتى يتموا بناء المسجد، وكان قد بقي لاتمامه سنة، فلبس كفنه وتحنط ودخل المحراب وقام يصلي، واتكأ على عصاه فمات، ولم تعلم الجن إلى أن مضت سنة وتم بناء المسجد[4].

واستنكر بعض المفسرين أن يمكث سليمان عليه السلام هذه المدة الطويلة ــ

---

(١) منسأته : أي عصاه.
(٢) سورة سبأ الآية ١٤.
(٣) تفسير القرطبي ٢٧٨/١٤.
(٤) انظر تفسير القرطبي ٢٨١/١٤ وانظر أيضا تفسير فتح القدير ٣١٨/٤.

وهي سنة ــ دون أن يعلم به أحد من رعيته، وهو أمر لايمكن أن يحدث مع إنسان عادي، فكيف يكون بنبي يكون له هذا الملك الواسع!.

وبناء عليه فقد اعتبر هذا النفر أن معنى الآية: «أن سليمان حين حان أجله وقضى الله عليه الموت ــ أي أوجب عليه الموت حين جاء وقته، كان سليمان حين مات قائماً بين الجن وهم بين يديه يعملون له ــ لم يعلموا بموته، وظلوا يعملون فيما أمرهم به، لم يدلهم على أنه قد مات إلا دابة الأرض التي كانت تأكل منسأته ــ أي عصاه ــ التي كان يتكيء عليه، فلما عبثت دابة الأرض بالعصا، زايلت موضعها وسقطت على الأرض، وخر سليمان على الأرض كذلك، وهنا علم الجن أن سليمان قد مات، فأخلوا مكانهم ومضوا إلى حيث يشاءون، ولو كانوا يعلمون الغيب لعلموا أن سليمان قد مات ولو كان بعيداً عنهم، فكيف وهو تحت سلطانهم وبصرهم؟!»[1].

«وربما كان السوس مسلَّطاً على العصا التي يحملها وهو لايدري، فكان متكئاً عليها في مجلس من مجالسه، لم تتحمل طول إتكائه عليها، فانكسرت به حين مات، وثقل جسمه كما هو الشأن في كل ميت، وكانت الجن تمر عليه فتحسبه أنه في غفوة أو في سنة من النوم»[2].

وبناء على هذا القول في تفسير الآية فإن سليمان عليه السلام ماكان ليمكث هذه المدة الطويلة لايعلم به أحد من رعيته، حتى تكون الأرضة هي التي كشفت ذلك بأكلها للعصا التي كان يتكيء عليها وقد كان ميتاً قبل سقوطه بزمن طويل.

وعلى الرغم من اختلاف الأقوال في المدة التي أمضاها سليمان ميتاً قبل علم الجن به، إلا أنها تتفق جميعاً على أن موته كان برهاناً على أن الجن مع مالهم من

(١) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٧٩٢/١١.
(٢) نفس المصدر ٧٩٤/١١ وانظر صفحة ٧٩٥.

القدرة على التنقل السريع بين أماكن نائية، والانطلاق في آفاق فسيحة، فإنهم لايعلمون الغيب، وذلك من خلال موت سليمان عليه السلام، بخلاف ما كانت تظن الجن ويظن الإنس كذلك، أنهم أقدر من الإنسان على النظر البعيد الذي يكشف ما سيأتي به الغد بالنسبة للإنسان، فعلم الغيب لله وحده.

القسم الثاني : وهو ما يتعلق بالعلوم والأخبار التي تتعلق بالأمور المشهودة أو الإخبار عن الوقائع الماضية.

بالنسبة لهذا القسم فإن الجن يمكن أن تخبر به الإنس، لأن الجن عندهم القدرة على الانطلاق في آفاق فسيحة والتنقل بين الأماكن البعيدة، لما ميزهم الله بذلك عن الإنسان، فمثلاً: قد يسافر رجل من بلد إلى بلد آخر ويحمل بعض الأغراض معه، فإن الجن بحكم تنقلهم السريع يمكن أن يخبروا شخصاً آخر ممن يتصلون به عن الساعة التي تحرك فيها، وفي أي شيء يركب، وماهي الأغراض التي يحملها فيكون هذا بالنسبة للإنسان غيباً من الغيوب لكونه لم يشاهده، ولم يبلغه بطريق من طرق العلم المعتادة، وأما بالنسبة للجن فهو واقع محسوس، وهو في واقع الأمر ليس من علم الغيب، وإنما هو مشاهدة، حيث كان عن واقع محسوس يراه الجن رأي العين، فهو حضور بالنسبة للجن ولكنه غيب بالنسبة للإنسان البعيد عن موقع الحدث، حيث يرى الجن ــ ولا نرى نحن البشر ــ ماوراء الأبواب الموصدة أو الجدر القائمة ونحوها[1].

وقد يخبرون الإنس عن الوقائع الماضية بحكم أعمارهم الطويلة التي تزيد على أعمار الإنس، فقد يخبرون شخصاً يعيش اليوم عن حدث وقع قبل مائة عام أو أكثر، وقد يموت الميت ويبقى قرينه من الجن، فيخبرون عن أحوال الميت، وقد حصل من ذلك الكثير كما ذكر ابن تيمية[2].

---

(١) انظر التفسير القرآني للقرآن ١١/٧٩٤ ــ ٧٩٥.

(٢) يمكن الرجوع بهذا الصدد لكتاب النبوات. وكتاب الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان لابن تيمية.

وهذا الإخبار من قبل الجن للإنس عن الأحوال الماضية والأمور المغيبة عن الإنسان قد يكون الجني فيها صادقاً وقد يكون كاذباً، إذ أن في الجن من يشبهون الإنس في الصدق والكذب، بل إن صفاتهم بشكل عام تفوق صفات الإنس سوءاً.

ومن جهة أخرى فإنه لايصح الوثوق بشيء من أخبارهم لانعدام مقاييس تحديد الصادقين والكاذبين منهم بالنسبة إلينا، لكونه عالماً مغيباً عنا، ولفجور من تلقي إليهم الجن بهذه الأخبار، فيذيعونها بدورهم بين الناس، مع ما يصطعنونه من قبل أنفسهم من الكذب.

وكثير من الناس في الجاهلية من كانت الجن تخبرهم ببعض الأمور التي تغيب عن الإنس.

قال ابن تيمية: «والأسود العنسي الذي ادَّعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه، حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبين لها كفره فقتلوه، وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الأمور. وأمثال هؤلاء كثيرون»[1].

وقال في موضع آخر: «والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته ممن عبد الشمس والكواكب، كما يفعل أهل دعوة الكواكب، فإنه ينزل عليه الشيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور، ويسمون ذلك (روحانية الكواكب) وهو شيطان.

والشيطان وإن أعان الإنسان على بعض مقاصده فإنه يضره أضعاف ماينفعه، وعاقبة من أطاعه إلى شر، إلا أن يتوب الله عليه، وكذلك عبَّاد الأصنام قد

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ص ٧٨.

تخاطبهم الشياطين، وكذلك من استغاث بميت أو غائب[1].

ومن هذا القبيل مايخبر به بعض من يتصلون بالجن في الوقت الحاضر، حيث تخبرهم الجن عن بعض الوقائع التي تجري في أماكن بعيدة لايراها الإنس، أو قد يخبرون عن اسم الشخص وما يتعلق بأحواله مما لايلعمه إلا هو أو بعض المقربين له، فيخبره بهذه الأمور الجني الذي يأتيه، ثم يقوم الشخص بدوره بإخبار ذلك إلى بعض من يدخلون عليه، فيدهش الإنسان لهذه الأمور، وإنما هي في الواقع غيب بالنسبة له، ولمن لايعلم ذلك من بني جنسه من الإنس الذي لايعلمون مثل ذلك، ولكنها أمور مشهودة بالنسبة للجن، ووظيفتهم في هذه الحالة نقل هذه الأمور إلى من يخدمونهم من الإنس مقابل طاعتهم لهم، ولذلك فإنك تجد أكثر الذين يتعاملون من الجن مع الإنس تاركين للصلاة والعبادات الأخرى، مهينين للقرآن الكريم، كأن يكتبوه بنجاسة، أو يقلبون بعض الآيات القرآنية، أو يقرأون ويكتبون بعض الطلاسم والأدعية غير مفهومة المعنى، مما يرضاه الجن الكفرة مقابل جلب سحر، أو منع شخص عن زوجته، وغير ذلك مما هو واقع ومشاهد في كل عصر.

ومن هؤلاء من يشترط على الداخل عليهم من الإنس أن لايقرأ القرآن ولا يذكر اسم الله تعالى، وذلك لأن الشياطين التي يتعاملون معها تهرب عند قراءة القرآن أو سماع ذكر الله، قال ابن تيمية :

«ولهذا من يكون إخباره عن شيطان فإنه لايكاشف أهل الإيمان والتوحيد وأهل القلوب المنورة بنور الله، بل يهرب منهم ويعترف أنه لايكاشف هؤلاء وأمثالهم، وتعترف الجن والإنس ـــ الذين خوارقهم بمعاونة الجن لهم ـــ أنهم لايمكنهم أن يظهروا هذه الخوارق بحضرة أهل الإيمان والقرآن ويقولون: أحوالنا لا تظهر قدام

(١) الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ص ٨٢.

الشرع والكتاب والسنة، وإنما تظهر عند الكفار والفجار، وهذا لأن أولئك أولياء الشيطان ولهم شياطين يعاونون شياطين المخدومين ويتفقون على مايفعلونه من الخوارق الشيطانية»[1].

فليحذر المسلم الدخول على أمثال هؤلاء، وليعلم أن الذي يخبرون به ليس من علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وإنما هو من الأمور المشهودة للجن والغائبة عن الإنس.

وإذا كانت الشياطين تخبر الكهان ـــ وأمثالهم ممن يتصلون بالجن ويتعاملون معهم ـــ ببعض الأمور، وقد يكون ذلك صادقاً أو كاذباً، فإنه لايجوز تصديقهم أو إتيانهم لما تقدم من النهي عن ذلك.

وينبغي أن يعلم أن ما تخبر به الأنبياء من الأمور المشهودة ليس مما تقدر عليه الشياطين، وإن قدِّر أنه من جنس ما تقدر الشياطين عليه، فالمميز في هذه الحال بين النبي والكاهن اختلاف حاليهما قولاً وعملاً.

وكذلك بالنسبة للإخبار بالأمور المشهودة، قد تخبر الأنبياء به مالا تقدر الشياطين على الإخبار به كما قال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿**وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم**﴾[2].

قال أبو السعود في تفسيره: «أي أخبركم بالمغيبات من أحوالكم التي لاتشكون فيها»[3].

---

(١) النبوات لابن تيمية ص ٢٨١.

(٢) سورة آل عمران الآية ٤٩.

(٣) تفسير أبي السعود ٤٨٦/١ بتصرف مطبعة دار السعادة ـــ القاهرة ١٣٩١هـ ـــ ١٩٧١م الناشر مكتبة الرياض الحديثة.

وقال ابن تيمية: «وبالنسبة للإخبار بالأمور المشهودة والوقائع الماضية فإن الأنبياء عليهم السلام يخبرون منه بمالا يمكن للشياطين أن تخبر به، كما في إخبار المسيح في قوله تعالى: ﴿**وأنبئكم بما تأكلون وما تدَّخرون في بيوتكم**﴾ فإن الجن قد يخبرون بما يأكله بعض الإنس وبما يدخرونه، لكن الشياطين إنما تتسلط على ما لم يذكر اسم الله عليه، كما إذا دخل الإنسان بيته فإنهم يدخلون معه، وإذا أكل ولم يسم فإنهم يأكلون معه، أو قد يدَّخر الإنسان شيئاً ولايذكر اسم الله عليه، فإن الجن تعرفه، وقد تسرق الجن بعض الأموال أو المتاع مما لم يذكر اسم الله عليه.

وأما من ذكر اسم الله على ماتقدم فإنه لا سلطان للجن على ذلك بسرقته أو معرفة مكانه، والمسيح عليه السلام كان يخبر المؤمنين بما يأكلون ويدخرون مما ذكر اسم الله عليه والجن لا تعلم به»(١).

وقد يخبر بعض المؤمنين من الجن بعض المؤمنين من الإنس أو غيرهم بأمور غائبة لايشاهدها الإنس، «وذلك كما ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل جيشاً، فقدم شخص إلى المدينة فأخبر أنهم انتصروا على عدوهم، وشاع الخبر، فسأل عمر عن ذلك فذكر له فقال: هذا أبو الهيثم بريد المسلمين من الجن وسيأتي بريد الإنس بعد ذلك، فجاء بعد ذلك بعدة أيام»(٢).

فإخبار المسلمين في المدينة بانتصار المسلمين على عدوهم خارج الجزيرة العربية كان على يد أحد المسلمين من الجن، حيث رأى الناس هذا الشخص في المدينة، ويبدو أنهم لم يكونوا يعرفونه، فذكر الأمر لعمر رضي الله عنه فقال: إنه أحد الجن المسلمين جاء بهذا الخبر فوراً بعد انتصار المسلمين على عدوهم، وقد تأكد هذا الأمر بعد ذلك بأيام عندما جاء شخص من الإنس من أرض المعركة فأخبر أن المسلمين قد انتصروا على عدوهم، فدل ذلك على صدق إخبار الجن المسلم.

---

(١) النبوات ص ٢٨١ بتصرف.

(٢) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٥٢.

وعلى هذا الأساس فقد يخبر الجن المسلمين بعض المسلمين من الإنس ببعض الأمور الغائبة، ويكون ذلك من الجن خدمة وإعانة للمسلم وطلباً لمرضاة الله تعالى، كما يخدم الإنس بعضهم.

وقد وردت بعض الآثار عن إعلام الجن وإخبارهم لبعض الإنس بمبعث الرسول ﷺ، وكان ذلك من بشائر هتوفهم بنبوته عليه السلام، وهذه الآثار والأخبار وإن كانت أخبار آحاد عمن لايرى شخصه ولا يعرف صدقه من كذبه، إلا أن خروجها عن العادة نذير وبشير بمبعث الرسول ﷺ، وقد دلت أمور كثيرة على نبوته عليه السلام كانقضاض الكواكب بشكل لم يكن له مثيل، وغير ذلك من بشائر هتوفهم، وقد قبل السامعون هذه الأخبار ولم ينكروها، وقبول الأخبار يؤكد صحتها، فإذا ادَّعى شخص أن قبول هذه الأخبار فيه دليل على صحة الكهانه، اذن فالجواب عنه:

أن دلائل النبوة تختلف عن البشائر، وهذه الأخبار من قبيل البشائر وليست من قبيل الدلائل، والأمر الآخر: أن الكهانة عن مغيَّب والبشارة عن معيَّن، فالعيان معلوم والغائب موهوم[1].

فمن بشائر هتوفهم مارواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب: قال بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ذات يوم جالساً إذ مر به رجل فقيل له: أتعرف هذا المار يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن هو؟ قالوا: سواد بن قارب رجل من أهل اليمن، وكان له رئي من الجن[2]، فأرسل إليه عمر فقال: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئي من

(١) انظر أعلام النبوة ص ١٥٢.
(٢) رئي من الجن : هو الذي يرى الأمور التي لا يراها الانس ليخبر بها بعض الانس من الكهنة ومن يتعاملون مع الجن.

الجن فضربني برجله وقال: قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالي واعقل ان كنت تعقل: إنه قد بعث رسول الله ﷺ من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته وأنشأ يقول:

عجبت للجن وتَطْلابها وشدِّها العيس بأقتابها[1]
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ماصادق الجن ككذَّابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قُدَّامها كأذنابها

فقلت له: دعني فأنا أمسيت ناعساً، ولم أرفع بما قال رأساً، فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال: قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول الله ﷺ من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته وأنشأ يقول :

عجبت للجن وتَخْبارها وشدِّها العيس بأكْوارها[2]
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم بين روابيها وأحجارها

فقلت : دعني فقد أمسيت ناعساً، ولم أرفع بما قال رأساً، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال: قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل، قد بعث رسول من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته وأنشأ يقول:

عجبت للجن وتَجْساسها وشدِّها العيس بأحْلاسها[3]

---

(١) العيس : هي الإبل البيض مع شقرة يسيرة. انظر النهاية في غريب الحديث ٣/٣٢٩ والاقتاب: ما يوضع على ظهر الإبل.
(٢) الأكوار : جمع كور بالضم، وهو رحل الناقة بأداته، وهو كالسرج وآلته للفرس. انظر النهاية أيضا ٤/٢٠٨.
(٣) التجساس : التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر. انظر النهاية =

تهوي إلى مكة تبغي الهدى	**ما خَيِّرُ الجن كأنجاسها**
فارحل إلى الصفوة من هاشم	**واسمُ بعينيك إلى رأسها**

قال: فأصبحت وقد امتحن الله قلبي للإسلام، فرحلت ناقتي وأتيت المدينة فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه فقلت: اسمع مقالي يارسول الله، قال: هات فأنشأت:

أتاني نجيّ[1] بين هدْوٍ ورقْدةٍ	**ولم أك فيما قد نجوت بكاذب**
ثلاث ليال قوله كل ليلة	**أتاك رسولٌ من لؤي بن غالب**
فشمَّرْت من ذيل الإزار ووسَّطَتْ	**بي الذِّعْلب الوجناء بين السباسب[2]**
فأشهد أن الله لاشيء غيره	**وانك مأمون على كل غائب**
وأنك أدنى المرسلين وسيلة	**إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب**
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى	**وان كان فيما جاء شيْبُ الذوائب**
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة	**سواك بمغن عن سواد بن قارب**

ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً، حتى رؤي الفرح في وجوههم، قال: فوثب إليه عمر فالتزمه وقال: قد كنت أحب أن أسمع منك هذا الحديث، فهل يأتيك رئيك اليوم؟ فقال: مذ قرأت القرآن فلا، ونعم العوض كتاب الله من الجن.[3].

= ٢٧٢/١. والاحلاس : جمع حلس، وهو كساء يلي ظهر البعير تحت القتب، انظر النهاية في غريب الحديث ٤٢٣/١.

(١) النجي : المخاطب للانسان والمحدِّث له. النهاية في غريب الحديث ٢٥/٥.

(٢) الذعلب : الناقة السريعة. النهاية ١٦١/٢. والوجناء: الأرض الغليظة الصلبة. النهاية ١٥٧/٥. والسباسب: القفر والمفازة. النهاية في غريب الحديث ٣٣٤/٢.

(٣) أعلام النبوة للماوردي ص ١٤٦ ـــ ١٤٨. وذكرها البيهقي في دلائل النبوة ٢٩/٢ ـ ٣١، وذكر أنها وردت من وجهين آخرين. وأوردها ابن كثير في البداية والنهاية

ومن إخبار الجن لبعض الإنس ماروواه ابن عباس رضي الله عنهما عن أسماء بنت أبي بكر قالت: ماعلم المشركون من أهل مكة أين توجه رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة حتى هتف هاتف بعد ذلك بأيام فقال:

جزى الله خيراً والجزاء فريضة ... رفيقين حلّا خيمتي أم معبد
هما دخلا بالهدى واهتدى به ... فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهنَ بني كعب محل فتاتهم ... ومقعدها للمسلمين بمرصد(1)

وقالت أسماء: ماعلم المشركون من أهل مكة بوقعة بدر حتى هتف هاتف من جبال مكة وفتيان يشمِّرون(2) بمكة فقال:

أزال الحنيفيون بدرا بوقعة ... سينقضُ منها مُلْكُ كسرى وقيصرا
أصاب رجالاً من لؤي وجرَّدت ... حرائر يضْربن الترائبَ حُسَّرا(3)
ألا ويح من أمسى عدو محمد ... لقد ذاق حزناً في الحياة وحُسِّرا
وأصبح في هامي العَجاج معفَّرا ... تناوبه الطير الجياع وتنفرا(4)

= ٢/٣٣٢ ــ ٣٣٦. وأوردها ابن هشام في سيرته بأخصر مما هنا. قال ابن اسحق: وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان أنه حدث أن عمر ابن الخطاب بينما هو جالس .. الخ ١/٢٢٧ ــ ٢٢٩. وقد ذكر القصة الإمام البخاري في صحيحه بأخصر مما أثبتناه مع إختلاف في السياقة. انظر صحيح البخاري بشرح فتح الباري. كتاب مناقب الانصار. باب إسلام عمر بن الخطاب ١٧٧/٧.

(١) أعلام النبوة ص ١٥١.
(٢) يشمرون : أي يستعدون.
(٣) الترائب : جمع تريبة وهي أعلى صدر الانسان تحت الذقن. النهاية في غريب الحديث ١٨٦/١. والحسر: جمع حاسر. وهو الذي لا درع عليه ولا مغفر. النهاية أيضا ٣٨٣/١.
(٤) الهوامي : المهملة التي لا راعي لها ولا حافظ، وقد همت تهمي فهي هامة إذا ذهبت =

فعلموا بذلك، وظهر الخبر من الغد»[1].

وغير ذلك مما يمكن أن تخبر به الجن الإنس من الوقائع المشهودة للجن والمغيبة عن الإنس.

وفيما تقدم دليل على أن الجن تخبر بعض الإنس ببعض الأمور الغائبة عن الإنسان كما حدث من إخبار ذلك الجني سواد بن قارب ــ وهو من أهل اليمن ــ بمبعث الرسول ﷺ، وإخبار الجني كما يدل عليه النص إنما كان عن أمر مشهود له، لأن الجن بحكم تنقلهم السريع يعلمون الحوادث قبل الإنس، وقد كان ذلك الجني قد رأى ــ فيما يبدو ــ رسول الله ﷺ بمكة وعلم بأنه نبي مرسل من عند الله، فذهب إلى سواد بن قارب وأخبره بالأمر.

وما تقدم كذلك من إخبار الجن لقريش بوجهة رسول الله ﷺ عندما هاجر من مكة إلى المدينة، وذلك بعد الهجرة بأيام.

وهذا ليس بمستغرب حصوله مادام أن الجن عندهم القدرة على التنقل السريع ومشاهدة الحوادث التي لايعلمها الإنس. والله أعلم.

★ ★ ★

= على وجهها. انظر النهاية ٢٧٨٦/٥. والعجاج: الغوغاء والأراذل ومن لا خير فيه. النهاية ١٨٤/٣. والمعفر: الممرغ في التراب. النهاية ٢٦١/٣. وتنفرا: أى تأكل وترجع.

(١) أعلام النبوة ص ١٥١. ومن أراد الاستزادة من هذه الهتوف فليراجع البداية والنهاية لابن كثير ٣٣٢/٢ ــ ٣٣٦. وكتاب آكام المرجان في احكام وغرائب الجان لبدر الدين الشبلي ص ١٢٧ ــ ١٥١.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث

تأثير الجن على عقائد الناس وإراداتهم وأعمالهم

مقدمة

سنتعرض في هذا الفصل لتأثير الجن على عقائد الناس وإراداتهم وأعمالهم من خلال واقع المشركين في انقيادهم للجن والاستعاذة بهم وطلب قضاء الحوائج منهم كما كان ذلك شائعاً في الجاهلية، وكما هو موجود في كل عصر من العصور على مدار التاريخ.

وسنبين في هذا الفصل مدى تأثير الشياطين على الإنس من حيث دعوتهم إلى المعاصي وتزيينها لهم، دون إجبارهم عليها، لأن في ذلك مناقضة لاختيار الإنسان في فعل الخير أو الشر، وعلى ذلك يدور مناط التكليف في الإسلام.

وبناء على ماتقدم فسيكون في هذا الفصل مبحثان :

المبحث الأول: المشركون وطاعتهم للجن، وأثر ذلك على عقائدهم وإراداتهم وأعمالهم.

المبحث الثاني: مدى سلطان الشيطان على الإنسان.

المبحث الأول

المشركون وطاعتهم للجن وأثر ذلك على عقائدهم وإراداتهم وأعمالهم

تقدم معنا عند الحديث عن عقائد الناس في الجن كيف كانت نظرة بعض الطوائف المنحرفة للجن، هذه النظرة التي كانت قائمة على تصورات فاسدة، فمن قائل: أن الجن شركاء لله في الخلق والتدبير، ومن قائل: أن الله ــ تعالى عن ذلك ــ تزوج إلى الجن فخرج منهما الملائكة، ومن قائل: أن إبليس مع جنده يمثلون الشر في جهة، يحاربون الله وملائكته في جهة أخرى.

وتحدثنا عما كانت توحي به الجن إلى أتباعها من المشركين، وذلك من خلال الحديث عن الكهان والكهانة، إذ كان الاعتقاد السائد أن الجن يعلمون الغيب، وذلك بما كانوا يلقونه إلى الكهان عندما كانوا يسترقون أخبار السماء، فيزيد الكهان على الكلمة من الحق مائة كذبة كما ورد في الحديث، فيصدق الناس ذلك.

وكانوا يتصورون أن للجن سلطاناً في الأرض، إلى غير ذلك من هذه التصورات المنحرفة الجائرة.

هذه التصورات المختلفة عن الجن كان لها تأثير على تفكير وسلوك هؤلاء من الناس وأعمالهم وإراداتهم كما حكى لنا القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: **﴿وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾**(١).

قال القرطبي:«والمراد به ماكانوا يفعلونه من قول الرجل اذا نزل بواد: أعوذ بسيد

---

(١) سورة الجن الاية ٦.

هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فيبيت في جواره حتى يصبح، قاله الحسن وابن زيد وغيرهما.

وقال كردوس أبي السائب: خرجت مع أبي أريد مكة، وذلك أول ماذكر النبي ﷺ، فآوينا إلى صاحب غنم، فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حملاً من غنمه، فوثب الراعي فقال: ياعامر الوادي: جارك، فسمعنا صوتاً لا ندري صاحبه: ياسرحان: أرسله، قال: فأتى الحمل[1] يشتد، ما به كَدْمه حتى دخل في الغنم، وأنزل على النبي ﷺ بالمدينة: ﴿**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن**﴾[2] الآية، أي: زاد الجن الإنس رهقاً، أي: خطيئة وإثما، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، والرهق: الإثم في كلام العرب وغشيان المحارم..، وقال مجاهد أيضاً: (فزادوهم) أي أن الإنس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ، حتى قالت الجن: سدنا الإنس والجن، وقال قتادة أيضاً وأبو العالية والربيع وابن زيد: ازداد الإنس بهذا فرقاً وخوفاً من الجن، وقال سعيد بن جبير: كفراً، ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك»[3].

من خلال هذه الأقوال يتبين: أنه كان للجن تأثير على سلوك مشركي العرب، حيث كان أحدهم يعوذ بالجن عند المخاوف والأفزاع، وأثر ذلك على عقائدهم من حيث التوجه إلى عبادة الجن والذبح لهم، محاولة استرضائهم بأي شكل من الأشكال.

وقد تحدث القرآن عن مدى تأثير الجن على عقائدهم فقال: ﴿**وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون**﴾[4].

(١) الحمل : ولد الشاة الصغير.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن اسحق الكوفي وهو ضعيف انظر مجمع الزوائد ١٢٩/٧٨. والكدمة: العضة:ـ أي ما به عضة.

(٣) تفسير القرطبي ١٠/١٩.

(٤) سورة الأنعام الآية ١٠٠.

قال القرطبي: «ومعنى اشراكهم بالله أنهم أطاعوهم كطاعة الله عز وجل. وذكر آخرون أنهم هم الذين قالوا: ان الله وابليس أخوان. وقال قتادة والسدي: أنهم هم الذين قالوا: الملائكة بنات الله»(١).

وهذه الأقوال تدل على فساد عقائدهم في الجن وطاعتهم لهم، وفي ذلك عبادة لهم من دون الله، قال تعالى: ﴿**ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملٰئكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون**﴾(٢).

قال الألوسي: «(بل كانو يعبدون الجن) قال: الشياطين كما روي عن مجاهد، حيث كانوا يطيعونهم فيما يسولون لهم من عبادة غير الله تعالى، وقيل: صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا: هذه صور الملائكة فاعبدوها، فعبدوها. وقيل: كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها. وقيل: أرادوا أنهم عبدوا شيئاً تخيلوه صادقاً على الجن لاصادقاً علينا، فهم يعبدون الجن حقيقة دوننا، وقال ابن عطية: يجوز أن يكون في الأمم الكافرة من عبد الجن، وفي القرآن آيات يظهر منها أن الجن عبدت في سورة الأنعام وغيرها»(٣) وقد تقدمت.

وفي القرآن الكريم مايدل على طاعة الإنس للجن وإنقيادهم لهم في قوله تعالى: ﴿**ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجّلْت لنا قال النار مثوٰكم خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم**﴾(٤).

(١) تفسير القرطبي ٥٣/٧ بتصرف واختصار.
(٢) سورة سبأ الآيات ٤٠،٤١.
(٣) تفسير روح المعاني ١٥١/٢٢.
(٤) سورة الأنعام الآية ١٢٨.

وقد فسر بعضهم هذا الاستمتاع من قبل الجن بالإنس، والإنس بالجن بالاستعاذة بسيد الجن إذا نزل أحد الإنس في واد من الأودية كما تقدم، فيكون في ذلك تعظيماً للجن من جهة، وحماية للإنس من المخاطر من جهة أخرى كما يزعمون[1].

وذكر بعض المفسرين أن الاستمتاع هذا من قبل الجن بالإنس أن الإنس كانوا يطيعون الجن وينقادون لحكمهم، فصار الجن كالرؤساء والإنس كالأتباع والخادمين والمطيعين المنقادين، الذين لا يخالفون رئيسهم ومخدومهم في قليل ولا كثير، ولا شك أن هذا الرئيس قد انتفع بهذا الخادم.

وأما استمتاع الإنس بالجن فهو أن الجن قد دلوا الإنس على أنواع الشهوات واللذات والطيبات، وسهلوا تلك الأمور عليهم[2].

ولا يخفى أن التوجه بالعبادة والتعظيم لمن لا يملك الضر والنفع من سائر الخلق فساد أي فساد في السلوك، ناشيء عن فساد التصور والاعتقاد الذي أرسل الله رسله وأنزل كتبه لإنقاض البشرية من مغبته، بتصحيح تصوراتهم وتقويم سلوكهم، بما بيَّنوه من أن الله هو خالق الجن والإنس وسائر الموجودات، وأنهم يستوون جميعاً في عدم قدرتهم على تغيير قانون من القوانين التي وضعها الله في هذا الكون، وأنهم جميعاً واقعون تحت سلطان الله وقهره، وأن التوجه لغيره سبحانه بعبادة أو تعظيم شرك كبير، يستحق فاعله الخلود في النار.

تلبيسات الشياطين على عابديهم من الإنس، وأثره على عقائدهم وتصرفاتهم:

وإذا نسي الإنسان ربه واستسلم للشيطان، فإن الشيطان يستدرجه بأساليبه المختلفة حتى يخرجه عن دائرة العقل والإنسانية، ويسيره في دروب الهلاك، قال

(١) التفسير الكبير ١٣/١٩١ بتصرف.
(٢) نفس المصدر ١٣/١٩١ بتصرف.

تعالى: ﴿كُتِبَ عليه أنه من تولاه فأنّه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾[1].

فمن تلبيسات الشياطين وأساليبهم في تضليل عابديهم أنهم يتمثلون لهم بأشكال مختلفة حسب معتقدهم، فتارة يظهرون لهم بصورة شيخ كما يحصل عند جهلة الصوفية الذين يقدسون شيوخهم ويجعلونهم في مرتبة قريبة من مرتبة الإله، وتارة يخاطبونهم من داخل الهياكل والأصنام كما يقع للمشركين عباد الأوثان، كمن يستغيث بالغائبين والميتين عند قبورهم وغير قبورهم، فتخاطبهم الشياطين على سبيل المكاشفة، وقد تقضي بعض حوائجهم وتدفع عنهم بعض مايكرهونه، فيظن أحدهم أن الذي يعظمه هو الذي خاطبه وقضى حاجته[2].

وقد تصعد الشياطين بأتباعها من البشر في الهواء، ويدخلون المدن والحصون بالليل والأبواب مغلقة، وقد تحملهم الشياطين إلى أماكن بعيدة كمكة، فيطوفون بهم ويقفون على جبل عرفات، ولكنهم في الحقيقة لم يحجوا الحج الذي أمر الله به، ونحن نسمع بين الحين والحين عن أناس يكونون في مكان ما ثم مانلبث أن نسمع أن آخرين قد شاهدوهم في أماكن أخرى بعيدة، في فترة زمنية بسيطة جداً، لا يمكن لهم كبشر التنقل خلالها، ولا عجب في ذلك لأن الشياطين التي أطاعوها وانقادوا لها هي التي تحملهم إلى هذه المسافات البعيدة، حتى نوهم الناس أنه من أولياء الله، ولكنه في الواقع من أولياء الشيطان»[3].

ومنهم من كانت الشياطين تخرج رجليه من القيد وتمنع السلاح أن ينفذ به، وتسبح الرخامة إذا مسحها بيده كالحارث الدمشقي الذي خرج بالشام في زمن عبد الملك بن مروان، وكان يرى الناس رجالاً وركبانا على خيل في الهواء ويقول:

---

(١) سورة الحج الآية ٤.

(٢) انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٤٩.

(٣) انظر النبوات لابن تيمية ص ٢٨٣.

هي الملائكة، وإنما كانوا جنًّا، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه، فقال له عبد الملك: إنك لم تسمِّ الله، فسمى الله فطعنه فقتله(١).

ومن هؤلاء شيخ كان بمصر أوصى خادمه فقال: إذا أنا مت فلا تدع أحداً يغسلني، فأنا أجيء وأغسل نفسي، فلما مات رأى خادمه شخصاً في صورته، فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه، فلما قضى ذلك الداخل غسله ــ أيْ غسل الميت ــ غاب، وكان ذلك شيطاناً، وكان قد أضل الميت وقال: إنك تجيء فتغسل نفسك، فلما مات جاء أيضاً في صورته ليغوي بعض الأحياء كما أغوى الميت قبل ذلك.

ومنهم من يرى عرشاً في الهواء وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه ويقول: «أنا ربك، فإن كان من أهل المعرفة علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه فيزول»(٢). إلى غير ذلك من تلاعب الشياطين بأتباعها.

وهكذا فإن الشياطين لا تقوم بهذه الأمور لهؤلاء من الناس إلا إذا خرجوا عن الكتاب والسنة، وتكون إعانة الشياطين لهم بحسب قربهم أو بعدهم من الاسلام، فإذا وافق هؤلاء الإنس الجن على ما تختاره الجن من الكفر ــ كالإقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم، أو يكتبون القرآن بالنجاسات وما شابه ذلك ــ فإنهم يغورون له الماء وينقلونه إلى أماكن بعيدة، بسبب ما يرضيهم من الكفر، وقد يأتونه بما يهواه من امرأة أو صبي، أو يسرقون له بعض الأموال، وغير ذلك من أنواع الخدمة، وهذه لا تكون إلا بعد فساد عقائد هؤلاء وكفرهم بالله وطاعتهم للشياطين فيما يأمرونهم به(٣).

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٧٨.
(٢) نفس المصدر ص ٨٠.
(٣) نفس المصدر ص ٨١.

ومن هؤلاء الناس من يستغيث بصالح أو بقبر، فينزل عليه من الهواء طعام أو نفقة أو سلاح أو غير ذلك، فيظنه كرامة، وانما ذلك كله من الشياطين.

ومن المشركين من كان يعبد الأصنام فيتخذها على صورة الأنبياء والصالحين، كما حصل مع قوم نوح من بعده، عندما أوحى إليهم الشيطان أن يصنعوا تماثيل لبعض الصالحين منهم ــ ممن توفاهم الله ــ ليتذكروهم، ثم مع مرور الأيام استدرجهم الشيطان فعبدوا هذه التماثيل(١)، قال الله تعالى عنهم:

﴿وقالوا لاتذرنَّ آلهتكم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُوَاعاً ولا يَغوثَ ويَعوقَ ونَسْراً * وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾(٢).

ومنهم من جعل التماثيل لأجل الملائكة والجن، وفي واقع الأمر أنهم إنما يعبدون الشيطان، لأنه هو الذي زين لهم عبادتها، قال تعالى: **﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملٰئكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾**(٣).

---

(١) انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٥٠ ــ ١٥١.
(٢) سورة نوح الآية ٢٣،٢٤.
(٣) سورة سبأ الآية ٤٠،٤١.

المبحث الثاني
مدى سلطان الشيطان على الإنسان

بعض الناس يتصورون أن للشيطان تلك القدرة التي يستطيع بها أن يجبر الإنسان على ترك الطاعات وفعل المعاصي، ومن ثم فلا ذنب على الإنسان إذا قصر في طاعة الله أو فعل معصية من المعاصي، وهذا التصور إنما سببه الجهل بالقرآن الذي بين حقيقة الشيطان وأنه ليس له سلطان يقهر الإنسان على فعل المعصية أو يثبطه عن القيام بالطاعة، لأنه في هذا التصور يكون مشاركاً لله في القدرة على قهر العباد وجبرهم على ما يشاء، وهذا هو عين الشرك في الربوبية، ولو كان للشيطان مثل هذه السلطة لكان في ذلك مناقضة لتكليف الله للبشر، وفي ذلك مناقضة صريحة لما في القرآن الكريم، لأن التكليف مبني على قدرة الإنسان في اختيار الخير أو الشر، وإذا انتفى الاختيار عند الإنسان ـــ بسبب إجبار الشيطان له على فعل المعاصي وترك الواجبات ـــ لكان في ذلك بطلان التكليف من قبل الله للإنسان، وهذا الكلام لا يقول به إلا كافر أو جاهل، لأن بعث الله للرسل على مدار التاريخ إنما جاء لاختبار هذه الإرادة عند الإنسان، فإما أن يستجيب هذا الإنسان لداعي الله، وإما أن يستجيب لداعي الشيطان الذي يوسوس للإنسان ويزين له المعاصي، وعلى أساس هذه الاستجابة أو عدمها يكون جزاء الإنسان بالجنة أو النار.

ولقد نفى القرآن أن يكون للشيطان سلطان على الكافرين فضلاً عن المؤمنين بقهرهم أو بالحجة لما يدعوهم إليه، وبين القرآن حدود سلطان الشيطان على الكافرين، وأنه مجرد دعوة للكفر والمعاصي، واستجابة منهم له في ذلك. يقول الله عز وجل في هذا الشأن حاكياً عن الشيطان:

﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما

كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصْرِخِكم وما أنتم بمصرخيَّ إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾[1].

فها هو الشيطان في الآخرة يعلن في صغار وانكسار تخليه عن أتباعه الذين أطاعوه فيما زين لهم من المعاصي، ويوضح لهم أنه لم يكن له سلطان يجبر هؤلاء على ماكان سبباً في دخولهم جهنم. قال الإمام الشوكاني في قوله تعالى: ﴿**وما كان لي عليكم من سلطان...**﴾ الآية.

«أي وما كان لي تسلط عليكم بإظهار حجة على ماوعدتكم به وزينته لكم. (إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي): أي إلا مجرد دعائي لكم إلى الغواية والضلال بلا حجة ولا برهان...، وقيل: المراد بالسلطان هنا: القهر، أي: ما كان لي عليكم من قهر يضطركم إلى إجابتي، وقيل: هذا الاستثناء هو من باب: تحية بينهم ضرب وجيع، مبالغة في نفيه للسلطان عن نفسه، كأنه قال: إنما يكون لي عليكم سلطان إذا كان مجرد الدعاء من السلطان، وليس منه قطعاً»[2].

وهذه الأقوال بمجملها تدل على انتفاء السلطان من قبل الشيطان على أتباعه في الدنيا، وأن وظيفته كانت منحصرة في الدعوة إلى الغواية والضلال، وهذه الدعوة البراقة معراة عن الحجة والبرهان من جهة، وبعيدة عن القهر والسلطان من جهة أخرى، وإذا انتفى الأمران انتفت معهما دواعي الاستجابة لهذه الدعوة من قبل الشيطان، وبناء على ذلك فلا لوم ولا عتاب.

قال الشوكاني: (فلا تلوموني) بما وقعتم فيه بسبب وعدي لكم بالباطل وإخلافي لهذا الموعد. (**ولوموا أنفسكم**) باستجابتكم لي بمجرد الدعوة التي لا سلطان عليها

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٢.

(٢) تفسير فتح القدير ١٠٣/٣.

ولا حجة، فإن من قبل المواعيد الباطلة والدعاوى الزائفة عن طريق الحق فعلى نفسه جنى ولمآربه قطع، ولا سيما ودعوتي هذه الباطلة وموعدي الفاسد وقعا معارضين لوعد الله لكم وعد الحق ودعوته لكم إلى دار السلام، مع قيام الحجة التي لا تخفى على عاقل ولا تلتبس إلا على مخذول..

﴿ماأنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي﴾... ماأنا بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب وما أنتم بمغيثي مما أنا فيه، وفيه إرشاد لهم إلى أن الشيطان في تلك الحالة مبتلى بما ابتلوا به من العذاب، محتاج إلى من يغيثه ويخلصه مما هو فيه، فكيف يطمعون في إغاثة من هو محتاج إلى من يغيثه؟.

﴿اني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾ لما كشف لهم القناع بأنه كافر بإشراكهم له مع الله من قبل هذا الوقت الذي قال لهم الشيطان فيه هذه المقالة، وهو ماكان منهم في الدنيا من جعله شريكاً، ولقد قام لهم الشيطان في هذا اليوم مقاماً يقصم ظهورهم ويقطع قلوبهم، فأوضح لهم :

أولاً : أن مواعيده التي كان يعدهم بها في الدنيا باطلة، معارضة لوعد الحق من الله سبحانه، وأنه أخلفهم ماوعدهم من تلك المواعيد، ولم يف لهم بشيء منها.

ثانياً : أنه أوضح لهم بأنهم قبلوا قوله بما لا يوجب القبول ولا ينفق على عقل عاقل لعدم الحجة التي لابد للعاقل منها في قبول قول غيره.

ثالثاً : أنه أوضح: بأنه لم يكن منه إلا مجرد الدعوة العاطلة عن البرهان، الخالية عن أيسر شيء مما يتمسك به العقلاء.

رابعاً : أنه نعى عليهم ما وقعوا فيه، ودفع لومهم له، وأمرهم بأن يلوموا أنفسهم، لأنهم هم الذين قبلوا الباطل البحت الذي لا يلتبس بطلانه على من له أدنى عقل.

خامساً : أنه أوضح لهم: بأنه لا نصرة عنده ولا إغاثة، ولا يستطيع لهم نفعاً ولا يدفع عنهم ضراً، بل هو مثلهم في الوقوع في البلية والعجز عن الخلوص عن هذه المحنة.

سادساً : بأنه صرح لهم بأنه قد كفر بما اعتقدوه فيه وأثبتوه له، فتضاعفت عليهم الحسرات، وتوالت عليهم المصائب[1].

وبهذا يتبين أن الله لم يجعل للشيطان سلطاناً على بني آدم، لتكون إرادة الناس حرة في اختيارها طريق الخير أو الشر، ومن ثم فليس له سلطان على الإنس في عقائدهم وتوجيه إراداتهم للأعمال السيئة، فإن ذلك مما لا سبيل له إليه.

واذا كان الشيطان قد أعلن بأنه لا سلطان له في إجبار الناس على المعاصي، ولا حجة له عليهم فيما يدعوهم إليه ــ وإنما يتحدد سلطانه في دعوتهم إلى الباطل وتزيينه لهم، حباً للفساد وكيداً للإنسان، لعمق عداوته له منذ استكبر عن السجود لآدم ــ **فمع من تثمر هذا الدعوة إذن بقبولها، ومن هم الذين يرفضونها في مقابل ذلك؟**

لقد أجابنا القرآن الكريم على هذا السؤال في كثير من الآيات الكريمة قال تعالى: ﴿**إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون**﴾[2].

وقال: ﴿**ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين. وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك، وربك على كل شيء حفيظ**﴾[3].

---

(١) تفسير فتح القدير ١٠٣/٣ ــ ١٠٤ بتصرف.

(٢) سورة النحل الآيات ٩٩، ١٠٠.

(٣) سورة سبأ الآيات ٢٠، ٢١.

وقال تعالى عن إبليس عليه اللعنة: ﴿**قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين * قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين**﴾[1].

وقال: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا**﴾[2].

إن هذه الآيات التي سقناها تبين لنا أن دعوة الشيطان للضلال والفساد إنما تثمر مع الذين يعرضون عن ذكر الله ويتركون السلاح الذي أمر الله بالتسلح به ضد وساوس الشيطان ومراوغاته التي لا تهدأ لجر هذا الإنسان إلى الهاوية، أما المؤمنون فقد عرفوا السلاح الذي به يقاومون هذا التسلط، قال تعالى: ﴿**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**﴾[3]. وقال: ﴿**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم**﴾[4].

والطائف هو الوسوسة أو مبدؤها، وهو إذا مس المؤمنين تذكروا فإذا هم مبصرون، فلا يقعون في فخ طاعته، قال محمد رشيد رضا: «والنفس الزكية الفطرة، المستقيمة لله تعالى بهداية الكتاب والسنة لا يكاد الشيطان يصلها، وإذا طاف بها طائف من وسوسته في حال الغفلة كان هو المذكر لها، فإذا هي مبصرة قائمة بما يجب عليها، فمثلها في عدم تأثير الوسوسة فيها أو عدم إفسادها لها كمثل البدن القوي في عدم استعداده لفتك جراثيم الأمراض به، كما أن النفس الفاسدة الفطرة بالشرك أو النفاق والمعاصي وسوء الأخلاق تكون مستعدة لطاعة الشيطان، كاستعداد البدن الضعيف والمزاج الفاسد لتأثير ميكروبات الأمراض،

---

(١) سورة الحجر الآيات من ٣٩ ـــ ٤٢.
(٢) سورة الاسراء الآية ٦٥.
(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠١.
(٤) سورة الأعراف الآية ٢٠٠.

ومن الأرواح والأبدان ماليس في منتهى القوة ولا غاية الضعف، فكل منها يتأثر بقدر استعداده، وتكون عاقبة السلامة إن كان أقرب إلى الصحة والقوة، والهلاك إن كان بضد ذلك»[1].

فكلما قوي الإيمان كلما ازداد الشيطان بعداً، كما قال الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**إيها يابن الخطاب: والذي نفسي بيده مالقيك الشيطان سالكاً فجّاً قط إلا سلك فجا غير فجك**»[2]. وقال أيضا: «**إن الشيطان ليفْرُقُ منك ياعمر**»[3] وقال: «**إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس فروا من عمر**»[4].

وليس ذلك خاصاً بعمر، فإن من قوي إيمانه يقهر شيطانه ويذله كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إن المؤمن ليُنْضي شياطينه كما يُنْضي أحدكم بعيره في السفر**»[5].

---

(١) تفسير المنار ٥١٤/٧.

(٢) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب فضائل الصحابة. باب مناقب عمر بن الخطاب ٤١/٧. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب فضائل الصحابة. باب من فضائل عمر ١٨٦٤/٤: وايها: رويت بالتنوين وبغير التنوين ومعناها: كف عن لوم النسوة (اللواتي كن عند رسول الله ﷺ وهن يرفعن أصواتهن عليه) وفيه دلالة على توقير ابن الخطاب وتعظيم جانبه. انظر فتح الباري ٤٧/٧. وأخرجه أحمد في مسنده ١٧١/١.

(٣) من حديث أخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ٣٥٣/٥، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد نحوه من حديث طويل ٧٨/٩ وقال: رواه الطبراني من طرق وفي بعضها عاصم بن أبي النجود وهو حسن الحديث، وبقية رجالهما رجال الصحيح.

(٤) من حديث أخرجه الترمذي في سننه عن عائشة رضي الله عنها. كتاب المناقب باب: إن الشيطان ليخاف منك ياعمر ٢٨٥/٩ وقال عنه: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة ٣٨٠/٢. قال الهيثمي في مجمع الزوائد =

ثم إن بعض الذنوب التي يقع بها بعض المؤمنين لا تعتبر من قبيل تسلط الشيطان عليهم، لأنهم لا يستمرون على ذلك كما ذكرت الآيات القرآنية السالفة، قال الشوكاني في قوله تعالى: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتَّبعك من الغاوين**﴾[١] المراد: أنه لا تسلط له عليهم بإيقاعهم في ذنب يهلكون به ولا يتوبون منه، فلا ينافي هذا ماوقع من آدم وحواء ونحوهما، فإنه ذنب مغفور لوقوع التوبة عنه، وقد استثنى سبحانه من عباده هؤلاء المتبعون لإبليس من الغاوين، الذي استسلموا لغواية الشيطان وإضلاله، وهو موافق لما قاله إبليس اللعين من قوله: ﴿**لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخْلَصين**﴾[٢]. وقال القرطبي في الآية المتقدمة ﴿**إن عبادي..**﴾: قال العلماء: يعني على قلوبهم، وقال ابن عيينة: أي في أن يلقيهم في ذنب يمنعهم عفوي ويضيقه عليهم، وهؤلاء الذين هداهم الله واجتباهم واختارهم واصطفاهم. قلت: ولعل قائلاً يقول: قد أخبر الله عن صفة آدم وحواء عليها السلام بقوله: ﴿**فأزلهما الشيطان**﴾[٣] وعن جملة من أصحاب نبيه بقوله: ﴿**إنما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا**﴾[٤]؟ فالجواب ماذكر، وهو أنه ليس له سلطان على قلوبهم ولا موضع ايمانهم، ولايلقيهم في ذنب يؤول إلى عدم القبول، بل تزيله التوبة وتمحوه الأوبة.

= ١١٦/١: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة. ومعنى «ينضي» يقهر ويغلب، وأنضى بعيره: أهزله وجعله نضوا. والنضو: الدابة التي أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها. انظر النهاية في غريب الحديث ٧٢/٥. وذكره ابن كثير «لينصي» بالصاد، ومعناه: أنه يأخذ بناصيته ــ وهي مقدم الرأس ــ فيغلبه ويقهره كما يفعل بالبعير إذا شرد، ثم يغلبه. انظر البداية والنهاية ٧٣/١.

(١) سورة الحجر الآية ٤٢.

(٢) سورة الحجر الآية ٣٩، ٤٠ تفسير فتح القدير ١٣١/٣ ــ ١٣٢ بتصرف.

(٣) سورة البقرة الآية ٣٦.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٥.

ثم إن قوله سبحانه: ﴿**ليس لك عليهم سلطان**﴾ يحتمل أن يكون خاصاً فيمن حفظه الله، ويحتمل أن يكون في أكثر الأوقات والأحوال، وقد يكون في تسلطه تفريج كربة وإزالة غمة، كما فعل ببلال[1]، إذ أتاه يهدِّيه كما يهدِّي الصبي حتى نام، ونام النبي ﷺ وأصحابه، فلم يستيقظوا حتى طلعت الشمس وفزعوا وقالوا: ما كفارة ماصنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟ فقال لهم النبي ﷺ: «**ليس في النوم تفريط، ففُرِّج عنهم**»[2].

﴿**إلا من اتبعك من الغاوين**﴾ أي الضالين المشركين، أي سلطانه على هؤلاء دليله: ﴿**إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون**﴾[3].

ومما تقدم يظهر لنا أن الذنوب التي تحصل من المؤمنين لا تحدث بسبب أن للشيطان سلطاناً عليهم، لأنها ذنوب يتبعها التوبة والاستغفار، فيعودون أقوى مما كانوا عليه من الإيمان، وسلطان الشيطان على الكافرين إنما يكون بسبب استمرارهم على فعل المعاصي، حيث قد جعلوا للشيطان سبيلاً إلى قلوبهم، فلا يقلعون من معصية إلا عادوا لها أو أشد قال تعالى: ﴿**ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزاً**﴾[4] وقال: ﴿**استحوذ عليهم الشيطان فأنسٰهم ذكر الله أولٓئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**﴾[5] وقال: ﴿**ومن يَعْشُ عن ذكر**

(١) يريد القرطبي : أن نوم المسلمين عن صلاة الفجر الذي حصل بنوع تسلط من الشيطان على بلال كان سببا في تشريع حكم قضاء الصلاة لمن حدث له مثل ذلك ورفع الحرج عنه، وهذا يقصد منه بيان حكمة الله في أقداره لا تبرير تسلط الشيطان على الانسان. والله أعلم.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه. كتاب الصلاة. باب: من نام عن صلاة ١/٣٠٥ وأخرجه مالك في الموطأ ١/١٥ وقال: هذا مرسل باتفاق الرواة.

(٣) سورة النحل الآية ١٠٠ تفسير القرطبي ١٠/٢٨، ٢٩.

(٤) سورة مريم الآية ٨٣.

(٥) سورة المجادلة الآية ١٩.

الرحمٰن نقيِّض له شيطاناً فهو له قرين﴾[1] وقال: **﴿وقيَّضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾**[2] وغير ذلك من الآيات.

فهذه الآيات قد دلت على أن الشياطين إنما تتسلط على الكافرين بسبب متابعتهم لها فيما تزين لهم من المعاصي، لأنهم لم يلجأوا إلى الله في دفعها عنهم، فخلى الله بينهم وبينها، فأزعجتهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، وأغرتهم اغراء بالشر، فلا يفترون قائلين لهم: امضوا في هذه المعاصي، حتى توقعهم في النار، فهؤلاء هم القرناء من الشياطين الذين تحدثت عنهم الآيات القرآنية كقوله تعالى: **﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم﴾**[3].

قال الطبري: «أي بعثنا لهم نظراء من الشياطين فجعلناهم قرناء قرناهم بهم يزينون لهم قبائح أعمالهم، فزينوا لهم ذلك»[4]، وهؤلاء القرناء يصاحبون أصحاب المعاصي في الدنيا فيمنعونهم من فعل الطاعات، ويحضونهم على فعل المعاصي، ثم يصاحبونهم عندما يقومون من قبورهم في الآخرة، كما ذكر الإمام القرطبي[5].

فهؤلاء الكفرة هم الذين استحوذ عليهم الشيطان فغلبهم وقوي عليهم وأحاط بهم، فلا يستطيعون التفلت منه بعد أن سلموا أنفسهم له يتصرف بها كيفما يريد، فلا عذر لهم في متابعتهم له، لأنه ليس له عليهم أي سلطان يجبرهم على طاعته، إنما الخور في نفوسهم هو الذي جعلهم يقعون في شراك وسوسته، كما حصل مع الذي انسلخ من آيات الله في قوله تعالى: **﴿واتل عليهم نبأ الذي أُتيناه**

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣٦.

(٢) سورة فصلت الآية ٢٥.

(٣) سورة فصلت الآية ٢٥.

(٤) تفسير الطبري ١١١/٢٤.

(٥) انظر تفسير القرطبي ٨٩/١٦ — ٩٠.

أياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكانَ من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتَّبع هوٰه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾[1].

وقد ذكر بعض المفسرين أنه بلعم بن باعوراء رجل من بني إسرائيل كان قد أوتي النبوة، وكان مستجاب الدعوة، فلا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، وذكر بعضهم أنه أمية بن أبي الصلت، كان قد قرأ كتب أهل الكتاب التي تبشر بمجيء الرسول عليه السلام، فكفر به عندما بعث، وغير ذلك من الأقوال في شأن هذا الرجل[2]. قال الإمام الطبري: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله ــ تعالى ذكره ــ أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان آتاه حججه وأدلته وهي الآيات... وجائز أن يكون الذي أتاه الله ذلك بلعم، وجائز أن يكون أمية»[3].

لكن هذا الرجل خرج من الآيات التي آتاه الله أياها فلم يعد له صلة بها (فأتبعه الشيطان) أي: صيره تابعاً وقريناً له ينتهي أمره في معصية الله، ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمٰن، فأصبح من المتمكنين في الغواية وهم الكفار، ولو شاء الله لرفعه بهذه الآيات التي أعطيها منزلة عظيمة، ولكن الله لم يشأ ذلك لأنه مال إلى الدنيا ورغب فيها وآثرها على الآخرة، واتبع مايهواه وترك العمل بما يقتضيه العلم الذي علمه الله، فأصبح كالكلب يلهث في كل أحواله: في الصحة والمرض، والراحة والتعب، فهذا الرجل لا يرعوي عن المعصية في جميع أحواله سواء وعظه الواعظ وذكره المذكر وزجره الزاجر، أو لم يقع شيء من ذلك، فهو مستديم على فعل المعصية بتركه لآيات الله واتباعه للشيطان[4].

(١) سورة الأعراف الآيات ١٧٥ ــ ١٧٦.
(٢) انظر تفسير الطبري ٢٥٣/١٣ ــ ٢٥٩.
(٣) تفسير الطبري ٢٥٩/١٣ دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨م.
(٤) انظر تفسير الطبري ٢٥٩/١٣ ــ ٢٧٣ دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨م.

فهذا المثل ضربه الله لكل من يتلو القرآن أن يعتبر بهذا الرجل الذي انسلخ من آيات الله، فصار أمره إلى ماصار من اتباع الشيطان له، فإن كل من يعرض عن آيات الله يؤول مصيره إلى مثل ماصار إليه ذلك الرجل، وفي ذلك دلالة على تخلي الله عن المكذبين بآياته وتركهم فريسة للشيطان يوجههم كيف شاء كما في قوله تعالى: ﴿**كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين**﴾[1].

فالذين يعرضون عن الله تستهويهم الشياطين، فيسارعون إليها في معصيتهم لله، فيصبحون حيارى تائهين في الأرض[2]، وهي صورة بليغة رسمها القرآن لكل معرض عن هدى الله سبحانه وتعالى.

وهكذا يتبين لنا أنه لا سلطان للشيطان على الناس «وإنما استجاب له بعضهم بمجرد دعوته إياهم، جرياً وراء أهوائهم وأغراضهم وشهواتهم، فهم الذين أعانوا على أنفسهم ومكنوا عدوهم من سلطانه عليهم بموافقته ومتابعته، فلما أعطوا مابأيديهم واستأسروا له، سلط عليهم عقوبة لهم، وبهذا يظهر معنى قوله سبحانه: ﴿**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**﴾[3]، فالآية على عمومها وظاهرها، وإنما المؤمنون يصدر منهم من المعصية والمخالفة التي تضاد الإيمان ما يصير به للكافرين عليهم سبيل بحسب تلك المخالفة، فهم الذين تسببوا إلى جعل السبيل عليهم، كما تسببوا إليه يوم أحد بمعصية الرسول ومخالفته، والله سبحانه لم يجعل للشيطان على العبد سبيلاً حتى جعل له العبد سبيلاً إليه بطاعته والشرك به، فيحنئذ له عليهم تسليط وقهر، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا

= وانظر أيضا تفسير فتح القدير ٢/٢٦٥.

(١) سورة الأنعام الآية ٧١.

(٢) انظر تفسير الشوكاني ٢/١٣٠.

(٣) سورة النساء الآية ١٤١.

نفسه، فالتوحيد والتوكل والإخلاص يمنع سلطانه، والشرك وفروعه توجب سلطانه، والجميع بقضاء من الله، ومردها إليه»[1].

الأنبياء وعصمتهم من الشياطين :

وإذا لم يكن للشيطان سلطان على المؤمنين لأخذهم بالأسباب التي تدفع كيده ووسوته فمن باب أولى أن لا يكون له تسلط علَى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنهم أكمل الناس إيمانا، وأبعدهم عن طاعة الشيطان، وهم الذين عصمهم الله من ذلك، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**ما منكم من أحد إلا وقد وكِّل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير**»[2].

فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن مع كل إنسان قريناً من الملائكة وقرينا من الجن، فالقرين من الملائكة يأمر بالخير، والقرين من الجن يأمر بالشر ولكن قرين الرسول عليه السلام من الجن أسلم إسلاماً حقيقياً كما عليه أكثر العلماء، فلا يأمره إلا بخير، وبقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من فتنة الشيطان وتسلطه، لأن تسليط الشيطان عليهم يناقض ما تقتضيه النبوة من كونهم قدوة للعالمين وأئمة للمهتدين.

وأما ماورد خطاباً لنبينا عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿**وإما يُنسينَّك الشيطان فلا تقعدْ بعد الذكرى مع القوم الظالمين**﴾[3]، فإن هذا النسيان الذي

---

(١) مختصر إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان ص ٩٧ ــ ٩٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ٢١٦٧/٤ ــ ٢١٦٨. وأخرجه أحمد في مسنده ٣٨٥/١. والدارمي في سننه. كتاب الرقاق. باب: ما منكم أحد إلا ومعه قرينه من الجن ٢١٥/٢.

(٣) سورة الانعام الآية ٦٧.

حصل بسبب إنساء الشيطان له لا يعتبر من قبيل التسلط على الناسي واستحواذه عليه بالإغواء والاضلال الذي نفاه الله عن أنبيائه وعن عباده المخلصين..، وقد ينسى الإنسان خيراً باشتغال فكره بخير آخر(١).

وقد قيل: «إن هذا الخطاب وإن كان ظاهرة للنبي ﷺ فالمراد التعريض لأمته، لتنزهه عن أن ينسيه الشيطان. وقيل: لا وجه لهذا، فالنسيان جائز عليه كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة، قال عليه الصلاة والسلام: «**انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكّروني**»(٢).

وهذا النسيان كما تقدم ليس مما يكون به للشيطان سلطان.

وكذلك ماورد من إنساء الشيطان للنبي يوسف عليه السلام وهو في السجن في قوله تعالى: ﴿**فأنسٰه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين**﴾(٣) فأنساه الشيطان ذكر ربه، إذ أمر الناجي من صاحبيه في السجن بذكره عند الملك ابتغاء الفرج من عنده على أحد القولين، فكان نتيجة ذلك أن لبث في السجن بضع سنين، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قوله عن يوسف: «**ولولا الكلمة لما لبث في السجن طول مالبث، حيث يبتغي الفرج من عند غير الله عز وجل**»(٤).

فنسيان يوسف عليه السلام ذكر ربه في السجن ليس من جنس تسلط

(١) انظر تفسير المنار ٧/٥٠٨.
(٢) تفسير فتح القدير ٢/١٢٩. من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة. باب التوجه نحو القبلة ١/٥٠٣. وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١/٤٠٠. وأبو داود في سننه ــ كتاب الصلاة. باب: إذا صلى خمسا ١/٦٢٠ وأخرجه أحمد والنسائي وابن ماجة أيضا.
(٣) سورة يوسف الآية ٤٢.
(٤) قال علاء الدين الهندي في كنز العمال ١١/٥١٤: أخرجه الطبراني وابن مردوية عن ابن عباس. وأورده الطبري في تفسيره ١٢/٢٢٣.

الشيطان على أنبيائه، لأنهم معصومون من ذلك، وما يقع منهم من نسيان لا يستمرون عليه، بل يتذكرون ويستغفرون كما في قوله تعالى: ﴿**وظن داود أنما فتنَّاه فاستغفر ربه وخرَّ راكعاً وأناب**﴾[٤]، وفي قوله تعالى: ﴿**ولقد فتنا سليمٰن وألقينا على كرسيه سجداً ثم أناب**﴾[٥].

«وأما وقوع النسيان من الأنبياء عليهم السلام بغير وسوسة من الشيطان فلا وجه للخلاف في جوازه، قال تعالى لخاتم رسله: ﴿**واذكر ربك إذا نسيت**﴾[١].

وأما قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو هريرة: «**مامن مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها**»، ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿**وإني أعيذها بك وذريَّتها من الشيطان الرجيم**﴾[٢] فإنه لا يفيد تسلط الشيطان على الإنسان وإغواؤه له، قال ابن حجر العسقلاني: «والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه، ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء، بل ظاهر الخبر أن إبليس ممكَّن من مس كل مولود عند ولادته، ولكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلاً، واستثنى من المخلصين مريم وابنها، فإنه ذهب يمس على عادته فحيل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص، ولا يلزم منه تسلط على غيرهما من المخلصين»[٣]، ولو قدر الشيطان على المولود بأكثر من المس عند الولادة إلى الإفساد والغواية معه لفعل ذلك، ولكنه يعلم أن المولود لا يعرف الخيرَ والشر أصلاً، فاكتفى بمسه عند الولادة.

(١) سورة(صٓ)الآية ٢٤.
(٢) سورة(ص)الآية ٣٤.
(٣) سورة الكهف الآية ٢٤. تفسير المنار ٥٠٩/٧.
(٤) سورة آل عمران الآية ٣٦. أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير، باب: (واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ٢١٢/٨. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الفضائل. باب: فضائل عيسى عليه السلام ١٨٣٨/٤. وأحمد في مسنده ٢٣٣/٢٢. وقد تقدم.
(٥) فتح الباري ٢١٢/٨.

وقال القرطبي: « ولا يلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال الممسوس وإغواءه، فإن ذلك ظن فاسد، فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الإفساد والإغواء ومع ذلك عصمهم الله مما يرومه الشيطان كما قال تعالى: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**﴾[1] هذا مع أن كل واحد من بني آدم قد وكل به قرينه من الشياطين، كما قال رسول الله ﷺ[2]، فمريم وابنها وان عصما من نخسه فلم يعصما من ملازمته لهما ومقارنته والله أعلم[3].

وبناء على ما تقدم يظهر لنا أن عمل الشيطان إنما ينحصر بالوسوسة والدعوة إلى الضلال، فالأنبياء والمؤمنون قد أخذوا بالأسباب التي ترد وسوسته كما قال تعالى: ﴿**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**﴾[4]، فإذا هم منتبهون حذرون من وسوسته ﴿**وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون**﴾[5].

وأما إخوان الشياطين وهم الفجار من ضلال الإنس، فإن الشياطين تمدهم في الغي وتكون مددا لهم، وهي لا تقصر في مد الكفرة بهذا الغي والضلال، «وفي التعبير بـ(إخوانهم) في الآية ما يشير إلى أن هؤلاء الكفرة والعصاة بمتابعتهم للشياطين فيما تزين لهم من المعاصي قد أصبحوا إخواناً لها»[6] فنسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) سورة الحجر الآية ٤٢.
(٢) تقدم الحديث قبل قليل وقد جاء فيه «قرينه من الجن» وليس قرينه من الشياطين.
(٣) تفسير القرطبي ٦٨/٤.
(٤) سورة الأعراف الآية ٢٠١.
(٥) سورة الأعراف الآية ٢٠٢.
(٦) فتح الباري ٢١٢/٨.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع
تسخير الجن للنبي سليمان عليه السلام

وإذا كان الجن لا يألون جهداً في إضلال الإنس واغوائهم مختفين وظاهرين بالوسوسة وغيرها، وقد أوتوا قدرات تفوق قدرة الإنس في سرعة التنقل والاطلاع على بعض الأمور التي لا يشاهدها الإنسان، ومع ذلك فقد يسخَّرون لبعض الإنس فيقهرونهم ويستعملونهم في الأعمال المختلفة، كما حصل لرسول الله ﷺ عندما جاءه الشيطان ليقطع عليه الصلاة، فأخذه فخنقه، حتى هم أن يربطه إلى أحد سواري المسجد ليلعب به ولدان المدينة، ولكن الذي حال دون ذلك دعوة أخيه سليمان عليه السلام في قوله تعالى عنه: ﴿**قال رب اغفرلي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب**﴾(١).

وكما روي أن عمار بن ياسر قاتل الشيطان وصرعه عندما لقيه في صورة الإنس، فعن الحسن قال: كان عمار يقول: قاتلت مع رسول الله ﷺ الجن والإنس، أرسلني إلى بئر بدر فلقيت الشيطان في صورة الإنس، فصارعني فصرعته، فجعلت أدقه بِفِهْر(٢) معي ـ أو حجر معي ـ، فقال رسول الله ﷺ: «**عمار لقي الشيطان عند البئر فقاتله، فما عدا أن رجعت فأخبرته، فقال: ذاك شيطان**»(٣).

والجن في واقع الأمر أشد خوفاً من الإنس من خوف الإنس منهم، لكن هذا

---

(١) سورة (ص) الآية ٣٥.

(٢) الفهر : الحجر ملء الكف.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٣/٩: رواه الطبراني عن شيخه يعقوب بن اسحاق المحرمي، ولم أعرفه، والحكم بن عطية مختلف فيه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

الخوف من الإنس إنما يكون من المؤمنين الذين ليس للجن سبيل عليهم، وأما الكفار فإن الجن والشياطين تتلاعب بهم، وتسخرهم في معصية الله.

والجن الذين يطيعون الإنس وتستخدمهم الإنس ثلاثة أصناف:

(١) أعلاها: أن يأمروهم بما أمر الله به ورسله، فيأمرونهم بعبادة الله وحده وطاعة رسله، فإن الله أوجب على الجن طاعة الرسل كما أوجب ذلك على الإنس، فأولياء الله المتبعون للرسول ﷺ انما يستخدمون الجن كما يستخدمون الإنس في عبادة الله وطاعته، كما كان محمد ﷺ يستعمل الإنس لا في غرض له غير ذلك[١].

(٢) ومن الناس من يستخدم الجن في أمور مباحة، لكن هؤلاء لا يخدمهم الجن إلا بعوض كما في الإنس، مثل أن يخدموهم أو يعينوهم على بعض مقاصدهم، وإلا فليس أحد من الإنس أو الجن يفعل شيئاً إلا لغرض، فهم إن فعلوا ذلك إما أن يبتغوا الأجر من الله على هذه الخدمة، وإما أن يطلبوها من المخدوم، كطلبهم منه أن يدعو الله لهم[٢].

وهذا التسخير والاستخدام إنما يكون بإذن الله ولمن شاء سبحانه، إذا بلغ الشخص مايرشحه لذلك من: صفاء النفس وقوة الروح وإيثار محبة الله على محبة ماسواه، كما كان سليمان عليه السلام يسخرهم، وإلا فليس للإنس سلطة على الجن بأن يسخرهم هذا التسخير، وخدمة الجن لبعض المؤمنين إنما تكون إعانة من الله لهم على أمور حياتهم، جزاء طاعتهم لله.

(٣) وهناك فريق من الناس من يستخدم الجن في أمور محظورة، أو بأسباب

---

(١) النبوات ص ٢٧٨ باختصار.

(٢) نفس المصدر ص ٢٧٨ بتصرف.

محظورة مثل قتل نفس وإمراضها بغير حق، ومثل منع شخص من الوطء، ومثل تبغيض شخص إلى شخص، ومثل جلب من يهواه الشخص اليه، وهو منتشر في أيامنا هذه، وهو من السحر الذي حرمه الله.

وهذا النوع إنما يحصل للكفار والعصاة، فمن استعان بالجن على الكفر فهو كافر، ومن استعان بهم على المعصية فهو عاص، ومن استعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات ـــ كأن يستعين بهم على الحج، أو أن يحملوه إلى جبل عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، أو أن يحملوه من مدينة إلى مدينة، كما نسمع عن بعض من يدَّعون الكرامات وهم عصاة لله، فهؤلاء مغرورون، وقد مكرت الجن بهم ولبَّست عليهم وسخرت منهم، وسخرتهم فيما تشتهي من أنواع الشرك والمعاصي التي نهى الله عنها، كما كان شائعاً ذلك في الجاهلية قبل الإسلام.

فهؤلاء الذين يستخدمون الجن بهذه الأمور لا تقوم الجن بخدمتهم إلا مقابل عوض من قبل الإنس، فإنه لا يستطيع أحد أن يسخر الجن مطلقاً لطاعة، ولا يستخدم أحداً منهم إلا بمعاوضة، كقيام الإنسي بعمل مذموم، أو قوله لكلام تخضع له الشياطين كالأقسام والعزائم الشركية، فإذا فعل الإنسي ذلك خدمته كفرة الجن مقابل ذلك، لأن هدفهم إضلال الإنسان وإفساده بشتى الوسائل والطرق[1].

وليس أحد من الناس تطيعه الجن طاعة مطلقة كما كانت تطيع سليمان عليه السلام بتسخير من الله وأمر منه من غير معاوضة، فهو التسخير الشرعي من قبل الله، الذي يترتب على مخالفة أمره العقاب الشديد مقابل الثواب على طاعته، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿**ولسليمٰن الريح غدُوها شهر وَرَواحها شهر وأسَلْنا له عين**

(١) انظر كتاب الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ص ٩١ ـــ ٩٢.
وكتاب النبوات ص ٢٧٨ ـــ ٢٨٣.

القِطْر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير. يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور. فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الأرض تأكل مِنْسأته فلما خرَّ تَبيَّنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين﴾[1].

وقال تعالى: **﴿وحُشِرَ لسليمٰن جنوده من الجن والإنس والطير فهم يُوزَعون﴾**[2].

وقال: **﴿ولسليمٰن الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين. ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين﴾**[3].

وقال: **﴿ولقد فتنَّا سليمٰن وألقينا على كرسِّيه جسدا ثم أناب * قال رب اغفرلي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب * فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب * والشياطينَ كلَّ بنَّاءٍ وغوَّاص * وآخرين مقرَّنين في الأصفاد * هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾**[4].

لقد تسلم سليمان الملك بعد أبيه داود عليهما السلام، وآتاه الله من شؤون الملك مالم يكن ولا يكون لغيره كما هو بيِّن في هذه الآيات، فقد سخر الله له الريح تأتمر بأمره وتنقله إلى حيث شاء على جناح السرعة (غدوها شهر ورواحها شهر)، وسخر له الطير فكان يفهم لغتها ويستعملها في مراسلاته، ومن جملتهم الهدهد الذي طلبه سليمان يوماً فافتقده ولم يجده، فتوعده بالعذاب على غيابه،

(١) سورة سبأ الآيات من ١٢ ــ ١٤.
(٢) سورة النمل الآية ١٧.
(٣) سورة الأنبياء الآيات ٨١ ــ ٨٢.
(٤) سورة(صٓ) الآيات من ٣٤ ــ ٣٩.

وقد كانت غيبته أنه ذهب إلى اليمن فاستطلع أخبار مملكة بلقيس، فأخبر سليمان عليه السلام بذلك، فكان هذا عذرا من الهدهد أنجاه من العذاب[1].

وقد أخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كان سليمان بن داود يوضع له ستمائة كرسي، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه، ثم يجيء أشراف الجن فيجلسون ممايلي أشراف الإنس، ثم يدعو الطير فتظلهم، ثم يدعو الريح فتحملهم، قال: فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر**»[2].

وأسال الله له عيناً من النحاس تخرج من الأرض، فيستعمله في الصناعات المختلفة ويشكله كيف شاء، وذلك قوله تعالى: ﴿**وأسلنا له عين القِطْر**﴾.

ومن الملك الذي آتاه الله لسليمان: تسخير الجن له تسخيراً لا نظير له، قال تعالى: ﴿**ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه**﴾[3]، فقد سخرهم الله له يطيعونه ويأتمرون بأمره وينتهون لنهيه «فيعملون بين يديه ما يأمرهم به»[4].

قال الفخر الرازي في قوله تعالى: ﴿**وحشر لسليمٰن جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزَعون**﴾[5].

«فالحشر هو الإحضار والجمع من الأماكن المختلفة، والمعنى: أن الله جعل كل هذه الأصناف جنوده، ولا يكون كذلك إلا بأن يتصرف على مراده»[6].

---

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ٢٨٩/٢ ــ ٢٩٠.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٨٩/٢ وقال عنه الذهبي : صحيح.
(٣) سورة سبأ الآية ١٢.
(٤) تفسير الطبري ٦٩/٢٢ بتصرف.
(٥) سورة النمل الآية ١٧.
(٦) التفسير الكبير ١٨٧/٢٤.

وذكر ابن كثير أنه كان يركب في هذه الأصناف من الجن والإنس والطير في أبهة وعظمة كبيرة، وقد كان الإنس هم الذين يلونه، والجن من بعدهم في المنزلة، والطير ومنزلتها فوق رأسه، فإن كان حر أظلته بأجنحتها، وقد كان يكف هذه الأصناف أولها على آخرها، لئلا يتقدم على منزلته أحد، وقد ذكر مجاهد أنه جعل كل صنف حيث وزعه، لئلا يتقدم عليه أحد في المسير، كما يفعل الملوك اليوم»(١).

ولا يخفى أن هذا التعليل في وصف مجلس سليمان وكيفية مسيره مما لم يدل عليه القرآن، بل هو مما تلقي عن بني إسرائيل، فلا يصح الجزم به، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**تحدَّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»(٢) وقال: «**إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»(٣).

وقد كان حضور الجن بين يدي سليمان رحمة من الله لا يترتب عليه مفسدة، لأنه حضور بإذن الله سبحانه، وهذا التسخير من الله أيضاً كان تكليفاً للجن لأنه بأمر منه سبحانه، يترتب على مخالفته العذاب الشديد(٤)، وذلك قوله: ﴿**ومن**

(١) مختصر ابن كثير ٦٦٨/٢ بتصرف.
(٢) من حديث أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة وجاء فيه «..قال: لنا يارسول الله أن نحدِّث عن بنى إسرائيل؟ قال: نعم، تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فإنكم لاتُحدِّثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه ١٣/٣. وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد نحوه عن جابر ولفظه: قال: قال رسول الله ﷺ: «حدِّثوا عن بني إسرائيل فإنه كان فيهم العجائب» قال الهيثمي: رواه البزار عن شيخه جعفر بن محمد ابن أبي وكيع عن أبيه، ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ١٩١/١.
(٣) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو. كتاب أحاديث الأنبياء. باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ٤٩٦/٦. وأخرجه الترمذي في سننه. كتاب العلم. باب: ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل ٣١٤/٧.
(٤) انظر التفسير الكبير ٢٤٨/٢٥.

يزع منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾[(١)]، قال الطبري: «ومن يزل ويعدل من الجن عن أمرنا من طاعة سليمان ﴿**نذقه من عذاب السعير**﴾ في الآخرة، وذلك عذاب جهنم الموقدة»[(٢)]، فهو أمر الله الشرعي الذي يستوجب مخالفته العقوبة في الآخرة، وليس بالأمر القدري الكوني.

وقد ذكر الفخر الرازي أقوالاً في سبب طاعة الجن له:

الأول : أنه تعالى وكّل بهم جمعاً من الملائكة بأيديهم مقارع من نار، أو جمعاً من مؤمني الجن.

الثاني : أن الله سخرهم له بأن حبب إليهم طاعته وخوفهم من مخالفته.

الثالث : قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**وكنا لهم حافظين**﴾[(٣)]: يريد وسلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشاء[(٤)].

وقد ذكر الفخر الرازي أيضاً أن التسخير إنما كان للكافرين منهم دون المؤمنين، وأيد ذلك بوجهين:

الأول : إطلاق لفظ الشياطين على المسخَّرين، وذلك في قوله تعالى: ﴿**ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك**﴾[(٥)].

الثاني : قوله: ﴿**وكنا لهم حافظين**﴾، فإن المؤمن اذا سخر في أمر لا يجب أن

---

(١) سورة سبأ الآية ١٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/٦٩.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٨٢.

(٤) التفسير الكبير ٢٢/٢٠٢ وانظر جزء ٢٥/٢٤٨.

(٥) سورة الأنبياء الآية ٨٢.

يحفظ لئلا يزيغ عن أمر الله في طاعة سليمان، وإنما يجب ذلك في الكافر[1].

أما ماذكره الفخر الرازي في المسألة فالحق أن السبب الذي دلت عليه الآيات السابقة أن طاعة الجن لسليمان إنما هي تكليف لهم بذلك، وما جعل الله لسليمان من القدرة على قسرهم لقوله: ﴿**وأخرين مقرنين في الأصفاد**﴾[2].

وأما ماذكره في المسألة الثانية من أن التسخير كان للكافرين من الجن خاصة دون المؤمنين ففيه نظر، وماذكر من الوجهين لا ينهضان دليلاً عليه، فتسخير الشياطين لا يمنع من تسخير غيرهم من الجن، وحفظ الله لا يختص بالعاصين والمتمردين من الإنس والجن: ﴿**إن كل نفس لمَّا عليها حافظ**﴾[3]، والحفظ حفظان: حفظ إحصاء ومراقبة، وحفظ تأييد ووقاية وعناية.

وإذا كان الجن مكلفين بطاعة سليمان والقيام له بالأعمال المختلفة فان المؤمن التقي منهم يؤدي ماكلف به اختياراً، والكافر والفاسق يؤديه قسرا كما قال تعالى: ﴿**والشياطين كل بنَّاءٍ وغوَّاص وآخرين مقرَّنين في الأصفاد**﴾[4].

وظاهر قوله تعالى: ﴿**ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه**﴾[5] يدل على أن قسماً من الجن سخروا له وليس جميعهم.

وإذا كان الجن قد سخروا لسليمان عليه السلام، **فما هي الأعمال التي كان يسخرهم للقيام بها؟**

---

(١) التفسير الكبير ٢٠٢/٢٢.
(٢) سورة (صٓ) الآية ٣٨.
(٣) سورة الطارق الآية ٤.
(٤) سورة (ص) الآيات ٣٧، ٣٨.
(٥) سورة سبأ الآية ١٢.

قال تعالى في ذلك: **﴿يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾**(١).

فأخذ الجن يعملون له المحاريب، وهي الأماكن الحسنة وصدور المجالس، وقال الضحاك: هي المساجد، وذكر مجاهد أنها بنايات دون القصور، وقال أبو عبيدة: هي أشرف بيوت الدار، وغير ذلك من الأقوال(٢).

ولاشك أنها بنايات حسنة عظيمة، سواء أكانت مساجد أو بنايات للسكن أوغيرها.

وكانوا يقومون بصناعة التماثيل، قال القرطبي: «تماثيل: جمع تمثال، وهو كل ماصور على مثل صورة من حيوان أو غير حيوان. وقيل: كانت من زجاج ونحاس ورخام، تماثيل أشياء ليست بحيوان»(٣)، وقال ابن كثير: «وهي الصور في الجدران، وكان هذا سائغاً في شريعتهم وملتهم»(٤).

ولاشك أن هذه التماثيل التي كانت تقوم الجن بعملها لها شأن، لما هي عليه من الضخامة والابداع، ولهذا نوَّه الله بذكرها.

وإذا كان التمثال إسماً للصورة سواء كانت لحيوان أو غير حيوان، فإنه لايمكن الجزم بأن تماثيل سليمان كانت لحيوانات، وإن قدر أنها كانت تماثيل حيوانات، أو منها ماهو كذلك، فهو مما كان سائغاً في شريعتهم كما قال ابن كثير.

قال عبد الوهاب النجار: «وقد ذكرت كتب العهد القديم العمائر التي قامت

---

(١) سورة سبأ الآية ١٣.
(٢) انظر تفسير القرطبي ٢٧١/١٤.
(٣) نفس المصدر ٢٧٢/١٤.
(٤) قصص الأنبياء لابن كثير ٣٠٥/٢.

الجن في عهد سليمان عليه السلام بعملها، ومن بينها سور القدس القديم وتدمر في بلاد الشام وغير ذلك.

ومن نظر إلى هذه الأعمال وفخامتها وضخامة أحجارها لم يستبعد أن يكون للجن عمل عظيم في ذلك وبخاصة تدمر، وبعض آثارها الضخمة ماثل إلى اليوم، وقد ذكر النابغة الذبياني تسخير الجن لسليمان في شعره الذي يعتذر به إلى النعمان إذ يقول:

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه .·. ولا أحاشي من الأقوام من أحد[1]
إلا سليمان اذ قال الإله له .·. قم في البرية فاحددها عن الفَنَد[2]
وخيِّسِ الجنَّ أني قد أذنت لهم .·. يبنون تدمر بالصُّفَّاح والعَمَد[3]

هذا والكتابات التي على مباني تدمر ـــ ماثلة اليوم ـــ تدل على أنها هياكل لعبادة الكواكب، والكتابة رومانية، غير أنه لا مانع من أن تكون المدينة بنيت في عهد سليمان، فلما جاء الرومان حولوا بعض مبانيها إلى هياكل وكتبوا عليها ماكتبوا[4].

وقد جاء في كلام الجاحظ ما يتضمن إنكاره على أهل تدمر نسبتهم بناء المدينة إلى غير الجن فقال: «وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل زمن سليمان عليه السلام بأكثر مما بيننا اليوم[5] وبين سليمان بن داود عليهما السلام، قالوا:

---

(١) أحاشي : أستثني.
(٢) أحددها : احبسها: الفند : الخطأ في الرأي والقول.
(٣) خيِّس : ذلل. تدمر: بلد بالشام. الصفاح: حجارة عراض رقاق.
والعمد : السواري من الرخام. انظر ديوان النابغة الذبياني ص ٣٣.
(٤) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣٣٢ ـــ ٣٣٣.
(٥) أي زمن الجاحظ.

ولكنكم إذا رأيتم بنياناً عجيبا وجهلتم موضع الحيلة فيه أضفتموه إلى الجن، ولم تعانوه بالفكر»[١].

وليس هناك ماينفي أن يكون بناء تدمر وسور القدس من عمل الجن، خاصة اذا علمنا أن هذه المناطق كانت من مملكة نبي الله سليمان، إضافة إلى أن الجن يقدرون على مثل هذه الأمور كما وصف القرآن الكريم ذلك، ولكن ليس لدينا دليل يوجب الجزم في هذه القضية.

وأما الجفان: فهي مايوضع به الطعام، والجواب: جمع جابية، وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء، وقد كانت الجفان واسعة كحياض الابل التي تشرب منها[٢]، وذكر أنها كانت من الضخامة بحيث يجلس على الجفنة الواحدة ألف رجل[٣].

وأما القدور: فهي مايطبخ فيه الطعام وينضج على النار، وقد كانت لعظمهما لا تتحرك من أماكنها[٤]، قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب:

«وفي وصف الجفان بهذه الضخامة والاتساع، ووصف القدور بهذه الأحجام العظيمة دليل على سعة ملك سليمان ومابسط الله له من رزق، حتى ليطعم على مائدته هذه الأعداد الكثيرة من الناس التي أعدت لها تلك الأواني والأدوات لتهيئة الطعام لها»[٥].

وبالاضافة إلى هذه الأعمال فقد كان هناك من الشياطين من يعملون في البحار، قال تعالى: ﴿**ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا**

---

(١) كتاب الحيوان ١٨٦/٦.
(٢) انظر مختصر تفسير ابن كثير ١٢٤/٣.
(٣) انظر تفسير القرطبي ٢٧٥/١٤.
(٤) انظر المصدر السابق ٢٧٦/١٤.
(٥) التفسير القرآني للقرآن ٧٩٠/١١.

هم حافظين﴾[1] وقال: **﴿والشياطين كل بنَّاءٍ وغوَّاص وأُخرين مقرَّنين في الأصفاد﴾**[2].

وهذه الشياطين كانت تغوص في البحار فتستخرج منها اللآلئ والجواهر، وكانوا يتجاوزون ذلك إلى الأعمال والمهن وبناء المدن والقصور، واختراع الصنائع العجيبة كما قال تعالى: **﴿يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾**[3].

وأمَّا الصناعات فكاتخاذ الحمام والنُّوَرة[4] والطواحين والقوارير وغير ذلك[5].

وأما من تمرد وعصى، وامتنع من العمل وأبى، أو قد أساء في صنيعه واعتدى منهم فانه كان يقيدهم بالسلاسل والأغلال[6]، وهذا يدل على كمال سلطته عليهم، وعن يحيى بن سلام: أنه لم يكن يفعل ذلك الا بكفارهم، فاذا آمنوا أطلقهم[7].

وهكذا كان في خدمة سليمان عليه السلام النبي الملك أفواج من الجن تقوم بمختلف الأعمال في البر والبحر، يأتمرون بأمره، نعمة ورحمة من الله، كما قال تعالى مخاطباً إياه: **﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾**[8]، «فهو عطاؤنا الذي أعطيناك إياه من الملك العظيم الذي طلبته، فأعط من شئت وامنع من شئت، لا

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٨٢.
(٢) سورة (صٓ) الآيات ٣٧ ــ ٣٨.
(٣) سورة سبأ الآية ١٣.
(٤) النورة : ما يتخذ من الحجر الذي يحرق ويسوَّى منه الكلس ويحلق به شعر العانة. انظر لسان العرب ٢٤٤/٥ بيروت ١٣٨٨ ــ ١٩٦٨م.
(٥) انظر التفسير الكبير ٢٠١/٢٢ ــ ٢٠٢، ومختصر تفسير ابن كثير ٥١٧/٢.
(٦) انظر مختصر تفسير ابن كثير ٢٠٤/٣.
(٧) تفسير فتح القدير ٤٣٤/٤.
(٨) سورة (صٓ) الآية ٣٩.

حساب عليك، فمهما فعلت فهو جائز لك»[1] وقال السدي: «أمنن على من شئت منهم فأعتقه، وأمسك من شئت واستخدمه، فليس عليك في ذلك حساب، وقال ابن عباس: اعتق من الجن من شئت وأمسك من شئت»[2].

«وقد ورد أن نبينا محمداً ﷺ لما خيِّر بين أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون نبياً ملكاً، يعطي من شاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح، اختار المنزلة الأولى بعدما استشار جبريل عليه السلام فقال له: تواضع، فاختار المنزلة الأولى[3] لأنها أرفع قدراً عند الله عز وجل وأعلى منزلة في المعاد، وإن كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضاً في الدنيا والآخرة، ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه الصلاة والسلام في الدنيا نبه تعالى أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضاً فقال تعالى: ﴿**وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب**﴾[4] أي في الدار الآخرة»[5].

وفي تسخير الجن لسليمان عليه السلام للقيام بهذه الأعمال العظيمة مايدل على أن هذا الصنف من الخلق لا يبقى على تمرده على الإنس، بل إن الله قادر على تسخيره لمن شاء من عباده المؤمنين، فيكونون ضعفاء أذلاء بين يديه، لايملكون مخالفة أمره، وهو أمر ذو أهمية، إذ أن كثيراً من الناس يتصورون أن الجن مخلوقات لها سلطان وقوة في الأرض، وأنها قادرة على أن تفعل بالإنسان ماتشاء، حتى جاء القرآن فأبطل هذه التصورات من خلال الآيات التي تتحدث عن تسخير الجن للنبي سليمان عليه السلام وغيرها من الآيات في القرآن الكريم.

---

(١) تفسير فتح القدير ٤/٤٣٤.
(٢) انظر تفسير الطبري ٢٣/١٦٣.
(٣) هذا المعنى ورد من حديث أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة ٢/٢٣١.
(٤) سورة (صٓ) الآية ٤٠.
(٥) مختصر تفسير ابن كثير ٣/٢٠٤.

سليمان عليه السلام وملكة سبأ:

في قصة سليمان مع بلقيس ملكة سبأ ما يدل على قدرة الجن ومهارتهم، حيث تظهر قدرتهم في استعداد أحدهم لجلب عرش بلقيس من اليمن، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿**قال يآءيها الملؤا أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين * قال عفريتٌ من الجن أنا أُتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين**﴾[1].

«قال السدي وغيره: كان يجلس للناس للقضاء والحكومات وللطعام من أول النهار إلى أن تزول الشمس»[2].

لقد طلب سليمان في مجلسه هذا إحضار عرش بلقيس عندما قابلت دعوته إياها وقومها للدخول في الإسلام بإرسالها هدية له مع نفر من جنودها لاختبار قصده من هذه الدعوة، وهل هي دعوة نبي فعلاً أم أنها دعوة ملك من ملوك الدنيا يريد الجاه والسلطان والأموال؟.

﴿**قال عفريت من الجن أنا أُتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين**﴾، وبعدما سمع جند سليمان هذا الطلب لإحضار عرش بلقيس برز واحد من الجن الأقوياء، واستعد لإحضاره قبل قيام سليمان من مجلسه ذاك، «وأعلمه أنه قوي على هذا الأمر، أمين على مافيه من الجوهر»[3].

إن هذا الاستعداد يظهر قوة الجن وسرعتهم، فليس في مقدور أحد من البشر حمل عرش مع مافيه من المتاع في ذلك الزمان من أرض اليمن حيث بلقيس مقيمة إلى أرض الشام حيث سليمان مقيم، إنها القوى التي أودعها الله في نفر من خلقه

---

(١) سورة النمل الآية ٣٨،٣٩.
(٢) تفسير ابن كثير ٣/٣٦٣.
(٣) نفس المصدر ٣/٣٦٣.

هي التي تجعلهم قادرين على ذلك معجزة لأحد أنبيائه، وليس لمتشدق بعد ذلك أن ينكر هذا الأمر ويعتبر هذا الطلب من سليمان إنما هو طلب لرسم خريطة لمملكة سبأ التي كانت تحكمها بلقيس، والذين يلجأون لهذه التأويلات إنما هم قاصرون في إدراك سر المعجزة، وجاهلون بحقيقة الصفات التي خص الله بها خلقاً من خلقه.

﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طَرْفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾[1].

إلا أن في الحاضرين في مجلس سليمان من استعد لإحضار العرش قبل ارتداد طرف سليمان إليه، وهي ثوان محدودة «وقد ذكر المفسرون أن الذي استعد لإحضاره في هذه المدة هو أحد مؤمني الإنس واسمه (**آصف بن برخيا**) من بني إسرائيل، وكان وزيراً لسليمان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطي، وذكر أنه جبريل، وقيل: الخضر، وقيل: إنه سليمان نفسه، إلى غير ذلك من الأقوال، وقد ذكر الشوكاني أن الأول أولى الأقوال بالصواب»[2].

وأشفقت بلقيس على قومها من أن يغزوهم سليمان بجنده، فتوجهت في وفد من رجالها إلى سليمان بعدما علمت عظمته وقوة ملكه، فكانت قد تركت عرشها وراءها بما فيه من الأبهة والعظمة، فإذا هو أمامها عند سليمان، وقد أمر أن تغيَّر معالمه، «قال مجاهد: أمر به فغيِّر ما كان فيه أحمر جعل أصفر، وما كان أصفر جعل أحمر، وماكان أخضر جعل أحمر، وغير كل شيء عن حاله، وقال عكرمة: زادوا فيه ونقصوا»[3]، فلما عرض عليها قيل لها: **﴿أهكذا عرشك قالت كأنه**

(١) سورة النمل الآية ٤٠.
(٢) تفسير فتح القدير ١٣٩/٤ بتصرف.
(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٦٧٣/٢.

هو﴾[1]، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها، إذ ليس من السهل أن يؤتى به في هذه المدة القصيرة، ولم تقل إنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته وان غير وبدل ونكّر فقالت: ﴿**كأنه هو**﴾ لمشابهته ومقاربته لعرشها، وهذا غاية في الذكاء والحزم.

وأراد سليمان أن يريها عظمة الملك الذي آتاه الله إياه، فأمر الشياطين فبنوا له قصراً عظيماً من الزجاج، كأنه الماء بياضاً، ثم أرسل الماء تحته، ووضع سريره فيه، فجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه، وقال لها بدخول الصرح ليريها ملكاً هو أعز من ملكها وسلطاناً هو أعظم من سلطانها، فلما رأته حسبته ماء ﴿**وكشفت عن ساقيها**﴾، فذكر لها أنه قصر أملس مبني بناء محكما وليس ماء كما ظنت، فلما رأت ذلك أعلنت إسلامها لما رأت من عظمة سلطان سليمان، وأن ذلك إنما هو من نعمة الله عليه[2].

وقد ذكر بعض المفسرين أن سليمان عليه السلام إنما صنع لها الصرح عندما عزم على الزواج منها واصطفائها لنفسه، وذكر له جمالها وحسنها، ولكن في ساقيها شعر كثيف، ومؤخر قدميها كمؤخر الدابة[3]، فساءه ذلك، فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا؟ فلما دخلت الصرح رأى أحسن الناس ساقا وقدما، ولكن رأى على رجليها شعراً، لأنها ملكة وليس لها زوج، فأحب أن يذهب ذلك عنها فقيل له: إن ذلك لا يذهب إلا بالموسى فقالت: لا أستطيع ذلك، وكره سليمان ذلك، وقال للجن: اصنعوا شيئاً غير الموسى يذهب به هذا الشعر، فصنعوا له النُّورَة[4]،

(١) سورة النمل الآية ٤٢.
(٢) انظر مختصر تفسير ابن كثير ٦٧٤/٢ وانظر فتح الباري ٥٠٤/٨.
(٣) ذكر الفراء وغيره أن سليمان عليه السلام أمر بتنكير عرش بلقيس لأن الشياطين قالوا له: إن في عقلها شيئا، فأراد أن يمتحنها، وقيل: خافت الجن أن يتزوج بها سليمان فيولد له منها ولد، فيبقون مسخرين لآل سليمان أبدا. انظر تفسير القرطبي ٢٠٧/١٣.
(٤) النورة : تقدم معناها قبل قليل.

وكان أول من اتخذت له النورة، وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والسدي وابن جريج(١).

فيروى أن سليمان تزوجها عند ذلك وأسكنها الشام، وذكر آخرون أنه تزوجها وردَّها إلى ملكه باليمن وكان يأتيها على الريح كل شهر مرة، وأمر الجن فبنوا لها ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً، وقيل: إنها رفضت الزواج، فقال لها سليمان: لابد من ذلك في الإسلام، فاختارت ذا تُبَّع ملك همدان، فزوجه إياها وردها إلى اليمن، وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه، فبنى له المصانع، ولم يزل أميراً حتى مات سليمان(٢) والله أعلم بما كان.

كذب اليهود على سليمان وتبرئة الله له :

إذا ثبت ما تقدم علم كذب اليهود فيما زعموا أن سليمان إنما كان يستخدم الجن بنوع من أنواع السحر، ولم يكن ذلك من قبيل تسخير الله الجن له، قال تعالى في ذلك:

﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدِّقٌ لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتَّبعوا ماتتلوا الشياطين على مُلْك سليمٰن وما كفر سليمٰن ولكن الشياطين كفروا..﴾(٣) الآية.

فعن ابن عباس قال: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/٣٦٥، وانظر فتح الباري ٨/٥٠٥.
(٢) تفسير القرطبي ١٣/٢٠٩ ــ ٢١١، بتصرف واختصار، وما ذكر من تزوج بلقيس من سليمان أو من ذي تبع مما لا نستطيع أن نجزم بصحته أو كذبه، إذ لم يرد نص بإثباته أو نفيه. والله أعلم.
(٣) سورة البقرة الآيات ١٠١،١٠٢.

أخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل به، قال: فأكفره جهَّال الناس وسبُّوه، ووقف علماء الناس، فلم يزل جهال الناس يسبونه حتى أنزل الله على محمد ﷺ: **﴿واتَّبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمٰن وما كفر سليمٰن ولكن الشياطين كفروا﴾**[1].

وذكر السدي أن سليمان عليه السلام جمع كتب الكهان من بني إسرائيل التي كانوا يدعون من خلالها معرفتهم للغيب مما كانت تلقيه إليهم الشياطين، حتى فشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب، فجعل هذه الكتب في صناديق تحت كرسيه، فلم تقدر الشياطين أن تصل إليها، فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان، وخلف من بعد ذلك خلف، تمثل الشيطان في صورة إنسان، ثم أتى نفراً من بني إسرائيل فقال لهم: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا[2]؟ قالوا: نعم، قال: فاحفروا تحت الكرسي، فذهب معهم وأراهم المكان وقام ناحيته، فحفروا فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان إنما كان يغيظ الإنس والشياطين والطير بهذا السحر، ثم ذهب، وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً، واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب، فلما جاء محمد ﷺ خاصموه بها، فذلك حين يقول الله: **﴿وماكفر سليمٰن ولكن الشياطين كفروا﴾**[3].

وهذا هو دأب اليهود في كل عصر، وهو الكذب على الأنبياء ومحاربتهم والطعن في نبوتهم، كما كان من طعنهم في نبوة سليمان عليه السلام وتكذيبهم بتسخير الله الجن له، وادعائهم أن ذلك إنما كان يتم بنوع من السحر يفعله سليمان، فبرَّأه الله مما يزعم اليهود ويفترون، وأن ذلك إنما كان معجزة من الله له، وأن اليهود هم الذين يتبعون السحر ويتعاملون مع الشياطين.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٩٥/١ وانظر تفسير الطبري ٤٤٦/١.

(٢) أي لا ينفذ بالأكل منه، ويريد أنه كنز ثمين لاينتهي خيره عليهم.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٩٥/١ ــ ٩٦ باختصار. (انظر تفسير الطبري ٤٤٥/١).

الفصل الخامس

دعوى تحضير الأرواح وعلاقته بالجن

طالما سمعنا في هذا القرن عن تحضير الأرواح، حيث ملأت هذه الفكرة الدنيا بضجيجها، وانتشرت انتشاراً سريعاً في الشرق والغرب، وعقدت لها المجالس والمحاضرات والندوات، وألفت فيها كثير من الكتب والمجلات، وأنشئت لها المدارس والجمعيات، وآمن بها الكثير في الشرق والغرب من مسلمين وغيرهم، وخاض أنصارها معارك كلامية، دافعوا فيها عن فكرتهم أمام المنكرين، ومازلنا نعيش آثارها في أيامنا هذه، ونقرأ الكثير عنها.

فما هي حقيقة هذه الفكرة، ومن أنشأها، وأين نشأت، وما هو موقف الإسلام منها؟.

ونحن في هذا الفصل سنلقي الضوء على حقيقتها بعرض مجمل لها، وعلى يد من نشأت ومن هم الذين انشأوها، ومن هم المؤيدون والمعارضون لها، وما هو موقف الإسلام منها.

فكرة مجملة عن تحضير الأرواح :

كانت بداية نشأة هذه الفكرة في أمريكا، حيث حصل سنة ١٨٤٦م أن رجلاً اسمه (فيكمان) يسكن في قرية (هيد سفيل) من مقاطعة نيويورك قد سمع ذات ليلة طرقات متعددة على أرض بيته، فذهب ليكشف الفاعل، فأعيته الحيلة، فصبر على مضض، ولكنه قام ذات ليلة مندعرا من صراخ ابنة صغيرة له، فسألها عما نابها، فزعمت أنها أحست بيد مرت على جسمها وهي في سريرها، فلم ير الرجل بداً من هجر منزله، مخلفه فيه رجل متنوِّر يقال له (جون فوكس)، فحصل

لعائلته ماحصل لسابقتها من الأصوات التي لا تجعل للنوم مساغاً من الجفون، فكانت زوجة جون فوكس تنادي جيرانها، وتستعين في البحث عن الفاعل، فلم يهتدوا إليه، فتجاسرت هذه المرأة ذات ليلة وقالت لذلك الطارق: أحدث عشر طرقات، ففعل، فقالت له: كم عمر ابنتي كاترينه؟ فطرق طرقات على قدرسني عمرها، ثم قالت له: إن كنت روحاً فأحدث طرقتين ففعل، ثم قالت: إن كنت أوذيت من شيء فأحدث طرقتين أيضاً، فأحدثهما، ولم تزل به هذه المرأة حتى علمت بواسطة الطرق أنها روح رجل كان ساكناً في ذلك البيت، فقتله جاره ليسرق ماله ودفنه فيه، فلم يسع زوجة فوكس، الا استحضار الجيران واستجواب الروح أمامهم، فأجابت بما جعلهم مندهشين مقتنعين في آن واحد، فكان الحال كما أخبرت الروح.

وقد ضبطت الحكومة الأمريكية هذه الواقعة، وأجرتها مجراها القانوني وكلفت لجنة بدراسة هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر التي كانت تحدث بين وقت وآخر، وبحثها القانوني الشهير (أدمون)، فاعتقد صحتها وألف فيها كتاباً ضخماً سنة ١٨٦٥م، وتبعه الأستاذ (مايس) أستاذ الكيمياء في المجمع العلمي الامريكي، فنسب حصولها لأرواح الموتى.

ولكن الأمر الذي أحدث الدوي الكبير هو اعتقاد الأستاذ (روبيرهار) بهذا المذهب، وتأليفه فيه كتاباً سماه (الأبحاث التجريبية على الظواهر الروحية) فانتشب الصراع من ذلك اليوم بين المصدقين والمكذبين، ولم يبق عالم ولا كاتب ولا كاهن، إلا وألقى بنفسه في تلك المعمعة، فانتقل هذا المذهب بعد ذلك إلى انجلترا، ووجد له أنصاراً يدافعون عنه، وعلى رأس هؤلاء أحد رؤساء الجمعية الملوكية الانجليزية (كروكس)، ثم أخذ المذهب بالانتشار إلى أقطار العالم، وأصبح له ملايين من الأتباع وأكثر من مائتي مجلة تدافع عنه وتنشره[1].

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ٢٤٨/١ ـــ ٢٤٩ باختصار وتصرف، وانظر كتاب الإنسان روح لاجسد ١٠٢/١ ـــ ١٠٣.

وأصبح هذا المذهب يعرف فيما بعد (بالاسبرتزم)، أي الاتصال بالكائنات غير المنظورة، وهم يقصدون بالكائنات غير المنظورة الروح التي فارقت جسد الانسان بعد موته، معتمدين على أن هذه الأرواح تحيط بالإنسان في هذا العالم دون أن يراها، وبتوفر بعض الشروط الخاصة يمكن الاتصال بها، يقول جيمس آرثر فندلاي أحد كبار هذا المذهب في كتابه (على حافة العالم الأثيري):

«ويجب قبل كل شيء أن نعلم أن عالم الروح جزء من هذا العالم، وأنه يحيط بنا من جميع النواحي، وأنه مادي، وإن تكن مادته من الرقة واللطف بحيث لا تستطيع حواسنا إدراكها، وإننا نحن في هذه الدنيا الآن أرواح تغلفنا أجسام فيزيقية[1]، وأن الموت ما هو إلا انفصال الجسم الأثيري أو الروحي عن الغطاء الفيزيقي، والجسم الأثيري هو الجسم الحقيقي الباقي، وهو في شكله نسخة طبق الأصل من مقابلة الفيزيقي، وعلى هذا الاعتبار يسهل علينا أن نفهم أنه بتوفر شروط خاصة لا نعرفها يستطيع أن يغلف نفسه بمادة فيزيقية، ثم يعمل تحت رقابة العقل كما نفعل نحن أنفسنا، ومادام سائداً ذلك الرأي القائل بأن روح الإنسان شيء كهبَّة الريح أو كسحابة كثيفة، لا شكل لها، ولا مادة فيها، ظل الانكار قائماً لدى أولئك الذين يعتقدون أن الشيء الكائن هو كل مايمكن أن نراه أو نسمعه، وأنه لا شيء يوجد خارج حدود العالم الفيزيقي»[2].

والشروط التي يضعها أصحاب هذا المذهب حتى يمكن الاتصال بهذه الأرواح هو توفر مادة (الاكتو بلازم) في الشخص الوسيط، الذي عن طريقه يمكن إحضار روح فلان من الموتى، وهذه المادة موجودة في أكثر الناس، ولكن الشخص الوسيط يجب أن يكون فيه من هذه المادة قدر زائد على ماهو موجود منها في بقية

---

(١) فيزيقي : مادي.
(٢) على حافة العالم الأثيري ص ٢٢.

الناس، ومن ثم يكون من السهل على الأرواح المطلوب استحضارها استعارة هذه المادة لمدة مؤقتة من جسم الوسيط[1].

وهذه المادة على رغم جهل الطب بها ومعرفة كنهها إلا أن أصحابها يعبرون عنها بما يعرف بمصل الدم، لأنها تنتزع من مصل الدم ومن خلايا الجسم بوسائل لا يزال يجهلها العلم المادي، كما يطلق عليها أحياناً وصف (سيكوبلازم)، أي بلازما الروح، وتستخرج هذه المادة عادة ــ كما يقول أصحابها ــ من الضفيرة الشمسية للوسيط، وأحياناً من القلب لأنه مستودع الدم، وأحياناً من فوق الكتف أو من القدمين، ويحتاج استخراجها إلى مران طويل من الروح وإلى غيبوبية واذعان طويل من الوسيط أو الوسيطة، وتضيف إليها الأرواح أحياناً مادة تستخلصها من الأثير فيصبح اسمها (تلبلازم)، واتضح من تحليل مادة الاكتوبلازم ــ كما يرى أصحاب هذا المذهب ــ أنها تتكون من خلايا آدمية من كلوريد الصوديوم وفوسفات الكالسيوم، وهي لاغنى عنها لإحداث كثير من الظواهر الفيزيقية، وهذه المادة قابلة للتشكل والتلون مابين اللون الأبيض والرمادي والأسود، كما تتراوح في كثافتها بين كثافة الضباب أو بخار الماء، وبين الصلابة التي يمكن أن ترفع بها هذه المادة جسماً صلباً ثقيلاً كالمادة، ولكنها تكون عند انبعاثها من جسم الوسيط في شكل الضباب الباهت، ثم تأخذ في التماسك والتشكل التدريجي بحسب الغرض الذي يستهدفه الكائن، أو الكائنات المهيمنة على الجلسة الروحية، وينبغي أن تنبعث وأن تعود في ظلام تام أو في ضوء أحمر باهت، وإلا قد يتعرض الوسيط لأضرار جسيمة وصلت في إحدي الحالات ــ كما يقول أصحابها ــ إلى الموت المباغت، بسبب صدمة ارتداد الاكتوبلازم بغتة إلى الجسم»[2].

وحتى يحدث صوت الروح المطلوب احضارها ــ كما يرى أصحاب هذا

(١) انظر على حافة العالم الاثيري ص ٢٢.

(٢) الانسان روح لا جسد ١/١٧٧ ــ ١٧٨ بتصرف. وانظر على حافة العالم الأثيري ص ٢٢ ــ ٢٣.

المذهب ــ لابد من توفر حالات الهدوء والتوافق بين الوسيط والروح المراد استحضارها، وللجو تأثير على النتائج لهذه العملية من ناحية أخرى، فإن الجو المشبع بالكهربائية تكون النتائج فيه ضعيفة جداً، أما في الليالي المقمرة الصافية، حيث لا يكون الجو محملاً بكثير من الرطوبة، فإن النتائج تكون على أتمها(١).

فاذا ما توفرت هذه الشروط السالفة الذكر عند هؤلاء، فإنه يحدث في الواقع شيء من الغرابة، فالجالس تخاطبه أصوات تختلف لهجة وثقافة، ومن نبرات كل صوت يمكن أن يتبين السامع أن الذي يخاطبه هو نفس الشخص الذي كان يوماً ما يعيش في هذه الحياة الدنيا، وقد يستريب الجالس المصغي لذلك زمناً ما، ولكن إذا كانت، عنده الرغبة الصادقة في سماع الحقيقة، فإنه لابد أن يعرف صدق هذه الحوادث(٢). ولا يقتصر الأمر عند مستحضري الأرواح على سماع صوت الروح المستحضرة فقط، بل إن هذه الأرواح يكون عندها القدرة على تحريك الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية في غرفة التحضير، كذلك فان هذه الأرواح يقوم بعضها بالكتابة بواسطة قلم يتحرك على الورق تلقائيا، دون تأثير الوسيط أو الوسيطة، وهذه الكتابة تدل على مستويات عالية من الثقافة لبعض هذه الأرواح، وقد تقوم بنشاط علمي أو فني مثل الرسم أو النحت مما لا يقدر عليه أي فنان(٣).

ومن هذه الأرواح من يقوم بإحضار أمتعة من خارج حجرة التحضير كإحضار الزهور والفواكه وغير ذلك، أو قد يقوم بعضها بأخذ أدوات من حجرة التحضير ثم العودة بها بعد ساعات، فمن ذلك ماذكره العالم الألماني (زولنر) من أنه في جلسة من جلساته مع الوسيط الدكتور (هنري سلاد) كانت توجد منضدة صغيرة موضوعة تحت منضدة أخرى أكبر منها، فاختفت المنضدة الصغيرة،

---

(١) على حافة العالم الأثيري ص ٢٣ بتصرف.

(٢) نفس المصدر ص ٢٣ بتصرف.

(٣) انظر الانسان روح لا جسد ١/١٧٠ ــ ١٧٣ باختصار.

ونقب عنها عبثاً بغير جدوى، وبعد خمس دقائق اكتشفت المنضدة المفقودة، طافية في جو الغرفة، نازلة من أعلى إلى أسفل، وارتطمت برأسه في نزولها، وحدث نفس الشيء بالنسبة لكتاب اختفى ثم عاد بنفس الطريقة، وارتطم بأذنه في نزوله[1]، وغير ذلك من الحوادث التي يذكرها أصحاب هذه الدعوى.

ومن الظواهر التي تقوم بها هذه الأرواح ــ كما يرى أصحاب هذا المذهب ــ العلاج لبعض الحالات المستعصية من الأمراض الجسمية والمستعصية لبعض المرضى، حيث تم علاج بعض المرضى على يد هذه الأرواح، ويقول أصحاب المذهب: إن هذه الظواهر العلاجية لبعض المرضى كثيراً ما يصاحبها ظهور أضواء مجهولة المصدر تتطاير في جو الغرفة، وقد سجلتها أجهزة الكاميرا في عدة بيئات علمية.

ومن الظواهر التي تصاحب الاستحضار هذه احتمال حدوث تغيرات للجو وللوسيط في بعض الجلسات الروحية، قد تتناول أحياناً درجة الحرارة والضغط الجوي، بل قد تتغير درجة حرارة الوسيط وسرعة النبض إلى مدى واضح، كما قد يتغير وزنه، وربما أوزان بعض الجلساء، وأوزان بعض الأشياء المادية في حجرة التحضير، بدون توافر أسباب مادية لهذه التغييرات، وقد يسمع صوت آلة موسيقية غير مرئية، وقد سجلت عدة أصوات لهذه الأنغام الموسيقية[2]، كما يقول أصحاب هذا المذهب.

وكثير من الكتب التي ألفت في استحضار الأرواح تحتوي صوراً لهذه الأرواح المستحضره، بعضها واضح تقريباً وبعضها غير واضح، التقطت بعدسات تصوير خاصة أعدت لهذا الغرض[3].

---

(١) انظر الإنسان روح لا جسد ١٧٣/١ ــ ١٧٥ بتصرف واختصار.

(٢) نفس المصدر ١٧٦/١ ــ ١٧٧ بتصرف واختصار.

(٣) انظر في ذلك المصدر السابق ١٥١/٢ وما بعدها.

وقد ذكر الدكتور (علي راضي) أحد أنصار الروحية الحديثة ماحدث في إحدى جلسات استحضار الأرواح في القاهرة على يد أحد الوسطاء الروحيين الأمريكان كما يدعي قال: «وأغرب ماحدث في هذه الجلسة هو ما أعلنته الروح الكبرى (سوزان).. وفجأة أعلنت سوزان أن جبريل معنا.. ولم يعرف أحد من هو جبريل، فضحكت وقالت: ألا تعرفون جبريل الذي كان ينزل بالقرآن على محمد؟! إنه يبارك هذا الاجتماع». وقد ذكرت مجلة (صباح الخير) أن الدكتور (علي راضي) قد أبدى أسفه لأنه لم يكن يملك وقتذاك آلة لالتقاط صور بالأشعة تحت الحمراء لكي يلتقط بها صورة سيدنا جبريل عليه السلام»؟![1].

ويدَّعي دعاة الروحية هذه قصصاً وحوادث وقعت لهم في هذا الشأن فمن ذلك: أنه يوجد مصيف في ولاية نيويورك باسم (للي دال) ويشرف عليه جماعة من الروحيين، وقد زار هذا المصيف أحد الأدباء السوريين، ورأى من العجائب بعينيه، حيث يجتمع في هذا المكان خلق كثير من الناس، وبأيديهم أوراق صغيرة يكتبون عليها بعض الأرقام والحروف، دون كتابة أسمائهم، ثم يلقونها على طاولة الخطيب الروحاني، فيمسك الخطيب بورقة منها، يكون رقمها ٦مثلاً، فينادي بصوته الجهوري قائلاً: مستر (جيمس هاملتون)؟ وأشار بيده إليه، فأجاب: نعم، فقال له: ألا تسكن (كلنفلند أوهايو)، وتقيم في الشارع الفلاني رقم كذا؟، فأجابه: نعم، وهذا عنواني الحقيقي، فقال: إني أرى الآن والدتك واقفة بإزائك تقرئك الشوق والتحيات، وقد أوعزت إليَّ أن ابلغك نصيحة، وهي أن الرجل الذي قابلته في (ديترويت ميشكن) مساء الاثنين الماضي وتحادثت وإياه بشأن افتتاح تجارة في تلك المدينة، ووعدته بأنك ستعود اليه في الغد للمباحثة في العمل، فهي تنصحك بالإقلاع عن هذا العزم، لأن الرجل لا يضمر الخير، ولا الإخلاص لك، فإياك أن تتعامل معه، فوقف الرجل مبهوتاً ورفس الأرض برجليه وقال: نعم هذا هو الحادث

---

(١) الروحية الحديثة ص ١٦ ــ ١٨ بتصرف واختصار.

بعينه، لقد أقلعت الآن عن عزمي، وسأعمل بهذه النصيحة»[1].

ومن هذه القصص المزعومة ماذكره أحد أبرز دعاة الروحية وهو جيمس آرثر فندلاي في كتابه (على حافة العالم الأثيري) إذ يقول:

«زرت وأنا بأدنبرة ذات يوم صديقي القس المحترم جون لاموند ــ الدكتور في اللاهوت، ورأيت صورة زيتية فوق رف الموقد الموجود في حجرة مكتبه، فلما استفسرت عنها أجابني بأنها من تصوير مصور الغيبوبة (دافيد دجيد) الذي قضى نحبه في أوائل القرن الحالي، قال صديقي: «إن لهذه الصورة تاريخاً ياصاحبي، فقد كنت سألت (دافيد دحيد) أن يضعها لي عندما زرته في (جلاسجو) منذ سنين طويلة، وقد كانت أسرتي لا تصدق طريقة التصوير هذه، ولهذا حفظتها في صندوق من الصفيح». وبعد مضي سنين على وفاة دافيد حضر - صديقي القس جلسة صوت مباشر في لندن، وإذا بصوت يخاطبه متسمياً باسم دافيد دجيد قال: «إنك في الواقع لا تقدر تصويري يا دكتور (لاموند) حق قدره» قال: ولماذا؟ قال: لو أنك كنت تقدره قدره لما أخفيته في صندوق في حجرتك، وكان صديقي قد نسي أين وضع الصورة، فأخبر دافيد أنه سيخرجها، ويضعها فوق رف موقده، ومنذ أن فاتحه دافيد في ذلك، وضع صديقي الصورة فوق رف موقده منجزاً وعده.

تلك كانت القصة التي رواها لي صديقي عندما زرته ذلك اليوم في أدنبره ولم أقصُّها على أحد، ولم يكن صديقي يعرف (سلون)، وهنا تجيء البقية، فبعد أن علمت بحكاية الصورة بأيام، استصحبت معي إلى (سلون) أحد جيران الدكتور لاموند، واسمه (مستر روبنسون)، ويقيم في المنزل المجاور، ولم يكن قد سمع بهذه القصة من قبل أن يعرف الدكتور لاموند جد المعرفة، ويندر أن يكون لاموند قد

(١) الجواهر في تفسير القران ١٠٦/٤.

ذكر هذه الحكاية لأي أحد، لأنه يحرص كل الحرص ألا يمس موضوعاً لا يصدقه صحبه ولا جيرانه، فلما استصحبت معي إلى سلون هذا الجار المقيم في المنزل المجاور لمنزله مباشرة، أجلسته بجواري، ولم أقدمه لأحد من الحاضرين، ولم يكن هو قد رأى سلون من قبل، ولم تكن لسلون به سابقة معرفة.

وحصل الرجل بادىء ذي بدء على بينة ذات شأن، وبعد ذلك لعلع في الحجرة صوت قوي، وناداه بإسمه قال: يامستر روبنسون أنا دجيد، قل لصديقك الدكتور لاموند المقيم في المنزل رقم ١٨ (ريجنت تراس بأدنبرة. وهذا صحيح)[١] أني شاكر له إنجازه ما وعدنيه من وضع الصورة فوق رف موقده». فذهل مستر روبنسون لهذا وقال يخاطبني: لا أدري عم يتكلم، ولما كنت أنا أعرف الحكاية، وعدت دجيد بأني سأبلغ رسالته، وقد شكر لي على ذلك.

فهذه حادثة أخرى قاطعة في دلالتها.. قال جيمس آرثر فندلاي: ولست أجد لها في ذهني تفسيراً غير هذا، وهو أن الشخص دجيد كان حاضراً وأنه تكلم، وإلا فكيف أمكن أن تجيء رسالة كهذه؟[٢].

هذه بضع حوادث يذكرها دعاة الروحية من بين مئات من الحوادث التي حصلت معهم ــ كما يقولون.

ولقد انساق وراء هذه الدعوى نفر من المسلمين ودافعوا عنها بحرارة، لأنها في ظنهم رد على الماديين الذين ينكرون عالم الغيب بكل أشكاله.

ونحن لن نتعرض لكل من دافع عن هذا الموضوع، بل سنعرض لبعض من تحمسوا له تحمساً زائداً، وذلك كما فعل الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره،

---

(١) من عبارة جيمس آرثر فندلاى.

(٢) على حافة العالم الأثيري ص ٨١ ــ ٨٢.

حيث أخضع النصوص القرآنية لهذه الدعوى، واعتبرها دالة على تحضير الأرواح دلالة صريحة.

فقد استدل الشيخ طنطاوي جوهري بعدة أدلة على هذه الدعوى وهي:

(١) قوله تعالى في سورة البقرة **﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾**.. إلى قوله... **﴿واذ قتلتم نفساً فادَّارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتىٰ ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾**[١].

يقول طنطاوي جوهري: «وأما علم تحضير الأرواح فإنه من هذه الآية تحضيره ــ يقصد قوله تعالى: **﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾** ــ إن هذه الآية تتلى والمسلمون يؤمنون بها، حتى ظهر علم تحضير الأرواح بأمريكا أولاً ثم بسائر أوروبا ثانياً.. وفائدة هذا العلم أن من صحت عنده أحوال الأرواح وظهورها أيقن بالآخرة وبالحياة بعد الموت ايقاناً تاماً، وأما من لم تصح عنده فإنه مقلد كسائر الناس[٢].

ثم يقول: «وكان الأولى بأمة الإسلام أن تكون السابقة في مضماره، المجدَّة في تعلمه، المتقدمة على سائر الأمم في تحصيله، لتهدي الناس إلى سواء الصراط، أفلا يرى المسلم ماجاء في هذه السورة ــ يقصد سورة البقرة ــ في قوله تعالى: **﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتىٰ قال أو لم تؤمن قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ أربعة من الطير فصرْهُنَّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾**[٣].

وفعل إبراهيم ذلك وقطَّع الطير ودعاها، فأجابت واطمأن، وهل نحن أكثر إيماناً

(١) سورة البقرة الآيات من ٦٧ ــ ٧٣.
(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ١/٨٤.
(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٠.

من إبراهيم؟ كلا، فإذن كان إبراهيم يطلب اليقين بالمعاينة، فنحن أولى، والأنبياء أعلم منا، فكان يجب على المسلمين أن يكونوا هم البادئين بعلم إحضار الأرواح لا أمريكا، لأن الله ذكر لنا في سورة البقرة هنا أنهم ضربوا القتيل، فحيي وأخبر عمن قتله، وهو الذي كان وارثاً له، فحرم الميراث، وإذا صح هذا في نفس واحدة فجميع الأنفس يجب أن تكون كذلك، وأنها حية بعد الموت، وليس يمكن أن يكون هذا يقينا إلا إذا رأيناه بأنفسنا في زماننا بلا شك، وأنّى لنا ذلك إلا بالكد والنصب والتعب والسهر ليلاً ونهاراً في العلم والعمل»(١).

ثم ذكر الشيخ طنطاوي جوهري قصة من التوراة استدل بها على استحضار الأرواح ومجمل هذه القصة: أنه كان في الزمان القديم ملك اسمه (صموئيل)، ومات صموئيل وجاء بعده في الملك طالوت، فأقبل طالوت على العرافين والكهنة من بني إسرائيل فقتلهم جميعاً، وأقبل أهل فلسطين على محاربة طالوت، فلما رأى جيش الفلسطينيين خاف واضطرب لذلك، فسأل الرب العون فلم يجبه لا بالأحلام ولا بالأنبياء، فلما أعيته الحيلة قال: فتّشوا لي عن امرأة تتصل بالجن، فوجدوا له امرأة تفعل ذلك، وطلب منها طالوت أن تُصْعِد له صموئيل، فلما فعلت ذلك سألها طالوت: وماذا رأيت؟ فقالت: رأيت شيخاً مهيبا مثل ملائكة الرب مشتملا ببرنس قد صعد من الأرض، فعلم طالوت أنه صموئيل أرسله الله فدخل إليه وسجد بين يديه، فقال صموئيل: يا طالوت لم أرجعتني وأحييتني؟ قال: لما ضاقت بي الأرض من أهل فلسطين ومحاربتهم إياي وزوال عناية الله عني، ومنعه الأحلام مني، فدعوتك لأشاورك في أمري.

هذا هو تحضير الأرواح في التوراة»(٢).

ثم يستشهد الشيخ طنطاوي بقصص من استحضار الأرواح من العصر

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ١/٨٤.

(٢) نفس المصدر ١/٨٥ باختصار

الحديث، مما كنا قد ذكرنا بعضها فيما تقدم، وبعد هذا كله يقول: «هذا مافي العصور من العلوم الخاصة بالأرواح، وتعجب من القرآن كيف ذكر مسائل الحياة بعد الموت في قصة الخليل كما ذكرناه، وأنه أمر بتقطيع الطيور وخلط لحمها بعظمها وريشها، ثم يدعوها فتحيا في أواخر هذه السورة، ــ أي سورة البقرة ــ وأنت تعلم إننا عن هذا عاجزون، وهذه معجزات لنبي، وذلك أن النبي أراد أن يطمئن قلبه بالمعاينة بعد الإيمان، ولا جرم أن إيماننا أقل من إيمان الأنبياء، فنحن أولى بطلب المعاينة، وطريق الخليل منها مقفل بابها علينا، فمن فضله تعالى ذكر هنا أن القتيل قد حيي بضربه ببعض البقرة، وهذا فتح باب لإحضار الأرواح، فكأنه يقول في مسألة إبراهيم: اطلبوا الحقائق لتطمئنوا، وهنا يقول: أسلكوا السبل التي بها تستحضرونها، ولا تنالون شيئاً من هذا إلا بجدكم وكدكم، فالعلم لا ينال إلا بالمشقة والنصب، فإذا وجدتم أن طريق موسى في إحياء الموتى يصعب عليكم فالتمسوا غيره **﴿وأن ليس للإنسان إلا ماسعى﴾**[1].

قال جوهري: هذا مابدا لي في هاتين الآيتين للخليل وموسى الذي سار على قدم جده في النبوة فحيي الميت على يديه[2].

ثم استشهد بآيتين أخريين على استحضار الأرواح وهما :

(١) قوله تعالى: **﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم...﴾**[3].

(٢) والآية الأخرى التي نزلت في العزير، اذ قال في بيت المقدس: **﴿أنّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم**

(١) سورة النجم الآية ٣٩.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ١/٨٨ ــ ٨٩.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٤٣.

قال بل لبثت مائة عام...﴾[1]، وصار ينظر إلى حماره وهو يحيا وتتصل العظام ببعضها وتكسى لحماً فعلم **﴿أن الله على كل شيء قدير﴾**[2].

فالمسلم إذا قرأ هذه الآيات التي حكيت عن بني إسرائيل يقول في نفسه: أنا آمنت..

ولما كانت السورة التي نحن بصددها ــ أي سورة البقرة ــ قد جاء فيها حياة العزير بعد موته وكذلك حماره، ومسالة الطير وإبراهيم الخليل، ومسألة الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الطاعون فماتوا ثم أحياهم، وعلم الله أننا نعجز عن ذلك، جعل قبل ذكر تلك الثلاثة في السورة مايرمز إلى استحضار الارواح في مسألة البقرة كأنه يقول: إذا قرأتم ماجاء عن بني إسرائيل في إحياء الموتى في هذه السورة عند أواخرها، فلا تيأسوا من ذلك، فإني قد بدأت بذكر استحضار الأرواح، فاستحضروها بطرقها المعروفه، **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾**[3]، ولكن ليكن المحضٌر ذا قلب نقي خالص على قدم الأنبياء والمرسلين، كالعزير وإبراهيم وموسى، فهؤلاء لخلوص قلوبهم وعلو نفوسهم أريتهم بالمعاينة ليطمئنوا، وأنا أمرت نبيكم أن يقتدي بهم فقلت **﴿فبهداهم اقْتَدِه﴾**[4]، فاقتدوا بهم في تعلم ماتطمئنون به وتوقنون، ولكن قبل ذلك اقتدوا بالأنبياء في طهارة القلوب وزوال الرجس من النفوس، فإن هذه الأمور إنما تعرف بالتجربة والعمل لا بالقياس العقلي، ولا بالنظر والحدس الفكري[5]

(٣) واستدل بآية أخرى كذلك وهي قوله تعالى: **﴿ولو أننا نزَّلنا إليهم الملٰئكة**

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٩.
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٩.
(٣) سورة النحل الآية ٤٣.
(٤) سورة الأنعام الآية ٩٠.
(٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ١/٢٨٩ ــ ٢٩٠ باختصار.

وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾[1].

يقول: «فالله تعالى أذن للناس أن يكلموا الموتى في عصرنا الحاضر كما في الآية، ولا يزال الناس فريقين: كافراً بالله ومؤمناً، وهذا معجزة باهرة، ومن غرائب ماحدث في هذا الدهر»[2].

وقد سلك الشيخ طنطاوي جوهري هذا المسلك عند التعرض لكل آية تتعلق بالروح أو بالحياة بعد الموت[3]، وإنما سلك هذا ليرد على الماديين في إنكارهم للحياة بعد الموت، وذلك عن طريق استحضار الأرواح، الذي يدل على عدم فناء الروح، وأنها باقية بعد انفصالها عن الجسد في الدنيا، وأنها لابد أن تلقى جزاءها في الآخرة خيراً أو شراً.

وهذه هي النتيجة التي يزعم دعاة الروحية أنهم يريدون التوصل إليها، يقول: (ج دولن) أحد دعاة هذا المذهب والذائدين عنه: «إننا إنما نقارع أعداءنا بنفس أسلحتهم لإرغامهم على الهزيمة، فبنفس أسلوبهم نعلن على رؤوس الأشهاد خلود الروح بعد الموت، كل النظريات المادية التي تزعم أن الإنسان آلة مادية بسيطة مجردة عن الروح، وكل العلماء الذين اتخذوا العلم المادي سلاحاً لإثبات مادية الإنسان وعدم روحانيته قد كذبوا أشد التكذيب، وبان ضلالهم بالمشاهدات الحسية الروحية.. إلى أن يقول معلناً ثقته من هذه التجارب الروحية :

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١١.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ٤/١٠٥.

(٣) ألف الشيخ طنطاوي جوهري كتابا سماه: كتاب الأرواح، ضمنه كثيرا من حوادث الاستحضار التي قام بها الغربيون، والشروط التى يجب أن تتوفر في المحضر، وما فوائد هذا العلم وغير ذلك.

إن قوة الاسبرتزم وسيطرته على العقول آتية إليه من تركه حرية البحث لذويه، فإن كل أصوله يمكن بحثها والمناقشة فيها وامتحانها، ولكنها ما خضعت للامتحان مرة إلا خرجت أقوى مما كانت قبلا»(١).

وبعد فهذا عرض إجمالي عن استحضار الأرواح كما يزعم دعاة الروحية الحديثة، والإنسان العادي ربما يغتر بهذه الدعوى وينساق وراءها مدافعاً عنها، لأنها في ظنه من الأسلحة التي يمكن رفعها في وجوه الماديين المنكرين لكل شيء يقع خارج الحس والمشاهدة.

وأنصار هذه الدعوى من المسلمين الذين دافعوا عنها بحماس، إنما كانوا يقومون بهذا الحماس والجهد في الذود عنها ظناً منهم أن في ذلك نصراً للإسلام في إثبات الحياة الآخرة، وذلك عن طريق المشاهدة المحسوسة المتمثلة في استحضار الروح، التي حارت في حقيقتها الأفهام من قديم الزمان.

وهو اندفاع بالباطل من قبل هؤلاء، لأنه لا يجوز تقرير حقائق العقيدة بأمور لم تثبت أصلاً، ولم يعرف هؤلاء حقيقة هذه الأمور إن كانت تصلح لتقرير هذه الحقائق أم لا؟ والعقائد الصحيحة غنية بأدلتها العقلية والشرعية عن هذه الأوهام والمزاعم الباطلة.

قال الشيخ محمود شلتوت: «لم يرد شيء فيما يختص بتحضير الأرواح وتسخيرها لدعوة الإنسان، كما لم يدل عليه حس موثوق به أو تجربة صادقة، وكل مانسمعه في ذلك لا يخرج عن مظاهر خداع وإلهاء بالخيالات لا يلبث أن ينكشف أمره.

وإذن فنحن في حل من رفضه إلى أن يقوم الدليل على صدقه، وحسب المؤمن

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ١/٢٥١.

في إيمانه أن يقف عند ما أخبر الله به وصح عن رسوله، وليس عليه أن يحمل نفسه عقيدة أو رأياً لا يتوقف عليه صحة الايمان[١].

ونحن فيما يلي سنعرض لرأي المنكرين لاستحضار الأرواح ليتبين لنا حقيقة الأمر، ومدى ارتباط هذه الفكرة بالجن :

المنكرون لاستحضار الأرواح :

لقد أنكر إمكان استحضار الأرواح جماعة من العلماء المسلمين، ممن وقفوا على حقيقتها، ومارس بعضهم بأنفسهم وسائلها، فخرجوا بعد ذلك أشد إنكاراً ورفضاً لها من قبل دخول غرف التحضير التي يزعم أصحابها أنهم يحضرون فيها أرواح الموتى، ومن هؤلاء الشيخ محمد عبده والشيخ محمد الغزالي، والدكتور محمد محمد حسين والدكتور التهامي نفرة وغير هؤلاء ممن أدلوا بشهاداتهم حول هذا الموضوع.

ونحن سنبحث أولاً حقيقة الوسائل التي اعتمدها مستحضرو الأرواح لنتبين كذب هذه الدعوى من أساسها، فإن الوسائل الرئيسية التي يعتمدها دعاة التحضير إنما تتركز على غرفة التحضير وما يتصل بها، وعلى الوسيط الذي يمكن عن طريقة استحضار الروح، والشهود لهذه العمليات.

ولقد تحدث عن هذه الوسائل الدكتور محمد محمد حسين في كتابه: (الروحية الحديثة) وعرض لها بالنقد حيث يقول:

«إن الظواهر الروحية كلها تجري في ضوء أحمر خافت، وهو أقرب للظلام، وإن ظواهر التجسد والأصوات ونقل الأجسام وتحريكها ـــ وهي الشواهد التي يحتج بها دعاة الروحية على صدق مايقومون به ـــ إنما تجري جميعها في ظلام دامس لا يستطيع معه المراقب أن يتبين مواضع الجالسين ولا مصدر الصوت، ولا

---

(١) الفتاوى لمحمود شلتوت ص ٢٠.

يستطيع كذلك أن يميز شيئاً من تفاصيل المكان الذي تجري فيه هذه العمليات»(١).

وأما الخباء الذي يجلس فيه الوسيط فهو غرفة مظلمة بجانب غرفة الجالسين ــ وهي مظلمة كذلك ــ ومن غرفة الوسيط المنعزل عن الجالسين تظهر ظواهر التجسد المزعوم، حيث تظهر أشباح يحظر على الجالسين لمسها كما يروي الطبيب الأمريكي (ادوين باورز) ــ حتى لا تنكشف حقيقة اللعبة»(٢).

وأما الوسيط فهو العمود الفقري لهذه الألاعيب كلها، وقد تقدم معنا مايشترطه دعاة التحضير من وجوب توفر مادة الاكتوبلازم في جسم الوسيط، بحيث يكون فيه قدر زائد من هذه المادة عن بقية الناس، حتى يمكن للروح استعارتها والتمثل بها عند استحضارها، وعلى يد هؤلاء الوسطاء تظهر التجسدات المزعومة والأصوات لهذه الأرواح، وهم الذين يكتبون ما يكتبون من إملائها ــ على حسب زعمهم ــ فيصدقهم الناس ويعتبرونه دليلاً بيناً على صدق مزاعم الروحية، وهم الذين يتحكمون في سماع غير المسموع أو رؤية غير المنظور بما يسمى بالكتابة التلقائية لهذه الأرواح، فالوسيط هو الأول والأخير في مثل هذه الأمور، وهم يتعللون بكذب بعض الوسطاء لحماية أنفسهم أمام من اكتشف غشهم من هؤلاء الوسطاء، ولكن حقيقة الأمر هي أن الباقين غشاشون أيضاً، ولكنهم أكثر احتياطاً وأصدق صناعة من الذين فشلوا في خداع الناس»(٣).

ومدعو التحضير هم الذين يهيئون الغرفة التي يجري فيها التحضير، وهم الذين يختارون الوسطاء والأدوات، وكل ما يتصل بذلك، بحيث تنطلي ألاعيبهم على كثير من السذج.

(١) الروحية الحديثية ص ٣٥ ــ ٣٦ بتصرف واختصار.
(٢) نفس المصدر ٣٦/٣٧ باختصار.
(٣) انظر نفس المصدر ص ٣٧ ــ ٣٩.

وأما ماتقدم معنا من الشواهد التي احتج بها أبرز دعاة الروحية وهو جيمس آرثر فندلاي واعتبرها بينات قوية على الاستحضار، فهي أمور جرت في نطاق أشخاص اختارهم فندلاي، وهم من المؤيدين لدعوته، ومطلوب من القاريء أن يؤمن بهذه الأوهام اعتماداً على ذمة المستر فندلاي وزبانيته.

وكل الأمور التي تتعلق بالتحضير من سماع الأصوات أو التصوير بالأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية لهذه الأرواح التي يزعمون تجسدها، إنما تتم من قبل علماء متمرسين بهذه الأمور ممن انضموا إلى هذه الدعوة، إذ أنها تضم في أعضائها المهندس والطبيب وعالم الكيمياء والفيزياء وغير ذلك[1]، والزعم بأن تجارب الروحيين تجارب علمية زعم باطل يقوم على خداع الناس ببناء الكلام على بعض قوانين الطبيعة في الذبذبة والموجات، والتمويه عليهم بحشد الآلات والأدوات»[2]، ومما يؤكد ذلك أن تجارب الروحيين هؤلاء لو أجريت خارج معاملهم فإن فشلها يكون مكشوفاً مما يوجب لمدعي التحضير الاعتذار عن ذلك، وهم ربما يعتذرون عن ذلك بعدم توافر الشروط الملائمة، وإنما يعود السبب في واقع الأمر إلى أن اعتمادهم في دعواهم انما يتم على الأمور العلمية التي يجهلها الكثير من الناس.

ولقد أعلنت مجلة (سينتفيك أمريكان) عن جائزة مالية ضخمة لمن يقيم الحجة على صدق الظواهر الروحية، ولا تزال الجائزة قائمة لم يظفر بها أحد رغم انتشار أصحاب هذا المذهب ونفوذهم وبراعتهم في أمريكا، وقد ضم إلى هذه الجائزة جائزة أخرى تبرع بها الساحر الأمريكي (دننجر) للغرض نفسه، ولم يظفر أحد أيضاً، ولقد استطاع الإنجليزي (ماسيكلين) أن يحدث تجسدات مثل التجسدات التي يحدثها مدعو التحضير، وعند ذلك قالوا: إن الساحر لم يكن هو نفسه الذي أحدث هذه التجسدات، ولكنه استعان على إحداثها بوسيط روحي!.

(١) انظر دائرة معارف القرن العشرين ٢٤٦/١.
(٢) الروحية الحديثة ص ٤٣ ـ ٤٤.

والسؤال الذي يطلب من مدعي التحضير الإجابة عليه هو: لماذا تشارك الأرواح في هذا التدليس الذي سمعه أصحاب التحضير ويهدم الروحية المزعومه؟ إن صح مازعمه الساحر، فالروحيون كذابون غشاشون، وإن صح مايقولونه هم في الساحر، فالأرواح التي يستعينون بها أرواح شريرة مدلسة، لا يصح الوثوق بها والاطمئنان إلى ماتقوله[1].

الروحية دين باطل جديد تتبناه اليهودية والنصرانية:

إن الذي يطالع كتب مدعي التحضير لا يكون عنده أدنى شك بأن دعوتهم تدعو إلى دين جديد يدعو إلى التحلل من القيم والعقائد الإسلامية، وتلتقي في أفكارها مع كثير من العقائد الباطلة كاليهودية والنصرانية والديانات الوثنية القديمة التي تؤمن بالحلول والاتحاد وتناسخ الأرواح، وتدعو إلى إزالة الحواجز بين الأديان والتقاء البشرية على دين دعاة التحضير الجديد.

قال الشيخ محمد الغزالي: «في كتاب للجمعية الإسلامية الروحية اسمه (التوحيد والتعديد) يقول الروح الرائد لهذه الجمعية» إني صوت منبعث من السماء ينادي أهل الأرض أن آمنوا بالله، اني أحمل رسالة هداية من السماء أعد خطواتها بدقة عباد مخلصون لله، تجمعوا في ملكوته الأعلى، إن دوري هو دور رسول يبلغ الرسالة، ولقد جاهدت لأكون أميناً في إيصال ما حملته»، ثم يقول مسيلمة الجديد، نبي الروحية الحديثة (سلفر برش): تذكروا دائماً أنكم في الله وأن الله فيكم، ويقول: نحن جميعاً جزء من الروح الأعظم، وأنتم في مجموعكم مع بقايا الحياة الآخرة تكونون الروح الأعظم، ولا وجود لله خارج هذه المجموعة، ولو أن هذا القول لا يمكنني البرهنة عليه، إلا أنه يحسن قبول كلمتي في هذا الصدد[2]، ويقول (هوايت هوك) أحد دعاة الروحية البارزين: «يجب أن نتحد في هذه الحركة،

(١) الروحية الحديثة ص ٤٦ ــ ٤٧ بتصرف واختصار.
(٢) ركائز الإيمان بين العقل والقلب ص ٣٥٣.

في هذا الدين الجديد، يجب أن تسودنا المحبة، ويجب أن تكون لنا قدرة على الاحتمال والتفاهم، رسالتي أن أواسي المحروم وأساعد الإنسان على تحققه في نفسه من الله سبحانه، الإنسان إله مكسو بعناصر الأرض! وهو لن يدرك مافي مقدوره حتى يحس بجزئه الملائكي الإلهي»[١].

وفي إحدى جلسات دعاة الروحية حضرت روح أحد دعاتهم الذين ماتوا ــ كما يزعمون ــ وهي روح (نور ثكليف) على يد الوسيط (ايفان باول) حيث قالت الروح: «آه لو كنت تعلم يابيفر بروك أن هذه الروحية هي الوحي الجديد: ألا تفهم أن هذه هي الحقيقة العظمى»[٢]؟

ويقول (سلفر برش) أحد دعاتها: «إن اليوم الذي تنتشر فيه التعاليم الروحية في عالمكم سيكون فجراً ليوم سعيد، إذ ستزول الفوارق بين الشعوب وتهدم الحواجز بين الأجناس، وتذوب الفوارق بين الطبقات، وتتلاقى الأديان حول حقيقة واحدة كما نبعت من حقيقة واحدة»[٣].

وهذا مايؤكده الدكتور علي عبد الجليل راضي ــ وهو من دعاتها البارزين حيث يقول: «إن هذه المنظمة ستكون لكل البشرية، وعن طريقها سوف يوضح لنا سكان العالم الروحي طريقة جديدة للحياة، ويعطوننا فكرة جديدة عن الله ومشيئته، إنهم سوف يأتوننا بالسلام والطمأنينة الروحية وبسعادة النفس والقلب، سوف يحطمون الحواجز بين الشعوب والأفراد، بين العقائد والأديان»[٤].

بل إن أحد دعاتها يعلن بصراحة عن هذا الوحي الجديد وهو القس (سنتون

(١) الروحية الحديثة ص ٥٧.
(٢) الانسان روح لاجسد ١/٧٥٧.
(٣) ركائز الإيمان بين العقل والقلب ص ٣٥٣.
(٤) الروحية الحديثة ص ٥٩ وانظر الانسان روح لاجسد ١/٧٤٨ ــ ٧٤٩.

موزي)، حيث زعم أنه تلقى كلامه من عالم الروح حيث يقول: «نحن مرسلون من عند الله كما أرسل المرسلون قبلنا، غير أن تعاليمنا أرقى من تعاليمهم، فإلهنا هو إلههم، إلا أن إلهنا أظهر من إلههم وأقل صفات بشرية وأكثر صفات إلهية، لا تخضع لأية عقيدة مذهبية، ولا تقبل بلا بصر ولا روية تعاليم لا تستند إلى العقل، ولا تأخذ بلا تحفظ وحياً جاء لأحوال خاصة في عصر من العصور، وليس هو بامتياز لأمة دون أمة ولا شخص دون شخص، والله يكشف نفسه للإنسان شيئاً فشيئاً»[1].

وهكذا تعتبر الروحية إلهاً من دون الله على لسان أحد الأرواح المزعومة، وهم يعتبرون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عبارة عن وسطاء تلقوا الوحي عن طريق هذه الأرواح المزعومة[2].

فالروحية الحديثة تجعل الأرواح المزعومة طريقاً لوحي جديد، عن طريقه يعرف البشر على الأرض معلومات عن الخالق والكون والحياة، عن طريق الوسطاء الذين يحضرونها، وهذا الوحي الجديد هو إلغاء للدين الحق الذي بعث الله به محمداً ﷺ، إذ لا قيمة لما أخبرت به هذه الديانات عن الخالق وعن الحياة في نظر دعاة الروحية.

ومحاربة العبادات يبدو واضحاً عند (سلفر برش) حيث يقول: «إذا كان التعصب للأديان في وهم إقامة المناسك معطلاً عن التلاقي في صعيد واحد ــ وهو معطل فعلاً[3] ــ فإن الأديان ليست في المناسك، فلتترك البشرية هذا جانباً، ولنتلاق في مقابلة هذا الأمر الجديد من الاتصال الروحي»، وهذا مايردده هوايت هوك كذلك حيث يقول: «إن الروحية تحتضن الجميع ولا تستثني أحداً، يقول

---

(١) الروحية الحديثة ص ٦٠.

(٢) انظر نفس المصدر ص ٦١.

(٣) من عبارة سلفر برش.

الناس في زمانكم إن الطقوس والفرائض عديمة النفع، ولكن طقوس وفرائض تنحصر في تدريب الناس على تركيز القوة الروحية»[1].

ونحن نلمس من أقوال الأرواح المستحضرة ــ كما يزعم الوسطاء الدجالون ــ دعوة إلى النصرانية، وتفضيل المسيح عليه السلام على غيره من الأنبياء حيث يقول سلفر برش: «لا زال المسيح في عالمنا هو أعظم ما نعرف، ولم يحدث قبل يومه أو بعده أن تنزل الإلهام الإلهي إلى الأرض بالقدر الذي نزل عليه»[2].

وهو يكذب برسالة محمد ﷺ، ويتهم أن لعيسى أباً فيقول: «كان عيسى آخر الأنبياء والمعلمين، ذاك الذي ولد من أبوين يهوديين»[3].

ومن غرائب الروحية موافقتها لأخس المذاهب المادية في مهاجمة الرسالات السماوية، وإنكار الجنة والنار حيث يقول سلفر برش: لا توجد جنة ذهبية ولا جهنم نارية، إنما هذا هو تصور هؤلاء المحدودي النظر، لا تقيدوا أنفسكم بكتاب واحد ولا معلم واحد ولا مرشد واحد، فولاؤنا لا لكتاب ولا لعقيدة ولكن للروح الأعظم وحده»[4].

ويقول في موضع آخر: «لا يهم إذا كان الرجل مسيحياً أو كافراً، المهم مايفعله في حياته، أعطني الرجل لا يعتنق أي دين، الذي لا يركع لذكر اسم الله ولكنه أمين، ويحاول أن يخدم ويمد يده للضعيف ويساعد الكلب الأعرج، الرجل المملوء شفقة للمنكوبين، والذي يعاون من هم في ضائقة بحرارة، ذلكم أكثر تديناً ممن ينتسب إلى أي دين»[5].

(١) ركائز الإيمان بين العقل والقلب ص ٣٥٤.
(٢) عقيدة البعث في الإسلام ص ٩٥.
(٣) نفس المصدر ص ٩٥.
(٤) ركائز الإيمان بين العقل القلب ص ٣٥٧.
(٥) انظر الروحية الحديثة ص ٦٦.

وهكذا يروج الإلحاد والدعوة إلى محاربة الأديان تحت ستار الدعوة إلى الأخلاق والتآخي بين البشرية، ولقد كان لليهودية العالمية دورها في تسخير الروحية الحديثة لمآربها، حيث تسلل اليهود إليها وسيطروا عليها واستغلوها لصالحهم، ولو أنها في الأصل نشأت بعيداً عن أعينهم، ولكنها عادتهم في تحين الفرص واستغلال كل ما هو جديد وإلهاء الناس به، للسيطرة على العالم وسط هذا الجو من الإنحلال والضياع للبشرية .

الارتباط بين الجن وتحضير الأرواح :

إن ماتقدم من مزاعم الروحية لا يمكن أن يصدر من أرواح فارقت أبدانها فأصبح لاهمَّ لها إلا مخاطبة الوسطاء والإملاء عليهم من شتى العلوم والمعارف المزعومة، بل إن المنطق يقضي أن تكون هذه التعاليم للروحية الحديثة هي من عبث الشياطين بأتباعهم من البشر، فما الأصوات والأشباح التي تظهر للوسطاء ومن جالسهم إلا نوع من عبث الشياطين بهؤلاء، واستمتاعهم بهم في مقابل مايحصل للإنس من استمتاع بالجن يصلون به إلى كثير من مآربهم، فكم أضلت الشياطين من أناس تنكبوا عن الصراط، فأصبحوا أكثر إفساداً وإضلالاً من شياطين الجن.

لقد كانت الشياطين تنزل على الكهنة فتخبرهم بالكلمة من الحق فيكذبون معها مائة كذبة، وكانوا يتراءون لهم في صور مختلفة كما تقدم معنا، ومن صفات الجن التشكل في الصور المختلفة، وبإمكانهم أن يظهروا للإنسان في صورة أشخاص يكون للشخص معرفة مسبقة بهم قبل موتهم، ولقد تمثل الشيطان للمشركين يوم وقعة بدر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، وحرضهم على قتال الرسول عليه السلام ثم تولى عنهم بعد ذلك عندما عاين الملائكة، وتمثل الشيطان كذلك لأبي هريرة في صورة شيخ يريد الصدقة، ولقد شاهدهم ابن مسعود في صور مختلفة، وفي إحدى الليالي التي كلَّم فيها عليه الصلاة والسلام الجن، رأى ابن مسعود الجن يتقطعون مثل قطع السحاب، ومرة رآهم يتخدرون على الرسول

كأمثال النسور والحجل، وغير ذلك مما هو من صفات الجن، ولقد ثبت وجودهم واتصالهم ببني آدم اتصالاً وثيقاً وأنهم يعيشون معهم على الأرض، وأحياناً يدخلون في أجسامهم ويتسلطون عليهم بكيفية لا يعلمها إلا الله.

وبناء على ذلك فإن الجن يمكن أن يتشبهوا بالرياح والأنوار مختلفة الألوان وبالسحاب والدخان والشخصيات العظيمة، كما يمكن للجن تقليد أي شخصية حية أو ميته بعد موتها، فأعمارهم تزيد على أعمار بني آدم كما في بعض الآثار، كما أن تكليم الجني للإنسان على لسان إنسان آخر أمر ثابت كما تقدم معنا، وتحريك الجني لقلم يكتب أو لسلسلة ترسم بوساطة قلم أو لأثاث حجرة أو لغير ذلك مما نسمع عنه أمر ممكن وواقع[1].

فلم لا يكون مايزعمه دعاة استحضار الأرواح من عبث مردة الجن الذين همهم السخرية ببعض البشر الذين يوافقونهم في أعمالهم؟! يقول الشيخ محمد الغزالي: «إننا لانشك في أن مباديء هذه الروحية الحديثة هي من عبث مردة الجن الذين استغفلوا نفراً من أبناء آدم واصطادوهم إلى هذه المجالس: مجالس الأشباح والأوهام، أو مجالس تحضير الأرواح كما يقال، ليملوا عليهم هذا المنكر من القول، وما أكثر عبث الجن بالإنس وأوسع طرقه، ولذلك يندد القرآن الكريم بأطراف هذه الفتنة فيقول: ﴿**ويوم يحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم**﴾[2]، ولا غرو فإن الشيطان يستحلي إغواء أبناء آدم كما يستحلي أبناء آدم أكل السحت وارتكاب الزنا، وعقبى هذه المتع كلها جهنم.

---

(١) انظر مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر ص ١٥٥ ــ ١٥٦.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٨.

وفي عصرنا هذا أخذت سخرية الشياطين من البشر هذه الطريقة التي لم تؤلف من بدء الخليقة، واستمعنا إلى أبواق الظلام فإذا هي تجدد الوثنيات القديمة، وتحارب هدايات الله وتصد عن قرآنه العظيم»[1].

ويقول أحمد عز الدين البيانوني: «ولقد دعيت إلى مجالس تحضير الأرواح وجربت ذلك بنفسي تجربة طويلة، وظهر لي أنه كذب ودجل وخداع على أيدي شياطين تتلاعب، غرضهم من ذلك تضليل الناس وخداعهم وموالاة من يواليهم»[2].

ويروي أنه حضر مرة مجلساً من هذه المجالس حيث بشَّره أصحاب هذه المجالس بزيارة والده بعد لحظات وحذَّروه أن يسأله عن شيء، يقول: وبعد دقائق جاءني جاء يزعم أنه والدي، فسلم علي وأظهر سروره بلقائي، وفرحه بي على صلتي بهذه الأرواح، وأوصاني أن أعتني بالوسيط وأهله، وختم والدي حديثه بالصلوات الإبراهيمية، وأنا أعلم أنه رحمه الله تعالى كان شديد الولع بالصلاة على النبي ﷺ ولا سيما الإبراهيمية، وكان من العجب أن لهجة المتحدث شبيهة لحد ما بلهجة الوالد، ثم سلم وانصرف.

ولكنه يقول: وأخذت أتساءل في نفسي: لم أوصوني أن لا أسأله عن شيء؟ في الأمر سر ولاشك! السر الخفي الذي انكشف لي آنذاك أنه ليس بوالدي، ولكنه قرينة من الجن الذي صحبه مدة حياته، فجاءني يمثل لي صوته، ويتشبه بخصوصية من خصوصياته، أوصوني أن لا أسأله عن شيء، لأن القرين من الجن مهما عرف من شأن والدي وحفظ من أحواله فلن يستطيع أن يحفظ كل جزئية يعرفها الولد من أبيه، فحذروا أن أسأله عن شيء من ذلك فلا يجيبني فيفتضح الأمر[3].

(١) ركائز الإيمان بين العقل والقلب ص ٣٥٩.
(٢) الإيمان بالملائكة ص ١٧٤.
(٣) نفس المصدر ص ١٧٩ ــ ١٨٠ باختصار.

والغريب من تقليد بعض المسلمين لدعاة الضلال هؤلاء كما فعل الشيخ طنطاوي جوهري من الدفاع عن هذا الدجل، مخضعاً النصوص القرآنية لهذه المزاعم الخبيثة كما تقدم معنا، إن الآيات التي استدل بها الشيخ لا تدل على مايزعمه دعاة الروحية الحديثة بأي شكل من الأشكال، وحاشا لله أن يكون فى قرآنه مافيه تأييد لمزاعم دجال أو مشعوذ، فإن الذي قُتل من بني إسرائيل ظلماً وإحياؤه في زمن موسى عليه السلام وإخباره عمن قتله، إنما كان آية على قدرته تعالى على إحياء الموتى، ودلالة منه تعالى على عين القاتل بإنطاق المقتول وبخطاب من روح متمثلة، وفي ذلك تأييد من الله لعبده ورسوله، وما حدث من تقطيع إبراهيم عليه السلام للطير ــ ثم دعوته لهن بعد تفريقهن على الجبال وعودتهن أحياء ــ إنما كان كذلك آية من آيات قدرة الله وعظمته، إلى غير ذلك مما استشهد به طنطاوي جوهري، مما لا يتفق مع هذا الهراء المخطط له تخطيطاً مسبقاً في تحطيم الأديان ومحاربة الفضيلة بأي شكل من أشكالها، وشتان مابين المعجزة وتلبيسات الشياطين.

إن الأرواح لا سلطة لأحد عليها بتسخير أو تحضير، فإن الأرواح بعد أن يموت أصحابها تذهب إلى حيث شاء الله بما يتفق مع عملها في الدنيا، «فهي إما في نعيم وإما في عذاب، وهي متفاوته في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فمنها أرواح في أعلى عليين وهي أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، ومنهم من تحبس روحه عن دخول الجنة لديْن عليه أو غيره، ومنها مايكون محبوساً على باب الجنة، ومنها مايكون محبوساً في قبره، ومنها مايكون محبوساً في الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى، فقد كانت روحاً سفلية أرضية، فإن الأرواح الأرضية لا تجامع الأرواح السماوية، كما كانت عليه في الدنيا، ومنها أرواح تكون في تنّور الزناة والزواني، ومنها أرواح تسبح في نهر الدم، وتلقم الحجارة»[1].

(١) الروح لابن القيم ص ١١٥ ــ ١١٦ باختصار

أترى: أتكون أرواح دعاة التضليل هؤلاء مع أرواح الأنبياء والشهداء، أم مع الأرواح السفلية التي مارست شتى أنواع المعاصي والضلال؟! أم أن هذه الأرواح ستكون في بحبوحة من العيش تدخن السيجار وتشرب الوسكي كما يزعم دعاة الروحية الحديثة؟ اسمع ما يقوله أحد دعاتهم وهو (السر أوليفر لودج) في كتابه الذي سماه ــ ريموند ــ باسم ابنه الميت، من أنه سأل روح ابنه: أين تعيشون أنتم أيها الأرواح الآن؟ فأجابه: إن مساكننا مبنية من الطوب الأحمر، وبعضها من الآجر، وإنه يدخن السجاير بلذة، وأن زملاءه يطلبون الوسكي، وآخرين يطلبون الصودا، وأخبره أنه متألم لظهور ضرس جديد بفمه»[1].

روح من هذه التي أملت مثل هذه الأجوبة على هذا الوسيط المزعوم؟ أحقاً أن أرواح الكفرة تطلب الوسكي والسجاير في ذلك العالم الذي يطلب فيه هؤلاء الرجوع إلى الدنيا لكي يعملوا صالحاً جزاء مافرطوا في حياتهم الدنيا؟!.

لكن الأرواح على حد زعم هؤلاء لاهم لها إلا التلذذ والمرح وإنشاد القصائد الشعرية وإملائها على الوسطاء، ولذا فإن من الأرواح الراقية ــ كما يزعمون ــ من تعثر على الوسيط المناسب فتساعده بالإلهام الراقي وتجعل منه مع الوقت شاعراً أو فيلسوفاً أو عالماً عبقرياً، بالقدر الذي يتفق مع استعداده الفطري»[2].

ألم يعلم هؤلاء أن أكثر أسباب الحماقة في المنحرفين أو المجانين الذين ادعوا أنهم أنبياء أو عظماء، إنما هي هواجس شيطانية، إذ هتفت الشياطين في أعماق أفئدتهم أو على طبلة آذانهم أنهم أحباء الله وعظماء، وأن الله قد أكرمهم بإسقاط تكاليفه عنهم، فربت الغرور في أوداجهم، وثقلت رؤوسهم الفارغة بالخديعة، وراحت تهتز منهم الأعطاف، وأيقنوا أنهم وزراء الله المدلّلون في الأرض، وأن بينه

(١) العقائد الإسلامية لنديم الملاح ص ٤٥.
(٢) انظر الانسان روح لا جسد ١/٧٤١

وبينهم نسب الأرواح الطاهرة التي تناجيهم، مع أنها ليست إلا أرواحاً حقيرة من أرواح مردة الشياطين التي تحط عادة فوق قمامات العقول والأفكار تتلهى بإغوائها واللعب بها.

ولو أمكن استحضار الأرواح في الدنيا لحلت كثير من الإشكالات التي وقعت بسبب غياب الموتى، ولو طلب من أرباب لتحضير الأرواح أن يحضروا روح المصطفى ﷺ، أو روح من هو أدنى منه من أئمة الدين الذين تتطلع نفوس المسلمين إلى رؤية صورهم وسماع كلامهم ــ وحاشا لأرواحهم أن يكون للشياطين سلطان عليها ــ لاعتذروا بأنهم لا يقدرون على ذلك.

فقد حَضَرَ الشيخ محمد عبده مؤتمراً لتحصير الأرواح في أروبا، حضره كبار هذا الفن، فيقول: لقد حُضِّرت أرواح كثيرين وبعضهم ممن أعرفه قبل وفاته، ورأيت ذلك مطابقاً لما علمته عن هؤلاء الناس، فسألتهم وكلهم اتجهوا إليَّ ليسمعوا سؤالي، فقلت لهم: إن رأيي في هذا أنه عمل من أعمال الجن، وناقشتهم مناقشة جدية في هذا الموضوع إلى أن تحديتهم بإحضار روح المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام لأسأله عن الأحاديث الصحيحة الواردة عنه، ولأتبين بلاغته وفصاحته في منطقه إذا تكلم في ذلك الوقت، وكثير من المستشرقين الحاضرين يمكنهم الحكم على ذلك، وليقيني بأن النبي محفوظ من أن يتمثل الشيطان بصورته ويؤدي مايؤديه، علمت أني سأفوز عليهم، فلم يلبثوا أن عجزوا جميعاً، معتذرين بأن هذه روح عالية لا يمكن احضارها، ومن ذلك يتبين جلياً أن هذا عمل من أعمال الجن»[1].

إن القرين من الجن الذي يصاحب الإنسان في حياته هو الذي يحضر فيجيب عن الأسئلة التي يوجهها إليه دعاة التحضير، وذلك لأنه يعلم من أحوال الميت

---

(١) التصوف الإسلامي والإمام الشعراني ص ١٥٨ ــ ١٥٩.

الشيء الكثير، والجني يستطيع الإخبار عن بعض الأمور التي تغيب عن البشر في مكان ما، فما هو غيب بالنسبة لنا مشهود بالنسبة للجن، وذلك لسرعة تنقلهم بين الأماكن البعيدة.

والخلاصة ان كل ماقيل في تحضير الأرواح المزعومة قيل في تحضير الجن، وأن كل ماتفعله الجن تفعله الأرواح المزعومة، والحقيقة أنها ألعاب الجن، ولو علم محضرو الجن حقيقة محضري الأرواح لادعوا ما يدعون ولألبسوا تحضيرهم للجن ثوباً علمياً حتى يصدق الناس ذلك.

فكل هؤلاء يستوون في تحضير الجن، سواء في ذلك طريقة المندل والتعاويذ السحرية، أو طريقة السلة وعلبة السجائر، أو لعبة الحروف الأبجدية والأرقام الحسابية، وطريقة القاعة المغلقة، أو طريقة الآلات المتحركة والوسيط وغيرها.

ويستوي ظهور الجن على لسان إنسان أو في شكل نور أو ريح أو سحاب في سقف حجرة، أو في شكل ولي أو غير ذلك، ولن نستطيع حين ندرس تحضير الجن وتحضير الأرواح أن نجد أي فارق في النتيجة والأثر(١).

وما اتخذ دعاة تحضير الأرواح هذا الطريق في تحضير الجن إلا ليلبسوا على الناس دينهم، وليستطيعوا التسلل إلى عقول الناس باسم العلم والبحث العلمي، لتتسلل من خلال ذلك مباديء اليهود وأفكارهم عن طريق غير مباشر، ليتمكنوا من السيطرة على العالم وسط هذا الجو، فالدراسات الروحية قد أصبحت أداة هدم كالدراسات النفسية المنحرفة التي شاعت في الوقت الحاضر وهما من نتاج اليهود، ولكل منهما طريقته في هدم الدين وإشاعة الرذيلة وتدنيس كل معنى مقدس في نظر الإنسان، فينبغي للمسلم أن يحذر هذه الأساليب الماكرة، وليعتصم بحبل الله المتين، فكم من أناس غررت بهم هذه الدعوة البراقة، فلما رأوا الحقيقة ثابوا إلى رشدهم، وألسنتهم تلعن الروحية الحديثة ودعاتها.

---

(١) انظر مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر ص ١٦٠ ــ ١٦١.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الرابع

في ابليس وحكمة خلقه

وفيه أربعة فصول :



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تمهيد .

حديثنا في هذا الباب إنما ينصب على إبليس بشكل خاص باعتباره سبب الفساد في الأرض إبتداء، وبوسوسته لآدم وحواء عليهما السلام بالأكل من شجرة الخلد التي نهاهم رب العالمين عن الأكل منها، وذلك بسبب طرده من الجنة بعدما أمره الله بالسجود لآدم عليه السلام، فأخذ على عاتقه الكيد للبشرية، قاعداً لهم بكل طريق يقربهم من الله تعالى.

أما فيما يتعلق بذريته فقد تقدم الحديث عنهم، لكننا سنتطرق للحديث عن بعض الجوانب التي لها ارتباط مباشر بابليس باعتباره أصل الشياطين ومقدمهم في العداوة للإنسان ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا**﴾[1].

(١) سورة الكهف الآية ٥٠.



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

تعريف إبليس لغة واصطلاحاً

تعريف إبليس لغة :

ذكر بعض العلماء أن إبليس اسم عربي، على وزن (إفعيل) مشتق من الإبلاس، وهو الإبعاد من الخير، أو اليأس من رحمة الله[١]

وقال الأكثرون «ان إبليس اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعَلَمية والعجمة، وقد ذكر ابن الأنباري أن ابليس لو كان إسماً عربياً لم يصرف كإكليل وإحليل[٢]، قال أبو آسحٰق: ان إبليس أعجمي معرفة، وذكر الزبيدي أن إبليس لايصح أن يشتق وإن وافق معنى إبليس لفظاً ومعنى، وقد غلط العلماء الذين قالوا باشتقاقه[٣]

وذكر الطبري بأنه: لم يصرف استثقالاً، إذ كان إسماً لا نظير له من أسماء العرب، فشبَّهته العرب إذ كان كذلك بأسماء العجم التي لا تجري كما في آسحٰق حيث لم يجروه، وهو مشتق من أسحقه الله إسحاقاً، إذ وقع ابتداء إسماً لغير العرب التي تسمت به العرب، فجري مجراه، وهو من أسماء العجم في الإعراب فلم يصرف، وكذلك أيوب إنما هو من آب يئوب[٤]

قال ابن حجر: وقد تُعُقِّب بأنه لو كان إسماً عربياً مشتقاً من الإبلاس لكان

(١) تفسير روح المعاني ٢١٠/١، وانظر لسان العرب ٢٩/٦ ــ ٣
(٢) انظر تفسير روح المعاني ٢١٠/١ وانظر فتح الباري ٣٣٩/٦
(٣) تاج العروس ١١١/٤ بتصرف.
(٤) تفسير الطبري ٢٢٧/١ ــ ٢٢٨ بتصرف.

قد سمي به بعد يأسه من رحمة الله بطرده ولعنه[1]، وظاهر القرآن أنه كان يسمى بذلك قبل ذلك، وكذا قيل، ولا دلالة فيه، لجواز أن يسمى بذلك باعتبار ماسيقع له، نعم روى الطبري عن ابن عباس قال: «كان اسم إبليس حيث كان مع الملائكة عزازيل ثم إبليس بعد[2]، وهذا يؤيد ذلك القول. والله أعلم[3].

والزعم بأن كلمة إبليس مأخوذة من المصادر اليهودية ــ كما قد ذكرت ذلك دائرة المعارف الإسلامية التي ألفها مجموعة من المستشرقين الغربيين[4] ــ زعم مغرض، ويرده أن أسفار العهد القديم قد عبرت عن إبليس أو الشيطان بكلمة (عزازيل)[5].

ومثل هذا الزعم ماذكرته دائرة المعارف أيضاً أن هذه الكلمة تحريف للكلمة اليونانية. (SLEBNHOS).. وأن كلمة الشيطان مستعارة أيضاً من اللغة الأثيوبية التي أخذتها من العبرية.

وأبعد من ذلك ماذكره المستشرق (نولدكه) في دائرة المعارف من أن صفة رجيم التي وصف بها إبليس بأنها مشتقة من الكلمة الحبشية التي تفيد معنى الملعون[6]، وهذا إصرار مسبق من قبل مؤلفي دائرة المعارف على نسبة ماهو إسلامي وعربي إلى لغات وحضارات أخرى.

وقد ذكر الأستاذ محمد أحمد شاكر أن لغة العرب من أقدم اللغات[7].

(١) انظر فتح الباري ٣٣٩/١.
(٢) تفسير الطبري ٢٢٤/١.
(٣) فتح الباري ٣٣٩/٦.
(٤) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٤٧/١٤.
(٥) انظر كتاب الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان ص ٥٢ وما بعدها.
(٦) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٧/١٤ ــ ٤٩.
(٧) انظر هامش دائرة المعارف الإسلامية ١١١/٧.

ويظهر طعن دائرة المعارف بالإسلام عندما تقول: «وكلمة شيطان شائعة في القرآن، ولكنها لا ترد في سور العهد المكي إلا مرة منكرة بصيغة المفرد فحسب، ولم يرد في صيغتها المحددة إلا في العهد الثاني، موحية أن النبي قد وجد أو تذكر فكرة أخرى عن الشيطان، ويفهم ضمناً أن الشيطان هو إبليس»[1].

وهذا كلام ساقط من أساسه، إذ فيه طعن صريح في الإسلام، بادعاء أن القرآن من تأليف الرسول ﷺ.

والمبلس: اليائس من النجاة، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب قد أبلس، قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسما مكْرَسا .·. قال نعم أعرفه وأبلسا

أي لم يحر جواباً وصمت عن السائل.

والمبلس أيضا: الساكت من الحزن أو الخوف، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿**فإذا هم مُبْلِسون**﴾[2] قال: المبلس الحزين النادم، وأنشد رؤبة :

وحَضَرَتْ يوم خميس الأخماس .·. وفي الوجوه صفرة وإبلاس

أي: اكتئاب وحزن وكسوف، وقال في قوله تعالى: ﴿**يُبلِس المجرمون**﴾[3] أي يتندمون ويكأبون وييأسون.

والمبلس أيضاً: المتروك المخذول.

والإبلاس: الحيرة، وفيه حديث سواد بن قارب في الجن:

ألم تر الجن وإبلاسها .·. ويأسها بعد انكاسها[4]

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٤/٤٧.

(٢) سورة الأنعام الآية ٤٤.

(٣) سورة الروم الآية ١١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه.. كتاب مناقب الأنصار. باب إسلام عمر بن =

وقال أبو بكر: الإبلاس معناه في اللغة: القنوط وقطع الرجاء من رحمة الله تعالى، والإبلاس: الإنكسار والحزن.

وقال مجاهد: في قوله تعالى: ﴿**يبلس المجرمون**﴾ قال: الإبلاس: الفضيحة وقال غيره: الإبلاس: الخشوع ﴿**فإذا هم مبلسون**﴾ أي: خاشعون.

وأبلس الرجل: إذا انقطع فلم تكن له حجة، وأبلس فلان: إذا سكت غماً»[1].

«ووجه تسمية إبليس بهذا الاسم إنه أفتضح بعصيانه أمر ربه عندما أمره بالسجود مع الملائكة لآدم، فطرده الله من الجنة، فيئس من رحمة الله، فحزن وندم، فصار مخذولاً متروكاً ذليلاً منقطع الحجة ساكتاً، فقيل له إبليس»[2] وقال ابن عباس: «إبليس أبلسه الله من الخير كله وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته، وذكر السدي أن إبليس كان اسمه الحارث، وإنما سمي حين أبلس فغير، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿**فاذا هم مبلسون**﴾ يعني به أنهم آيسون من الخير نادمون حزناً»[3].

تعريف الشيطان لغة :

ذكر جماعة من أهل اللغة أن الشيطان نونه أصلية على وزن (فيْعال) مشتق من شَطَنَ: أي بعد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، وشيطن وتشيطن، صار كالشيطان وفعل فعله، قال أمية بن أبي الصلت يصف

= الخطاب ١٧٧/٧ وقد تقدم.

(١) لسان العرب ٢٩/٦ ــ ٣٠ باختصار. وانظر كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ١٩٢/٢.

(٢) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ١٩٣/٢.

(٣) انظر المصدر السابق ٢٣٩/١٣.

سليمان بن داود عليهما السلام :

أيما شاطنٍ عصاه عَكَاه[١] .·. ثم يُلقى في السجن والأغلال

قال: أيما شاطن، ولم يقل: أيما شائط.

وذكر جماعة أن الشيطان نونه زائدة على وزن (فعلان) فهو من شاط يشيط: إذا احترق غضباً، وعلى هذا الأساس يكون ممنوعاً من الصرف[٢].

وذكر ابن الأثير أن نون الشيطان إذا جعلت أصلية كان من الشَطْن وهو: البعد عن الخير أو من الحبل الطويل، كأنه طال في الشر، وإن جعلت زائدة كان من شاط يشيط: إذا هلك، أو من استشاط غضباً، إذا احتد في غضبه والتهب، قال: والأول أصح[٣]، وذكر ابن كثير أن من العلماء من صحح المعنيين مع قولهم بأن الأول أصح[٤].

والشَطْنُ: البعد، ومنه شطنت داره، أي بعدت، ويقال نوىً شطون أي بعيدة، وبئر شطون: أي بعيدة القعر، ويقال للحبل شطن سمي بذلك لطوله، وجمعه أشطان، وفي الحديث: كل هوى شاطن في النار»[٥]. قال ابن قتيبة: الشاطن البعيد عن الحق.

---

(١) عكاه : أي ربطه وقيده.

(٢) انظر لسان العرب ١٣/٢٣٩. وكتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ٢/١٧٠ وانظر تاج العروس للزبيدي ٩/٢٥٣ والصحاح للجوهري ٥/٢١٤٤ وانظر تفسير ابن كثير ١/١٥.

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث ٢/٤٧٥.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١/١٥.

(٥) أورده الزمخشري في الفائق في غريب الحديث ٢/٢٣٦. وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٢/٤٧٥ وقال: الشاطن: البعيد، وفي الكلام محذوف تقديره: كل ذى هوى شاطن.

قال محمد بن اسحق: إنما سمي شيطاناً لأنه شطن عن أمر ربه، والشطون البعيد النازح[1].

وقال أبو عبيد: الشيطان كل عات متمرد من إنس أو جن أو دابة قال جرير:
أيامَ يدْعونني الشيطانَ من غزلي .·. وهنَّ يهْوِيْنني اذ كنت شيطانا

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا**﴾[2] وكذا قوله: ﴿**وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم..**﴾[3] أي أصحابهم من الجن والإنس، وقوله تعالى: ﴿**وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم..**﴾[4] وقوله: ﴿**واتَّبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلْك سليمان**﴾[5] قيل مردة الجن وقيل مردة الإنس»[6].

قال ابن منظور: «وقد تسمى الحية الدقيقة الخفيفة شيطاناً وجاناً على التشبيه، وفي الحديث: «**ولا تحيَّنوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان**»[7] قال الحربي: هذا مثل، يقول: حينئذ يتحرك الشيطان ويتسلط، فيكون كالمعين لها، وقال الخطابي: قوله (بين قرني شيطان) من ألفاظ الشرع التى أكثرها ينفرد هو بمعانيها، ويجب علينا التصديق بها والوقوف عند الإقرار بأحكامها والعمل بها. وفي الحديث: «**الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب**»[8]،

(١) كتاب الزينة في الكلمالت الإسلامية العربية ١٧٩/٢.
(٢) سورة الأنعام الآية ١١٢.
(٣) سورة البقرة الآية ١٤.
(٤) سورة الأنعام الآية ١٢١.
(٥) سورة البقرة الآية ١٠٢.
(٦) تاج العروس ٢٥٣/٩.
(٧) من حديث أخرجه البخاري عن ابن عمر. كتاب بدء الخلق. بابا صفة إبليس وجنوده ٣٣٥/٦.
(٨) أخرجه أبو داود في سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. كتاب الجهاد باب =

يعني أن الانفراد والذهاب في الأرض على سبيل الوحدة من فعل الشيطان، أو شيء يحمله عليه الشيطان، وكذلك الراكبان، وهو حث على اجتماع الرفقة في السفر»[1].

تعريف إبليس والشيطان في الاصطلاح :

تردد لفظ إبليس والشيطان في مواضع متعددة من القرآن الكريم، فقد ورد لفظ إبليس في أحد عشر موضعاً[2]، ولم يرد هذا اللفظ إلا مفرداً في هذه المواضع جميعاً.

أما لفظ الشيطان فقد جاء مفرداً ومجموعاً، فقد ورد مفرداً في سبعين موضعاً، وأما بلفظ الجمع فقد ورد في ثمانية عشر موضعاً[3]، عدا عن المواضع التي ورد فيها لفظ الجِنّ والجِنَّة، التي يراد في كثير منها الشيطان مفرداً ومجموعاً.

وعلى هذا الأساس فما المراد بإبليس والشيطان في هذه المواضع؟

إبليس هو ذلك المخلوق من النار، والذي كان يجالس الملائكة ويتعبد معهم، وليس من جنسهم كما سيأتي، فلما أمر الله ملائكته بالسجود لآدم خالف أمر ربه بتكبره على آدم لادعائه أن النار التي خلق منها خير من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام، «فكان جزاء هذه المخالفة أن طرده الله عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلاماً له بأنه قد أبلس من الرحمة، وأنزله من

= في الرجل يسافر وحده ٨٠/٣. ومالك في الموطأ كتاب الاستئذان. باب ما جاء في السفر للرجال والنساء ٩٧٨/٢، والترمذي في سننه كتاب الجهاد باب ما جاء في كراهية أن يسافر الرجل وحده ٦/٦ وأحمد في مسنده ١٨٦/٢.

(١) لسان العرب ٢٣٩/١٣ باختصار. وانظر النهاية في غريب الحديث ٤٧٥/٢.

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ١٣٤.

(٣) انظر نفس المصدر ص ٣٨٢ ــ ٣٨٣.

السماء مذموماً مدحوراً إلى الأرض، فسأل الله النظرة إلى يوم البعث، فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى[1]، وقال: ﴿**فبعزتك لأغوينهم أجمعين * الا عبادك منهم المخلصين**﴾[2]، وكما قال عز وجل عنه: ﴿**لئن أخرتنِ إلى يوم القيامة لأحْتَنِكَنَّ ذريته إلّا قليلاً**﴾[3] وهؤلاء هم المستثنون في قوله تعالى: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا**﴾[4].

وإبليس واحد من الجن، وهو أبو الشياطين والمحرك لهم لفتنة الناس وإغوائهم، وقد ذكره الله في قصة امتناعه من السجود لآدم وذلك كقوله تعالى: ﴿**وإذا قلنا للملٰئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين**﴾[5].

وقد أطلق عليه القرآن اسم الشيطان في مواضع، منها قوله تعالى: ﴿**فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماوُري عنهما من سوْاتهما وقال ما نهٰكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين**﴾[6] وقوله: ﴿**يابني آدم لا يفتننَّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما...**﴾[7] الآية.

فالشيطان في هذه الآيات مراد به إبليس، لأن القرآن يتحدث عن قصة إغوائه لآدم وحواء عليهما السلام.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٢٠٩/٣.

(٢) سورة (صٓ) الآيات ٨٢، ٨٣.

(٣) سورة الاسراء الآية ٦٢.

(٤) سورة الاسراء الآية ٦٥.

(٥) سورة البقرة الآية ٣٤.

(٦) سورة الأعراف الآية ٢٠.

(٧) سورة الأعراف الآية ٢٧.

والذي يتأمل القرآن يرى أن إطلاق لفظ إبليس لم يرد إلا في معرض الحديث عن إباء إبليس من السجود لآدم، ولم يرد هذا الإطلاق خارج الحديث عن إبائه من السجود إلا في موضعين:

الأول : في سورة الشعراء وهو قوله تعالى: ﴿**فكُبْكِبوا فيها هم والغاوُن * وجنود إبليس أجمعون**﴾[١] وفي هذا الموضع يكون مراداً به جمع إبليس وجنوده من الجن والإنس في نار جهنم، باعتبار الرئيس والأتباع.

الثاني : في سورة سبأ في قوله تعالى: ﴿**ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنه فاتَّبعوه الا فريقاً من المؤمنين**﴾[٢]، وهذا هو الموضع الوحيد الذي ورد فيه لفظ إبليس في معرض الحديث عن ممارسة غوايته وإفساده للناس.

وأما لفظ الشيطان فقد يراد به إبليس خاصة، كما في قصة آدم وإبليس كقوله تعالى: ﴿**فأزلهما الشيطان عنها**﴾[٣] وقوله: ﴿**فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماوُري عنهما من سوءاتهما**﴾[٤].

وقد يراد بالشيطان كل شرير مفسد داع للغيّ والفساد من الجن والإنس، كما في قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا**﴾[٥]

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الجن والإنس، قال: يانبي الله، وهل للإنس شياطين؟ قال نعم: ﴿**شياطين الانس**

(١) سورة الشعراء الآيات ٩٤،٩٥.
(٢) سورة سبأ الآية ٢٠.
(٣) سورة البقرة الآية ٣٦.
(٤) سورة الأعراف الآية ٢٠.
(٥) سورة الأنعام الآية ١١٢.

والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾[1].

وقد يطلق لفظ الشيطان كذلك على المتميز بالخبث والأذى من الحيوان، فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «ركب عمر برذونا فجعل يتبختر به، فضربه فلم يزدد إلا تبختراً، فنزل عنه وقال: ما حملتموني إلا على شيطان، لقد أنكرت نفسي»[2].

وعلى هذا فإن الشيطان إذا أريد به الجنس فله معنيان: معنى خاص ومعنى عام.

فأما الخاص فيراد به إبليس وذريته المخلوقون من النار، والذين لهم القدرة على التشكل، وهم يتناكحون ويتناسلون ويأكلون ويشربون، وهم محاسبون على أعمالهم في الآخرة، مطبوعون بفطرتهم على الوسوسة والإغواء، وهم بهذا عاملون على التفريق والخراب، جاهدون لفصل ما أمر الله به أن يوصل، ووصل ما أمر الله به أن يفصل، وإبرام ما يجب فصمه، وفصم مايجب إبرامه، فهم والملائكة على طرفي نقيض[3].

وأما المعنى العام فيراد به كل مخلوق عات متمرد من الإنس والجن والدواب[4] فأما من جانب الجن والإنس فهو التمرد والعصيان لأمر الله ومحاولة بذر الفساد في الأرض بشتى صوره وأشكاله قال تعالى: **﴿شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾**[5].

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٦٥/٥ وقد تقدم.

(٢) قال الصابوني في مختصر نفسير ابن كثير ١٨/١: رواه ابن وهب عن زيد بن أسلم عن أبيه، واسناده صحيح.

(٣) انظر دائرة معرف القرن العشرين ٣٣٢/٢.

(٤) تاج العروس ٢٥٣/٩.

(٥) سورة الأنعام الآية ١٢٠.

وأما من جانب الدواب فهو الخبث والأذى الذي تميزت به عن جنسها.

أوصاف إبليس :

تقدم الحديث عن صفات إبليس في معرض الكلام عن صفات الجن، باعتبار إبليس وذريته من الجن يشتركون في الصفات الخَلْقية، ويتفاوتون في الصفات الخُلُقية، لكن حديثنا هنا سيكون عن صفات الذم التي ورد وصف الشيطان بها وهي:

(١) الرجيم :

وقد ورد هذا الوصف في مواضع متعددة من القرآن، قال تعالى عن إبليس بعدما رفض السجود لآدم: ﴿**قال فاخرج منها فإنك رجيم**﴾[١] وقال ﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾[٢] وقال: ﴿**وما هو بقول شيطان رجيم**﴾[٣].

قال ابن منظور: «الرجم: الرمي بالحجارة»: وقال: والرجم: اللعن، ومنه الشيطان الرجيم، أي المرجوم بالكواكب، وقيل رجيم: ملعون، مرجوم باللعنة، مبعد مطرود، وهو قول أهل التفسير، قال: ويكون الرجيم بمعنى المشتوم المسبوب من قوله تعالى: ﴿**لئن لم تنته لأرجمنك**﴾[٤]: أي لأسبَّنَّك.

وقد ورد الرجم بمعنى الهجران والطرد والظن.

والرجوم: النجوم التي يُرمى بها، قال تعالى في الشهب: ﴿**وجعلناها رجوماً للشياطين**﴾[٥]، أي جعلناها مرامي لهم[٦].

---

(١) سورة الحجر الآية ٣٤.
(٢) سورة النحل الآية ٩٨.
(٣) سورة التكوير الآية ٢٥.
(٤) سورة مريم الآية ٤٦.
(٥) سورة الملك الآية ٥.
(٦) لسان العرب ١٢/٢٢٧ بتصرف.

وعلى هذا فإن إطلاق صفة الرجيم على الشيطان لأنه مطرود عن رحمة الله مبعد عنها بسبب عصيانه وتمرده وإغوائه لآدم وذريته، ولأن الشياطين مرجومة بالشهب حيث يرمون بها عندما يحاول أحدهم استراق أخبار السماء.

وقد ورد في القرآن اللعن الذي يفيد الطرد، وذلك في قوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿**لعنه الله وقال لأتخذنَّ من عبادك نصيباً مفروضا**﴾[١] وقوله: ﴿**وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين**﴾[٢].

واللعن هو الطرد، وسمي إبليس ملعوناً لأن الله طرده وأبعده من رحمته وأخرجه من جواره[٣]، جزاء عصيانه أمر ربه عندما توجه إليه الخطاب مع الملائكة بالسجود لآدم.

(٢) المارد :

وقد ورد هذا الوصف للشيطان في مواضع من القرآن وهي قوله تعالى: ﴿**وحِفظاً من كل شيطان مارد**﴾[٤]وقوله ﴿**ويتبّعُ كل شيطان مريد**﴾[٥] وقوله: ﴿**وإن يَدْعون إلا شيطاناً مريدا**﴾[٦].

والمارد من الرجال: العاتي الشديد، وأصله من مردة الجن والشياطين، ومنه حديث رمضان «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفِّدت الشياطين ومردة الجن**»[٧]

(١) سورة النساء الآية ١١٨.
(٢) سورة الحجر الآية ٣٥.
(٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير ٤٣٨/١
(٤) سورة الصافات الآية ٧.
(٥) سورة الحج الآية ٣.
(٦) سورة النساء الآية ١١٧.
(٧) أخرجه الترمذي فى سننه عن أبي هريرة. كتاب الصوم. باب ماجاء في فضل شهر

وقال ابن الأعرابي: المَرْد التطاول بالكبر والمعاصي ومنه قوله: ﴿مَرَدوا على النفاق﴾[1] أي تطاولوا.

والمريد: من شياطين الإنس والجن، وقد تمرد علينا أي عتا، ومرد على الشر وتمرد أي عتا وطغى، والمريد الخبيث الشرير[2].

فالمارد إذن: هو العاتي الخارج عن الطاعة المنسلخ منها[3]، وسمي الشيطان بذلك لأنه تمرد على أمر ربه وخرج عن طاعته بمخالفته بعدم السجود لآدم عليه السلام، وأصبح هذا الوصف يطلق على جنس الشياطين لأنهم خارجون على طاعة الله وامتثال أمره.

(٣) الوسواس الخناس

قال تعالى في وصف الشيطان: ﴿**من شر الوسواس الخنَّاس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجِنَّة والناس**﴾[4].

والوسواس الخناس صفة للشيطان الذي يوسوس بالشر للإنسان في كل حال، ويخنس عند ذكر العبد ربه، فعن ابن عباس قال: «مامن مولود إلا على قلبه الوسواس، فإذا تذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس. قال فذلك قوله: ﴿**الوسواس الخناس**﴾[5].

رمضان ٣/٤٢، وابن ماجه في سننه. كتاب الصيام. باب ما جاء في فضل شهر رمضان ١/٥٢٦. وأخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٩٢ بلفظ «ويصفد فيه مردة الشياطين».

(١) سورة التوبة الآية ١٠١.

(٢) لسان العرب ٣/٤٠٠ باختصار.

(٣) انظر تفسير فتح القدير ٤/٣٨٧ وانظر كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ٢/١٨٢.

(٤) سورة الناس الآية ٤ ــ ٦.

(٥) تفسير الطبري ٣٠/٣٥٥ باختصار.

وعن أبي ثور عن أبيه قال: ذكر لي أن الشيطان ـــ أو قال الوسواس ـــ ينفث في قلب الإنسان عند الحزن وعند الفرح، وإذا ذكر الله خنس. وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يقول في قوله: ﴿**من شر الوسواس**﴾ الذي يوسوس بالدعاء إلى طاعته في صدور الناس حتى يستجاب له إلى مادعا إليه من طاعته، فإذا استجيب له إلى ذلك خنس[1] قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله أمر نبيه محمدا ﷺ أن يستعيذ به من شر شيطان يوسوس مرة ويخنس أخرى، ولم يخص وسوسته على نوع من أنواعها، ولا خنوسه على وجه بدون وجه، وقد يوسوس بالدعاء إلى معصية الله، فإذا أطيع فيها خنس، وقد يوسوس بالنهي عن طاعة الله، فإذا ذكر العبد أمر ربه فأطاعه فيه وعصى الشيطان خنس، فهو في كل حالتيه وسواس خناس، وهذه الصفة صفته»[2].

والوسوسة هذه تحصل من شياطين الإنس والجن فإن قوله: ﴿**من شر الوسواس الخناس**﴾ لبيان وجه الوسواس الخناس، وهو أنه إما أن يكون إنساناً أو شيطاناً من عالم الإنس أو عالم الجن[3] وقال ابن تيمية: «والوسواس الخناس يتناول وسوسة الجِنَّة ووسوسة الناس، وإلا أي معنى للاستعاذة من وسوسة الجنة فقط، مع أن وسوسة نفسه وشياطين الإنس هي مما تضره، وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن»[4]؟!

والوسواس الخناس كائن لا يرى شخصه حين يوسوس، حيث يتدسس إلى من يوسوس إليه خفية، ويدخل عليه من حيث لا يشعر، ونحن لا ندري كيف تتم هذه الوسوسة ولكننا نجد آثارها في نفوسنا، فقد وصف القرآن الكريم الوسواس

---

(١) تفسير الطبري ٣٠/٣٥٥.
(٢) نفس المصدر الآية ٣٠/٣٥٦.
(٣) انظر التفسير القرآني للقرآن ١٤/١٧٥٠.
(٤) مجموعة الرسائل الكبرى ٢/٢٠٢.

بأنه الخناس، وهذه الصفة تدل على تخفيه واختبائه حتى يجد الفرصة سانحة فيدب ويوسوس، ولكنها من جهة أخرى توحي بضعفه أمام من يستيقظ لمكره ويحمي مداخل صدره، فهو سواء كان من الجِنَّة أم كان من الناس، إذا ووجه خنس وعاد من حيث أتى وقبع واختفى.

وهذه اللفتة تقوِّي القلب على مواجهة الوسواس، فهو خناس ضعيف أمام عدة المؤمن في المعركة ــ كما تقدم معنا ــ ولكنها من ناحية أخرى معركة طويلة لا تنتهي أبداً، فهو أبداً قابع خانس مترقب للغفلة[1]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «**الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله تعالى خنس وإذا غفل وسوس**»[2] وعن أنس بن مالك قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وان نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس**»[3] أي نشب فيه وسوسته بالأفكار الرديئة.

---

(١) انظر في ظلال القرآن ٢٩٨/٣٠.
(٢) أخرجه البخاري معلقا. في ظلال القرآن ٢٩٧/٣٠.
(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٩/٧: رواه أبو يعلى، وفيه عدي بن أبي عمارة وهو ضعيف. وقد ورد في كنز العمال نحوه ٢٥١/١ وأورده ابن كثير في تفسيره عن الحافظ أبي يعلي الموصلي عن محمد بن بحر عن عدي بن أبي عمارة عن زياد النميري عن أنس بن مالك. قال عنه ابن كثير: غريب. تفسير ابن كثير ٥٧٥/٤.

الفصل الثاني

الجنس الذي منه إبليس

اختلف العلماء في جنس إبليس هل هو من الملائكة أم من الجن؟ وذلك لورود الآيات القرآنية باستثنائه من الملائكة في مواضع من القرآن عند التعرض لسجود الملائكة لآدم عليه السلام قال تعالى: ﴿**وإذ قلنا للملٰئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين**﴾(١) وقال: ﴿**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملٰئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين**﴾(٢) وقال: ﴿**فسجد الملٰئكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين**﴾(٣) وغير ذلك من الآيات، وهي تدل على استثنائه من الملائكة.

وقد جاءت آية سورة الكهف مصرحة بأن إبليس من الجن، قال تعالى: ﴿**وإذ قلنا للملٰئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه...**﴾(٤).

وإزاء هذه الآيات فقد انقسم العلماء في هذه المسألة إلى فريقين:

الفريق الأول: ويرى أن إبليس من الملائكة،والاستثناء الوارد في الآيات إنما هو استثناء متصل.

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٤.

(٢) سورة الأعراف الآية ١١.

(٣) سورة (صٓ)الآية ٧٣ ــ ٧٤

(٤) سورة الكهف الآية ٥

قال القرطبي: «وهو قول جمهور العلماء كابن عباس وابن مسعود وابن جريج وسعيد بن المسيب وقتادة وغيرهم، وهو اختيار الشيخ أبي الحسن الأشعري والشيخ موفق الدين بن قدامة وأئمة المالكية، ورجَّحة الطبري، وقال البغوي: هذا قول أكثر المفسرين[1] وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿**فسجد الملئكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين**﴾[2].

(٢) **الفريق الثاني:** ويرى أن إبليس لم يكن من الملائكة وإنما هو من الجن، والاستثناء في الآيات إنما هو استثناء منقطع.

والقائلون بهذا: ابن عباس في رواية، والحسن البصري، واختاره الزمخشري وأبو البقاء العكبري والكواشي في تفسيره[3]، وذكره الفخر الرازي عن بعض المتكلمين كالمعتزلة[4]، وغيرهم من العلماء، ورجحه الشيخ الشنقيطي[5] وغيره.

أدلة الفريقين :

وقد انتصر كل من الفريقين لقوله بعدة أدلة، وإليك تفصيل أدلة كل فريق :

(أ) **أدلة الفريق الأول:**

اعتمد هذا الفريق فيما ذهب إليه على أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿**فسجد الملئكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر**﴾[6] إنما هو استثناء متصل، وقد تكرر هذا

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١/٢٩٤ وتفسير الطبري ١/٢٢٤ ــ ٢٢٧ وتفسير القاسمي ٢/١٠٣ وأضواء البيان ٤/١٢٠ وتفسير روح المعاني ١/٢١٠.

(٢) سورة (صٓ) الآية ٧٤.

(٣) انظر تفسير القاسمي ٢/١٠٣ وتفسير الكشاف ١/٢٧٣، ٢/٤٨٨.

(٤) انظر التفسير الكبير ٢/٢١٣.

(٥) انظر أضواء البيان ٤/١٢١.

(٦) سورة (صٓ) الآية ٧٤.

الاستثناء في القرآن الكريم، فإخراج إبليس بالاستثناء من لفظ الملائكة دليل على أنه منهم، وذكر بعضهم أن الظواهر إذا كثرت صارت بمنزلة النص، ومن المعلوم أن الأصل في الاستثناء الاتصال لا الانقطاع[1] قال الطبري: «ثم استثنى من جميع الملائكة إبليس، فدل باستثنائه إياه منهم على أنه منهم، وأنه ممن قد أمر بالسجود معهم، ثم استثناه جل ثناؤه مما أخبر عن الملائكة أنهم فعلوه من السجود لآدم، فأخرجه من الصفة التي وصفهم بها من الطاعة لأمره، ونفى عنه ما أثبته لملائكته من السجود لعبده آدم»[2].

وأما بالنسبة لقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾[3] فقد أجاب الجمهور عنه بما يلي :

(١) أن إبليس كان من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن، خلقوا من نار السموم، وخلقت الملائكة من نور، غير هذا الحي، وكان من خزان الجنة، وكان رئيس ملائكة السماء الدنيا، وكان له سلطانها وسلطان الأرض، وكان اسمه قبل أن يركب المعصية عزازيل، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وعلماً، وكان يسوس مابين السماء إلى الأرض، فرأى لنفسه بذلك شرفاً عظيماً، فذلك الذي دعاه إلى الكفر فعصى، فمسخه الله شيطاناً رجيماً.

وبهذا قال ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة[4].

(٢) أنه لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود، ولو لم يتوجه إليه الأمر بالسجود لم يكن عاصياً، ولما استحق الخزي والنكال، كما ورد ذلك في القرآن، قال

---

(١) انظر اضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ١٢٠/٤.
(٢) تفسير الطبري ٢٢٤/١ بتصرف.
(٣) سورة الكهف الآية ٥٠.
(٤) انظر تفسير الطبري ٢٢٤/١ ــ ٢٢٥ وانظر تفسير القرطبي ٢٩٤/١.

تعالى: ﴿**قال يا أبليس مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك**﴾[1] فقد دلت الآية على أنه أمر بالسجود، والأمر بالسجود لم يتوجه إلا إلى الملائكة، فدل هذا على أنه واحد منهم، وكان قتادة يقول: جن عن طاعة ربه[2].

(٣) أن الملائكة يطلق عليهم اسم الجن، كما في قوله تعالى: ﴿**وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبا ولقد علمت الجِنَّة إنهم لمحضرون**﴾[3] حيث أن المراد بالجنة في الآية الملائكة، حيث زعمت قريش أن الملائكة بنات الله، وقد جعلوا بين الله وإبليس نسبا ــ تعالى الله عما يقولون ــ وإطلاق لفظ الجن على الملائكة هو مادلت عليه لغة العرب، حيث يقول أعشى بن قيس يذكر ما أعطاه الله للنبي سليمان بن داود عليهما السلام:

وسخر من جن الملائك تسعة .·. قياما لديه يعملون بلا أجر

فقد أطلق على الملائكة اسم الجن، وقال الطبري: «فأبت العرب في لغتها إلا أن الجن كل ما اجتن، وما سمَّى الله الجن إلا لأنهم اجتنوا فلم يروا، وما سمي بنو آدم الإنس إلا أنهم ظهروا فلم يجتنوا، فما ظهر فهو إنس، وما اجتن فلم ير فهو جن»[4].

(٤) وذكر الشيخ محمد عبده في تفسير المنار بأنه ليس هناك ثمة دليل يفرق بين الملائكة والجن تفريقاً جوهرياً، وإنما هو اختلاف أصناف عندما تختلف أوصاف كما ترشد إليه الآيات، فالظاهر أن الجن صنف من الملائكة[5].

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٢.
(٢) انظر تفسير الطبري ١/٢٢٥.
(٣) سورة الصافات الآية ١٥٨.
(٤) تفسير الطبري ١/٢٢٥ بتصرف. وانظر أضواء البيان ٤/١٢٠.
(٥) انظر تفسير المنار ١/٢٦٥.

(ب) أدلة الفريق الثاني :

وقد استدل القائلون بأن إبليس من الجن وليس من الملائكة بأدلة هي.

(١) أن قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿**فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾[١] صريح في أن إبليس من الجن وليس من الملائكة، والجن غير الملائكة، «وغير جائز أن ينسب إلى غير مانسبه الله اليه، وذكر الطبري عن قتادة قال: «كان الحسن يقول في قوله: ﴿**إلا إبليس كان من الجن**﴾ إلجاء إلى نسبه، وما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس»[٢]، وممن قال بأن إبليس أبو الجن أيضاً ابن زيد وقتادة كما ذكر ذلك القرطبي[٣].

(٢) أن إبليس لو كان من الملائكة لما عصى الله عندما توجه إليه بالأمر بالسجود لآدم، لقوله تعالى عن الملائكة: ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[٤] قال الزمخشري في قوله: ﴿**إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾، ﴿**كان من الجن**﴾ : كلام مستأنف جار مجري التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأن قائلاً قال: ماله لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن، ﴿**ففسق عن أمر ربه**﴾ والفاء للتسبيب، أيضا جعل كونه من الجن سبباً في فسقه، لأنه لو كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر ربه، لأن الملائكة معصومون البتة، لا يجوز عليهم مايجوز على الجن والإنس[٥].

---

(١) سورة الكهف الآية ٥٠.

(٢) تفسير الطبري ١/٢٢٦ بتصرف.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١/٢٩٤.

(٤) سورة المائدة الآية ٣٨.

(٥) تفسير الكشاف ١/٤٨٧ ــ ٤٨٨.

وقال الشيخ الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿**كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾ «ظاهر في أن سبب فسقه عن أمر ربه كونه من الجن، وقد تقرر في الأصول في مسلك النص وفي مسلك الإيماء والتنبيه أن الفاء من الحروف الدالة على التعليل كقولهم: سرق فقطعت يده، أي لأجل سرقته، وسها فسجد، أي لأجل سهوه، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾[(١)] أي لعلة سرقتهما، وكذلك قوله هنا: ﴿**كان من الجن ففسق**﴾ أي لعلة كينونته من الجن لأن هذا الوصف فرق بينه وبين الملائكة، لأنهم أمتثلوا الأمر وعصا هو»[(٢)].

(٣) أن الله أخبر أنه خلق إبليس من النار ولم يخبر أنه خلق الملائكة من شيء من ذلك، بل ورد في الحديث المروي عن عائشة قوله عليه الصلاة والسلام: «**خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**»[(٣)] وفي هذا دليل على أن الملائكة مخلوقة من نور لا من نار.

وقد ورد التصريح في القرآن على لسان إبليس بأن الذي دعاه إلى عدم السجود لآدم هو أنه مخلوق من النار وآدم مخلوق من الطين، قال تعالى: ﴿**قال مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾[(٤)]، فالذي دعا إبليس لعدم السجود هو ظنه الفاسد أن النار أشرف من الطين[(٥)]، وأن المخلوق منها أشرف من المخلوق من الطين.

(٤) أن الله أخبر أن إبليس له نسل وذرية قال تعالى: ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء**

(١) سورة المائدة الآية ٣٨.
(٢) أضواء البيان ١١٩/٤.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الزهد والرقاق باب في أحاديث متفرقة ٢٢٩٣/٣ وأحمد في مسنده ١٥٣/٦.
(٤) سورة الأعراف الآية ١٢.
(٥) انظر تفسير روح المعاني ١٢٠/١ وانظر تفسير القاسمي ١١٣/٢.

من دوني وهم لكم عدو﴾[١]، فإبليس وذريته يتوالدون كما يتوالد بنو آدم، كما قال الحسن[٢] ـــ ويأكلون ويشربون، والملائكة لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون، فدل هذا على أن إبليس من الجن وليس من الملائكة.

وقد أجاب القائلون بأن إبليس من الجن عن قوله تعالى ﴿**وإذ قلنا للملٰئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبىٰ...**﴾[٣] ونحوها من الآيات بما يلي:

أولاً : أن الاستثناء في هذه الآيات إنما هو استثناء منقطع، قال ابن حجر الهيتمي: ومن الواضح أن دلالة ﴿**كان من الجن**﴾ لأن كونه منهم أظهر من دلالة الاستثناء على كونه من الملائكة، لأنه يأتي منقطعاً كثيراً، قال تعالى: ﴿**ماهم به من علم إلا اتباع الظن**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**فإنهم عدو لي إلا رب العالمين**﴾[٥]، فربُّ العالمين ليس من الأول، وكقولنا: جاء بنو فلان إلا أحمد، وليس منهم إنما هو عشيرهم[٦].

ثانياً : أن الملائكة قاتلت الجن فأسرت إبليس وهو صغير، وكان مغموراً بين الألوف منهم، فكان يتعبد الله معهم، فأطلق عليه اسمهم لأنه تبع لهم كالحليف في القبيلة يطلق عليه اسمها، فلما أمرت الملائكة بالسجود لآدم سجدوا إلا إبليس أبىٰ، فلذلك قال الله: ﴿**إلا إبليس كان من الجن**﴾.

وعن شهر بن حوشب: قوله: ﴿**كان من الجن**﴾ قال: كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء[٧].

(١) سورة الكهف الآية ٥٠.
(٢) انظر تفسير الطبري ١/٥٢٦.
(٣) سورة البقرة الآية ٣٤.
(٤) سورة النساء الآية ١٥٧ الفتاوى الحديثية ص ١٢٥.
(٥) سورة الشعراء الآية ٧٧.
(٦) انظر لسان العرب ١٣/٩٨ وتفسير روح المعاني ١/٢١٠ وفي ظلال القرآن ١/٦٧.
(٧) تفسير الطبري ١/٢٢٦ بتصرف. وانظر صراع مع الملاحدة حتى العظم ص ٣٥٠.

وقال ابن كثير: «إن الله لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم، لأنه وإن لم يكن من عنصرهم، الا أنه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم، فلهذا دخل في الخطاب لهم، وذم في مخالفته الأمر»[1].

وقال الزمخشري: «إنما تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة لأن إبليس كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم، فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له، كان الجِنّي الذي معهم أجدر بأن يتواضع»[2].

ثالثاً : وذكر بعضهم أنه يمكن أن يقال: إن الجن من جنس الملائكة من حيث لطافة الجسم، وعدم رؤية البشر له، فيكون الاستثناء متصلاً مع كون إبليس من عنصر الجن حقيقة، لدلالة قوله تعالى: ﴿**خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾[3].

رابعاً : وذكر بعضهم أن الجن كانوا مأمورين بالسجود مع الملائكة، ولكنه استغني بذكر الملائكة لمزيد شرفهم عن ذكر الجن[4].

وقد رد الجمهور على أجوبة القائلين بأن إبليس من الجن بما يلي:

(١) أنه غير مستنكر أن يكون الله جل ثناؤه خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى، فخلق بعضاً من نور وبعضاً من نار، وبعضاً مما شاء من غير ذلك، وليس فيما نزل الله ــ جل ثناؤه ــ الخبر مما خلق منه ملائكته، وإخباره عما خلق منه إبليس ما يوجب أن يكون إبليس خارجاً عن معناهم، إذ كان جائزاً أن يكون خلق صنفا من ملائكته من نار كان منهم إبليس، وأن يكون

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٥٣/١.
(٢) تفسير الكشاف ٥٥٥/٢.
(٣) سورة الأعراف الآية ١٢ الفتاوى الحديثية ص ١٢٥ بتصرف.
(٤) تفسير روح المعاني ١٢٠/١ بتصرف، وانظر صراع مع الملاحدة حتى العظم ص ٣٥٠.

أفرد إبليس بأن خلقه من نار السموم دون سائر ملائكته، وهذا قول الإمام الطبري[1].

(٢) وأما إخبار الله عن إبليس بأن له نسلاً وذرية، والملائكة ليست كذلك، فإن هذا غير مخرج إبليس أن يكون من الملائكة، لما ركب الله فيه من الشهوة واللذة التي نزعت من سائر الملائكة، لما أراد الله به من المعصية[2]، فقد ذكر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن من الملائكة ضرباً يتوالدون ويقال لهم الجن ومنهم إبليس[3].

(٣) وما ذكره القائلون بأن إبليس من الجن أنه كان من جن الأرض فسبي ونشأ بين الملائكة فتعبد معهم، فقد روي في مقابلته أن إبليس هو الذي قاتل الجن في الأرض مع جند من الملائكة، كما ذكر المهدوي ذلك وغيره[4].

(٤) أن ماذكره القائلون بأن إبليس من الجن، وأنه كان واحداً منهم، فالجواب عنه: أنه وإن كان واحداً منهم، لكنه كان رئيسهم ورأسهم كما نطقت به الآثار، فلم يكن مغموراً بينهم، كما ذكر الألوسي ذلك[5].

(٥) وما ذكره القائلون أن إبليس من الجن، بأن الجن كانوا مأمورين بالسجود مع الملائكة وإبليس واحداً منهم، وأن الأمر بالسجود كان لمطلق المأمورين من الملائكة والجن، فقد قال الألوسي: «أن ذلك لم يثبت، إذ لم ينقل أن الجن سجدوا لآدم سوى إبليس، وكونه ـ أي الجن ـ مأمور صريحاً، فإن الآية غير صريحة فيه»[6].

(١) تفسير الطبري ١/٢٢٧.
(٢) تفسير الطبري ١/٢٢٧.
(٣) أنوار التنزيل واسرار التأويل (تفسير البيضاوي) ١/١٤١.
(٤) انظر تفسير القرطبي ١/٢٩٤.
(٥) تفسير روح المعاني ١/١٢٠ بتصرف.
(٦) نفس المصدر ١/١٢٠.

(٦) وماذكر أن إبليس من جنس الجن لظاهر قوله تعالى: ﴿**إلا إبليس كان من الجن**﴾[١] فالجواب عنه: «أنه من الجن فعلا ومن الملائكة نوعاً»[٢].

(٧) ولعل ضرباً من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وإنما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الإنس والجن، فإنه يشملهما، وكان إبليس من هذا الصنف، كما قال ابن عباس، فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط من محله كما أشار إليه قوله: ﴿**إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾[٣].

وقد ذهب ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله إلى أنه لا منافاة بين القولين المتقدمين، بل الخلاف لفظي، قال ابن تيمية: «والتحقيق أنه ـــ أي إبليس ـــ كان منهم باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله، ولم يخرج من السجود لآدم أحد من الملائكة لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا غيرهما»[٤].

وقال ابن القيم: «الصواب التفصيل في هده المسألة، وأن القولين في الحقيقة قول واحد، فإن إبليس كان مع الملائكة في صورته وليس منهم بمادته وأصله، وكان أصله من نار وأصل الملائكة من نور، فالنافي كونه من الملائكة والمثبت لم يتواردا على محل واحد»[٥].

وقد ذهب الأستاذ عبد الكريم الخطيب إلى التوفيق بين القولين وذلك باعتبار أن إبليس ليس من الملائكة بل من الجن، ولكن الجن كانوا مأمورين بالسجود

---

(١) سورة الكهف الآية ٥٠.
(٢) أنوار التنزيل واسرار التأويل ١/١٤١.
(٣) أنوار التنزيل واسرار التأويل ١/١٤١.
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/٢٤٦.
(٥) تفسير القاسمي ٢/١٠٤.

لآدم ويمكن إجمال ما قاله بما يلي:

١ ــ أن الله قد ذكر إبليس في معرض الحديث عن إبائه من السجود لآدم عليه السلام ولم يذكر الشيطان أو الجن في هذا المقام، مما يشعر بأن إبليس على صفة خاصة غير صفة الشيطان أو الجن.

٢ ــ ثم ذكر إبليس والشيطان في معرض التحذير من إغرائهما وإغوائهما، وكأنهما نفس واحدة، إذ كان من شأنهما العداوة للإنسان والنقمة عليه.

٣ ــ ومن جهة أخرى نجد القرآن يتحدث عن إبليس أنه كان من الجن ففسق عن أمر ربه فإبليس على هذا من عالم الجن، وأنه وحده الذي خرج عن أمر ربه، وأعلن هذا العصيان الوقاح.

٤ ــ ومن جهة رابعة تتحدث الآيات القرآنية عن إبليس وكأنه من عالم الملائكة، وحيث توجه الأمر للملائكة بالسجود فامتثلوا جميعاً أمر ربهم إلا إبليس، والاستثناء متصل في هذه الحالة[١].

وبناء على هذا فقد قرر الأستاذ عبد الكريم الخطيب مايلي

أن إبليس كان في درجة دنيا من عالم الملائكة، حيث خلقت الملائكة والجن من شعلة مقدسة، إلا أن الملائكة خلقوا من نور هذه الشعلة، بينما الجن ومنهم إبليس خلقوا من نارها، ولهذا كانت الملائكة صفاء خالصاً بينما كان الجن مشوباً بكدر، ناراً مختلطة بدخان، لكن إبليس لم يظل في جماعة الجن، بل أخرجه الله من بينهم حين أبى السجود لآدم عليه السلام، وجعل له اسم إبليس سمة يعرف بها، ثم بدأ إبليس يتحول خلقاً آخر، فإذا هو شيطان مريد وشيطان رجيم، وإذا

(١) التفسير القرآني للقرآن ١/٥٤ ــ ٥٥ باختصار.

هو قوة شر منطلقة فيتطاير منها شرر، يصيب من يتعامل معه ويتبع خطاه، وتلك الشرارات المنطلقة منه هي ذريته، التي تمارس نفس الدور في إغواء الناس وإفسادهم، فإبليس كان من عالم الجن ثم أنزل إلى إبليس، ثم تحول من إبليس إلى شيطان»[١].

وماذكره الأستاذ عبد الكريم الخطيب في واقع الأمر إنما هو موافق لقول الفريق الثاني القائلين بأن إبليس من الجن، وذلك لأنه يقول: بأن إبليس مخلوق من النار، وهذه من صفات الجن، بينما الملائكة خلقت من النور، ولا يمنع بعد ذلك أن يتدرج إبليس من الابليسية إلى الشيطنة مع بقائه واحداً من الجن الذين أخبر عنهم تعالى بقوله: ﴿**إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾[٢].

لكن الجزم بأن الجن والملائكة خلقوا من عين واحدة ــ وهي ماعبر عنه بالشعلة المقدسة ــ لا مستند له فيه، وكذلك اعتبار الابليسية والشيطنة مرحلتين لا دليل عليه، وهو خلاف الظاهر.

ثم إن دعوى كون الجن مأمورين بالسجود لآدم مع الملائكة كما يشعر به قول الأستاذ الخطيب: «فإبليس على هذا من عالم الجن، وأنه وحده الذي خرج عن أمر ربه وأعلن هذا العصيان الوقاح» ــ دعوى لا دليل عليها، بل ظاهر القرآن يردها.

القول الراجح :

وبعد هذا العرض لأدلة الفريقين وأجوبة كل فريق على أدلة الفريق الآخر يتبين لنا رجحان القول الثاني، بأن إبليس من الجن وليس من الملائكة، وذلك للأسباب التالية:

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ١/٥٧ ــ ٥٨ باختصار.
(٢) سورة الكهف الآية ٥٠.

(١) صراحة مااعتمدوا عليه من آية سورة الكهف في أن إبليس كان من الجن في قوله تعالى: ﴿**إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾، قال الشيخ الشنقيطي: «وأظهر الحجج في المسألة حجة من قال إنه غير ملك لقوله تعالى: ﴿**إلا إبليس كان من الجن ففسق..**﴾ الآية، وهو أظهر شيء في الموضوع من نصوص الوحي، والعلم عند الله تعالى»[١].

(٢) أن ماورد في الكتاب والسنة من وصف إبليس بالعصيان، وأن له ذرية، وأنه مخلوق من النار، وأنه يأكل ويشرب، يدل دلالة ظاهرة على أنه من الجن، لأن هذه الصفات من صفات الجن دون الملائكة.

(٣) أن الاستثناء المنقطع يأتي في القرآن وفي كلام العرب كثيراً كما تقدم من الأمثلة.

(٤) استقامة توجيههم استثناء إبليس من الملائكة من جهة المعنى في قوله تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبىٰ**﴾[٢] وغير ذلك من الآيات التي اعتمد عليها الجمهور في قولهم بأن إبليس من الملائكة وليس من الجن، وذلك لأن الآيات التي استثنته من الملائكة توحي بأنه كان يتعبد الله معهم لاختلاف صفاته عن صفاتهم، فمقتضى الأمر أن يتوجه إليه الخطاب بالسجود مع الملائكة، لأنه أصبح واحداً يعيش معهم، ولكنه لم يخرج عن أصله بأنه من الجن.

(٥) وأما صرف الجمهور لقوله تعالى: ﴿**إلا إبليس كان من الجن**﴾[٣] عن ظاهره بأنه كان من حي من أحياء الملائكة خلقوا من نار السموم، فلم يثبت لنا أن من الملائكة من خلق من النار، بل ورد ما يناقض ذلك في الحديث الصحيح الذي

---

(١) أضواء البيان ٤/١٢١.
(٢) سورة البقرة الآية ٣٤.
(٣) سورة الكهف الآية ٥٠.

رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها من أن الملائكة خلقت من نور وخلق الجان من مارج من نار.

وما ذكره البيضاوي في تفسيره من أن المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك ــ غير أن ضوءها مكدر مغمور بالدخان، محذور عنه بسبب مايصحبه من فرط الحرارة والإحراق، فإذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور، ومتى نكصت عادت الحالة الأولى جذعة، ولا تزال تتزايد حتى ينطفيء نورها ويبقى الدخان الصرف ــ غير مسلم به، إذ الفرق بين النار والنور أشمل من ذلك، فليس شرطاً أن يكون كل جسم مضيء محرقاً كما أسلفنا.

وما زعمه الشيخ محمد عبده من أنه ليس هناك ثمّة دليل يفرق بين الملائكة والجن تفريقاً جوهرياً، وإنما هو اختلاف أصناف عندما تختلف أوصاف فترده الأدلة من القرآن والسنة، فالفرق بينهما واضح في أصل المادة التي خلق كل واحد منهما منها، وفي صفات كل منهما كذلك كما تقدم.

وعدم ورود آية في القرآن تدل على المادة التي خلقت منها الملائكة لايعتبر مسوغاً لاعتبار إبليس واحداً من الملائكة، اعتماداً على الآيات التي تستثني إبليس منهم.

(٦) وأما ماأجاب به القائلون بأن إبليس من الملائكة على قوله تعالى: ﴿**إلا إبليس كان من الجن**﴾ بما ورد من روايات عن بعض السلف كابن عباس وغيره ــ بما تقدم ــ فيجيب على ذلك الشيخ الشنقيطي حيث يقول:

«وما يذكره المفسرون عن جماعة من السلف كابن عباس وغيره ــ من أنه (أي إبليس) كان من أشراف الملائكة ومن خزان الجنة، وأنه كان يدبر أمر السماء الدنيا، وأن اسمه عزازيل ــ كله من الإسرائيليات التي لا معول عليها»[١].

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٢١/٤.

وذكر ابن كثير رواية عن ابن جرير الطبري بإسناده عن ابن عباس أن إبليس كان من حي من أحياء الملائكة خلقوا من نار السموم يسمون جناً في أثر طويل، قال ابن كثير تعليقاً عليها: «وهذا سياق غريب، وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها»(١).

وذكر الفخر الرازي أن تعليل الجمهور لقوله تعالى: ﴿كان من الجن﴾ بأنه ــ أي إبليس ــ كان خازناً للجنة تعليل غير جائز، لأن قوله: ﴿كان من الجن﴾ يشعر بتعليل تركه للسجود لكونه جِنّياً، ولا يمكن تعليل ترك السجود بكونه خازناً للجنة»(٢).

ومن ذكر أن معنى قوله: ﴿كان من الجن﴾ يحتمل أن يكون بمعنى صار، فقد قال الفخر الرازي أيضاً: «هذا خلاف الظاهر، ولا يصار إليه إلا عند الضرورة»(٣) وذكر ابن فورك أن هذا مما ترده الأصول(٤).

وقال الدكتور محمد علي الصابوني: «وتأويل بعض المفسرين أن لفظ الجن هنا يراد به طائفة من الملائكة يسمون الجن تأويل بعيد، والذي تطمئن إليه النفس ويرتاح إليه الوجدان أن إبليس اللعين لم يكن من الملائكة، وإنما كان من الجن والشياطين»(٥).

(٧) وأما ماذكره الجمهور من أن الملائكة يطلق عليهم الجن، اعتماداً على قوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبا ولقد علمت الجِنَّة انهم لمحضرون﴾(٦) فغير

(١) تفسير ابن كثير ٧٦/١.
(٢) انظر التفسير الكبير ٢١٤/٢.
(٣) التفسير الكبير ٢١٤/٢.
(٤) تفسير روح المعاني ٢١٢/١.
(٥) النبوة والأنبياء ص ١٢٨.
(٦) سورة الصافات الآية ١٥٨.

صريح في أن المراد بالجنة في هذه الآية الملائكة، فقد اختلف العلماء في المراد بالجنة في هذه الآية :

فذهب جماعة إلى أن المراد بهم الملائكة.

وذهب آخرون إلى أن المراد بهم الجن، وقوىّ هذا جماعة من العلماء، كالألوسي والسبكي[1] وابن القيم، وهو وارد على مازعمته العرب من أن الله قد صاهر من الجن ــ تعالى الله عما يقولون ــ، ولم يقل أحد من العلماء أن المراد بالجنة في القرآن الملائكة إلا في هذه الآية، فالجِنَّة مراد بهم ذلك العالم المخلوق من النار، والذي يقابل عالمي الملائكة والإنس.

(٨) وأما ما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكذلك ما أورده الأستاذ عبد الكريم الخطيب فهو في الحقيقة من بين الأجوبة التي أجاب بها القائلون بأن إبليس منْ الجن وليس من الملائكة على قوله تعالى: ﴿**إلا إبليس أبىٰ**﴾[2]، وهو غير مخرج إبليس عن أصله الذي خلق منه وهو النار، ولا يمنع أن يكون إبليس قد عاش بين الملائكة وفعل فعلهم قبل رفضه السجود لآدم عليه السلام، حيث لم يخرج عن أصله الناري الذي أخبر الله أنه خلق الجن منه.

وماذكره ابن تيمية من أن إبليس كان من الملائكة باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله ــ حيث لم يتخلف أحد من الملائكة عن السجود لآدم ــ فهو في الحقيقة ترجيح لقول الفريق الثاني بأن إبليس من الجن لا من الملائكة.

(١) انظر فتاوى السبكي ٦١٣/٢ وانظر تفسير روح المعاني للألوسي ١٥١/٢٣.
(٢) سورة البقرة الآية ٣٤.

تحديد الصلة بين إبليس وسائر الجن :

وبناء على ماتقدم من أن إبليس من الجن وليس من الملائكة، فهل إبليس أصل الجن أو فرد من أفراد هذا الجنس؟:

انقسم العلماء في هذه المسألة إلى فريقين :

الفريق الأول : وهم يرون أن إبليس ليس هو أصل الجن، وليس أبا أولا لهم، وإنما هو واحد منهم، وهو أول أشقياء الجن لعصيانه أمر الله بالسجود لآدم، كما أن قابيل أول أشقياء الإنس، فمن كفر من الجن سمي شيطانا وجنياً، ومن لم يكفر منهم سمي جنيا(١).

قال الضحاك: «والجن ولد الجان وليسوا شياطين»(٢)، وقال ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى: **﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾**(٣): **﴿خلق الجان﴾**: أبا الجن والشياطين(٤)، وهذا يدل على أن إبليس ليس أباً للجن، وإنما أبوهم هو الجان، وهذا مايفهم من كلام الطبري إذ يقول في قوله تعالى: **﴿إنه يرىٰكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾**(٥) وقبيله: يعني صنفه وجنسه الذي هو منه واحد»(٦).

وعلى هذا الأساس فإن آدم أبو الإنس، والجان أبو الجن، وإبليس وذريته من شياطين الجن، وذلك لأن الآيات القرآنية تبين أن خلق الجن وإبليس إنما كان من النار، وهذا يدل على اتحاد أصلهما، ولتنصيص القرآن على أن إبليس كان من

---

(١) انظر الإيمان بالملائكة لعبد الله سراج الدين ص ٢٣٦ الهامش.

(٢) تفسير فتح القدير ٥/٣٠٣.

(٣) سورة الرحمٰن الآية ١٥.

(٤) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس لأبي طاهر الفيروز أبادي ص ٣٣٦.

(٥) سورة الأعراف الآية ٢٧.

(٦) تفسير الطبري ٨/١٥٣.

الجن ففسق عن أمر ربه، قال الفخر الرازي: «والأصح أن الشياطين قسم من الجن، فكل من كان منهم مؤمناً فإنه يسمى بالشيطان، وكل من كان منهم كافراً يسمى بهذا الاسم، والدليل على صحة ذلك أن لفظ الجن مشتق من الاستتار، فكل من كان كذلك كان من الجن»[1].

وقد ذكر الشيخ عبد الله سراج الدين أن إبليس والشياطين قسم من الجن، وأن إبليس ليس أباً للجن فقال: «وقد نبه أكابر العلماء العارفين إلى أن إبليس ليس هو أباً للجن كما يتوهم بعض الناس، وإنما هو واحد من الجن، قال تعالى: ﴿**إلا إبليس كان من الجن**﴾، وأما أبو الجن الذي هو كآدم عليه السلام للبشر، فإنه غير إبليس»[2].

الفريق الثاني: وهم يرون أن إبليس هو أصل الجن، وأن الجن ولد إبليس، قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿**إلا إبليس كان من الجن**﴾[3]: «ماكان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وانه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس»[4]، وبمثل قول الحسن قال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[5]، ونقل الطبري عن ابن زيد قوله: «إبليس أبو الجن، كما أن آدم أبو الإنس»[6] ونقل ذلك الشوكاني عن ليث بن أبي سليم[7].

والصواب في المسألة: أنه ليس هناك من دليل يصح الاعتماد عليه في ترجيح أحد القولين على الآخر لا من الكتاب ولا من السنة النبوية، والله أعلم بذلك.

(١) التفسير الكبير ١٩/١٨٠.
(٢) الإيمان بالملائكة ص ١٣٦.
(٣) سورة الكهف الآية ٥٠.
(٤) تفسير الطبري ١/٢٢٦.
(٥) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٢٣٥، انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم الصفحات ٤،١٥،١٦.
(٦) تفسير الطبري ١/٢٢٦.
(٧) انظر تفسير فتح القدير ٢/١٦٠.

الفصل الثالث

حكمة خلق إبليس

سؤال يطرحه كثير من الناس على اختلاف مقاصدهم: لم خلق الله إبليس، ولم كلفه بطاعته مع أنه يعلم أي شيء يصدر عنه، ولم امتحنه بعد ذلك بالسجود لآدم، وأخرجه من الجنة، وجعل له طريقاً يصل فيه إلى آدم وحواء عليهما السلام ليوسوس لهما، ولم سلطه الله على أولاده بالوسوسة والغواية، وجعل له فرصة لذلك بإمهاله إلى يوم الوقت المعلوم؟.

ولقد تاهت في فهم الجواب كثير من العقول لأنها أغلقت عقولها عن فهم الحكمة من ذلك، ولم ترض بالصحيح الذي يريح العقول من العناء والتفكير، وانطبق على هؤلاء قول الخليل بن أحمد مخاطباً الأصمعي عندما صعب عليه فهم العروض:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه .·. وجاوزه إلى ماتستطيع[1]

وقبل أن نشرع في بيان الحكمة من خلق إبليسَ وإنظاره إلى يوم الوقت المعلوم نبين الخلاف الذي ترتب على مثل قوله تعالى عن إبليس: ﴿**وكان من الكافرين**﴾[2] وقول الله عنه: ﴿**فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم**﴾[3]، وغير ذلك من الآيات التي أغلقت بعض العقول عن فهمها.

(١) **فمذهب أهل السنة والجماعة**: أن الله أضل إبليس وخلق فيه الكفر،

---

(١) انظر مدارج السالكين ٢/٢٠١.
(٢) سورة البقرة الآية ٣٤.
(٣) سورة الأعراف الآية ١٦.

ولذلك نسب الإغواء إلى الله تعالى، قال القرطبي: «وهو الحقيقة، فلاشيء في الوجود إلا وهو مخلوق له، صادر عن إرادته[1]، وهذا هو مادلت عليه أقوال العلماء.

قال الطبري في قوله تعالى عن إبليس: ﴿**وكان من الكافرين**﴾ قال: «كان بتعظمه ذلك وتكبره على ربه ومعصية أمره ممن كفر في علم الله السابق، فجحد ربوبيته وأنكر ما عليه الإقرار له به، من الإذعان له بالطاعة»[2]، وذكر في ذلك رواية عن ابن عباس قال: ﴿**وكان من الكافرين**﴾ أي: كان في علم الله من الكافرين»[3]، وبمثله قال ابن فورك، ورجحه القرطبي[4].

ونقل الألوسي وجهاً آخر فقال: «أو كان من الكافرين الذين كانوا في الأرض قبل خلق آدم»[5]، وقال ابن كثير: ﴿**وكان من الكافرين**﴾ الذين لم يخلقهم الله يكونون بعد»[6]، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قوله: ﴿**وكان من الكافرين**﴾ قال: جعله الله كافراً لا يستطيع أن يؤمن»[7].

وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال: «ابتدأ خَلْقُ الله إبليسَ على الكفر والضلالة، وعمل بعمل الملائكة، فصيره الله إلى ما ابتدىء إليه، خلقه

---

(١) تفسير القرطبي ١٧٥/٧.
(٢) تفسير الطبري ١٨٥/٢٣، إضافة جحد الربوبية إلى إبليس لايستقيم مع قوله تعالى عن إبليس: ﴿رب فانظرني إلى يوم يبعثون﴾ سورة الحجر الآية ٣٦ إلا من جهة عدم الانتفاع بهذا الإقرار، فيكون وجوده كعدمه.
(٣) نفس المصدر ١٨٥/٢٣.
(٤) انظر تفسير القرطبي ٢٩٧/١، وانظر تفسير ابن كثير ٧٨/١.
(٥) تفسير روح المعاني ٢١٢/١.
(٦) تفسير ابن كثير ٧٧/١.
(٧) تفسير فتح القدير ٦٧٠/١.

من الكفر، قال الله تعالى: ﴿**وكان من الكافرين**﴾[1].

ومعنى ماذهب إليه أهل السنة والجماعة من إضلال الله لابليس وخلق الكفر فيه: أن الله هو خالق الضلالة والكفر وليس مجبراً أحداً على ذلك، وهذا لايقتضي سلب العبد المشيئة والاختيار، ولا نفي فاعليته، وأن إبليس كان في علم الله من الكافرين قبل أن يخلق.

وذكر ابن كثير وجها آخر عن بعض النحاة في قوله تعالى: ﴿**وكان من الكافرين**﴾ فقال: «قال بعض المعْربين: ﴿**وكان من الكافرين**﴾ أي وصار من الكافرين بسبب امتناعه، كما قال تعالى: ﴿**فكان من المُغرقين**﴾[2] وقال ﴿**فتكونا من الظالمين**﴾[3]، وقال الشاعر:

بتيهاء قفـرٍ والمُطـــيُّ كأنها ∴ قطا الحزن قد كانت فراغاً بيوضها[4]

أي قد صارت[5].

(٢) وأما المعتزلة :

فقد ذهبوا إلى أن الله لم يغو إبليس أي لم يخلق له الغي والكفر، بناء على قاعدة التحسين والتقبيح، والصلاح والأصلح[6].

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى عن إبليس: ﴿**فبما أغويتني لأقعدن لهم**

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٧٧.
(٢) سورة هود الآية ٤٣.
(٣) سورة البقرة الآية ٣٥.
(٤) تيهاء : الصحراء المترامية الأطراف. والقفر: الخالي. والمطي: ما يمتطى ويركب كالجمال وغيرها، والقطا: جمع قطاة وهو طائر معروف، الحزن: المرتفع من الأرض.
(٥) تفسير ابن كثير ١/٧٨.
(٦) انظر تفسير الكشاف ٢/٧٠ الهامش.

صراطك المستقيم﴾[١]، أي: فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم، وإنما أقسم بالإغواء لأنه كان تكليفاً، والتكليف من أحسن أفعال الله، لكونه تعريضاً لسعادة الأبد، فكان جديراً بأن يقسم به»[٢].

والمعتزلة إنما يقولون ذلك لأنهم يعتبرون أن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله، وقد ترتب على ذلك نفيهم للقضاء والقدر، ظناً منهم أن في الإيمان به جبراً، أو بالتالي نفياً لعدالة الإله، إذ كيف يجبر العبد على فعل ثم يحاسب عليه؟[٣].

وبناء على هذا فإن قوله تعالى عن إبليس: ﴿فبما أغويتني﴾ يكون معناه عندهم: «أي بما كلفتني من التكليف الذي كان سبباً في خلقي الغي النفسي لأقعدن، فيجعلون إبليس هو الفاعل في الحقيقة للإغواء، وأما إسناد الفعل إلى الله فمجاز، وعليه فإنهم يحملون الإغواء في الآية على تكليف إبليس بالسجود لأنه كان سبباً في غيه، وهم يجعلون التكليف من جملة الأفعال، لأنهم يزعمون أن كلام الله محدث، من جملة أفعاله، لاصفة من صفاته»[٤].

فإبليس عند المعتزلة هو الذي خلق الغي والكفر في نفسه عندما استقبح أمر ربه بالسجود لآدم، وليس الله هو الذي خلق الغي والكفر اللذين اختارهما إبليس بمحض إرادته.

قال أحمد الاسكندري الذي نقَّب عما في تفسير الكشاف من الاعتزال: «فهاتان زلتان جمع القدرية[٥] بينهما، وإبليس لعنه الله لم يرض واحدة منهما، لأنه

(١) سورة الأعراف الآية ١٦.
(٢) تفسير الكشاف. ٢/٦٩ ـــ ٧٠.
(٣) انظر موقف المعتزلة من السنة النبوية ص ٦١.
(٤) تفسير الكشاف ٢/٧٠ الهامش، بتصرف.
(٥) يقصد بالقدرية المعتزلة، لأنهم يزعمون أن الشر فعل العبد وحده. انظر هامش موقف =

نسب الإغواء إلى الله تعالى، إذ هو خالق كل شيء، فما الظن بطائفة ترضى لنفسها من خفي الشرك مالم يسبق به إبليس بتحريفهم للكلم عن مواضعه»[1]!

وقال الإمام القرطبي في الرد على المعتزلة أيضاً: «وهم يقولون أخطأ إبليس وهو أهل للخطأ، حيث نسب الغواية إلى ربه ــ تعالى الله عن ذلك ــ فيقال لهم: وإبليس وإن كان أهلاً للخطأ فما تصنعون في نبي مكرم معصوم، وهو نوح عليه السلام حيث قال لقومه: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه تُرْجَعون﴾[2]، وقد روي أن طاووسا[3] جاءه رجل في المسجد الحرام، وكان متهماً بالقدر، وكان من الفقهاء الكبار، فجلس اليه فقال له طاووس: تقوم أو تُقام؟ فقيل لطاووس: تقول هذا لرجل فقيه؟ فقال: إبليس أفقه منه، يقول إبليس: ﴿ربي بما أغويتني﴾ ويقول هذا: أنا أغوي نفسي[4].

«وكفر إبليس إنما كان لأنه استقبح أمر الله تعالى بالسجود لمن يعتقد أنه هو خير منه وأفضل كما يدل عليه الإباء والاستكبار»[5].

وقال الدميري: «إنما كفر لنسبته الحق جل جلاله إلى الجور والتصرف الذي ليس بمرض، وظهر ذلك من فحوى قوله: ﴿أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾[6] ومراده على ما قاله الأئمة المحققون من المفسرين وغيرهم أن إلزام العظيم

ـ المعتزلة من السنة النبوية ص ١٣.
(١) تفسير الكشاف ٢/٧٠ ــ ٧١ الهامش بتصرف.
(٢) سورة هود الآية ٣٤.
(٣) طاووس : هو طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني من أكابر التابعين تفقها في الدين ورواية للحديث، ولد في اليمن سنة ٣٣هـ ونشأ فيها، توفي حاجا بالمزدلفة أو منى سنة ١٠٦هـ. انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ٣/٣٢٢.
(٤) تفسير القرطبي ٧/١٧٥.
(٥) تفسير روح المعاني ١/٢٠٢ بتصرف.
(٦) سوره الأعرف الآية ١٢.

الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم، فهذا وجه كفره لعنه الله»[1].

وزعم الخوارج أن إبليس إنما كفر لأنه ترك الواجب الذي كلفه الله به بالسجود لآدم عليه السلام، متمسكين بقوله تعالى: ﴿**فسجدوا إلا إبليس أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين**﴾[2].

وقد بين القرافي خطأ هذا الزعم فقال: «وليس مَدْرَكُ الكفر في قصة إبليس مع آدم عليه السلام الامتناع عن السجود، وإلا لكان كل من أمر بالسجود فامتنع منه كافراً، وليس كذلك، ولا كان كفره لكونه حسد آدم على منزلته من الله تعالى، وإلا لكان كل حاسد كافراً وليس كذلك، ولا كان كفره لعصيانه وفسوقه، وإلا لكان كل عاص وفاسق كافراً»[3].

والصحيح فيما ما قدمناه أنه إنما كفر لاستقباحه أمر الله تعالى ولنسبته الجور إليه سبحانه، وقد أجمع المسلمون قاطبة أن من نسب ذلك للحق تعالى كان كافراً، لأن الله نفى عن نفسه صفات النقص التي لا تليق بجلاله، وأثبت لنفسه الأسماء الحسنىٰ، قال تعالى: ﴿**ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها**﴾[4].

وعلى نقيض هذا يطالعنا الدكتور جلال صادق العظم بكفر بواح حيث يقول: «لاشك أن إبليس خالف الأمر الإلٰهي عندما رفض السجود لآدم، غير أنه كان منسجماً كل الإنسجام مع المشيئة الإلهية، ومع واجبه المطلق نحو معبوده، أراد الله لملائكته أن يقدسوه وأن يسبحوا باسمه ولذلك كان السجود لآدم وقوعاً ما يضيفه أهل الشرك إلى الذات الصمدية مما هي منزهة عنه، إذ أن السجود لغير الله لا يجوز على الإطلاق لأنه شرك به»[5].

(١) حياة الحيوان الكبرى ١/٢١١.
(٢) سورة البقرة الآية ٣٤ انظر تفسير روح المعاني ١/٢١٢.
(٣) حياة الحيوان الكبرى ١/٢١١.
(٤) سورة الأعراف الآية ١٨٠.
(٥) البرهان اليقيني للرد على كتاب نقد الفكر الديني لجابر حمزة فراج ص ١٢٢.

وهذه المقالة من الدكتور العظم هي من صميم مقالات غلاة الجبرية الذين يقولون بأن كل أفعال العبد طاعة لله كما قال قائلهم:

أصبحت منفعلاً لما يختاره مني .·. ففعلي كله طاعات[1]

وإبليس كمخلوق امتحنه الله بالسجود لآدم فرفض ذلك، يكون رفضه ــ عند العظم ــ انسجاماً مع المشيئة الإلٰهية، لأن الله سبحانه ــ في تصور العظم ــ هو الذي يشاء لإبليس أن يخالف هذا الأمر، حتى لا يقع في الشرك الذي زعمه الدكتور، بالسجود لغير الله تعالى.

والعظم قد ضل الطريق بهذا التفسير المتعمد لكتاب الله، والذي يدل على سوء نيته، فنحن لا نعلم المشيئة الإلٰهية قبل أن نعلم موجبها، ولا ندري ماذا كتب وقدر علينا قبل أن يكون منا أو علينا ماسبق به قضاء الله وقدره، وواجبنا إنما ينحصر في طاعة الله والانقياد لأمره، لأنه لا يأمرنا إلا بما يحب ويرضى، وذلك فيه الخير لنا.

ثم إن السجود لآدم لم يكن سجود عبادة كما يزعم العظم، إنما هو سجود تكريم، فالملائكة بسجودهم لآدم ــ تكريماً ــ عابدون لله إذا أطاعوا أمره، وليست العبودية التي يتشدق بها العظم تكون بمخالفة إبليس لأمر الله، وإنما العبودية تكون بامتثال أمره سبحانه، ولكن إذا نكس القلب رأى المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

وقد اختُلف في إبليس هل هو أول من كفر أم لا؟:

فقيل: إنه أول من كفر، ولم يكفر أحد قبله.

وقيل: بأنه كان قبله قوم كفار، وهم الجن الذين كانوا في الأرض[2].

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ١٥.

(٢) تفسير القرطبي ١/٢٩٨.

والذي يبدو أن القائلين بأن إبليس هو أصل الجن ـــ كما نقل عن الحسن البصري وأبي زيد وقتادة ـــ هم الذين يعتبرون أن إبليس أول من كفر، لأنه لم يكن أحد قبله من الجن أو الإنس.

وأما من قال بأن إبليس هو من الجن وليس أصلهم الأول، وإنما الجان هو أبو الجن وأصلهم، فقد اعتبر أنه كان قبل إبليس كفار من الجن. والله أعلم.

واختلُف أيضاً في كفر إبليس، هل كان جهلا أو عنادا مع الاتفاق على أنه كان عالماً بالله تعالى قبل كفره؟:

وذكر هذا الخلاف القرطبي عن أهل السنة والجماعة[١].

١ ـــ فقال جماعة إنه كفر عن عناد حمله عليه حب الرياسة والإعجاب بما أوتي بنفسه، ولم يدر أنه لو امتثل ارتفع قدره، وسما بين الملائكة[٢].

٢ ـــ وذكر آخرون أن كفر إبليس إنما كان عن جهل، بأن سلب الله عنه ما أعاره له من العلم الذي كان مرتدياً به قبل كفره. وهو الظاهر، قاله الألوسي[٣].

وقال ابن عطية: «والكفر مع بقاء العلم مستبعد، إلا أنه عندي جائز لايستحيل مع خذلان الله تعالى لمن شاء[٤]، ولا وجه لهذا الاستبعاد،إذ سائر الكفار كافرون مع العلم كما قال تعالى في فرعون وملئه: ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوًا**﴾[٥].

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٩٨/١.
(٢) تفسير روح المعاني ٢١٢/١ بتصرف، وانظر حياة الحيوان الكبرى ٢١١/١.
(٣) نفس المصدر ٢١٢/١ بتصرف.
(٤) تفسير القرطبي ٢٩٨/١.
(٥) سورة النمل الآية ١٤.

وليس هناك دليل يصح الاعتماد عليه في هذا، وينبغي عدم الخوض في ذلك، قال الألوسي: «وكم أَرَّقتْ هذه القصة جفوناً وأَرَّقت من العيون عيوناً، فإن إبليس كان مدة في دلال طاعته، يختال في رداء مرافقته، ثم صار إلى ما ترى، وجرى مابه القلم جرى»(١).

ومما تقدم يتضح الجواب في بطلان ما أثاره إبليس وأتباعه من البشر من بعده، من الشبهات التي تثار في كل زمان ومكان، والتي يفوح الكفر من بين ثناياها، وسنبين فيما يلي الحكمة من خلق إبليس وإمهال الله له إلى يوم الوقت المعلوم، لتتضح الصورة كاملة، ولتسقط الشبه جميعاً من أساسها، حتى تنكشف شبهات الذين في قلوبهم زيغ.

الحكمة من خلق إبليس :

إذا تبين لنا مما تقدم أن إبليس هو الذي اختار الكفر بمحض إرادته واختياره بعصيانه أمر الله، فما الحكمة المترتبة على خلقه أصلاً؟.

إن الإجابة على ذلك تتطلب أن يعرف السائل بأن الخير والمحبة وكل أمر خيرٍ لا يتم إلا بوجود الأضداد لذلك كما يقول الشاعر:

وبضدها تتميز الأشياء

وعلى هذا فإن معرفة أن هذا الأمر خير لا يكون إلا بمعرفة الشر الذي يقابله، فإذا عرفنا الشر وأضراره أدركنا قيمة الخير وآثاره، وهكذا في كل شيء له ضد(٢).

والأمر الثاني الذي يجب معرفته قبل الإجابة على هذا السؤال هو: أن الله قد

---

(١) تفسير روح المعاني ١/٢١٢.

(٢) انظر التفسير القرآني للقرآن ٧/٢٣٥.

يريد الشيء لذاته وقد يريد الشيء لما يؤديه من المقاصد والغايات المرغوبة للرب سبحانه، مع أن الموصل لذلك غير مراد لله تعالى في ذاته. مثال ذلك: الدواء المتناهي في الكراهية إذا علم متناوله أن فيه شفاءه، وكقطع العضو الذي أصابه المرض إذا علم أن في قطعه بقاء الجسد، وكقطع المسافة الشاقة جداً، إذا علم أنها توصله إلى مراده ومحبوبه.

فالدواء المتناهي في الكراهية، وقطع العضو من الجسد، وقطع المسافة الشاقة جداً، أمور مكروهة في ذاتها، ولكن لما تؤديه من المقاصد والغايات الحسنة كانت مقصوده من هذا الوجه.

وعلى هذا فإن الله خلق إبليس الذي هو مادة الفساد، والسبب في شقاء الخلق، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه بكل طريق وحيلة، فهو من هذا الوجه مبغوض للرب سبحانه وتعالى، مسخوط له، لعنه ومقته بقوله، ﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾[1] وذلك لمخالفته أمر ربه، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب سبحانه ترتبت على خلقه، وجودها أحب إليه من عدمها[2].

وبناء على ماتقدم نستطيع أن نبين الحكم المترتبة على خلق إبليس وهي:

(١) أن يظهر للعباد قدرته سبحانه على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق ذات إبليس وهي أخبث الذوات في مقابل جبريل وهي أشرف الذوات وأطهرها، وخلق الليل في مقابل النهار والداء والدواء والحياة والموت، تعتبر من أدل الدلائل على كمال قدرة الله وعزته وسلطانه وملكه، فخلق هذه المتضادات وسلطها على بعضها، فخلو الوجود عنها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير مملكته»[3].

---

(١) سورة (صٓ) الآية ٤٨.

(٢) انظر مدارج السالكين ١٩٣/٢ ــ ١٩٤.

(٣) نفس المصدر ١٩٤/٢ ــ ١٩٥ بتصرف.

(٢) ظهور آثار أسمائه القهرية، مثل القهار والمنتقم، وشديد العقاب، والخافض والمذل، فإن هذه الأسماء والأفعال لابد من أمور تتعلق بها، ولو كان الخلق كلهم على طبيعة الملك، لم يظهر أثر هذه الأسماء.

وفي مقابل ذلك ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وجوده وكرمه، فاقتضى ذلك خلق من يشرك به ويضاده في حكمه ويجتهد في مخالفته، ويسعى في إغضاب الرب سبحانه، بل في التشبه به سبحانه، ومع ذلك فإن الله يصبر عليه ويمده بأنواع الطيبات ويرزقه، ويجيب دعاءه ويكشف عنه السوء، قال تعالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله قليلا ما تذكَّرون**﴾[١] وما ورد عن الله تبارك وتعالى فيما رواه عليه الصلاة والسلام قوله: «**كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله: لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا**»[٢].

ومع كل هذا الشتم والتكذيب يرزق الشاتم والمكذب ويدعوه إلى جنته ويقبل توبته إذا تاب ويبدله بسيئآته حسنات، ويلطف به في جميع أحواله.

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»[٣].

---

(١) سورة النمل الآية ٦٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير. باب: (وقالوا اتخذ الله ولدا) ١٦٧/٨. وأحمد في مسنده ٣١٧/٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب التوبة. باب سقوط الذنب بالاستغفار ٢١٠٦/٤ وأحمد في مسنده ٣٠٩/٢. وأخرجه الترمذي مختصرا. كتاب الدعوات باب لو لم تذنبوا لخلق خلقا يذنبون فيغفر لهم ١٩٤/٩ وقال عنه: هذا حديث حسن غريب.

فاقتضت حكمته سبحانه أن يخلق خلقاً يظهر فيهم حلمه ومغفرته وكرمه وإحسانه، فلولا خلق إبليس الذي يجري على يديه أنواع المعاصي والمخالفات، بإغرائه للناس على فعلها لفاتت هذه الحكم والمصالح[1].

(٣) ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فالله هو الحكيم الخبير، الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه ولا ينزله غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فلا يضع الحرمان والمنع موضع العطاء والفضل، ولا الفضل والعطاء موضع الحرمان والمنع، ولا الذل موضع العز، ولا العز موضع الذل، ولا يأمر بما ينبغي النهي عنه، ولا ينهى عما ينبغي الأمر به، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها ووصولها إليه، فلا يعطيها لغير أهلها، ولا يمنعها أهلها.

فلو قدر عدم الأسباب المكروهة البغيضة له، المتمثلة في إبليس وذريته من الشياطين، لتعطلت هذه الآثار ولم تظهر لخلقه، ولفاتت الحكم والمصالح المترتبة عليها[2]، وفواتها شر من حصول تلك الأسباب، وهو إبليس وذريته، ويظهر ذلك في الشمس والمطر والرياح، التي فيها من المصالح أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر والضرر، فلو قدر تعطيلها لئلا يحصل منها ذلك الضرر الجزئي لتعطل من الخير ماهو أعظم من ذلك الشر، بما لا نسبة بينهما»[3].

(٤) أن في خلق مايضاد رسله وتكذيبهم ومعاداتهم من تمام ظهور آياته

(١) شفاء العليل ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩ ومدارج السالكين ٢/١٩٥ باختصار.

(٢) ينبغي التنبه إلى أن الحكم والمصالح المترتبة على خلق الله لسائر الموجودات التي هي الغاية من وجودها لاتتقيد بمصلحة معين من الخلق، بل هي المصالح المطلقه، وهذا هو الذي ضلَّت فيه المعتزلة، إذ لم يثبتوا من حكمة الله إلا ما يعود للعبد، فأوجبوا على الله فعل الأصلح للعبد، وحكمة الله طليقة لايقيدها العقل ولا يحيط بها.

(٣) مدارج السالكين ٢/١٩٥ ــ ١٩٦ بتصرف واختصار.

وعجائب قدرته ولطائف صنعه، ما وجوده أحب إليه وأنفع لأوليائه من عدمه، كما في آية الطوفان بإغراق قوم نوح، وإهلاك ثمود وقوم لوط، وتحول النار على إبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً، والآيات التي أجراها الله على يد موسى عليه السلام، وغير ذلك من الآيات، والتي يقول الله عقيب ذكر كل آية منها في سورة الشعراء: **﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإنَّ ربك لهو العزيز الرحيم﴾**[1].

فلولا كفر الكافرين وعناد الجاحدين الذي حصل بسبب إبليس لما ظهرت هذه الآيات الباهرة التي يتحدث الناس بها جيلاً بعد جيل إلى الأبد[2].

(٥) حصول أنواع العبودية المختلفة لله، التي لولا خلق إبليس لما حصلت ولكان الحاصل بعضها لا كلها، فمن ذلك:

(أ) خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم، بعدما شاهدوا من حال إبليس ماشاهدوا، وسقوطه من المرتبة التي كان بها من الملائكة إلى المنزلة الابليسية، حيث يكون خوفهم أقوى وأتم، حيث حصل للملائكة زيادة خوف وخضوع لله، وجعل ذلك عبرة لمن خالف أمره وتكبر عن طاعته وأصر على معصيته من الجن، ولم يتب.

كما جعل ذنب آدم أبي البشر عليه السلام عبرة لمن ارتكب نهيه أو عصى أمره من الإنس، فيجعلهم ذلك يتوبون إلى الله ويستغفرونه على مايحصل منهم من المعاصي والآثام[3].

(ب) ظهور عبودية الجهاد التي هي من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها، من الموالاة فيه سبحانه

(١) سورة الشعراء الآيات ٨، ٩.
(٢) شفاء العليل ص ٢٣٧ ومدارج السالكين ٢/١٩٨ باختصار.
(٣) شفاء العليل ص ٢٣٧ بتصرف واختصار.

والمضاداة فيه، والحب فيه والبغض فيه،وبذل النفس له في محاربة عدوه، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى، وإيثار محاب الرب على محاب النفس، وعبودية مخالفة عدوه ومراغمته في الله، وإغاظته فيه واللجوء إليه والإستعانة به، وهي من أحب أنواع العبودية إليه، فإن الله يحب من وليه أن يغيظ عدوه ويراغمه ويسوءه ويثيبه على ذلك، إذ حصول ذلك مشروط بالمعاداه[1].

فلولا وجود إبليس الذي يعادي أولياء الله ويوالي أعداء الله، لما ظهرت عبودية الجهاد بأنواعها.

(ج) عبودية الشكر لله بأنواعها، فلا ريب أن أولياءه قالوا بوجود عدو الله إبليس وجنوده، وامتحانهم به من أنواع شكره، ماكان ليحصل بهم بدونه، فكم بين شكر آدم وهو في الجنة قبل أن يخرج منها، وبين شكره بعد أن ابتلي بعدوه، ثم اجتباه ربه وتاب عليه وقبله[2].

(٦) أن إبليس محك امتحن الله به خلقه ليتبين به خبيثهم من طيبهم، فانه سبحانه خلق النوع الإنساني من الأرض وفيها السهل والحزن والطيب والخبيث، فلابد أن يظهر فيهم ماكان من مادتهم، كما في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب**»[3].

---

(١) مدارج السالكين ١٩٦/٢ ــ ١٩٧ باختصار.
(٢) شفاء العليل ص ٢٣٧.
(٣) أخرجه أبو داود في سننه. كتاب السنة. باب في القدر ٦٧/٥، وأخرجه الترمذي في سننه. كتاب تفسير القرآن. سورة البقرة ١٥٤/٨ وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أحمد في مسنده ٤٠٠/٤، القبضة: ما يضم عليه الكف. والسهل: الرفق واللين. والحزن: العنف.

فما كان في المادة الأصلية فهو كائن في المخلوق منها، فاقتضت الحكمة الإلٰهية إخراجه وظهوره.

فلابد إذن من سبب يظهر ذلك، فكان إبليس محكاً يميز به الخبيث من الطيب، كما جعل أنبياءه ورسله محكاً لذلك التمييز قال تعالى: ﴿**ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب**﴾[1]، فأرسل رسله إلى المكلفين وفيهم الطيب والخبيث، فانضاف الطيب إلى الطيب والخبيث إلى الخبيث، واقتضت حكمته أن خلطهم في دار الإمتحان، فإذا صاروا إلى دار القرار ميز بينهم، وجعل لهؤلاء داراً على حدة، ولهؤلاء داراً على حدة، حكمة بالغة وقدرة قاهرة»[2].

ومما تقدم يظهر أن في خلق إبليس حكمة باهرة، فالآيات والعجائب وحصول أنواع العبودية المختلفة لله، ماكانت لتظهر دون خلق إبليس، وحصول هذه المقاصد جميعاً أحب اليه سبحانه من تعطيل أسبابها، قال ابن القيم:

«فإن يكن قد حصل بعدو الله إبليس من الشرور والمعاصي ماحصل، فكم حصل بسبب وجوده ووجود جنوده من طاعة هي أحب إلى الله وأرضى له من جهاد في سبيله، ومخالفة هوى النفس وشهواتها لأجله سبحانه، واحتمال المشاق والمكاره في سبيل محبته ومرضاته، وأحب شيء للحبيب أن يرى محبه يتحمل لأجله من الأذى والوصب ما يصدق محبته، فإن أغضب هذا المخلوق ربه، فقد أرضاه فيه أنبياؤه ورسله وأولياؤه، وذلك الرضا أعظم من ذلك الغضب، وإن أسخطه مايجري على يديه من المعاصي والمخالفات فإنه سبحانه أشد فرحاً بتوبة عبده من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه إذا وجدها في المفاوز المهلكات، وإن

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٧٩.

(٢) شفاء العليل ص ٢٣٧.

أغضبه ماجرى على أنبيائه ورسله من هذا العدو، فقد سره وأرضاه ماجرى على أيديهم من حربه ومعصيته ومراغمته وكبته وغيظه، وهذا الرضا أعظم عنده وأبر لديه من فوات ذلك المكروه المستلزم لفوات هذا المرضي المحبوب.

وإن أسخطه أكل آدم من الشجرة فقد أرضاه توبته وإنابته وخضوعه وتذلله بين يديه وانكساره له، وإن أغضبه إخراج أعدائه لرسوله من حرمه وبلدته ذلك الخروج، فقد أرضاه أعظم الرضا دخوله إليها ذلك الدخول، وإن أغضبه قتل أوليائه على يد أعدائه فقد أرضاه قربهم منه في جنات النعيم، إلى غير ذلك من المحاب الكثيرة له سبحانه»[1].

وافتراض حصول هذه المقاصد بدون وجود أسبابها افتراض باطل، إذ هو فرض وجود الملزوم بدون لازمه، كفرض وجود الابن بدون أب، والحركة بدون المتحرك، والتوبة بدون التائب[2].

والله سبحانه لا يخلق شراً محضاً من جميع الوجوه والاعتبارات، فإن حكمته تأبى ذلك، بل قد يكون ذلك المخلوق شراً ومفسدة ببعض الاعتبارات وفي خلقه مصالح وحكم واعتبارات أرجح من اعتبارات مفاسده، بل الواقع منحصر في ذلك، فلا يمكن في جناب الحق جل جلاله أن يريد شيئاً يكون فاسداً من كل وجه بكل اعتبار، لا مصلحة في خلقه بوجه ما، هذا من أبين المحال، فإن الله بيده الخير، والشر ليس إليه، بل كل ما إليه فخير، والشر إنما حصل لعدم هذه الإضافة والنسبة إليه، فلو كان إليه لم يكن شراً فتأمله، فانقطاع نسبته إليه هو الذي صيره شراً[3].

---

(١) شفاء العليل ص ٢٣٩ باختصار.
(٢) انظر مدارج السالكين ص ١٩٨.
(٣) نفس المصدر ص ١٩٩ ــ ٢٠٠.

والمعاصي الحاصلة من قبل المكلفين من الجن والإنس هي كذلك قد شاءها الله وخلقها للحكم المتقدمة وغيرها، والعباد هم الفاعلون لها بمشيئتهم واختيارهم بعد مشيئته تعالى: ﴿**وما تشاؤن إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيما**﴾[1].

قال الإمام القرطبي: «وقد فصلت هذه الآية[2] بين الناس، وفيها من المعاني أن الشياطين لا يصلون إلى إضلال أحد إلا من كتب الله عليه أنه لا يهتدي، ولو علم الله عز وجل أنه يهتدي لحال بينه وبينهم[3]، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿**وأجْلِب عليهم بخَيْلِك وَرَجِلِك**﴾[4] أي: لست تصل منهم إلى شيء إلا إلى مافي علمي[5].

حكمة إنظار إبليس إلى يوم الوقت المعلوم :

إذا تبين لنا مما تقدم بعض الحكم المترتبة على خلق إبليس، فما الحكمة من إنظاره إلى يوم الوقت المعلوم؟ كما قال تعالى: ﴿**قال أنظرني إلى يوم يُبْعَثون * قال إنك من المنظرين**﴾[6] وقوله تعالى: ﴿**قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون. قال فإنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم**﴾[7].

ومن هذه الحكم :

(١) أن الله سبحانه لما جعل إبليس محكاً يمتحن به عباده ليميز الطيب من

---

(١) سورة الدهر الآية ٣٠.

(٢) يقصد قوله تعالى: ﴿فانكم وما تعبدون. ما أنتم عليه بفاتنين. الا من هو صال الجحيم﴾ سورة الصافات الآيات من ١٦١ ــ ١٦٣.

(٣) أي لحال بين إبليس وبين من علم الله أنهم يهتدون.

(٤) سورة الاسراء الآية ٦٤.

(٥) تفسير القرطبي ١٥/١٣٦.

(٦) سورة الأعراف الآيات ١٤،١٥.

(٧) سورة الحجر الآيات من ٣٦ ــ ٣٨.

الخبيث، ويميز وليه من عدوه، اقتضت حكمته إبقاءه ليحصل الغرض المطلوب بخلقه، ولو أماته لفات ذلك الغرض، قال الزمخشري: «فإن قلت: لم أجيب إلى استنظاره، وإنما استنظر ليفسد عباده ويغويهم؟ قلت: لما في ذلك من ابتلاء العباد، وفي مخالفته من أعظم الثواب، وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي وماركب في الأنفس من الشهوات ليمتحن بها عباده»[1].

ولذلك اقتضت حكمته سبحانه امتحان أولاد آدم من بعد أن امتحن أباهم ليميز الله الخبيث من الطيب ويظهر فيهم فضله وعدله.

ولما كان إبليس قد أصر على معصيته، وخاصم ربه فيما ينبغي التسليم لحكمه، كان إمهاله في الدنيا ليزداد إثما فوق إثمه الذي ارتكبه بعصيان أمر ربه، ليستوجب العقوبة التي لا تصلح لغيره، فيكون رأس أهل الشر في العقوبة، كما كان رأسهم في الشر والكفر، فلا ينزل عذاب بأهل النار إلا بدأ به فيه، ثم يسري منه إلى أتباعه عدلاً ظاهراً وحكمة بالغة»[2].

(٢) أن إبليس لما طلب من ربه إمهاله إلى يوم الوقت المعلوم خاصم ربه بقوله: **﴿أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيٰمة لأحتنكن ذريته إلا قليلا﴾**[3] وعلم الله أن في ذرية آدم من لا يصلح لبقائهم معه في الجنة، أنزل إبليس إلى الأرض ليجلس في انتظار أتباعه ليجعلهم أولياء وأتباعاً له، لأنهم لايصلحوا أن يكونوا أولياء الله، لأنه لا يتولى إلا الصالحين، وحال بينه وبين المؤمنين بالله، ممن عادوا إبليس وأتباعه، فقال تعالى: **﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾**[4].

(١) تفسير الكشاف ٦٩/٢.
(٢) انظر شفاء العليل ص ٢٤٠ ــ ٢٤١.
(٣) سورة الاسراء الآية ٦٢.
(٤) سورة النحل الآيات ٩٩، ١٠٠.

وأما إماتة الأنبياء والمرسلين، فلم يكن ذلك لهوانهم على الله، ولكن ليصلوا إلى محل كرامته ويستريحوا من نكد الدنيا وتعبها ومقاساة أعداء الله وأتباع إبليس، فموتهم خير لهم من هذه الجهة، وأما خيرهم لأممهم من بعدهم، فليعلم الله سبحانه أنهم لم يطيعوا هؤلاء الرسل خاصة، بل أطاعوهم بعد مماتهم، وأن أتباعهم لم يكونوا يعبدونهم بل يعبدون الله بأمرهم[1].

وبالجملة فإن الحكم المتقدمة، المترتبة على خلق إبليس ماكانت لتتحقق دون وجود ذرية آدم وإبليس من بعدهما في الأرض، ولو عذب الله أتباع إبليس دون أن ينزلهم إلى دار التكليف بناء على علمه المسبق فيهم، لأحتجوا على الله، لأنه لم يترك لهم مجالاً للاختبار، فها هو قد أنزلهم إلى الدنيا وكلفهم بطاعته ومخالفة عدوه على لسان رسله، فأخفقوا في الامتحان، وتحقق علم الله فيهم، فلا عذر لهم بعد ذلك، وكان تعذيبهم بالنار جزاءً عادلاً منه سبحانه، الذي لا يظلم أحداً من خلقه.

ومن هنا كان بعث الرسل من عند الله ليقيم الحجة على عباده، وليقطع عذرهم إذا كذبوا في الآخرة، وما كان الله ليعذب أحداً من خلقه دون أن يبعث رسولاً يدله على طاعة ربه ومخالفة عدوه، قال تعالى: **﴿وما كنا معذِّبين حتى نبعث رسولا﴾**[2].

ولو أدخل الله عباده المؤمنين الجنة، الذين يسبق صلاحهم في علمه الأزلي لما عرفوا قيمة النعيم دون أن يقاسوا ألم الحرمان والصبر على الشدائد والفتن في الدنيا، فإذا أنزلوا إلى دار التكليف في الدنيا وعملوا بطاعة الله وجاهدوا في سبيله، ثم أثابهم ربهم على ذلك الجنة، فإنهم عند ذلك سيعرفون قيمة النعيم المقيم الذي أعده لهم فيشكرونه على ذلك، فإن الصحة لا تعرف قيمتها إلا بالمرض والمعاناة.

فكم لله في ذلك من الحكمة البالغة التي لا تحيط بها العقول، ولا ينكر ماظهر منها إلا المكابرون.

---

(١) انظر شفاء العليل ص ٢٤١.

(٢) سورة الاسراء الآية ١٥.

الفصل الرابع
إبليس سبب الفساد في الأرض

سيكون حديثنا في هذا الفصل في مبحثين إثنين :

الأول : ممارسة إبليس للغواية والافساد.

الثاني: وسائل الانتصار في المعركة الدائرة بين حزب الله وحزب الشيطان.

المبحث الأول
ممارسة ابليس للغواية والافساد

تبدأ أول ممارسات إبليس للغواية والإفساد من وسوسته لآدم وحواء عليهما السلام بالأكل من الشجرة، وذلك بعدما طرده الله وأبعده جزاء كبريائه وعناده حين امتنع عن السجود، محتجاً أن النار التي خلق منها أفضل من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام، وهذا ماصرح به إذ يقول: ﴿**قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾(١)، فهو يرى أن له أفضلية على آدم، والفاضل لا يفعل ذلك للمفضول، وعلل هذه الأفضلية بأنه خلق من النار وآدم خلق من الطين، وهو احتجاج باطل وقياس فاسد «فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبت، والطين محل النبات والنمو والزيادة والاصلاح، والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة»(٢).

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٢.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٢/٨.

ثم إن العبرة ليست بأصل العنصر، بل العبرة بما آل إليه ونتج عنه وظهر فيه، فآدم بعد تكوينه ظهر أنه أسمى وأكمل في خصائصه من الجن المخلوقين من النار.

وتظهر هذه الخصائص لكل منهما فيما يلي:

(١) أن إبليس عندما أمر بالسجود، استطال واستعلى على أمر ربه، حيث كان الكبر والارتفاع مانعين له من السجود لمن هو أدنى منه في تصوره، فعوقب على هذا الاستعلاء بالهبوط من المرتبة التي كان فيها ذليلاً مهاناً: ﴿**قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين**﴾[١]، وما درى الملعون أنه لو تواضع لربه لرفعه، ولكن شقوته غلبت عليه بذلك بإصراره على معصية ربه.

وحقيقة الكبر يوضحها عليه الصلاة والسلام في قوله: «**الكبر بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس**»[٢]، «والبطر رد الحق وعدم الإذعان له، وغمط الناس ازدراؤهم وانتقاص أقدارهم وحقوقهم»[٣].

(٢) أن إبليس تعجل وغضب عندما توجه إليه الأمر بالسجود، ولم يتأن في ذلك، بل أصر وعاند وخاصم، والغيظ والحقد يملآن قلبه على آدم عليه السلام، فكان نتيجة ذلك الطرد والابعاد عن رحمة الله.

والعجلة والغضب صفتان مذمومتان كما نبه على ذلك المصطفى عليه الصلاة

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٣.

(٢) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١ وأخرجه أبو داود في سننه. كتاب اللباس. باب ما جاء في الكبر ٣٥٢/٤ وأخرجه الترمذي في سننه بلفظ «غمْص الناس» ومعناهما واحد وهو الاحتقار. كتاب البر والصلة. باب ما جاء في الكبر ٢١١/٦ وقال عنه: حديث حسن صحيح غريب.

(٣) أنظر غريب الحديث للهروي ٣١٧/١.

والسلام بقوله: «**الأناة من الله والعجلة من الشيطان**»[1] وقوله في الحديث الآخر: «**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار**»[2].

«والأناة هي النظرة الفاحصة البعيدة التي تريك مقدمات كل أمر ونتائجه وأوائله وأواخره، بحيث لا تسرع في إنفاذ أمر من الأمور أو رده، إلا بعد النظر في عواقبه، لأن الأعمال بخواتيمها.

وأما العجلة فهي قصور النظر وسقوط الهمة عن التعلق بالغايات البعيدة العالية، اكتفاء بما يبدو من وجه الأمر وظاهره لأول وهلة»[3].

ولعل المتأمل في قصة امتناع إبليس من السجود لآدم، يرى أثر العجلة والغضب في عصيانه أمر الله، فإن طبع الكبر ماكاد يحضره ويتحرك في نفسه حتى حضره طبع الطيش والخفة، فعجل إلى اتخاذ هذا الموقف، دون أن يجد في طبعه مسكة من الحلم والروية، وأعماه غضبه الذي سارع إليه عن أن يرى عاقبة أمره وينظر فيما يحل به، وهو الذي يعرف من قهر الله وبطشه مايعرف»[4].

وعلى خلاف ماتقدم فإن آدم عليه السلام لم يكن ليعصي أمر ربه لولا وسوسة إبليس له ولزوجه، وظاهر القرآن يدل على أنه نسي العهد الذي أخذه الله عليه بقوله: ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما**﴾[5]، قال ابن عباس: إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي»[6].

---

(١) أخرجه الترمذي عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده، كتاب البر والصلة. باب ما جاء في التأني والعجلة ٢١٩/٦ وقال عنه: هذا حديث غريب.

(٢) من حديث أخرجه أحمد في مسنده عن عطية السعدي ٢٢٦/٤، وأبو داود في سننه كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب ١٤١/٥.

(٣) آدم عليه السلام ص ٩٣.

(٤) انظر المصدر السابق ص ٩٣.

(٥) سورة طه الآية ١١٥.

(٦) تفسير الطبري ٢٢١/١٦.

ثم ان آدم لم يصر على معصيته كما فعل إبليس، ولم يجادل ويخاصم، بل اعترف بالذنب وشعر بالندم فقال هو وزوجه: ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾[1]، ونتيجة لهذا الاعتراف والتواضع وطلب المغفرة استجاب الله لهما ذلك: ﴿**فتلقّىٰ آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم**﴾[2].

وهكذا تكون عاقبة الكبر والغضب والطيش إبعاداً عن رحمة الله ولعنة دائمة في الدنيا والآخرة، بينما تكون عاقبة التواضع والإنابة رحمة وعفواً، ومغفرة من الله لذنوب التائبين، فما أبعد الفرق بين الحالين والجزاءين، وما أبعد الفرق بين الأصلين: النار والطين.

ولعل ماورد في النصوص من الاقتران في الذكر بين النار التي خلق منها إبليس، والطين الذي خلق منه آدم مايشير إلى أن ذلك ليس محض مصادفة أو مجرد إخبار وسرد للأحداث، بل إنه اقتران فيه تنبيه للأذهان إلى مايكمن في أصل هذا العدو من خلائق السوء وخصائص الشر، التي يهلك بسببها العباد، وهو تحذير ينقدح صوته وتطير شرارته من خلال المقارنة بين خصائص نار السموم المهلكة، وخصائص الصلصال التي لا تملك ذلك، خاصة إذا علمنا أن هذا الاقتران غالباً مايأتي الحديث بعده عن قصة آدم، وماكان من استنكار إبليس وعصيانه، وإعلانه الحرب على الإنسان[3].

ونتيجة لإبعاد إبليس عن رحمة الله وطرده من الجنة صاغراً ذليلاً، لم يملك إزاء ذلك إلا أن يطلب من الله أن يؤخر موته إلى يوم القيامة بقوله: ﴿**قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون**﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٣.
(٢) سورة البقرة الآية ٣٧.
(٣) انظر كتاب آدم عليه السلام للبهي الخولي ص ٩٠.
(٤) سورة الحجر الآية ٣٦.

فيستجيب الله طلبه وينظره إلى حين تموت الخلائق جميعاً: ﴿**قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**﴾(١)، وذلك حتى يشمله الموت تحقيقاً لقضاء الله بقوله: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾(٢).

وتبدأ أولى حلقات الغواية والافساد التي جبل عليها إبليس مع أبوي البشرية: آدم وحواء عليهما السلام اللذين تواضعا لله في مقابل كبرياء إبليس وانتفاشه وحسده الذي استوجب الطرد والإبعاد عن رحمة ربه.

وبعدما أخفق إبليس في الامتحان يصب جام غضبه على آدم وزوجه بالوسوسة والغواية، حتى يحملهما على معصية الله طمعاً أن يؤول أمرهما إلى ما آل إليه من الطرد والإبعاد، ولكن الله خيب ظنه في الأبوين، إذ تاب عليهما.

ويبين لنا القرآن هذه المحاولة في قوله تعالى: ﴿**ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وُري عنهما من سوءآتهما وقال مانهٰكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين. فدلهٰما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين. قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**﴾(٣).

ومن هنا تبدأ ممارسات إبليس للإفساد والغواية حيث يحاول بشتى الطرق

(١) سورة الحجر الآيات ٣٧،٣٨.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥٧.

(٣) سورة الأعراف الآيات من ١٩ ــ ٢٥.

الوصول إلى آدم وزوجه وهما يتنعمان في نعيم الجنة، ويأكل الحقد قلبه وهو يراهما على هذه الصورة من النعيم والراحة، فعند ذلك حسدهما، وسعى في المكر والوسوسة والخديعة، ليسلبهما ماهما فيه من النعمة واللباس والحسن، فوسوس لهما بالأكل من الشجرة التي نهاهم الله عنها، ولا ندري كنه هذه الشجرة ولكنها شجرة معينة من شجار الجنة، أراد الله أن يختبر آدم وحواء من خلال النهي عن الأكل منها، ولاندري من ثم كيف استطاع إبليس الدخول عليهما وهما في هذا النعيم، ولا كيف وسوس لهما، فإن هذا من الغيب الذي لم يرد فيه نص، وكل ماجاء في ذلك من روايات ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها بأي حال من الأحوال.

والأمر الذي يجب أن لا يغيب عن البال أن ذلك لا يمكن أن يتم إلا بإذن الله القدري، الذي يترك فيه للنفوس مجالا للاختيار، ليتم ماتقتضيه حكمته البالغة.

ولما كان اللعين يعلم أن الله قد نهاهما عن هذه الشجرة، وأن هذا النهي له ثقله وقوته في نفوسهما، فقد استعان على زعزعته ــ إلى جانب مداعبة شهواتهما ــ بتأمينهما من هذه الناحية، فحلف لهما بالله أن هذا النهي من قبل الله بالأكل من الشجرة لئلا يكونا ملكين من الملائكة ذوي الأقدار العالية، المتجردين لعبادة الرب وتسبيحه وتمجيده، أو ملكين ــ بالكسر ــ فيكون لهما الملك الخالد الذي لا يفنى، على الخلاف في قراءة هذا الحرف[1]. وأياً ماكان المعنى فهو تضليل للأبوين من قبل إبليس بأن هذا النهي من الله إنما لئلا يصلا إلى مرتبة عالية، وهما يطمعان في نيلها.

وأقسم على ذلك حالفاً لهما: ﴿**وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين**﴾[2] «ونسي آدم وزوجه ــ تحت تأثير الشهوة الدافعة والقسم المخدر ــ أنه عدوهما الذي لا يمكن أن يدلهما على خير، وأن الله نهاهما نهيا عليهما طاعته، سواء عرفا علته أم لم

(١) انظر في ظلال القرآن ٤٨٢/٨ وانظر تفسير فتح القدير ١٩٥/٢.
(٢) سورة الأعراف الآية ٢١.

يعرفا، وأنه لا يكون شيء إلا بقدر من الله، فإذا كان لم يقدر لهما الخلود والملك الذي لا يبلى فلن ينالاه، نسيا هذا كله واندفعا يستجيبان للإغراء.

﴿فدلّٰهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾(١) لقد تمت الخدعة وآتت ثمرتها المرة، لقد أنزلهما الشيطان بهذا الغرور من طاعة الله إلى معصيته(٢)، فوقعا في المحظور الذي كان إبليس يريد الوصول إليه، فكانت عاقبة ذلك أن نزع عنهما ماكانا يستران به عوراتهما، فبادرا إلى جمع أوراق الشجر من الجنة ليسترا ما انكشف، حياء وخجلاً، وهذا التصرف منهما دلالة على سلامة الفطرة حيث لا يتعرى إلا من فسدت فطرهم بالاستجابة إلى وسوسة الشيطان وغوايته.

لكن آدم وزوجه لم يصرا على المعصية، ولم يجادلا ويخاصما كما جادل إبليس وخاصم، بل سرعان مااعترفا بالذنب نادمين على ماحصل منهما، فتوجها إلى الله بهذا النداء الذي يكشف عن ضعف الإنسان أمام ربه: **﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾**(٣).

«إنه نداء يكشف عن الجانب الآخر في طبيعة هذا الكائن المتفرد، إنه ينسى ويخطىء، إن فيه ضعفاً يدخل منه الشيطان، إنه لا يلتزم ولا يستقيم دائما، ولكنه يدرك خطأه ويعرف زلته، ويندم، ويطلب العون والمغفرة من ربه، إنه يتوب ويثوب، ولا يلح كالشيطان في المعصية، ولا يكون طلبه من ربه هو العون على المعصية»(٤)،

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٢.
(٢) في ظلال القرآن ٨/٤٨٢.
(٣) سورة الأعراف الآية ٢٣.
(٤) في ظلال القرآن ٨/٤٨٣.

وهي صفات تجعل لرحمة الله طريقا إلى هذا المخلوق بعد أن استدرجه الشيطان، ولكنه يعود بعد توبته أقوى إيماناً ويقيناً بالله، وأقوى إيماناً ويقيناً أن الشيطان عدو لدود لهذا الإنسان، يتربص به الدوائر، حتى يجعله أحد جنوده المخلصين؛ ولكن يقظة القلب، وشدة صلته بالله أقوى من كل دعوة فاجرة مزخرفة.

وينتهي هذا الصراع بين آدم عليه السلام، وبين إبليس بهذه النهاية، بأن آدم تواب منيب، وأن إبليس شيطان رجيم.

ينتهي هذا الصراع في الجنة ـــ التي أخبر الله بأنها كانت مسكن آدم وزوجه ـــ لينتقل إلى هذه الأرض التي نعيش عليها، يقول تعالى مخاطبا آدم وحواء وإبليس: **﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾**(١).

لقد هبطوا جميعاً إلى الأرض: آدم وزوجه وإبليس، هبطوا ليصارع بعضهم بعضاً، وليعادي بعضهم، ولتدور المعركة بين الحق والباطل والخير والشر، وليتم الابتلاء، ويجري قدر الله بما شاء.

الصراع بين آدم وإبليس وذريتيهما بعد إهباطهما إلى الأرض :

بعد أن أهبط آدم وزوجه وإبليس لانكاد نجد ذكرا لوقائع معينة من هذا الصراع، إلا ماجاء في تفسير قوله تعالى: **﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشّٰها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن ءاتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين. فلما ءاتٰهما صالحا جعلا له شركاء فيما ءاتٰهما فتعالى الله عما يشركون﴾**(٢).

---

(١) سورة الأعراف الآيات ٢٤ ـــ ٢٥.

(٢) سورة الأعراف الآيات ١٨٩ ـــ ١٩٠.

فبعدما أهبط آدم وحواء وإبليس كانت سنة الله أن يتناسل آدم وحواء، فلما غشي زوجته حملت في بطنها حملا خفيفا لا تحس به ولا يثقلها، فلما كبر في بطنها صار في قلوبهما الشفقه على الولد، وعلى خروجه حيا صحيحا، سالما لا آفة فيه، فلما جاءهما الولد على وفق ماطلبا وتمت عليهما النعمة ﴿**جعلا له شركاء فيما ءاتهما**﴾ أي جعلا لله شركاء في ذلك الولد، الذي انفرد الله بإيجاده والنعمة به، وأقر به أعين والديه، فعبَّداه لغير الله[1].

واختلف العلماء في نوع الإشراك الذي حصل من آدم وحواء عليهما السلام:

(١) فذهب قوم إلى أن حواء بعدما حملت جاءها إبليس، فكان يخوفها أن يأتي الولد على صورة حمار أو كلب أو خنزير، حيث لم يعهد لهما من قبل أن رأيا أحداً من البشر، فطلب إبليس من حواء أن تسميه عبد الحارث، وكان إبليس يسمى بذلك، وإلا جاء الولد على صورة ناقة أو بقرة أو غير ذلك، وذكرت ذلك لآدم فقال لها: إنه هو صاحبنا الذي أخرجنا من الجنة، فمات الولد، ثم حملت مرة أخرى، وجاء إبليس كذلك، وطلب منها أن تسميه عبد الحارث، وإلا جاء على صورة بقرة أو ماعز أو غير ذلك وإلا قتله، فذكرت حواء ذلك لآدم، وكان لا يعيش لهما ولد كما ذكر، فكأنه لم يكرهه، فسموه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿**فلما ءاتهما صالحا جعلا له شركاء فيما ءاتهما**﴾[2].

فعلى هذا يكون آدم وحواء قد أشركا مع الله في الاسم وليس في العبادة، حيث سميا ابنهما عبد الحارث باسم إبليس، ولم يسميا عبد الله أو عبد الرحمٰن، أو غير ذلك من أسماء الله تعالى، وذكر الطبري روايات مختلفة في ذلك[3].

---

(١) انظر تفسير السعدي ٣/١٢٨ ــ ١٢٩.

(٢) تفسير الطبري ٩/١٤٥ ــ ١٤٧ بتصرف واختصار.

(٣) انظر تفسير الطبري ٩/١٤٥ ــ ١٤٩.

(٢) وقال آخرون: «إن المعنيَّ بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم، جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما الله مارزقهما من الولد، فعن الحسن قال: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهوَّدوا ونصَّروا»(١).

قال ابن جرير الطبري: «وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عني بقوله: **﴿فلما ءاتهما صالحاً جعلا له شركاء﴾** في الاسم لا في العبادة، وأن المعنيَّ بذلك آدم وحواء، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك»(٢).

وعلى هذا فإن أول ماعلمناه على وجه التعيين من ممارسة إبليس للغواية والافساد على هذه الأرض إنما كان بوسوسته لآدم وزوجه أن يسميا ولدهما عبد الحارث، فيكونا قد أشركا مع الله، ولكن الشرك الذي وقع به آدم وزوجه بعد وسوسة إبليس لهما إنما كان في الاسم لا في العبادة، والله تعالى أعلم.

ثم يتتابع الصراع بين ذرية آدم من جهة، وإبليس وذريته من جهة أخرى، وذلك من خلال الحديث عن قصة قابيل وهابيل ابني آدم، حيث نرى كيد إبليس بارزاً في هذه القصة، قال تعالى: **﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرَّبا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ماأنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين * إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاؤا الظالمين * فطوَّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾**(٣).

إن قصة قابيل وهابيل ابني آدم تبين لنا أول معصية وقعت بعد أن اهبط آدم وزوجه وإبليس إلى الأرض، وقد خاطب الله نبيه أن يقص على الناس خبر هذين

---

(١) تفسير الطبري ١٤٨/٩ باختصار.
(٢) نفس المصدر ١٤٨/٩.
(٣) سورة المائدة الآيات ٢٧ ــ ٣٠.

الأخوين وما حصل بينهما، حيث أخرج كل منهما شيئا من ماله لقصد التقرب إلى الله **﴿فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر﴾** بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، وأن علامة تقبل الله للقربان أن تنزل نار من السماء فتحرقه.

وعند ذلك حسد أحد الأخوين أخاه على قبول الله للقربان الذي قدمه، فهدده بالقتل **﴿فقال لاقتلنك﴾** فقال له الآخر مترفقاً له في ذلك: إنما يتقبل الله من المتقين، فأي ذنب لي وجناية توجب لك أن تقتلني الا اني اتقيت الله تعالى، الذي تقواه واجبة عليَّ وعليك وعلى كل أحد[1].

وعلى الرغم من هذا الخلق المتواضع فإن قابيل لم ينثن عن نيته السوداء، مع أن هابيل كان أقوى من أخيه كما ذكر عبد الله بن عمرو حيث يقول: «وايم الله إن كان ــ أي هابيل ــ لأشد الرجلين، ولكن منعه التحرج، يعني الورع»[2]، فأقدم على قتل أخيه ظلماً وحسدا، قال ابن جرير الطبري: عن ابن جريج قال: قتله حيث يرعى الغنم، فأتى فجعل لا يدري كيف يقتله، فلوى برقبته وأخذ برأسه، فنزل إبليس وأخذ دابة أو طيراً، فوضع رأسه على حجر، ثم أخذ حجراً آخر فرضخ به رأسه، وابن آدم القاتل ينظر، فأخذ أخاه، فوضع رأسه على حجر، وأخذ حجراً آخر فرضخ به رأسه»[3].

«وهكذا كان الحسد أول ذنب عصي الله تعالى به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض، أما في السماء فحسد إبليس آدم، وأما في الأرض فحسد قابيل هابيل»[4].

---

(١) انظر تفسير السعدي ٢/٢٧٨ ــ ٢٨٩.
(٢) مختصر تفسير ابن كثير ١/٥٠٧.
(٣) تفسير الطبري ٦/١٢٦.
(٤) مع الأنبياء ص ٥٥.

وهكذا كان قابيل أول من سن القتل نتيجة إغواء الشيطان له، فكان عليه وزر فعلته بقوله عليه الصلاة والسلام: **«لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سن القتل»**[١].

وإن القتل لمن أعظم الأعمال وأجلها عند إبليس، ويوضح ذلك ماروي عن أبي عبد الرحمٰن السلمي عن أبي موسى الأشعري قال: «إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أضل مسلماً ألبسته التاج، فيقول: قال فيقول له القائل: لم أزل بفلانْ حتى طلق زوجته، قال: يوشكُ أنْ يتزوج، ويقول آخر: لم أزل بفلانْ حتى عق[٢]، قال: يوشك أن يبر، قال ويقول القائل، لم أزل بفلان حتى شرب قال: أنت! قال ويقول: لم أزل بفلان حتى زنى، قال: أنت! قال ويقول: لم أزل بفلان حتى قتل، قال: أنت أنت»[٣].

فالقاتل هو المقرب عنده، لأن أعظم جريمة يرتكبها الإنسان بعد الكفر هي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿ومن أحياها..﴾ ١٢/١٩١ وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب القسامة. باب بيان إثم من سن القتل ٣/١٣٠٤، وهذا لفظه. وأخرجه الترمذي في سننه. كتاب العلم. باب ما جاء في الدال على الخير كفاعله ٣١٧/٧ وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أحمد في مسنده ١/٤٣٠ وابن ماجه. كتاب الديات. باب التغليظ في قتل مسلم ظلما ٢/٨٧٣ والنسائي في سننه. كتاب تحريم الدم ٨٢/٧.

(٢) أي أهان والديه بالسب والضرب ونحوهما.

(٣) قال علاء الدين الهندي في كنز العمال ٢٥٧/١: أخرجه الطبراني والحاكم في المستدرك عن أبي موسى. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد مع إختلاف في بعض الألفاظ وقال عنه: رواه الطبراني في الكبير وفيه عطاء بن السائب، اختلط. وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ١/١١٤ وأخرج مسلم في صحيحه قريبا من هذا اللفظ عن جابر. كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ٢١٦٧/٤، وأحمد في مسنده بنحو ما أخرجه مسلم عن جابر ٣١٤/٣.

قتل نفس بغير حق، وما دام الأمر كذلك فإن إبليس يعمل جاهداً لاشعال نار الفتن والحروب بين الناس.

ويعلن إبليس عن عدائه السافر للجنس البشري بعد طرده من الجنة ويتعهد بإغواء ذرية آدم بكل وسيلة، يقول تعالى عنه: ﴿**قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين**﴾[1].

فهو إصرار على الفتنة والإفساد، مبعثه الحقد والحسد والكراهية للجنس البشري، حيث لا يجد وسيلة للانتصار من هذا المخلوق الذي طرد بسببه عن رحمة الله إلا أن يستدرج ذريته إلى المصير الذي آل إليه، والسبيل لذلك القعود لهم بكل طريق يقربهم إلى الله وإتيانهم من جميع وجوه الحق والباطل ليصدهم عن سبيله، فيحسن لهم الباطل، وينهاهم عما أمرهم الله به[2]، للحيلولة بينهم وبين الإيمان والطاعة، فعن سبرة بن أبي فاكه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام**» فقال له: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك قال: فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك، وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول، قال: فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له وهو جهاد النفس والمال فتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسم المال، قال: فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ «**فمن فعل ذلك منهم فمات، كان حقاً على الله أن يدخله الجنه، أو قتل كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته[3] دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة**»[4].

---

(١) سورة الأعراف الآيات ١٦، ١٧.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٣٧/٨.

(٣) وقصته: أي أوقعته دابته، فكسر عنقه فمات، انظر النهاية في غريب الحديث ٢١٤/٥/٥.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٤٨٣/٣ والنسائي في سننه. كتاب الجهاد. باب ما لمن أسلم

وعن شقيق البلخي قال: «مامن صباح إلا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد: من بين يدي، ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، أمّا من أمامي فيقول: لاتخف فان الله غفور رحيم فاقرأ: ﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ**﴾[1]، وأما من خلفي فيخوفني الضيعة[2] على من أخلفه فأقرأ: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**﴾[3]، ومن قبل يميني يأتيني من قبل الثناء فأقرأ: ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾[4]، ومن قبل شمالي، فيأتيني من قبل الشهوات، فأقرأ: ﴿**وحيل بينهم وبين مايشتهون**﴾[5].

فهي محاولة دائبة من إبليس وقبيله من الشياطين لإيقاع بني آدم في المعاصي، فلا يعرفون الله ولا يشكرونه، ويصور هذا المعنى قوله تعالى عنه: ﴿**قال أرأيتك هذا الذي كرَّمت عليَّ لئن أخرتن إلى يوم القيامه لأحتنكن ذريته إلا قليلا**﴾[6]، فهو الاستيلاء التام على ذرية آدم ماخلا أولئك الذين اعتصموا بحبل الله ولاذوا بجانبه وسط هذا الكيد والإغراء، ولكنه على كل حال كيد موهوم مزخرف باعتراف إبليس نفسه قال تعالى عنه: ﴿**وماكان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم**﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿**واستفزز من**

= وهاجر وجاهد ٦/٢١. ومعنى: إنما مثل المهاجر كالفرس في الطول: أي أن المهاجر يصير كالمقيد في بلاد الغربة، لا يدور إلا في بيته، ولا يخالطه إلا بعض معارفه، فهو كالفرس في الحبل، لا يدور إلا بقدره، بخلاف الفرس المرسل. انظر سنن النسائي الحاشية ٦/٢٢.

(١) سورة طه الآية ٨٢.
(٢) الضيعة : الضياع بسبب موت من كان يعولهم في حياته من أهله.
(٣) سورة هود الآية ٦.
(٤) سورة القصص الآية ٨٣.
(٥) سورة سبأ الآية ٥٤ مختصر اغاثة اللهفان من مكائد الشيطان ص ١٠٠.
(٦) سورة الاسراء الآية ٦٢.
(٧) سورة إبراهيم الآية ٢٢.

استطعت منهم وأجلب عليهم بخيلك ورَجِلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾[1] فهو تغرير وخداع، ونصب واحتيال، والعاقل من تنبه لذلك وحمى مداخل نفسه من أن يكون للشيطان سبيل إليها.

إبليس واستعداده للمعركة مع ذرية آدم :

وهذه المعركة المشتعلة الأوار معركة يوجه أسلحتها إبليس وجنوده، حيث ينضم الصفوف ويبعث السرايا لفتنة الناس وإفسادهم، قال ابن كثير: «فإبليس لعنه الله حي الآن منظر بنص القرآن، وله عرش على وجه البحر، وهو جالس عليه يبعث سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن.. والدليل على أن عرش إبليس على البحر مارواه جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ **«إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة»**[2].

ومن ذلك ما رواه أحمد عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ لابن صائد[3] **«ماترى؟ قال: أرى عرشا على الماء أو قال على البحر، حوله الحيات، فقال ﷺ: ذاك عرش إبليس»**[4].

فهي إذن معركة قائدها إبليس يوجه فيها جنوده من الشياطين إلى شتى بقاع الأرض لفتنة الناس وصدهم عن دين الله، **فأقربهم منه منزلة أعظمهم فتنة، فقد**

---

(١) سورة الاسراء الآية ٦٤.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٥٩/١، أخرجه مسلم في صحيحه بروايات متقاربة. كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه يفتنون الناس ٢١٦٧/٤ وأخرجه أحمد في مسنده ٣٣٢/٣ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٩/٧: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا وفيهم ضعف.

(٣) ابن صائد: كاهن يهودي، كان يتصل بالشياطين في الجاهلية ويطلق عليه أيضا ابن صياد.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٣٨٨/٣.

أخرج مسلم في صحيحه عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة»**، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ماصنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت، قال الأعمش، أراه قال: فيلتزمه»(١).

وليس للشياطين من سلاح في هذا الإفساد سوى الدعوة الفارغة الخالية عن البرهان أو الدليل، وانما هو الخداع المزيف والتزيين المموه، وتصوير هذه الشهوات بأنها هي الغايات التي يجب عليهم أن يبذلوا كل مالديهم للوصول إليها، على حساب دينهم وخلقهم وكرامتهم.

والأسواق هي الأماكن التي تروج فيها تجارة الشيطان، ويجني من ورائها الربح العظيم، ولهذا يحذر الرسول ﷺ من دخولها والمكث فيها لغير حاجة، فعن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ **«لاتكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته»**(١) وذلك لأن الأسواق غالباً ما تكون مراتع للفساد، لما فيها من الفتنة التي يغذيها إبليس وجنوده من الغش والخداع والنظر المحرم وغير ذلك.

انها معركة دائرة الرحا، نسجت خيوطها بدقة وإحكام من قبل إبليس وجنده، ولكنها على كل حال معركة خاسرة، لأن مصير مشعليها نار جهنم خالدين فيها وبئس المصير.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب فضائل الصحابة. باب من فضائل أم سلمة ١٩٠٦/٤.

أساليب إبليس في هذه المعركة :

والأساليب التي يسلكها إبليس والشياطين في هذه المعركة أساليب خفية ومتنوعة، وهي أساليب تدل على المكر والدهاء وإجادة الأدوار، وحسبنا في هذا المقام الحديث عن بعض هذه الأساليب، وذلك بما يسمح به المقام.

فمن هذه الأساليب :

أولا :التشكيك : ويشمل أموراً منها:

(أ) **التشكيك بوجود الخالق** : فمن أول أساليب التشكيك وأبرزها، **تلك التي يسلكها الشيطان في تشكيك** الإنسان بخالقه، لأنه إذا توصل لذلك يكون قد استولى على المرء وأحاط به من كل أقطاره، فلا رادع يردعه عن ممارسة أي عمل محرم أو اقتراف أي جريمة، وقد نبه الرسول ﷺ على ذلك فيقول: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**»[1].

وعن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: اني لأحدث نفسي بالشيء لأن أخِرَّ من السماء أحب الي من أن أتكلم به قال: فقال النبي ﷺ. «**الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**»[2].

والشيطان مستمر في حملة التشكيك هذه، فقد قال عليه الصلاة والسلام «لن

---

(١) من أراد الاستزادة فليراجع اغاثة اللهفان من مكائد الشيطان لابن القيم وكتاب احياء علوم الدين للغزالي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة. كتاب بدء الخلق. باب: صفةإبليس وجنوده ٦/٣٣٦، وأخرجه مسلم في صحيحه كذلك. كتاب الإيمان. باب بيان الوسوسة في الإيمان ١/١٢٠.

يدع الشيطان أن يأتي أحدكم فيقول: من خلق السموات والأرض؟ فيقول: الله، فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق الله؟ فإذا أحس أحدكم بذلك فليقل: آمنت بالله ورسله»[1].

ولكن دعوة الشيطان هذه إلى إنكار وجود الله والتشكيك فيه قد وقع فيها بشر كثيرون، فمن متسائلٍ هذا السؤال، ومن شاك أو جاحد مضلل، ومن منساق وراء الكفرة الجاحدين بلا وعي ولا تفكير، وقد كثرت هذه الأصناف في هذا العصر، فنشأت الفرق التي لا تؤمن بوجود خالق لهذا الكون كالدهرية[2] والقائلين بالصدفة[3]، وكان من هؤلاء الشيوعيون الملحدون، الذين يكفرون بكل دين، ويدوسون كل فضيلة وخلق، ممن نراهم اليوم في شتى أقطار الأرض وفي بلاد المسلمين، والذين يعتبرون الأديان أفيون الشعوب، فلا غرابة أن نجدهم يسحقون

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١/٢٣٥ وأبو داود في سننه. كتاب الأدب. باب في رد الوسوسة ٥/٣٣٦ عن ابن عباس بلفظ: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله: إن أحدنا يجد في نفسه يعرض بالشيء لأن يكون حممه أحب إليه من أن يتكلم به..» الحديث. والحممة : الفحمة. وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد نحوه مختصرا ١/٣٤٣ وقال: رواه الطبراني في الصغير، ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني منتصر.

(٢) الدهرية، هم الذين ينكرون وجود خالق لهذا الكون، وأن المتصرف فيه بالإماتة والتدبير وغير ذلك هو الدهر، قال الله عنهم: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ سورة الجاثية الآية ٢٤. والقائلون بالصدفة هم الذين ينكرون وجود خالق لهذا الكون أيضا، ويقولون بأن كل ما في العالم وجد هكذا صدفة، أي دون خالق ومدبر له.

(٣) أورده الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد. باب ما جاء في الوسوسة ١/٤١، وذكر أيضا نحوه وقال عنه: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، ورجاله رجال الصحيح خلا أحمد بن محمد بن نافع الطحان شيخ الطبراني انظر مجمع الزوائد ١/٣٤.

كل دعوة تتضمن الإيمان بوجود الله، وأحقها بالحرب عندهم دعوة الإسلام.

وكان من نتيجة هذه الدعوة الابليسية أيضاً المذاهب المختلفة التي تنطوي على الإلحاد المحض، إلى الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وغير ذلك من العقائد الباطلة، وذلك كالباطنية[١] والبهائية والعلمانية والماسونية، وغير ذلك.

(ب) التشكيك في اختصاص الله بالعبادة وحمل الناس على عبادة الأصنام:

واستطاع إبليس وأعوانه تشكيك الناس في عبادة الله، حتى استطاع تحويلهم عنها إلى اتخاذ معبودات أخرى مع الله، وذلك كما حصل مع قوم نوح عليه السلام قال تعالى مبيناً ذلك:

﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولاسُواعاً ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرا﴾[٢].

قال الطبري: «كان هؤلاء نفراً من بني آدم فيما ذكر عن آلهة القوم التي كانوا

---

(١) الباطنية: دعوة ظهرت أولا في زمن المأمون، وانتشرت في زمن المعتصم، وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين، وتأولوا آيات القرآن وسنن الرسول ﷺ على موافقة أساس المجوس، وذكر زعماء الباطنية أن الإلٰه خلق النفس، فالإله هو الأول، والنفس هو الثاني، وهما مدبرا هذا العالم، وتأوّلوا أحكام الشريعة، فأباحوا نكاح البنات والأخوات وشرب الخمر وجميع اللذات، وهم لايظهرون دينهم إلا لمن كان منهم، بعد أن يحلف أن لايذكر اسرارهم لغيرهم، قال عبد القاهر الجرجاني: والذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها، واستباحة ما يميل إليه الطبع، وبالجملة فالباطنية دعوة تدعو إلى إنكار الله والرسل والوحي والملائكة والجن واستباحة المحظورات وتأويل الآيات القرآنية، وهي حرب على الإسلام والمسلمين. انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٦٥ ــ ٢٩٩.

(٢) سورة نوح الآية ٢٣

يعبدونها، فعن محمد بن قيس: **(ويعوق ونسرا)** قال: كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم»[١].

ومن ثم عرفت البشرية هذا النوع من الشرك بواسطة وسوسة إبليس وايحاءاته، إذ يعمل جاهداً لتحويل الناس عن دين الله، فانتقل هذا النوع من الشرك إلى العرب قبل الاسلام، فعبدوا الأصنام التي عبدها قوم نوح من بعده كما ذكر الطبري ذلك عن قتادة[٢].

قال تعالى عن مشركي العرب في ذكرهم للغاية من عبادة الأصنام: ﴿**مانعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾[٣]، فقد كان مشركو العرب يعترفون بوجود خالق لهذا الكون، ولكن إشراكهم بالله إنما كان باتخاذهم الأصنام شركاء مع الله، فلم تكن الحاكمية لله في التحليل والتحريم والخضوع.

(جـ) **التشكيك في العقائد الإيمانية** كإنكار الملائكة والجن وبعث الرسل واليوم الآخر وغير ذلك:

فقد استطاع إبليس تشكيك كثير من الناس في العقائد الإيمانية، فطعنت فرق بالملائكة والجن، فأنكرت وجودهم كما تقدم معنا، وأنكر آخرون اليوم الآخر، وطعن فريق بعصمة الأنبياء، وتأول آخرون صفات الله بما لا يليق بجلاله سبحانه، وتأولوا آيات القرآن بما يخالف المراد منها، وتشعبت الأمة إلى فرق ومذاهب،

---

(١) تفسير الطبري ٩٨/٢٩ ــ ٩٩.
(٢) نفس المصدر ٩٩/٢٩.
(٣) سورة الزمر الآية ٣.

فنشأت فرق الجبرية والمعطلة والجهمية والشيعة وغير ذلك، وكان ذلك نتيجة إبليس وإيحاءاته لهؤلاء فانحرفوا عن الإسلام، وولوا يتحاكمون إلى أهوائهم واعتقاداتهم الفاسدة.

قال ابن القيم: «ومن حيله ومكايده ــ أي إبليس ــ الكلام الباطل والآراء المتهافتة والخيالات المتناقضة، التي هي زبالة الأذهان ونحاتة الأفكار، والزبد الذي تقذف به القلوب المظلمة المتحيرة، التي تعدل الحق بالباطل، والخطأ بالصواب، وقد تقاذفت بهم أمواج الشبهات، ورانت عليهم غيوم الخيالات، فمركبها القيل والقال، والشك والتشكيك وكثرة الجدال، ليس لها حاصل من اليقين تعول عليه، ولا معتقد مطابق للحق ترجع إليه ﴿**يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا**﴾[1]، فقد اتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجوراً، وقالوا من عند أنفسهم، فقالوا منكرا من القول وزورا، فهم في شكهم يعمهون، وحيرتهم يترددون، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ماتلته الشياطين على ألسنة أسلافهم من أهل الضلال، فهم إليه يتحاكمون، وبه يتخاصمون، فارقوا الدليل واتبعوا ﴿**أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل**﴾[2].

(د) التشكيك الذي يشمل حياة المسلم بشكل عام :

والتشكيك أسلوب بارز في حرب الشيطان للإنسان، يسري على أمور كثيرة، وتتسع مجالاته لتشمل تشكيك المسلم بكل شيء.

فهو يشككه في النية التي مدارها على انعقاد القلب بفعل أمر من الأمور، فتجد بعض الناس ممن يوسوس لهم الشيطان لا يكتفون في النية للصلاة بما ورد في السنة، بل يذهبون إلى التكلم بكلام طويل قبل تأدية الصلاة مثلا، فيقول

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٢.

(٢) سورة المائدة الآية ٧٧ مختصر إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان ص ١١٣.

أحدهم: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، نويت أصلي صلاة الظهر، فريضة الوقت، أداء لله، إماماً أو مأموماً أربع ركعات، مستقبلا القبلة، ثم يزعج أعضاءه ويحني جبهته، ويقيم عروق عنقه، ويصرخ بالتكبير، كأنه يكبر على العدو، ولو مكث أحدهم عمر نوح يفتش هل فعل رسول الله ﷺ أو أحد من أصحابه شيئاً لما ظفر به، إلا أن يجاهر بالكذب البحت، فلو كان في هذا خير سبقونا إليه ولدعونا إليه، فإن كان هذا هدى فقد ضلوا عنه،وإن كان الذي كانوا عليه هو الهدى والحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال»[1].

ومنها التشكيك في الصلاة، حيث يأتي الشيطان للمصلي فيلبس عليه في الصلاة ويشككه فيها، حتى لا يدري كم صلى، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان بن أبي العاص قال: قلت يارسول الله: إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك شيطان يقال له خِنْزَبٌ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني**»[2].

ومنها التشكيك في الوضوء والطهارة، حيث يوسوس الشيطان للإنسان بالإكثار من ذلك في عدد المرات، مما يخرج المسلم عن حد الاعتدال الذي أمر به الإسلام إلى الاسراف الذي هو أحد أعمال الشيطان التي يسلكها مع الإنسان، فعن أُبي بن كعب أنه ﷺ قال: «**إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان، فاتقوا وسواس الماء**»[3].

---

(١) مختصر إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان ص ١٣٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة ١٧٢٨/٤. ومعنى يلبسها علي: أي يخلطها ويشكك فيها.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه. كتاب الطهارة، باب ما جاء في كراهية الاسراف في الوضوء والماء ٦٣/١، وقال عنه: حديث أبي بن كعب حديث غريب وليس اسناده

ومن هذه الأساليب التي تعتبر خطراً على المجتمع الإسلامي التشكيك في أعراض المسلمين وسوء الظن بهم، فنجد بعض الناس ممن يروجون الإشاعات التي توحيها إليهم شياطينهم، فتسري في المجتمع سريان النار في الهشيم وتفتك به مالا يفتكه عدو، ولما يترتب على ذلك من الخطورة فقد نبه القرآن الكريم لذلك وأرسى أسس الثقة بين أبناء المجتمع المسلم بدعوته إلى التثبت في نقل الاخبارأولاً، قال تعالى: ﴿**ياءيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين**﴾[١]، وطرْح الظن والوهم وعدم التجسس والغيبة من ناحية ثانية، قال تعالى: ﴿**ياءيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا..**﴾[٢] الآية.

وزيادة في الحذر والحيطة من وساوس الشيطان ينبغي على المسلم أن يتجنب مواطن الشبهات، وليبادر إلى أخيه المسلم ويعلمه بحقيقة الأمر إذا وقع في مثل هذه المواطن، فعن صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفاً، فأتيته أزوره ليلاً، فحدثته، ثم قمت لأنقلب[٣]، فقام معي ليقلبني ــ وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ــ فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: **على رِسْلِكما**[٤]، إنها صفية بنت حيي، فقالا:

= بالقوي والصحيح عند أهل الحديث، لأنا لانعلم أحدا أسنده غير خارجة. وأخرجه أحمد في مسنده ١٣٦/٥ وابن ماجه في سننه. كتاب الطهارة، باب ما جاء في القصد في الوضوء ١٤٦/١، والولهان مأخوذ من التحير. انظر النهاية في غريب الحديث ٢٢٧/٥، ووسواس الماء، الوسواس الذي يفضي إلى كثرة اراقة الماء حال الوضوء والاستنجاء والتردد في طهارة الماء ونجاسته بلا ظهور علامات النجاسة انظر هامش سنن النسائي ١٤٦/١.

(١) سورة الحجرات الآية ٦.

(٢) سورة الحجرات الآية ١٢.

(٣) لانقلب : أي لأرجع.

(٤) على رسلكما : أي أثبتا ولا تعجلا، انظر النهاية في غريب الحديث ٢٢٣/٢.

سبحان الله يا رسول الله. قال: «**وإنَّ الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً، أو قال شيئاً**»(١).

وقد ورد أن الشيطان يتشكل في صور بعض الناس ويمارس هذه الأمور بنفسه، فعن عبد الله بن مسعود قال: إن الشيطان يتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون، فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري مااسمه يحدث»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن وسواس الرجل يخبر وسواس الرجل فمن ثم يفشو الحديث(٣)، وجاء عن عمر رضي الله عنه أنه حدث نفسه بشيء ولم يظهره لأحد، فوجده مع الناس، فقال: خرج به الخناس»(٤).

فهذا الأسلوب من قبل الشيطان إنما يقوم به ليزعزع الثقة بين المسلمين، حيث يروج الكذب والتشكيك، وبذلك يصبح المجتمع في حيرة إزاء هذه المواقف، فتزول الثقة وتنعدم الطمأنينة بين كثير من الناس.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده ٦/٣٣٦، ومسلم في صحيحه. كتاب السلام. باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليا بامرأة ٤/١٧١٢ وأخرجه أبو داود وابن ماجه والدارمي وأحمد بن حنبل.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/٤٤٢ وقد ذكر القرطبي أن هذا الحديث قد رواه مسلم في صحيحه، والواقع أنه ليس في صحيح مسلم، وذكر أن الحديث الذي رواه سلمان الفارسي وأوله «لاتكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها..» أنه في مسند البزار وليس كذلك، ويبدو أنه قد عكس نسبة الحديثين، فما أخرجه مسلم نسبه للبزار وما أخرجه البزار نسبه لمسلم. ولهذا وجب التنبيه.

(٣) الفتاوى الحديثية ص ٧٢.

(٤) نفس المصدر ص ٧٢.

ثانيا : تزيين الهوى والمعاصي :

وهو من أوسع ميادين الشيطان وأنجحها، وقد ورد ذكر تزيين الأعمال في مواضع متعددة من القرآن[1]، فإبليس عليه اللعنة بعد أن طرد من الجنة قال: ﴿**قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض..**﴾[2]. وقال تعالى: ﴿**زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**وقيَّضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم**﴾[4] إلى غير ذلك من الآيات.

والتزيين هو تحسين الشيء وإظهاره بمظهر حسن، وتزيين أعمال الكافرين جاء مضافاً إلى الله كما في قوله تعالى: ﴿**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيَّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون**﴾[5]، وجاء مضافاً إلى الشيطان كما في قوله تعالى: ﴿**تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم**﴾[6]، وجاء مبنياً للمفعول محتملا للنوعين كقوله تعالى: ﴿**كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون**﴾[7].

فتزيين الله أعمال الكافرين جعْلهم يستحسنونها عقوبة على إعراضهم، وفي مقابل ذلك يزين الله الإيمان في قلوب المؤمنين ويحببه إليهم، ويكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وتزيين الشيطان يكون بالدعوة للإغراء وتحسين القبائح، تضليلا وصداً عن سبيل الله.

---

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦.
(٢) سورة الحجر الآية ٣٩.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٤.
(٤) سورة فصلت الآية ٢٥.
(٥) سورة النمل الآية ٤.
(٦) سورة النحل الآية ٦٣.
(٧) سورة الأنعام الآية ١٢٢.

فالتزيين إما أن يكون من الله فهو رحمة للمؤمن ونقمة على الكافر، وإما من الشيطان فهو شر، وإما من النفس الأمارة بالسوء فهو شر كذلك، لأنه يرتبط بوسوسة الشيطان للنفس[1].

ومادام التزيين يرد بهذه الصورة، فلا غرابة أن نجد الشيطان يركز على خداع النفوس بالوسوسة إليها للاستزادة من المعاصي، وإظهارها بمظهر الشيء الجميل المحبب إلى النفس، ومركبه إلى هذه الغاية وسلاحه في هذه المعركة هوى النفس.

والهوى هو مراعاة رغبة النفس لما تحب مع الميل إلى ذلك بما لا ينبغي، ولذلك غلب على الهوى صفة الذم[2]، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن في ثمانية وعشرين موضعاً جميعها في مجال الذم[3]، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**فلا تتبعوا الهوىٰ أن تعدلوا**﴾[4] وقال: ﴿**وإن كثيراً لَيُضِلُّون بأهوائهم بغير علم**﴾[5] وقال: ﴿**أفرأيت من اتخذ إلٰهه هوٰه وأضله الله على علم**﴾[6] وقال: ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهىٰ النفس عن الهوىٰ فإن الجنة هي المأوىٰ**﴾[7] إلى غير ذلك من الآيات.

إن الهوى هو الدافع القوي لكل طغيان وكل تجاوز وكل معصية، وهو أساس البلوى وينبوع الشر، وقل أن يؤتى الإنسان إلا من قبل الهوى، فالجهل سهل علاجه، ولكن الهوى هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل.

---

(١) انظر تفسير فتح القدير ٢/٤٢٩.
(٢) الفروق في اللغة ص ١١٧ بتصرف.
(٣) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٧٤٠.
(٤) سورة النساء الآية ١٣٥.
(٥) سورة الأنعام الآية ١١٩.
(٦) سورة الجاثية الآية ٢٣.
(٧) سورة النازعات الآية ٤٠.

واتباع الهوى هو ترك الحرية للنفس تفعل ما تشاء دون الشعور برقابة أحد ودون مراعاة خلق أو فضيلة أو مصلحة أحد من الناس، لأن عابد هواه قد زين له الشيطان فعل كل شيء وأوحى إليه أن كل تصرف يقوم به إنما هو تصرف سليم، ولهذا نجد الله سبحانه يعتبر اتباع الهوى غاية في الضلال، قال تعالى: ﴿**ومن أضل ممن اتبع هوٰه بغير هدىً من الله**﴾[1]، وأخبر الله عن الذي انسلخ عن آياته أن انسلاخه إنما كان بسبب اتباعه لهواه يقول: ﴿**واتل عليهم نبأ الذي ءاتيناه ءاياتنا فانسلخ منها فأتْبَعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هوٰه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**﴾[2]، فهو إنسان استعبده الشيطان وركبه لأنه اتبع هواه وانساق مع رغبات نفسه وشهواتها، إذ الشيطان لا يأتي للنفس إلا عن طريق الشهوات يؤجج نارها في نفوس الناس ويحسنها لهم، ويظهرها بمظهر الكسب العظيم الذي لا ينبغي تفويته.

والهوى ماتنساق إليه النفس وتهواه استحسانا له، من اعتقاد أو عمل بدافع من ظن كاذب، ورغبة في متعة زائلة، وهو مفتاح المعاصي الذي يدخل منه الشيطان إلى قلب ابن آدم، فقد أخرج الحكيم الترمذي عن عطاف بن خالد قال: بلغني أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿**ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا**﴾[3] صاح إبليس بجنوده، وحثا على رأسه التراب، ودعا بالويل والثبور، حتى جاءته جنوده من كل بر وبحر، فقالوا: مالك ياسيدنا؟ قال: آية نزلت في كتاب الله، لا يضر بعدها أحداً من بني آدم ذنب، قالوا: ماهي؟ فأخبرهم، قالوا: نفتح لهم باب الأهواء، فلا يتوبون ولا يستغفرون، ولا يرون أنهم على الحق، فرضي منهم بذلك»[4].

---

(١) سورة القصص الآية ٥٠.
(٢) سورة الأعراف الآيات ١٧٥ ــ ١٧٦.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٥.
(٤) أخرج الدارمي في سننه نحوه مختصرا باب في اجتناب الاهواء ١/٧٨.

قال الغزالي: «ولما كان لايخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى، لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة، ولذلك قال ﷺ: **«مامنكم من أحد إلا وقد وكِّل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يارسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير»**(١).

وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة، فمن أعانه على شهوته حتى صارت لا تنبسط إلا حيث ينبغي، وإلى الحد الذي ينبغي فإن شهوته تدعو إلى الشر، فالشيطان المتدرع بها لا يأمر بالخير، ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس، ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله، وأقبل الملك وأُلهِم، والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن ينفتح القلب لأحدهما، فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاساً.

وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها، فامتلأت بالوساوس الداعية إلى إيثار العاجلة واطراح الآخرة، ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى، ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان، وهو الهوى والشهوات، وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة»(٢).

وهكذا يركب الشيطان الهوى ويسير بصاحبه إلى طريق يصعب الرجوع منها، لأنه كلما أوغل في اتباع الهوى كلما ازداد عشقه وافتتانه به، ومحاسبة النفس على

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب صفات المنافقين. باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ٢١٦٧/٤ وأخرجه أحمد في مسنده ٣٨٥/١ والدارمي في سننه كتاب الرقاق. باب مامنكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن ٢١٥/٢.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٢٨/٣ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

اتباع الهوى أو تركه هو موضع المحنة والابتلاء، قال ابن القيم: «والنفس تدعو إلى الطغيان وايثار الحياة الدنيا، والرب يدعو العبد إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى، والقلب بين الداعيين يميل إلى هذا الداعي مرة وإلى هذا مرة، وهذا موضع المحنة والابتلاء»[1].

واتباع الهوى بفعل المعاصي هو الباب الواسع الذي يدخل منه الشيطان إلى النفس، لأن المعصية مركب الشيطان في الأصل، حيث عصى أمر ربه في السجود لآدم، وهو نفس الأسلوب الذي سلكه مع آدم بعد طرده من الجنة، فوسوس له حتى أوقعه وزوجه في المعصية، حتى استجابا لهذا الإغراء المزين بالدعوة إلى الملك الخالد والقسم الكاذب ﴿**فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماوُري عنهما من سوءاتهما وقال مانهٰكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين. فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما..**﴾[2] الآية.

وهو السلاح الذي رفعه في وجه بني آدم متوعداً إياهم بقوله: ﴿**قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينَّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين**﴾[3] وبقوله: ﴿**قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين**﴾[4].

والتزيين هو تحبيب المعاصي والترغيب فيها، وعلى هذا فإن ابليس اللعين قد توعد بني آدم بتزيين المعاصي لهم وحملهم على فعلها، وقد وصف الله سبحانه واقع الشيطان ومدار عمله بقوله: ﴿**إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا**

(١) مختصر إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان ص ٧٤.

(٢) سورة الأعراف الآيات ٢٠ ــ ٢٢.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٦.

(٤) سورة الحجر الآية ٣٩.

تعلمون﴾[1]، وأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن عمل الشيطان فيقول: «مامنكم من أحد إلا وقد وكِّل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يارسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فاسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[2].

فمع كل إنسان شيطان يغريه بالمعاصي ويدعوه إليها، وذكر أنه قابع على قلب ابن آدم يوسوس له، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس وإن نسي التقم قلبه ــ أي نشب فيه وسوسته**»[3].

فيا ترى مامدى نجاح الشيطان في هذا الطريق الذي سلكه في إغواء بني آدم؟.

إن الناظر في تاريخ البشرية الطويل يرى أن الشيطان قد بلغ من البشرية مراده وصدق فيهم ظنه، إلا من عصمهم الله، وهم فريق المؤمنين، فإن جميع المعاصي التي وقعت في تاريخ البشرية إنما كانت بفعل كيد الشيطان وتزيينه، ابتداء من أكل آدم وزوجه من الشجرة، وقتل قابيل أخاه هابيل، وفوق ذلك تزيين الكفر والشرك وتكذيب الرسل، كما فعل مع قوم نوح ومن بعدهم، وظلت تتوالى المعاصي على مدار التاريخ حيث يسعر نارها إبليس وجنوده، وهم يدأبون ليل نهار على ذلك، يغذيهم الحقد والكراهية لهذا المخلوق الذي كرمه على كثير ممن خلق، فمن لم ينالوا منه معصية الكفر أغروه بما دونه من المعاصي، وهو بريد الكفر.

فمن هذه المعاصي التي يحرص الشيطان على إغراء بني آدم بها:

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٩.

(٢) وقد تقدم قبل قليل.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٩/٧: رواه أبو يعلى، وفيه عدي بن أبي عمارة وهو ضعيف.

(أ) شرب الخمر:

فهي الداء الذي يعدي غيره، لما فيها من خطر عظيم على الجسم والعقل، حيث يفقد الإنسان إدراكه بشربها، وقد نبه القرآن الكريم إلى هدف الشيطان من حمل الناس على هذه المعصية فقال: ﴿**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**﴾[1].

فبين القرآن أن الشيطان يقصد إلى إيقاع العداوة والشقاق بين المسلمين عن طريق حمل الناس على شربها، لأنهم بذلك يفقدون إدراكهم فينساقون إلى فعل هذه الأمور، ولهذا كانت الخمرة أم الخبائث، فعن ابن شهاب قال: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام أن أباه قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس، فعلقته امرأة غوية[2]، فأرسلت إليه جاريتها فقالت: إنا ندعوك لشهادة فدخل معها، فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر[3]، فقالت: إني والله مادعوتك لشهادة، ولكن دعوتك لتقع عليَّ أو تقتل هذا الغلام أو تشرب هذا الخمر، فسقته كأساً فقال: زيدوني، فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر، فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه»[4].

---

(١) سورة المائدة الآيات ٩٠ ـــ ٩١.

(٢) أي تعلقت به امرأة قد أغواها الشيطان بفعل معصية الزنا.

(٣) الباطية : هي الاناء الكبير الذي يغرف منه الشراب. فلم يرم: أي لم يلبث.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨/٢٨٧ وأورده ابن كثير في تفسيره، انظر مختصر تفسير ابن كثير ١/٥٤٨.

(ب) **الفساد الجنسي :**

فالفساد الجنسي الذي استشرى في العالم من استحداث اللباس العاري الذي يكشف عن عورات المرأة ومفاتنها، والذي يغري الناس بالفواحش هو من إيحاء الشيطان، فإن أول معصية مارسها إبليس ــ بعد طرده من الجنة ــ كانت بحمل آدم وزوجه على مايفضي إلى كشف عوراتهما قال تعالى: ﴿**فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**﴾[1] لقد كان هذا ثمرة للخطيئة، والخطيئة كانت في معصية أمر الله وتناول المحظور الذي نهي عنه.

إن مافي العالم اليوم من فساد خلقي: من إنشاء أندية للعراة يظهر فيها الرجال والنساء بدون لباس، ومايحدث في البارات وجماعات الهبيين من فساد خلقي، كل ذلك من وساوس الشيطان وإيحاءاته،أخبرنا الله به قبل أن يقع وينتشر ويستفحل، وحذرنا من ذلك بقوله: ﴿**يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما..**﴾[2].

ولقد استطاع الشيطان في هذا الميدان أن يغوي أكثر الناس هذه الأيام، فأصبح التعري مقياساً للحضارة، وأنشئت المدارس والمؤسسات التي تعنى بتدريس علم الأزياء من قبل أناس متخصصين من أبناء يهود وغيرهم، ممن أوحى إليهم الشيطان بمثل هذه التصرفات، التي قصد من ورائها كشف مفاتن الجسد، لإيقاع البشرية في الزنا الذي استشرى خطره وعمت به البلوى، حتى لم يكد يسلم منه بلد على الإطلاق.

وقامت المؤسسات الجنسية التي تخدم الزنا وتشجعه بكل وسيلة لا يقدر الشيطان على ابتكارها، وإنما ابتكرتها عقول شياطين الإنس: «فاختص بعضهم

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٢.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٧.

بتأليف الكتب الجنسية وآخرون بتلفيق القصص المثيرة، وأصناف من المهازل والحكايات بأسماء مختلفة، وإن تشابهت المسميات: تمثيليات ومسرحيات وصحف ومجلات، وأفلام وبرامج ومسلسلات وغيرها من المنكرات»[1]

وان أفتك سلاح حصل عليه الشيطان واستغله في جبهة الجنس أبشع استغلال هو المرأة الفاتنة المفتونة، التي استطاع أن يستعبدها، ويجعلها آلة طيعة بين يديه، فأوحى إليهم أن أخرجوا المرأة من بيتها كاشفة عن أعز شيء لديها تحت عنوان التحرر، وأوحى إليهم كذلك أنه يجب تدريب الذكور والأناث معاً، فازداد الأمر سوءاً وشاعت الرذيلة وعمت البلوى.

وجاء الإعلام بجميع مؤسساته بإلهاب سياط الغريزة في النفوس بما يبثه من سموم في العقول والأنفس، بل إن بعض هذه المؤسسات تدرس الزنا بكيفياته المختلفة بالصور المنظورة التي يخجل الحيوان عن ممارستها أمام الآخرين، ولكنها المؤامرة الشيطانية الرهيبة التي التقى فيها مع شياطين الانس، فاخترعوا مالا يخطر على العقل إطلاقا.

وفتنة النساء هي فتنة الأولين والآخرين، التي كاد بها الشيطان الأكثرين.

فعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[2].

---

(١) الجهاد ميادينه وأساليبه ص ٣١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء. باب أكثر أهل الجنة الفقراء ٢٠٩٨/٤ وأخرجه الترمذي في سننه من حديث طويل، كتاب الفتن، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه ٣٥١/٦ وقال عنه: حديث حسن صحيح وأخرجه ابن ماجه في سننه. كتاب الفتن. باب فتنة النساء ١٣٢٥/٢ وأحمد في مسنده ٢٢/٣.

وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«ماأدع بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»**[1].

(ج) الغناء والمزامير:

وأوحى الشيطان إلى اتباعه بابتكار آلات اللهو والتفنن في الضرب عليها، وحسن لهم سماع الغناء ليصدهم عن سبيل الله ويفسد قلوبهم، فقد كتب عمر ابن عبد العزيز إلى مؤدب ولده يقول: **«ليكن أول مايعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمٰن، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن صوت المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء»**[2].

فالغناء هو رسول إبليس إلى القلوب، إذ به يطرب القلب وتنتشي الأعضاء مما يحرك فيها المعصية، فهو من أعظم الدواعي إلى المعصية، ولهذا فسر صوت الشيطان به، فعن مجاهد في قوله تعالى: **﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾**[3] قال استنزل منهم من استطعت، قال: وصوته الغناء[4]، وعن قتادة قال: لما هبط إبليس قال: يارب لعنتني فما شرابي؟ قال كل مسكر، قال فأين سكني؟ قال: الأسواق: قال: فما صوتي؟ قال: المزامير، قال: فما مصائدي؟ قال: النساء»[5].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه. كتاب الفتن باب فتنة النساء ١٣٢٥/٢ والترمذي في سننه. كتاب الأدب. باب ما جاء في التحذير من فتنة النساء ٢٠/٨ وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) مختصر إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان ص ٢١٠.

(٣) سورة الاسراء الآية ٦٤.

(٤) مختصر إغاثة اللهفان ص ٢١٤.

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٤/١ مطولا عن ابن عباس ولفظه: قال: قال رسول الله ﷺ: قال إبليس لربه: يارب أهبطت آدم، وقد علمت أنه سيكون كتاب

والناظر في أهل هذا الزمان يرى أن الشيطان بلغ مراده في هذا الميدان، فأصبح صوت الشيطان لسان كل إذاعة، حيث تبث الغناء ليل نهار، وتفنن شياطين الإنس في ابتكار أحدث الوسائل والأساليب في إيصال الغناء إلى القلوب، فالتقى الغناء والزنا وشرب الخمور، واستطاع الشيطان بذلك تحطيم النفوس وإفراغها من كل خوف أو محبة لله.

وبالجملة: فالمعاصي التي زينها الشيطان للناس كثيرة يصعب حصرها: كقطيعة الأرحام، وعقوق الوالدين وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والكلام الباطل، والكذب والفجور وتضييع الأمانه، وغير ذلك من المعاصي التي زينها الشيطان للناس، فاستجلبوا بها غضب الله وسخطه، فعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**إذا اتخذ الفيء دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمه أولها. فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً، وآيات تتابع كنظام بَالٍ قُطِعَ سلكه فتتابع**»[1].

إن الشيطان هو أساس كل بلاء ومعصية، فهو الذي يزيّن للأفراد ماتهفو اليه نفوسهم، من تطلع للجاه وإيثار للاستبداد، وميل إلى الطغيان والفساد، فهو

= ورسل، فما كتابهم ورسلهم؟ قال: رسلهم الملائكة، والنبيون منهم، وكتبهم التوراه والإنجيل والزبور والفرقان. قال: فما كتابي؟ قال: كتابك الوشم، وقرآنك الشعر، ورسلك الكهنة، وطعامك ما لم يذكر اسم الله عليه وشرابك كل مسكر، وصدقك الكذب، وبيتك الحمام، ومصايدك النساء، ومؤذنك المزمار، ومسجدك الأسواق؟ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، وفيه يحيى بن صالح الأيلي، ضعفه العقيلي.

(١) أخرجه الترمذي في سننه. كتاب الفتن. باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف ٦/٣٦٤ وقال عنه: وهذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه.

الذي يغري بالعداوة والبغضاء بين الناس، فيفرق بين الأخ وأخيه وبين الزوج وزوجه وبين طوائف الأمة وجماعاتها.

والشيطان يفسد بين المؤمنين بالكلمة الخشنة القاسية، تصدر وتفلت بلا وعي ثم بالرد السيء الذي يتلوها، فإذا جو المحبة والوفاق يتبدل إلى العداوة والخلاف **﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبينا﴾**[1]

ثالثا : التشبيط عن فعل الطاعات :

وابليس وجنوده زيادة على تزيين المعاصي، فإنهم يقومون بتثبيط النفوس عن الطاعة، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة مكانها، عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدُه كلها، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[2].

والشيطان يحاول التدرج مع الإنسان في المعاصي، فإن عجز عن تكفيره فإنه يحاول إيقاعه في البدع، فإن عجز حاول إيقاعه في كبائر الذنوب، فإن عجز حاول ايقاعه في صغائر الذنوب، فإن عجز حاول إشغاله في المباحات التي لا ثواب عليها ولا عقاب، فيكون قد شغله عما يثاب عليه من فضائل الأعمال، فان عجز عن ذلك حاول إشغاله بالعمل المفضول عن العمل الأفضل، فان عجز عن ذلك كله حاول أن يشوش على المؤمن فكره ويعكر عليه صفاءه، قال ابن الجوزي

---

(١) سورة الاسراء الآية ٥٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب صفة إبليس وجنوده ٦/٣٣٥. ومسلم في صحيحه. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ١/٥٣٨. وأخرجه ابن ماجه، وأبو داود ومالك وأحمد.

«كم خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام، فلا يزال إبليس يثبِّطه ويقول: لا تعجل وتمهل في النظر، فيسوِّفه حتى يموت على كفره، وكذلك يسوف العاصي بالتوبة، فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الإنابة، كما قال الشاعر:

لا تعجل الذنب لما تشتهي ∴ وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوَّفه، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه، فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال: استرح ساعة، أو انتبه العابد في الليل يصلي فقال له: عليك وقت، ولا يزال يحبب الكسل، ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمد»[١].

والشيطان هو الذي يلقي في نفس الإنسان أن الإنفاق على المحتاجين يذهب المال، ويأمره بالإمساك والبخل والحرص عليه، وعدم دفع الزكاة لمستحقيها ﴿**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء**﴾[٢].

عباده بني آدم للشيطان وأبشع صورها :

إن الناظر في تاريخ البشرية الطويل يرى أن بعض الناس قد انحرفوا عن الفطرة التي فطرهم الله عليها، وهي العبادة لله، واتجهوا نحو عبادة الشيطان، وذلك من خلال طاعته والانقياد له فيما يوسوس لهم، فكان نتيجة ذلك الكفر بالله واتخاذ معبودات من دونه، وصنوف من المعاصي مما كنا قد تحدثنا عنه قبل قليل.

وكان من عبادة البشرية للشيطان تلقي التحليل والتحريم من دون الله، كما أخبرنا الله عن أهل الكتاب بقوله: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**﴾[٣] ذلك أن الأحبار والرهبان حللَّوا لهم ماحرمه الله عليهم، وحرَّموا ما أحله الله لهم، وإنما كان هذا بوحي من الشيطان، حيث زين لهم ذلك.

(١) تلبيس إبليس ص ٤٠٤.
(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٨.
(٣) سورة التوبة الآية ٣١.

وظلت البشرية إلى هذا اليوم تتلقى التحليل والتحريم من الطواغيت البشرية، حيث أقصي كتاب الله عن الحكم، وحلت محله القوانين الوضعية، التي صنعها الأرباب من البشر، ورضي الناس ذلك، ونبذوا كتاب الله خلف ظهورهم، وعاش الناس نتيجه لذلك صنوفاً من المآسي والجرائم، وفوق هذا مانراه من عبادة الأهواء والمادة، التي استشرى خطرها هذه الأيام، حيث عشعش حب المادة والغرائز والشهوات في القلوب، وإنما كان ذلك بتزيين ووحي من الشيطان، وكل ذلك أنواع من عبادة بني آدم للشيطان.

ولهذا يخاطب الله المجرمين يوم القيامة موبخاً لهم ﴿**وامتازوا اليوم أيها المجرمون. ألم أعهد إليكم يابني أدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم. ولقد أضل منكم جِبِلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون**﴾[1].

فالغالبية من البشرية لم تف بهذا العهد الرباني وبقيت في غيها وضلالها وعبادتها للشيطان، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**استحوذ عليهم الشيطان فانسٰهم ذكر الله**﴾[2].

وأبشع ما وقع في البشرية قديماً وحديثاً من عبادة الشيطان، عبادة طائفة من البشر لذات الشيطان عبادة خضوع وتقديس وتذلل.

فقد تقدم معنا في الحديث عن عقائد الناس في الجن كيف كانت نظرة الأمم المختلفة للشيطان، حيث اعتبرته بعض الأمم بأنه إلٰه الشر في العالم، وأنه يتقاتل مع إلٰه الخير، واعتبر بعضهم أن الله وإبليس أخوان، إلى غير ذلك من الانحرافات الفكرية على مدار التاريخ البشري.

وعبادة الشيطان قديمة في التاريخ، حيث كان الشعور بقوة الشر في البيئة التي

---

(١) سورة يسٓن الآيات من ٥٩ ــ ٦٢.

(٢) سورة المجادلة الآية ١٩.

يعيش بها الإنسان هو المسيطر على كثير من العقول آنذاك، يقول العقاد: «ومن الراجح المعقول أن الشعور بقوة الشر قد كان على أشده، حيث آمن الناس بقسمة العالم بين النور والظلمة، وبين الطيبة والخباثة، وجعلوا لإله الشر حصة في الكون، مساوية لحصة إله الخير أو قريبة منها، وتلك هي الثنوية (الزردشتية) منذ أقدم أطوارها، وينبغي أن نذكر أن الثنوية كانت تفرض لإله الشر في بعض الأزمنة سلطاناً أكبر من سلطان إله الخير في العوالم الأرضية، وتسوغ هذا الفرض الغريب بأن سلطان الشر سلطان موقوت يندثر بعد حين، فالنور والخير منفردات بالسموات العليا، والظلمة والشر غالبات على الأرضين السفلى إلى الموعد المعلوم، ثم يتقهقر هذا السلطان في العالم الإنساني ليخلفه سلطان الخير أبد الآبدين»[1].

فمن هذا التصور عن إله الشر نشأت عبادة الشيطان، التي من شأنها دفع أذاه ومحاولة إرضائه بهذه العبادة، على حد زعم هؤلاء.

وقامت مثل هذه العبادة على أرض فارس بين العشائر المرتحلة التي كانت تخيفها الشياطين التي تتراءى لهم في ترحالهم، حيث تأصلت عندهم الثنوية التي تجعل للكون إلهين: إله الخير وإله الشر، وهو الممثل بابليس، وأن الشر غالب على الأرض، ولكنه مغلوب بعد حين، وأن (أهريمان) رأس الأرواح الخبيثة نافذ السلطان في عالم الإنسان»[2].

ودانت بهذه الفكرة بعد ذلك المانوية، والتي تنتسب إلى (ماني)، حيث ولد في بابل سنة ٢١٦ للميلاد. ووصف أتباع ماني بأنهم زنادقة، وقيل عنهم أنهم (أهرمانيون شيطانيون)، وكانت الفكرة السائدة بين أتباع ماني أن هناك عداء بين إله النور وإله الظلام، وهو الممثل بإبليس.

---

(١) إبليس ص ١٥٢.
(٢) انظر نفس المصدر ص ١٥٣.

قال العقاد: «وأخذ المذهب المانوي يمتد شرقاً نحو الصين والهند، وغرباً نحو أفريقيا الشمالية وآسيا الصغرى، وسرت معه عقيدة خلق الشيطان للبشرية، وسيادته على العالم الأرضي، وبقائه متسلطاً عليه إلى اليوم الآخر، وساعد على انتشار هذه الفكرة بين هذه الأقطار أن شعوبها كانت تؤمن بالسحرة والشياطين، وسمعوا من المسيحية التي دخلت إلى هذه البلاد بأن إله المسيحيين ترك الأرض للشيطان الأكبر، فلا حيلة لها معه غير أن تترضاه وتزدلف إليه»[١].

ونشأت في بلاد اليونان قديماً نحلة تدين بعبادة الشيطان، وتحتفل لذلك بمواسم خفية، حيث يشرب الخمر وتستباح الشهوات، وكانت تعمل صور للشيطان حيث يتقربون بالقرابين إرضاء له[٢].

«ويؤخذ من ألقاب الشيطان في بعض اللغات الأوروبية الشرقية أن المظالم الاجتماعية كانت بعض أسباب الكفر بالإله السماوي، والاقبال على عبادة الشيطان المتمرد، الذي يناوئه ويعلن الثورة عليه، فقد كانوا يسمون هذا الشيطان (نصير العبيد) وكانوا يحسبون أنه ضحية القضاء الكوني الذي هم ضحاياه.

ولم يكتب عباد الشيطان أسرار عبادتهم، لأنهم كانوا يكتمونها حذراً من خصومهم، ويكتمونها مجاراة لطبيعة العبادة الشيطانية، التي لاغنى لها عن الظلمة والخفاء»[٣].

وهذه النحل التي كانت تدين بعبادتها للشيطان كان منها من يحرم الزواج، لأنه في نظرهم يستبقي النسل في عالم الشر والفساد، وكان الفسق والشذوذ مباحا لديها، حتى انهما ليدخلان في الشعائر المفروضة، لأنهما يرضيان الشيطان»[٤].

(١) إبليس ص ١٥٦ بتصرف.

(٢) انظر نفس المصدر ص ١٥٦ — ١٥٧.

(٣) انظر نفس المصدر ص ١٥٨.

(٤) انظر نفس المصدر ص ١٥٩.

ويقول العقاد: «واشتهر عن عبادتهم عبادة القداس الأسود، ومحورها صورة الشيطان عارياً، وصورة فتاة عارية تتقدم المصلين إليه، وتنتقل إليهم (البركة) بلمس أعضائه، وتُنْهي الصلاة بضروب من الإباحيات، كالتي كانت تقترف في عبادات أرباب النسل عند الوثنيين(١).

ويقول: «والعقيدة الغالبة بين طوائف عبدة الشيطان على تنوع مذاهبها هي سيادة سلطان الشر على العالم الأرضي خاصة، وتنازع الكون بين القوة العليا والقوة السفلى، وضرورة التفاهم مع الشيطان في أمور هذه الدنيا، أو ضرورة هذا التفاهم في كل أمر من الأمور، لأن إله الخير على قوته وحكمته قد نفض يديه من دنيا بني آدم لاعوجاجهم ودخيلة السوء في طباعهم باختيارهم، لا بدسيسة عليهم من قبل الشيطان.

وقد بقيت على هذا المعتقد طائفة كبيرة من الأوروبيين الغربيين، وسيق ثلاثة وستون رجلاً وامرأة إلى محكمة التفتيش في طولوز سنة ١٣٣٥م، فقالت إحداهن (آن ماري جيورجل): إن الله ملك السماء، والشيطان ملك الأرض، وهما ندان متساويان سرمديان يتساجلان النصر والهزيمة، وينفرد الشيطان بالنصر المبين في العصر الحاضر»(٢).

وهناك نحلة اليزيدية والتي تقيم في شمال العراق في الوقت الحاضر، وقد تعارف الناس على نسبتهم إلى الشيطان حيث نسبوا إليهم عبادته(٣).

ولا يستطيع الباحث أن يعرف بالتحديد طبيعة تلك العبادة التي تقوم بها اليزيدية للشيطان بسبب كتمانهم لمعتقدهم وعدم إفشائه لأحد من الناس، علاوة

---

(١) أنظر كتاب إبليس ص ١٦٠.
(٢) نفس المصدر ص ١٦٠ ــ ١٦١.
(٣) انظر الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان ص ٧.

على أن الذين يعلمون المعتقدات اليزيدية هم نفر بسيط من شيوخهم، فليس من السهل إزاء ذلك معرفة هذه المعتقدات، التي ترتكز على تقديسهم للشيطان، الذي هو إلٰه الشر في نظرهم، وعدم التعرض لذكره بسوء، أو حتى ذكر اسمه(١).

ويرى العقاد أن هذه النحل المختلفة لم تكن تعبد الشيطان بالمعنى المفهوم من العبادة وهو الحب والتنزيه والتسليم، وإنما يقصدون بتلك المراسم التي يسمونها العبادة أن يزدلفوا إليه بالترضية والمداراة، وأن يتقوا منه الشر الذي لا يقيهم منه رب سواه، لأنه موكل بحكم الأرض إلى اليوم المعلوم، فهي مصانعة خوف أو نقمة على الخير الذي لا ينالونه، وليس في شعائر هذه النحل ــ كما يقول العقاد ــ أثر واحد يحق لنا أن نطلق عليه اسم العبادة، حيث نعني بالعبادة إيمان الحب والتعظيم والرضا بالفداء والبلاء في سبيل ذلك الإيمان، فليس في تلك الشعائر كافة علامة على قبول الفداء في سبيل العقيدة الشيطانية، أو قبول الامتحان والصبر عليه، إيثاراً لرضا الإلٰه المعبود، ولو لم يكن فيه نعمة أو هبة من هبات الدنيا والآخرة، وكأنما كانت عبادة الشيطان تهمة جرت على ألسنة المنكرين لعقائدهم، زراية بهم وضنا عليهم أن يحسبوا في زمرة العباد المؤمنين بالله»(٢).

ولكن ماذكره العقاد من انحصار العبادة في المحبة والتنزيه والتسليم ليس صحيحاً، بل تكون العبادة بالخوف والطاعة في التشريع تحليلاً وتحريماً، وماذكره من تحريم بعض هذه الطوائف للزواج وتقديم بعضها القرابين للتماثيل التي صنعت على هيئة الشيطان، مايدل على عبادتها للشيطان، خلافاً لما زعمه من عدم تسمية أعمال هؤلاء عبادة.

بالإضافة إلى أن شعور هذه الطوائف بالخوف من الشيطان، وأنه إلٰه في

(١) انظر الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان ص ١٠ ــ ١١.
(٢) إبليس ص ١٦٤ ــ ١٦٥ بتصرف.

الأرض، فرض عليهم عدم التعرض له بسوء، وهذا هو الجانب الثاني من العبادة الذي يلتقي مع الجانب الأول في التحليل والتحريم.

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الحاضر وجدنا العبادة بمفهومها الذي يريده العقاد ــ بارزاً عند عبدة إبليس في أمريكا ــ حيث تتعبد طائفة من الناس إبليس، وهم أشبه ما يكونون بإحدى الجمعيات الماسونية السرية.

وفيما يلي نذكر تعريفاً بهذه الطائفة ذكرته دائرة معارف القرن العشرين للأستاذ محمد فريد وجدي، نقلاًعن مقالة نشرتها مجلة المؤيد في عددها الصادر في ١٠ ديسمبر سنة ١٩١٠م بإمضاء حضرة أسعد أفندي الملكي المقيم بأمريكا حيث يقول: «كثار جداً هم الذين قرأوا هذه المقالة ختموها بقولهم عنها: كذب أو اختلاق، أو ماشاكل هاتين اللفظتين من الأوصاف الدالة على عدم تصديقهم ماورد فيها، ولكن إنكارهم إياها واستنكارهم منها لا يؤثر في الحقيقة، ولا ينفي وجود أناس يعبدون الشيطان في قلب مدينة نيويورك باجتماعاتهم الشيطانية وطقوسهم الابليسية كما سيجيء.

ففي هذه المدينة العظيمة المتمدنة المسيحية طغمة تعبد (بعلزبول)[١] بالفعل، وتحني الركب لمثال ابليس أو الشيطان، أو الشر مجسماً بهيئة منكرة شنيعة، وبلون أحمر يماثل لون ألسنة النار المندلعة في الليل الحالك الظلام، وقرون عن جانبي الرأس تزيد منظر ذلك المعبود الموهوم شناعة وقبحاً، وبذنب طويل يتلوى من خلفه كالأفعى المغضبة، مما يدل على أن صاحبهم عدو أهل الصلاح لم يخلق على صورة الآدميين، (هذا إن كان له في الوجود من أثر كما يعتقد أسرى الوهم وأتباع الخيال)[٢].

---

(١) بعلزبول : أي الشيطان.

(٢) إن أراد الكاتب من العبارة وجود الشيطان من الناحية المادية المحسوسة فصحيح، وإن أراد عدم وجوده مطلقاً فغير صحيح، إذ وجود الشيطان ثابت بالأدلة من الكتاب والسنة.

قرأت وسمعت عن ديانات ومذاهب متنوعة، ذات طقوس غريبة، ورسوم للعبادة لا تصدر عن غير المجانين، تدل بوضوح على جهل واضعيها لطريقة العبادة التي ترضي الله، كتبت بعضها إلى المؤيد، ليقف قراؤه على آثار التوحش التي لا تزال تشوه وجه التمدن، ولكنني لم أقف في كل الذي طالعته وسمعته مايوجب الدهشة والاستغراب مثل حكاية هذه الطائفة الشيطانية، التي قرأت عنها في هذا الحين معلومات كتبها مصور مشهور دعي إلى هيكلها، ليرسم لها الطقوس والحركات والملابس التي تنظم معاً لتأدية الخشوع والخضوع والعبادة للذي تلعنه كل شفة، ويترطب بقذفه وذمه كل لسان في كل مكان.

اسم هذا المصور (وليام وايدي)، وادارته كائنة في الافتيو الخامس من هذه المدينة، وهو شارع الطبقة الفنية والراقية في هذه البلاد، وقد أعلن اسمه وعنوانه لكي يثق الناس بما يكتبه عن أتباع ابليس، وأنا الآن أعرِّب ماروواه للقراء بما أمكن من الايجاز قال:

يوجد في مدينة نيويورك اليوم شيعة تعبد ابليس الرجيم على ذات النسق الذي كان معروفاً في فرنسا على عهد لويس الرابع عشر وبعده، فإن باريس الجميلة كانت ولا تزال إلى الآن مقرا لتلك الطغمة الضالة، وبرلين أيضاً لم تخل من قوم يمجدون ذاك الذي يتعوذ من ذكره أهل التُّقى، ولندن رفت بعضهم من زمن غير بعيد.

أما في العالم الجديد فإن جزيرة (مرتينيك) كانت المكان الأول الذي اجتاحه أتباع الخناس، ولم يهجروه إلا بعد هياج جبل (بيلي) الناري، يوم هلك من الناس بتلك الضربة الإلهية نحو خمسة وعشرون ألفاً من النفوس، وكان في جملة الذين نجوا هؤلاء المفتونين، فغادروا بلاد النار يحملون إله النار إلى مدينة نيويورك، حيث جعلوها مقراً لهم.

على أنهم غير معروفين فيها، لأنهم لا يصرحون بمذهبهم جهاراً، بل يكتمونه كل الكتمان، والمدهش الموجب للأسف أن كثيرات من النساء قد اندمجن في هذا السلك الشيطاني، ولا يزال العدد منهن ومن الرجال يزداد يوماً عن يوم كما أخبرني أحد المتعبدين، ولكثرة تحفظهم وشدة حذرهم لايقتنون كتباً، ولا بياناً بأسماء الأعضاء، فالمعتنقون منهم لدين الخناس يعرف بعضهم بعضا بعبارات وإشارات معلومة.

أما اجتماعاتهم فتنعقد سراً وراء أبواب موصدة، وفي أواخر الليل، حتى ان وكيل المكان الذي يجتمعون فيه لا يعرف عن أمرهم شيئاً، بل يظنهم جمعية سرية كالماسون وأمثالهم، الذين يستأجرون منه نفس المكان في ليال مختلفة.

أما عبادتهم فمنحصرة في تمجيد ابليس وتعظيم اسمه، لاعتقادهم بأنه خلاصة كل شيء صالح وحسن، والتطاول على الله عز وجل والطعن في سائر الديانات التي تقبح اسم الشيطان، وكان من عادات أمثالهم في فرنسا عند تكريم ذلك المعبود المذموم تقديم الأولاد محترقة لاسترضائه، ثم اضطروا بحكم الأحوال والخوف من القصاص الصارم اذا درت بهم الحكومة إلى استبدال الأولاد بالخراف وصغار الحمام، على أنهم قد أبطلوا هذه المحرقات في الوقت الحاضر، لما في ذلك من التعب وكريه الرائحة، مما يبعث على الظنون وانتهاك السر المصون.

وكيف عرفت كل هذا؟

عرفته بعد أن دعيت كمصور لأخذ رسوم هذه الطغمة في حالة تقديمها آيات الحمد والتسبيح لذلك الاسم القبيح، فبعد أن حلفت الأيمان المغلظة بديني وشرفي أن أكتم ما أراه وأسمعه، وأن لا أعلن شيئاً عن الأشخاص والمكان الذي يجتمعون فيه، وأجيز لي الدخول إلى شر الأماكن حيث أخذت رسوم المصلين بألبستهم الرسمية، وعندما سألت الذي استدعاني أن يصرح لي باسمه لكي أسطره في دفتري حسب عادة المصورين، مع كل من يأخذ رسمه، حملق بعينيه، ورفع كلتا

يديه فوق رأسه، وكأنه يستغيث من خطر مفاجيء، أو كأن إلٰهه إبليس لطمه على جبهته، فارتعدت فرائصه، وقال لي: الإنتحار أسهل علي كثيراً من إجابة سؤلك، لاني إن صرحت لك باسمي هدمت بيتي ومستقبلي بيدي، وأصبح ذكري مكروهاً، ليس في نيويورك وحدها، بل في العالم كله.

على أن عدم تمكني من معرفة اسمه، وتعهدي بكتمان أمر المكان وهيئة الأشخاص، كل هذا لا يمنعني من التصريح بالحقيقة عن وجود هذه الطائفة الابليسية في هذه المدينة المسيحية، تعبد الشيطان الرجيم تحت ظلال قباب كنائس يسوع، إن الأمر مدهش وبعيد عن التصديق لغير العارفين، ولكنه حقيقي لا ريب فيه، بالرغم من غرابته، وذلك ماحدا بي إلى إعلانه للملأ.

بقيت في ضيافتهم وقتاً طويلاً، وسمعت صلاتهم الشيطانية مراراً، ونقلتها بطريقة الاختزال وهي كما يأتي:

«لك يانور الوجود أكرِّس نفسي باحترام ومحبة وإيمان، أنت خلاصة الصلاح، ولهذا أعدك بأني سأكون عدواً لإله الشر، أنت روح الحق، ولهذا أعدك بكره الكذب والرياء والخرافات، أنت ياأبليس النور الأبدي، ولهذا سوف أكون كارهاً للظلام، وأبذل في خدمتك نفسي ونفيسي، أنا لك ياإبليس جسماً وروحاً، فافعل بي كل مايؤول إلى تمجيد اسمك، اقبل صلاتي وتذللي، وأنر طريقي ببهائك الساطع، وعندما يدنو يومي الأخير تجدني شجاعاً هادئاً عند استقبال الموت، وعلى أتم الاستعداد للانتقال إلى أمجادك في النيران الأبدية آمين».

هذه هي الصلاة، وعلى الذين يدخلون في هذا الدين الشيطاني أن يعيدوها كلمة كلمة عندما يلقيها عليهم الكاهن الأكبر الملقب بمطران جهنم، ويضع المعتنق الجديد لهذا المنصب برقعاً سميكاً أسود اللون على وجهه، ويقاد إلى أمام الكاهن بوقار وانكسار قلب، كما يفعل المنضم إلى الجمعيات السرية المعروفة.

ففي الليلة التي اجتمعت فيها بجنود ابليس كانت طالبة الدخول في سلكهم امرأة، فذهلت لرؤيتها، وغيرت اعتقادي بضعف الجنس اللطيف وجبن أفراده، فلما جيء بهذه المؤمنة الجديدة إلى دائرة جوق جهنم كما يسمونها، أمرت بالركوع فامتثلت، وبرفع يديها للصلاة ففعلت، وإذ ذاك تلا مطران جهنم كلاماً كفرياً يقشعر لسماعه الجسم، كانت تلك المغرورة تعيده بصوت جهوري، وبكل خشوع، وبعد الفراغ منه أعلن إيمانها وقبولها بنتاً لإبليس اللعين.

وبعد أن رأيت كل هذه الغرائب والمدهشات، التي لم أكن أتصور وجود مثلها في نيويورك أو في غيرها من بلدان العالم المتمدن، سألت واحداً من أجناد الرجيم قائلاً: ومامعنى كل هذا؟ فأجاب وقال: «معناه أننا نعبد إبليس، لاعتقادنا اللذة في عبادته، مما لانجده في عبادة الله، فالله الذي نقرأ عن شرائعه المملوءة بالوعيد والخوف من عذاب الآخرة، وتضحية كل مايلذ للنفس في العالم من أجله، لا يجتذب قلوبنا إليه، بل بالعكس يبعدها عنه، فهو حسب تعاليمه ينكر علينا حرية القول والعمل بما يخالف تلك التعاليم، ويحرم كل ما تميل إليه الشهوات من ملاذ الدنيا، أما الشيطان فعلى عكس ذلك، فهو يبيح لنا التصرف كما نحب ونشتهي، فأيهما الأفضل؟ فلم أجبه، بل تركته في ضلاله، واستأذنت بالانصراف، فشيعني إلى الباب، وذكّرني بالقسم، وأكّد عليَّ المحافظة على وعدي بالكتمان، وهكذا تركته وأنا لا أصدق أني أخرج سالماً من هذا المكان»(١)

وهكذا يتبين لنا عبادة هذه الطائفة الإبليسية لإبليس تلك العبادة بمفهومها الشامل حيث الصلوات والأدعية والحب والتقديس، وكذلك تقديم القرابين من البشر أول الأمر إرضاء له، والإكتفاء بالقرابين من الماشية فيما بعد لخوفهم من السلطات التي تعاقب على ذلك.

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين. محمد فريد وجدي ١/٣٣٤ ــ ٣٣٧.

ومانشرته الصحف والإذاعات عام ١٣٩٩ هـ ـــ ١٩٧٩م عن المذبحة الجماعية في معبد عبدة الشيطان في غويانا بأمريكا يؤكد هذا الكلام، فلا يستبعد أن يكون الذين انتحروا قد قدموا أنفسهم قرابين لابليس اللعين ارضاء له.

وهكذا استطاع ابليس استدراج جماعة من الناس في خضم حملته الشعواء لإغواء البشر وإضلالهم ـــ استطاع إغواء هذه الجماعة التي ركنت لأوهامه وأمانيه لها، فاستعبدها حتى آلت إلى هذه النهاية المزرية من الانحطاط والانتكاس، صدق قول الله في هؤلاء: **﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنسٰهم ذكر الله أولٓئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾**(١).

فليس بعد تلك العبادة للشيطان من استحواذ، وليس بعد ذلك الخسران في نار جهنم من خسران، فنسأل الله السلامة والعافية.

شياطين الإنس :

وشياطين الإنس هم جبهة بارزة من جبهات الإفساد والغواية، حيث اختارهم إبليس للعمل في صفوف جنده، فوجدهم جنوداً مخلصين أذكياء، بارعين في الغواية والإفساد.

ويصور لنا القرآن الكريم تعاون شياطين الإنس والجن وإيحاءهم لبعضهم بعضاً بقوله: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدُوّاً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾**(٢).

فلنتعرف الآن على طبيعة شياطين الإنس وميدان عملهم في إطار التعاون مع شياطين الجن: لقد بينت الآية المتقدمة أن في الإنس شياطين كما أن في الجن شياطين، حيث يلتقيان جميعاً في جهة واحدة لحرب عباد الله المؤمنين.

(١) سورة المجادلة الآية ١٩.

(٢) سورة الأنعام الآية ١١٢.

فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الجن والانس:** قال: يانبي الله: وهل للإنس شياطين؟ قال: نعم **﴿شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾**[١].

وعن أبي ذر أنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في مجلس قد أطال فيه الجلوس، قال: **«يا أباذر: هل صليت؟ قال: قلت: لا يارسول الله قال: قم فاركع ركعتين، قال: ثم جئت فجلست إليه فقال: يا أبا ذر: هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن؟ قال: قلت يارسول الله: وهل للإنس من شياطين؟ قال: نعم، شر من شياطين الجن»**[٢].

وعن قتادة في الآية المتقدمة قال: «من الجن شياطين ومن الإنس شياطين يوحي بعضهم إلى بعض»[٣].

قال الطبري: وقال مجاهد **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن﴾**: كفار الجن شياطين، يوحون إلى شياطين الإنس، كفار الإنس، زخرف القول غروراً»[٤].

فقد أثبتت هذه الأحاديث أن في الإنس شياطين كما أن في الجن شياطين.

«وقد خالف عكرمة والسدي ذلك وقالا: إنه ليس في الإنس شياطين وانما

---

(١) من حديث أخرجه أحمد في مسنده عن أبي إمامة ٢٦٥/٥.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٧٨/٥، ١٧٩ بدون زيادة «شر من شياطين الجن» والنسائي في سننه. كتاب الاستعاذة. باب الاستعاذة من شر شياطين الانس ٢٤٢/٨ وأورده الطبري في تفسيره من طرق مختلفة ٤/٨، ٥ وأورده ابن كثير في تفسيره من طرق مختلفة كذلك وقال عنها: فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحته والله أعلم. انظر تفسير ابن كثير ١٦٦/١.
(٣) تفسير ابن كثير ١٦٦/١.
(٤) تفسير الطبري ٦/٨.

المراد بشياطين الإنس: الشياطين الذين يضلون الإنس بالوسوسة، وبشياطين الجن الذين يضلون الجن كذلك، وكلهم من ولد إبليس»[1].

وأورد الإمام الطبري بعض الروايات التي تدل على إنكار هؤلاء أن يكون في الإنس شياطين منها :

قال الطبري: «وعن السدي ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن..**﴾ الآية، فأما شياطين الإنس فالشياطين التي تضل الانس، وشياطين الجن الذين يضلون الجن، يلتقيان فيقول كل واحد منهما إني أضللت صاحبي بكذا وكذا، وأضللت أنت صاحبك بكذا وكذا، فيُعْلِم بعضهم بعضا»[2].

وقال الطبري: عن السدي في قوله: ﴿**يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا**﴾قال: للإنسان شيطان، وللجني شيطان، فيلقى شيطان الإنس شيطان الجن، فيوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا»[3].

وقال الطبري: عن عكرمة ﴿**شياطين الإنس والجن**﴾ قال:« ليس في الإنس شياطين ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن»[4].

والراجح من ذلك أن من الإنس شياطين ومن الجن شياطين، وذلك لدلالة ظاهر القرآن عليه، ولما ورد من الأحاديث المتقدمة التي يقوِّي بعضها بعضاً[5]، ورجحه الإمام الطبري حيث قال: «جعل عكرمة والسدي في تأويلهما هذا الذي

(١) تفسير المنار ٨/٥ بتصرف.
(٢) تفسير الطبري ٨/٤.
(٣) نفس المصدر ٨/٤.
(٤) نفس المصدر ٨/٤.
(٥) انظر مختصر تفسير ابن كثير ١/٦١٠.

ذكرت[1] عنهما عدو الأنبياء الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا**﴾ أولاد ابليس دون أولاد آدم ودون الجن، وجعل الموصوفين بأن بعضهم يوحي إلى بعض زخرف القول غرورا ولد إبليس، وأن مع ابن آدم من ولد إبليس، يوحي إلى مع من الجن من ولده زخرف القول غرورا، وليس لهذا التأويل وجه مفهوم، لأن الله جعل إبليس وولده أعداء ابن آدم، فكل ولده لكل ولده عدو، وقد خص الله في هذه الآية الخبر عن الأنبياء، أنه جعل لهم من الشياطين أعداء، فلو كان معنياً بذلك الشياطين الذين ذكرهم السدي، الذين هم ولد إبليس، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبر عنهم ـــ أنه جعل لهم الشياطين أعداء ـــ وجه، وقد جعل من ذلك لأعدى أعدائه مثل الذي جعل لهم، ولكن ذلك كالذي قلنا من أنه معنيٌّ به: أنه جعل مردة الإنس والجن لكل نبي عدوا يوحي بعضهم إلى بعض من القول مايؤذيهم به»[2].

ويؤيد ذلك ماروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**يوحي بعضهم إلى بعض**﴾ قال: شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس، فان الله يقول: ﴿**وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم**﴾[3] وعن مالك بن دينار قال: إن شيطان الإنس أشد عليَّ من شيطان الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً»[4].

(١) أي ما تقدم من الروايات التي نقلها الطبري عنهما مما أثبتناه قبل قليل.

(٢) تفسير الطبري ٨/٤.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٢١ تفسير الطبري ٨/١٦ بتصرف.

(٤) تفسير القرطبي ٧/٥٨ قال العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس: قال القاري: هو من كلام مالك بن دينار، ولعله مقتبس من قوله تعالى ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن﴾ حيث قدم شياطين الإنس، لأن شيطان الجن تذهب وسوسته بالتعوذ، ولأن قوة تأثير الصحبة في إتحاد الجنس. انظر كشف الخفاء للعجلوني ٢/٢٣.

وسمع عمر بن الخطاب امرأة تنشد :

إن النساء رياحين خلقن لكم .·. وكلكم يشتهي شمَّ الرياحين

فأجابها عمر رضي الله عنه:

إن النساء شياطين خلقن لنا .·. نعوذ بالله من شر الشياطين(١)

حيث أطلق على النساء وصف الشياطين، وذلك لأنهن يفتنَّ الرجال ويوقعهنم في المعصية، ويدل على هذا القول أيضاً ماورد من تعريف الشيطان في اللغة ــ كما تقدم ــ بأنه كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه(٢).

ووحي شياطين الجن إلى شياطين الإنس أمر ثابت كما دل عليه قوله تعالى: ﴿**وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم**﴾، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي زميل قال: كنت عند ابن عباس وحجَّ (المختار بن أبي عبيد) فجاءه رجل، فقال: يا ابن عباس: زعم أبو إسحٰق أنه أُوحي إليه الليلة، فقال ابن عباس: صدق، فنفرت، وقلت: يقول ابن عباس صدق؟ فقال ابن عباس هما وحيان: وحي الله، ووحي الشيطان، فوحي الله إلى محمد ﷺ، ووحي الشيطان إلى أوليائه، ثم قرأ:﴿**وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم**﴾(٣).

ويؤيد هذا ماورد عن ابن مسعود قال: «والكهنة هم شياطين الإنس»(٤)، وقد

(١) تفسير القرطبي ٦٨/٧.

(٢) انظر تفسير المنار ٥/٨.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/٨. وذكر القرطبي في تفسيره مثل هذه الرواية عن عبد الله بن الزبير أنه قيل له: إن المختار يقول: يوحى إلي فقال: صدق (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم). ولعلهما واقعتان مختلفتان. تفسير القرطبي ١٧/٧.

(٤) تفسير فتح القدير ١٥٤/١.

تقدم ماكانت تلقيه الشياطين على ألسنة الكهنة عندما كانوا يسترقون السمع، وفي هذا دليل على إيحاء شياطين الجن للشياطين من الإنس.

وأما ما تضمنه قول عكرمة والسدي من أن للجن قرناء من الشياطين تضلهم، فليس في القرآن والسنة ماينفيه، بل الأدلة تقتضيه، فلا يمنع أن يقوم الشياطين بالإضافة إلى عملهم في إغواء الإنس وإفسادهم بإغواء الجن وإفسادهم كذلك، بل هو الصواب، لأن الجن مكلفون بالإيمان كما كلف الإنس، وهذا يقتضي أن تكون الشياطين التي تضل الإنس وتغويهم، تقوم بإغواء الجن وإضلالهم كذلك، حتى يصدوهم عن سبيل الله، فيؤول مصيرهم إلى المصير الذي آل إليه إبليس، والآيات التي جاءت بجمع إبليس وجنوده في نار جهنم عامة في جميع جنوده من الشياطين والكفرة من الجن والإنس قال تعالى: ﴿**فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون**﴾[1] وجنوده من جميع هذه الأصناف المتقدمة، ممن مارس الغواية والإضلال معهم.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿**يوحي بعضهم إلى بعض**﴾ قال: يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس، وكذلك بعض الجن إلى بعض، وبعض الإنس إلى بعض»[2].

وقال الفخر الرازي: «إن أولئك الشياطين كما إنهم يلقون الوساوس إلى الإنس والجن فقد يوسوس بعضهم بعضاً»[3].

---

(١) سورة الشعراء الآيات ٩٤ ــ ٩٥.

(٢) تفسير الكشاف ٢/٤٥.

(٣) التفسير الكبير ١٣/١٥٤.

طبيعة التعاون بين شياطين الإنس والجن في الغواية والإفساد :

تقدم معنا طبيعة العملِ الذي تقوم به شياطين الجن في إفساد وإغواء البشرية حيث ينضم صفوفهم رئيسهم إبليس، فيبعث جنوده وسراياه لفتنة الناس وإضلالهم.

والذي يهمنا في هذا المقام هو إلقاء الضوء على شياطين الإنس في إضلالهم للبشرية، ممن يخفى أمرهم على كثير من الناس.

فشياطين الإنس هم جماعة من الناس محسوسة، نعيش ونتعامل معهم، وصفاتهم الخَلْقية كصفاتنا، ولكن ممارستهم للافساد بين البشرية، وقيامهم بالدور الذي تقوم به شياطين الجن، هو الأمر الذي يميزهم عن بقية الناس، إنهم يقومون بهذا الدور في السر والعلانية، ولذلك كان خطرهم أكبر على البشرية من شياطين الجن، كما قال مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد عليَّ من شيطان الجن، لاني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا.

إنها كلمة تميط اللثام عن حقيقة هؤلاء الشياطين من الإنس، إنهم صنف تميزوا بالافساد والدعوة إلى الرذيلة، وطمس كل معلم من معالم الفضيلة والخلق، حيث يقومون بهذا الدور إرضاء لأهوائهم ولشياطينهم الذين يتبعونهم ويتلقون عنهم دروساً في كيفية الافساد والغواية، دون خوف وحياء.

إن الشياطين من الإنس هم أولئك العتاة المستكبرون، الذين استحكمت فيهم شهوة السلطان، وحب الزعامة والشهرة، حيث زين لهم الشيطان أحسن طريق لذلك، بإنكار المعروف وتبني المنكر، فإذا بهم يخرجون على الناس بنظريات ومذاهب جديدة، تقدس المنكر بكل أشكاله، وتحارب المعروف بجميع صوره، وتمجد أتباع الشيطان، وتظهرهم للناس بمظهر أبطال الإصلاح والتحرر.

والتزيين بزخرف القول قد ارتقى عند شياطين هذا الزمان لا سيما شياطين السياسة ارتقاء عجيباً، فإنهم يخدعون الأحزاب منهم، والأمم والشعوب من غيرهم، فيصورون لها الاستعباد حرية، والشقاوة سعادة، بتغيير الأسماء، وتزيين أقبح المنكرات، وإن من الشعوب أغراراً كالأفراد تلدغ من الجحر الواحد مرات ومرات.

شياطين الإنس هم المفسدون في الأرض، الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿**الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون**﴾[1] وقوله: ﴿**وإذا تولى سعىٰ في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**﴾[2].

شياطين الإنس هم أولئك الطغاة الذين يحاربون دين الله ويقتلون أولياء الله، ويبتدعون من الوسائل في تعذيبهم مالا يخطر على بال أحد ﴿**ومانقموا منهم إلاَّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد**﴾[3].

وشياطين الإنس هم عبيد الشهوة والهوى، الذين ابتكروا من الأساليب والوسائل في خدمة الغريزة مما جعل الناس يلهثون وراء هذا المتاع التافه، لأن طريق هذه الشهوات بصورها المختلفة قد أعمى قلوبهم وأبصارهم، فأصبحوا لا يفكرون إلا من خلال غرائزهم، حيث ماتت عقولهم وأفئدتهم.

شياطين الانس هم أولئك المترفون الذين امتلأت جيوبهم وبطونهم من الحرام على حساب جوعة المساكين من رعاع الشعب، ثم قاموا بتسخير هذه الأموال في خدمة ماتوحيه إليهم شياطينهم، فابتكروا كل وسيلة وأداة رضيتها شياطينهم لإفساد الناس.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٧.
(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٥.
(٣) سورة البروج الآية ٨.

إن كل فساد نراه في الأرض اليوم هو من إيحاء شياطين الجن للإنس: **﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾**[1]، إنه الكلام المموه المزين الذي يخدع النفوس.

إن الفساد في الأرض اليوم هو من نتاج شياطين الإنس والجن، وهو ثمرة التعاون الوثيق بينهما.

إن شياطين الإنس والجن هم الدين يصورون للناس أن الدنيا هي دار القرار ولا دار غيرها، فلتسارع أيها الإنسان إلى قطف شهواتها ولذائذها قبل الموت، وإن وجدت ربا فهو الغفور الرحيم، حيث يقول أحد شياطين الإنس:

تكثَّر ماستطعت من الخطايا .·. فانك واجد رباً غفورا
تعض ندامة كفَّيْك مما .·. تركت مخافة النار السرورا[2]

فلينتظر هؤلاء الشياطين من الإنس والجن، فإن عذاب جهنم لآت.

قال تعالى: **﴿ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾**[3] وقال: **﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنسٰهم ذكر الله أولٓئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾**[4] وقال: **﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنُحْضِرنَّهم حول جهنم جِثيا﴾**[4].

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٢.
(٢) انظر تفسير المنار ٧/٨ المعنى: من ترك السرور مخافة النار. فما مصدرية، والسرور مفعول به لتركت، فصل بينهما بالمفعول لأجله
(٣) سورة النساء الآيات ١١٩ ــ ١٢٠.
(٤) سورة المجادلة الآية ١٩.
(٥) سورة مريم الآية ٦٨.

وشياطين الإنس هم أولئك القائمون على تزيين زيارة الصالحين من الموتى أو ممن يزعمون فيهم الصلاح، فيوحون إلى السذج والبسطاء من الناس أن هؤلاء أناس مقدسون ولهم منزلة عظيمة عند الله، فعليكم أن تتبركوا بقبورهم وتدعون الله بهم وتصلُّون عندهم، فسارع هؤلاء السذج من الناس يشدون الرحال إلى قبورهم أينما كانوا، فوقفوا عندها بتذلل وانكسار، كأنهم واقفون بين يدي الله، بل إن كثيراً من هؤلاء من يطوفون حول هذه القبور كما يطوف المسلمون حول الكعبة، وقد رأيت ذلك بعيني، ويقف أحدهم متعلقاً بأستار هذه القبور كأنه يدعو الله سبحانه، بل إن كثيراً منهم من يقومون بلمس سور القبر ويمسح بعد ذلك وجهه وجسمه لحصول البركة والشفاء، حتى ان من النساء من يُحْضِرن أولادهن يعوِّذْنهم بصاحب هذا القبر والعياذ بالله.

والعالم الإسلامي والعالم أجمع يعاني من هذه الرازيا التي يوحي بها الشياطين من الإنس للسذج والمغفلين من الناس، وشياطين الإنس إنما يتلقون ذلك من شياطين الجن، الذين وسوسوا لهم بمثل هذا الشرك المزين.

وشياطين الإنس هم أولئك الذين يزينون للناس قتل أولادهم خشية الفقر والعار، كما كان صنيع الجاهلية قبل الإسلام قال تعالى: ﴿**وكذلك زَيَّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم**﴾.[١]

(١) سورة الأنعام الآية ١٣٧.

المبحث الثاني

وسائل الانتصار في المعركة على إبليس وجنده

ان من رحمة الله بعباده إذ ابتلاهم بإبليس وقبيله من الشياطين لحكمة أرادها سبحانه، أنه لم يترك إبليس طليقاً، يعيث في الأرض فساداً وإضلالاً للبشرية، ولم يتخل الله عن عباده، بل أهبط آدم وزوجه ووعده يحدوهم ببعث الهداية والرشاد **﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدىً فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقىٰ﴾**(١).

وتحقق وعد الله، فأرسل رسله هادين موضحين للبشرية الطريق، ومحذرين الناس من طاعة الشيطان، قال تعالى: **﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**(٢)، وجاء هؤلاء الرسل بالبينات الدالة على وحدانية الله، وأحقيته بالعبادة دون سواه: **﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤهم بالبينات﴾**(٣) وقال: **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**(٤).

فلا عذر لأحد، فالسلاح الذي يجابهون به الشيطان بأيديهم، وهو سلاح قوي وفعال، به ينتصر الإنسان على عدوه.

وتبين لنا حقيقة الصراع القائم بين إبليس وجنده من جهة، وبين البشر من

(١) سورة طه الآية ١٢٣.
(٢) سورة النساء الآية ٦٥.
(٣) سورة الروم الآية ٤٧.
(٤) سورة النحل الآية ٣٦.

جهة أخرى، ورأينا أبعاد المؤامرة التي يحيكها إبليس، وكيف استطاع إفساد كثير من الناس، كما توعد بني آدم بقوله كما أخبر الله عنه: ﴿**قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم. ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين**﴾(١)، فقد استطاع إفساد الكثيرين، ولم يسلم منه إلا عباد الله المخلصون، الذين عرفوا مكمن الخطر وموضع الداء، فسارعوا إلى تجنب الخطر، وأخذوا بأسباب السلامة فوقاهم الله شر فتنة الشياطين.

وإن البشرية اليوم تعاني من كيد إبليس وجنوده، حيث طغت على الحياة مظاهر الفساد والضلال، فلم يسلم من ذلك إلا من عصم الله.

فيا ترى ما العلاج من هذا الوباء الذي لاتجدي معه الأدوية والعلاجات؟ والجواب على ذلك أن العلاج إنما هو من نوع آخر، ذلك العلاج الذي يرد كيد الشيطان ويدحره في هذه المعركة القائمة.

وإليك أخي الكريم بعض الوسائل التي تنتصر بها على هذا العدو اللدود:

وهذه الوسائل تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول : تقوية الأرواح بالإيمان بالله تعالى ومراقبته ومناجاته وإخلاص العبادة له، والتخلق بالأخلاق الكريمة، وترك الفواحش ماظهر منها ومابطن، والإثم والبغي بغير حق، حتى ترسخ فيه ملكات الخير وحب الحق، وكراهية الباطل والشر.

القسم الثاني : ويكون بمعالجة وسواس الشيطان بما يدفعه، وذلك كالأدعية والأذكار التي علمنا إياها الإسلام، والتي إذا تحصن بها المسلم

---

(١) سورة الأعراف الآيات ١٦ ــ ١٧.

استطاع التغلب على محاولات الشيطان المستمرة في إفساد الحياة على المسلم.

وإليك الحديث عن هذين القسمين:

القسم الأول: ويكون بأمور:

(أ) الحذر والحيطة :

إن خير وسيلة لحماية الجسد من الأمراض هي الأخذ بأسباب الوقاية التي تبعده عن المرض، إذ الوقاية خير من العلاج، والشيطان كالمرض المتربص بالجسم، يحاول الوصول إلى الإنسان بكل طريق، فإذا كانت هذه الطرق مغلقة عليه لم يستطع الوصول إلى فريسته، وهو مع الإنسان كالعدو الذي يريد الوصول إلى مكامن القوة عند خصمه ليجهز عليه، قال ابن الجوزي:

«واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب وفيه ثلم[1]، سواكنه العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه ربض[2]، فيه الهوى،والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم، فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة، فإن العدو مايفتر، قال رجل للحسن البصري: أينام إبليس؟ قال: لو نام لوجدنا راحة.

وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل مايمر به، فأول مايفعل الشيطان في الربض إكثار الدخان فتسودُّ حيطان

(١) الثلمة من السور : الموضع المتهدم منه.
(٢) الربض : المكان الذي يؤدي إليه.

الحصن، وتصدأ المرآة، وكمال الفكر يرد الدخان، وصقل الذكر يجلو المرآة، وللعدو حملات، فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكر عليه الحارس فيخرج، وربما دخل فعاث، وربما أقام لغفلة الحارس، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولا يدري به، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم، يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته، وربما صار كالفقيه في الشر».(١)

والشيطان متربص بالإنسان عدوه وعدو أبيه من قبل، يحاول تحريكه إلى المعصية في كل حين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مامن مولود إلا على قلبه الوسواس فإن ذكر الله خنس وإن غفل وسوس وهو قوله تعالى: ﴿**الوسواس الخناس**﴾»(٢).

انه عدو يعيش بين جوارحنا وقريب إلى القلوب، يتحين غفلتها ليثير فيها شكوكه بدعوتها إلى المعصية، ولكنه مع ذلك بعيد عن القلوب المؤمنة المتيقظة قال تعالى: ﴿**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**﴾(٣).

(ب) التمسك بالكتاب والسنة :

فإن التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام هما الحصن الحصين والركن المنيع من وساوس الشيطان ونزغاته، وهذا ماأعلنه ابليس نفسه يوم طرد من رحمة الله فتوعد بإهلاك ذرية آدم: ﴿**قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض**

(١) تلبيس إبليس ص ٣٧ ــ ٣٨.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، المستدرك ٥٤١/٢، وأخرجه أحمد في مسنده ٣١٣/٣، وذكر ابن حجر العسقلاني شواهد له بروايات مختلفة. انظر فتح الباري ٧٤١/٨ ــ ٧٤٢.
(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠١.

ولأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين﴾[١] فقال الله له: **﴿قال هذا صراط عليَّ مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾**[٢].

فالتمسك بالإسلام قولاً وعملاً هو الملاذ الآمن من نزغات الشيطان، وقد نبه الله سبحانه لذلك فقال: **﴿ياءيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾**[٣] قال ابن كثير: «يأمر الله عباده المؤمنين به المصدقين برسوله، أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك، وهي كثيرة جداً، كما قال عكرمة عن ابن عباس»[٤].

ويوم كان السلف الصالح ملتزمين بالإسلام كانت تجارة الشيطان كاسدة، لأنه لم يجد إلى قلوبهم طريقا، حيث عمر الإيمان قلوبهم، وكانوا أحرص الناس على الخير، فهاهو الشيطان يخاف من عمر بن الخطاب ويرهبه، وما سلك عمر فجاً قط إلا سلك الشيطان فجاً غيره.

والناظر في الأمة اليوم يجدها مستعبدة ذليلة للشيطان، تلهث وراءه تطلب الشهوات والمتاع الرخيص، فكان نتيجة ذلك مزيداً من الضياع والضنك، قال تعالى: **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمىٰ، قال رب لم حشرتني أعمىٰ وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسىٰ﴾**[٥]. قال ابن كثير في قوله: «**فان له معيشة ضنكا**» : أي ضنكاً في الدنيا،

---

(١) سورة الحجر الآيات ٣٩، ٤٠.

(٢) سورة الحجر الآيات ٤١، ٤٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٠٨.

(٤) مختصر تفسير ابن كثير ١/١٨٥ بتصرف.

(٥) سورة طه الآيات ١٢٤ ــ ١٢٦.

فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ماشاء وأكل ماشاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة»[1].

إن السبب في هذا الضنك هو الاستجابة لشياطين الجن والإنس وأتباعهم في كل دعوة براقة إلى المعصية، وليس من خلاص لهذه البشرية المنكودة إلا الفرار إلى الله ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾[2]!

ويحذرنا الله من اتباع الشيطان فيقول: ﴿ياءيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾[3]. ويقول: ﴿ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم، ولقد أضل منكم جِبِلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾[4]!

القسم الثاني :

ويكون بالتحصن من الشيطان بالأدعية والأذكار التي علمها الله لعباده، وعلمها الرسول لامته، وهي أنواع :

النوع الأول : الاستعاذة بالله من الشيطان :

قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾[5] وقال: ﴿وإما

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٢/٤٩٧.
(٢) سورة الذرايات الآية ٥٠.
(٣) سورة النور الآية ٢١.
(٤) سورة يسٓ الآيات ٦٠ ــ ٦٢.
(٥) سورة النحل الآية ٩٨.

ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾[١]، **﴿وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين. وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾**[٢].

فقد علمنا الله سبحانه أن نستعيذ به من الشيطان، قال ابن كثير: «ومعنى **﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾**: أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ماأمرت به، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، حيث لا يقبل مصانعة ولا إحساناً، ولا يبتغ غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم، والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى من شر كل ذي شر»[٣].

فليس للمؤمن من ملاذ يلوذ به ويلجأ إليه من كيد الشيطان إلا الله سبحانه وتعالى رب الخلق أجمعين، فهو الذي يرد كيده، ويدفع وسوسته عن عباده المؤمنين، قال ابن الجوزي: «حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ماتصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد قال: أجاهده، قال: هذا يطول: أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور، ماتصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي، قال: هذا يطول عليك: ولكن استعن بصاحب الغنم يكفُّه عنك»[٤].

ولما كان الشيطان عدو الإنسان الذي يترقب فيه كل غفلة عن ذكر الله، فقد أمرنا الله ورسوله بأن تكون الاستعاذة عنوان كل عمل نقوم به في حياتنا، وذلك حتى يخلص العمل من إفساد الشيطان له، فمن ذلك:

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٠.
(٢) سورة المؤمنون الآيات ٩٧ ــ ٩٨.
(٣) مختصر تفسير ابن كثير ١/١٧ ــ ١٨ بتصرف.
(٤) تلبيس إبليس ص ٣٧.

(١) **الاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن**، قال تعالى: ﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾[(١)] قال ابن القيم: «فأمر سبحانه بالاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن، وفوائد ذلك من وجوه: منها: أن القرآن شفاء لما في الصدور، ومذهب لما يلقيه فيها من الوساوس والشهوات والارادات الفاسدة، فهو دواء لما أثره فيها الشيطان، فأمر أن يطرد مادة الداء ويجلو منه القلب، ليصادف الدواء محلاً خالياً يتمكن منه ويؤثر فيه، فيجيء هذا الدواء الشافي إلى قلب قد خلا من مزاحم ومضاد له، فينجح فيه، ومنها: أن القرآن مادة الخير والهدى في القلب فأمر الله بالاستعاذة من الشيطان لبقاء هذا الخير والهدى، لأن الشيطان يحاول إفساد القلب كلما رأى فيه من الخير، ومنها: أن قراءة القرآن تحضرها الملائكة كما حصل لأسيد بن حضير، حيث رأى مثل الظلة فيها مثل المصابيح، فقال النبي ﷺ: «**تلك الملائكة**»[(٢)]، والشيطان ضد الملك وعدوه، فأمر القاريء أن يطلب من الله مباعدة عدوه حتى تحضره خاصة ملائكته، فهذه منزلة لا تجتمع فيها الملائكة والشياطين»[(٣)].

(٢) التعوذ من الشيطان عند الصلاة :

فإن الشيطان يغتنم فرصة مناجاة العبد ربه فيوسوس له ويشوش عليه فكره، بحيث يلهيه عن معنى الصلاة وجوهرها، فتجد المصلي شارد الفكر، لا يدري مايقرأ، وقد يقرأ في قيامه التشهد والصلاة الإبراهيمية إلى غير ذلك مما هو من

---

(١) سورة النحل الآية ٩٨.

(٢) حديث قراءة أسيد بن حضير ونزول الملائكة وهو يقرأ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن. باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ٦٣/٩. ومسلم في صحيحه. كتاب المسافرين. باب نزول السكينة لقراءة القرآن ٥٤٨/١ وأحمد في مسنده ٨١/٣.

(٣) مختصر إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان ص ٩٠ باختصار.

تشويش الشيطان على المصلين، فأمر الرسول عليه الصلاة والسلام **بالتعوذ منه** عند حصول ذلك، فعن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ **فقال:** يارسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ، **فقال** رسول الله ﷺ: «**ذاك شيطان يقال له خِنْزَب، فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه، وأتفل على يسارك ثلاثاً قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني**»[1].

(٣) التعوذ من الشيطان عند الغضب :

«فإن الغضب مركب الشيطان، حيث تتعاون النفس الغضبية والشيطان على النفس المطمئنة التي تأمر بدفع الإساءة بالإحسان، أمر أن يعاونها بالاستعاذة منه، فتمد الاستعاذة النفس المطمئنة، فتقوى على مقاومة جيش النفس الغضبية»[2]. فعن سليمان بن صرد رضي الله عنه أنه قال: «كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبَّان، فأحدهما احمَّر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها. لذهب عنه مايجد. لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه مايجد**»[3].

(٤) التعوذ من الشيطان عند دخول الخلاء :[4]

حيث منازل الشياطين، فعن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة ٤/١٧٢٨ ــ ١٧٢٩، ومعنى يلبسها عليَّ: أي يخلطها ويشككني فيها.

(٢) مختصر إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان ص ٩٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب صفة إبليس وجنوده ٦/٣٣٧ ومسلم في صحيحه. كتاب البر والصلة والآداب ٤/٢٠١٥ وأخرجه أبو داود والترمذي وأحمد.

(٤) الخلاء : مكان قضاء الحاجة من بول أو غائط.

قال: «**أعوذ بالله من الخبث والخبائث**»[1] قال ابن كثير: «قال كثير من العلماء: استعاذ من ذكران الشياطين وإناثهم»[2].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «.. **ومن أتى الغائط فليستتر، فإن لم يجد إلا أن يجمع كثيبا**[3] **من رمل فليستدبره فإن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم، من فعل فقد أحسن، ومن لا فلا حرج**»[4].

ومعنى «فإن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم» أن الشياطين تحضر تلك الأمكنة، وترصدها بالأذى والفساد، لأنها مواضع يهجر فيها ذكر الله، وتكشف فيها العورات، وهو معنى قوله: «إن هذه الحشوش متحضرة» فأمر عليه الصلاة والسلام بالتستر ما أمكن، وأن لا يكون قعود الإنسان في براح من الأرض تقع عليه أبصار الناظرين، فيتعرض لانتهاك الستر، أو تهب ريح، فيصيبه نشر البول عليه والخلاء، فيلوث بدنه أو ثيابه، وكل ذلك من لعب الشيطان به وقصده اياه بالأذى والفساد»[5].

(٥) التعوذ من الشيطان عند رؤية الإنسان مايكره في نومه :

فعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «**الرؤيا الصالحة من**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الوضوء. باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء ١/٢٨٣. وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي وأحمد والدارمي.

(٢) البداية والنهاية ١/٦١.

(٣) الكثيب : الكومة من الرمل أو التراب.

(٤) من حديث أخرجه أبو داود في سننه. كتاب الطهارة. باب الاستتار في الخلاء ١/٣٣. وابن ماجه في سننه. كتاب الطهارة. باب الارتياد للغائط أو البول ١/١٢٢ وأخرجه أحمد في مسنده ٢/٣٧١ والدارمي في سننه. كتاب الوضوء. باب التستر عند الحاجة ١/١٣٥.

(٥) سنن أبي داود ١/٣٣ الحاشية.

الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لاتضرة»(١).

ذلك أن الشيطان يحاول ان يوهن من عزيمة المؤمن، بما يثيره من الأحلام المزعجة، فيداخله الخور والخوف، فعلّمنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن نستعيذ بالله من الشيطان عند رؤيتنا شيئاً نكرهه في المنام، فإننا إذا فعلنا ذلك رد الله الشيطان ذليلاً صاغراً.

إلى غير ذلك من أنواع التعوذ التي علمنا إياها الإسلام كالتعوذ عند إرادة الجماع وعند الفزع في النوم، وعند سماع نباح الكلاب ونهيق الحمار وغير ذلك.

وكانت سورة الخناس جماع الإستعاذة من شياطين الإنس والجن حيث يقول تعالى موجهاً الخطاب إلى عباده المؤمنين: **﴿قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجِنَّة والناس﴾**(٢). فهو الأمر من الله بالاستعاذة من شر خلقه من شياطين الإنس والجن الذين يوسوسون بالشر والمعاصي ويترقبون كل غفلة من الانسان ليبثوا من خلال ذلك سمومهم.

النوع الثاني: الإكثار من ذكر الله تعالى :

لاشيء أقوى على طرد الشيطان من ذكر الله تعالى بالقلب، ومراقبته في السر والجهر، فذكر الله تعالى بأي نوع من أنواعه يقوي في النفس حب الحق ودواعي الخير، ويضعف فيها الميل إلى الباطل والشر، حتى لايكون للشيطان مدخل عليها،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٣٣٨/٦ وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الرؤيا ١٧٧١/٤ وابن ماجه في سننه، كتاب تعبير الرؤيا ١٢٨٦/٢ وأحمد في مسنده ٣٥٠/٣.

(٢) سورة الناس.

فهوا إنما يزين لها الباطل والشر بقدر استعدادها لأي نوع منهما، فإن وجد بالغفلة مدخلاً إلى قلب المؤمن لا يلبث أن يشعر به، لأنه غريب عن نفسه، ومتى شعر بوسوسته ذكر فأبصر، فخنس الشيطان وابتعد عنه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان واضع خطْمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس**»(١).

قال ابن كثير: «وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغُلِب، وإن لم يذكر الله تعالى تعاظم وغَلَب»(٢).

وعن عاصم عن أبي تميمة الهجيمي عمن كان رديف النبي ﷺ قال: كنت رديفه على حمار، فعثر الحمار فقلت: تعس الشيطان، فقال لي النبي ﷺ: «**لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم الشيطان في نفسه، وقال: صرعته بقوتي، فإذا قلت بسم الله تصاغرت إليه نفسه حتى يكون أصغر من الذباب**»(٣).

ولهذا أرشدنا الإسلام إلى ذكر الله في كل الأحوال قال تعالى: ﴿**واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين. إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**﴾(٤).

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٩/٧: رواه أبو يعلى، وفيه عدي بن أبي عمارة وهو ضعيف، وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٣٥٤، وأورده ابن كثير في تفسيره عن أبي يعلى الموصلي، وقال عنه: غريب. انظر تفسير ابن كثير ٥٧٥/٤.
(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٢٩٧/٣.
(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب ٢٦٠/٥، وأحمد في مسنده ٥٩/٥.
(٤) سورة الأعراف الآيات ٢٠٥ ــ ٢٠٦.

قال ابن كثير: والمراد الحض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال رغبة ورهبة لئلا يكونوا من الغافلين، ولهذا مدح الله الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون»[1].

ووصف الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿**الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم**﴾[2] أي لا يقطعون ذكر الله عز وجل في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم، وفي كل وقت من أوقاتهم، وهم الذين يذكرون الله إذا ألمّت بهم نزغة من نزغات الشيطان ﴿**والذين إذ فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم...**﴾[3]

وأرشدنا الله ورسوله ﷺ إلى فضيلة الذكر :

فذكر الله عند الاستيقاظ من النوم يحدث عند المسلم العزيمة والقوة، ويدفع عنه الكسل، حيث يبدأ المسلم يومه بذكر الله، داعياً ربه أن يعيذه من الشيطان الرجيم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة مكانها: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدُه كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[4].

وذكر الله عند الخروج من البيت يعصم المسلم من شر الشيطان، فعن أنس

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٨١/٢ بتصرف.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٩١.
(٣) سورة آل عمران ١٣٥.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب صفة إبليس وجنوده ٣٣٥/٦ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ٥٣٨/١. وأخرجه أبو داود وابن ماجه ومالك وأحمد، وقد تقدم.

ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال ــ يعني إذا خرج من بيته ــ بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله قال: يقال حينئذ: هُديت وكُفيت ووُقيت، فتتنحى له الشياطين، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي**»[1].

وذكر الله في المسجد مُبْعِد للشيطان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، فإذا قضي أقبل، فإذا ثوِّب**[2] **أدبر، فإذا قضي أقبل، حتى يخطر بين الإنسان وقلبه فيقول: أذكر كذا وكذا، حتى لايدري أثلاثاً صلى أم أربعاً، فإذا لم يدر ثلاثاً صلى أو أربعاً سجد سجدتي السهو**[3]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم إذا كان في المسجد جاء الشيطان فأبَسَّ به كما يَبَسُّ الرجل بدابته**[4]**، فإذا سكن له زَنَقه**[5] **أو ألجمه**»، قال أبو

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه. كتاب الأدب. باب ما يقول إذا خرج من بيته ٥/٣٢٨. والترمذي في سننه أخصر من هذا اللفظ. كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا خرج من بيته ٩/١٢٦ وقال عنه: حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وابن حبان في صحيحه ٢/١٣٤.

(٢) ثوِّب: التثويب: الاقامة، وأصله من ثاب إذا رجع، ومقيم الصلاة راجع إلى الدعاء إليها، فإن الأذان دعاء إلى الصلاة، والإقامة دعاء إليها. انظر صحيح مسلم ١/٢٩١ الحاشية ط ١٤٠٠ ــ ١٩٨٠ دار الافتاء السعودية.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب صفة إبليس وجنوده ٦/٣٣٧ وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الصلاة. باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه ١/١٩١ رقم ٣٨٩.

(٤) قال الشيخ عبد الرحمن الساعاتي: أبس به: أي احتال عليه بالوسوسة كاحتيال الراعي بناقته إذا أراد حلبها، وقوله «فإذا سكن له»: أي انقاد له. انظر الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد ٢/٧٧ وقال ابن الأثير: البسوس في الأصل: الناقة التي لاتدر، حتى يقال بُسَّ بُسَّ بالضم والتشديد وهو صويت للراعي يسكن به ناقته عند الحلب. وقد يقال ذلك لغير الإبل، انظر النهاية في غريب الحديث ١/١٢٧.

(٥) زنقه : قال ابن الأثير: المزنوق: المربوق بالزناق، وهو حلقة توضع تحت حنك الدابة

هريرة: فأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلاً كذا لا يذكر الله، وأما الملجوم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل»(١).

وكلمة التوحيد ولزوم الاستغفار أحد الوسائل المهمة في دحر الشيطان، فعن أبي بكر الصديق قال: قال رسول الله ﷺ: «**استكثروا من لا إلٰه إلا الله والاستغفار، فإن الشيطان قال: قد أهلكتهم بالذنوب وأهلكوني بقول لا إلٰه إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك منهم أهلكتهم بالأهواء، حتى يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون**»(٢).

وإذا وضع المسلم جنبه على فراشه فذكر الله، ظل في حماية ربه حتى يصبح، فعن أنس عن النبي ﷺ قال: «**إذا وضع العبد جنبه على فراشه فقال: بسم الله، وقرأ فاتحة الكتاب أمِنَ مِنْ شر الجن والإنس ومن كل شيء**»(٣).

وهكذا يكون المسلم ذاكراً لربه عند يقظته ونومه، فيكون في كنف الله ورعايته في يومه كله رحمة من الله له.

والذكر على كل حال دواء ناجح للشيطان، وسلاح قاتل، يصيب منه المقاتل، التي بها يقوى على إفساد الناس وإضلالهم، قال ابن القيم: «ولو لم يكن في الذكر إلا أن يحترز المسلم من الشيطان ويدفعه عنه، لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر

= ثم يجعل فيها خيط يشد براسها تمنع جماحها، وقال: المزنوق أصله من الزنقة وهو ميل في جدار أو سكة أو عرقوب واد. النهاية في غريب الحديث ٢/٣١٥.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٣٣٠ وذكره علاء الدين الهندي في كنز العمال عن أبي الشيخ ١/٢٥٢.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ونسبه لأبي يعلى، وفيه عثمان بن مطر وهو ضعيف. وذكر الدارمي نحوه. انظر سنن الدارمي. باب في اجتناب الأهواء ١/٧٨.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الكبير ونسبه للبزار والديلمي. قال الهيثمي في المجمع: وفيه غسان بن عبيد وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح.

لسانه من ذكر الله تعالى، وأن لايزال لهجاً بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوَصَع[١] وكالذباب، ولهذا سمي الوسواس الخناس»[٢].

ويقول: «والشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه، فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظاً، وأحاطوا به، وكلّ منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل»[٣].

النوع الثالث: قراءة القرآن :

فالقرآن خير سلاح يحارب به المسلم عدوه، لأنه كلام الله، وله تأثير عجيب في طرد الشيطان وإبعاده.

فقد تقدم معنا في حديث أبي هريرة عندما وكله رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فكان الشيطان يأتيه في صورة شيخ فقير، فيحثو من مال الصدقة، حتى هم أبو هريرة برفعه إلى الرسول عليه السلام، فقال له الشيطان: «دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: وماهي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ حتى تختم الآية، فإنك لنا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخلى سبيله ـــ ثم أخبر أبو هريرة رسول الله ﷺ بذلك ـــ فقال له النبي ﷺ: «**أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قلت: لا، قال: ذاك شيطان**»[٤].

---

(١) الوصع : طائر أصغر من العصفور.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٣٣ بتصرف.

(٣) نفس المصدر ص ٧٥.

(٤) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الوكالة. باب إذا وكل رجلا فترك

فآية الكرسي لها تأثير عجيب في دفع الشياطين من الجن، ولهذا شرع لنا قراءتها قبل النوم، لما فيها من النفع العظيم والخير الكثير، حتى إن قراءتها في البيت يطرد الشيطان، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«سورة البقرة فيها آية سيدة آي القرآن، لا تقرأ في بيت وفيه شيطان إلا خرج منه: آيه الكرسي»**(١).

ومن قرأ أواخر سورة البقرة عصمته من الشياطين كذلك، فعن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: **«إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموٰات والأرض بألفي عام، أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»**(٢).

وقراءة سورة البقرة بشكل عام مطردة للشيطان، فعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»**(٣).

= الوكيل شيئا فأجازه ٤/٤٨٧. وذكر ابن حبان في صحيحه حديثا مماثلا له عن أبي ابن كعب ٢/١١١، وذكر الهيثمي مثله في مجمع الزوائد عن معاذ بن جبل ٦/٣٢١ ــ ٣٢٢.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير. من سورة البقرة ٢/٢٥٩، ولم يقل فيه شيئا.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه. كتاب ثواب القرآن. باب ما جاء في آخر سورة البقرة ٨/٩٨ وقال عنه: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٦٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني ورجاله ثقات ٦/٣١٢. وأخرج البخاري حديثا في فضل قراءة أواخر سورة البقرة ولفظه: عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاة» صحيح البخاري. كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة ٩/٥٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد ١/٥٣٩، والترمذي في سننه. كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٨/٩٤ وأخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٨٤.

ومن أعظم التعويذات القرآنية قراءة المعوِّذتين، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ماسواهما(١).

وهكذا يعتبر القرآن أهم الوسائل التي تطرد الشيطان، حيث يعصم المسلم من كيده ووسوسته.

النوع الرابع: لزوم جماعة المسلمين :

والأمور السابقة لابد أن تكون من خلال لزوم المسلم جماعة المسلمين، فإن الشيطان أقدر مايكون على العبد وهو بعيد عن الجماعة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**»(٢).

ذلك أن الجماعة يعين بعضها بعضها على الحق، فحيثما رأى أحدهم خللاً في الصف قوَّمه، ونبَّه الآخرين إليه، فيتماسك الصف، فلا يكون فيه مجال لبضاعة الشيطان.

وأخيرا فإن ماتقدم من الوسائل التي تطرد الشيطان لابد أن تكون من نفس مؤمنة بالله وبجدوى هذه الوسائل في دحر الشيطان، وأن تكون صادرة من قلب مخلص لله، فإنما مدار الأمر على التقوى والإخلاص.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه. كتاب الطب. باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين ٦/٢٥٢ وقال عنه: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجه في سننه. كتاب الطب باب من استرق من العين ٢/١١٦١. والنسائي في سننه، كتاب الاستعاذة من عين الجان ٨/٢٧١.

(٢) من حديث أخرجه الترمذي في سننه. كتاب الفتن. باب ما جاء في لزوم الجماعة ٦/٣٣٣، وقال عنه: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

فنسأل الله أن يجعل التقوى والإخلاص حليتنا، وأن يجنبنا الشيطان ووساوسه، فهو نعم المولىٰ ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خاتمة البحث

وبعــد :

فانني أحمد الله العلي القدير الذي أعانني على إتمام هذا البحث، حتى خرج بهذه الصورة، التي ما ألوت جهداً في أن تكون صورة مشرقة صادقة وشاملة عن حياة عالم الجن.

وليعلم الأخ القاريء الكريم أننا بشر نخطيء ونصيب، فإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وإن أصبت فمن الله الذي له الفضل والمنة أولاً وأخيراً.

ولعل هذا البحث يكون قد أجاب على كثير من التساؤلات التي تدور في الأذهان، بأسلوب مقبول، يفهمه الناس على اختلاف ثقافاتهم ومستوياتهم، ولعل الصورة تكون قد اتضحت عن عالم الجن، الذي نجهل الكثير عن حياته وصفاته وخصائصه، ليكون الإنسان على بينة من هذا الأمر. وليدرك عظمة الخالق سبحانه، الذي خلق من العوالم مالا يخطر على البال، وفارق بينها في كثير من الصفات.

وإذا كان بعض أبناء هذا الجيل ينكرون المغيبات بشكل عام، فإن هذا البحث يأتي ليقرر وجود أحد هذه المغيبات، والتي تعتبر شيئاً أساسياً في إيمان الشخص، لأن قضايا العقيدة لا يمكن فصلها عن بعضها، فليحذر المسلم التهاون في أمرْ هذا المخلوق بالإنكار أو التأويل، وأن يخرج بتفكيره عما قرره القرآن الكريم والسنة النبوية، فيجادل ويخاصم في حقيقته، بعيداً عن التصور السليم الذي رسمه الإسلام، وليستمع إلى قوله تعالى بتفكر وتدبر: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدىٰ ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولىٰ ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾**[1].

(١) سورة النساء الآية ١١٥.

وبعد هذا العرض المفصل عن عالم الجن يمكننا أن نستخلص النتائج التالية :

١ ــ أن عالم الجن يعتبر أحد المعالم البارزة من معالم العقيدة الإسلامية، لدلالة القرآن الكريم والسنة النبوية عليه، ومن ثم فإن أي إنسان يلجأ إلى إنكار هذا العالم أو تأويله تأويلاً يخرجه عما عناه القرآن والسنة فإننا لا نتردد في تكفيره وخروجه من الإسلام بالكلية، بعد إقامة الحجة عليه، إذا كان مصدر إنكاره الجهل.

٢ ــ أن عالم الجن يشارك الإنسان في كثير من الخصائص، ويشتركا معاً في التكليف، وفي جزاء الآخرة من ثواب وعقاب، ولا نعلم مخلوقات كلفت بالإيمان خارج نطاق عالمي الإنس والجن.

٣ ــ أن نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام مرسل الى الجن والإنس معاً، وأن التكاليف التي خوطب بها الجن، لا يختلف فيها شيء عن الآخر، إلا بحسب مايناسب طبيعة كل منهما، وذلك لعموم أدلة الشريعة في ذلك، وأنه لم يرسل إلى الجن رسول منهم كما ترجح لدي، وإنما الرسل من الإنس خاصة.

٤ ــ أن هناك ثمة علاقة تربط بين الجن والإنس تظهر فيما يلي :

(أ) أن الجن يمكن أن يتسلطوا على أجسام الإنس وعقولهم، فيصاب الشخص نتيجة لذلك بالصرع الذي يفقده عقله، بحيث يتخبط في حركاته وأقواله، وذلك من خلال ماظهر لي بالدليل المستمد من الكتاب والسنة، ومادل عليه الواقع، وأيده نفر من الأطباء في القديم والحديث.

(ب) أن هناك تأثير للجن على أجسام الإنس دون أن يصحبه تأثير على عقولهم، كما في نخس الشيطان للمولود عند الولادة، وكما في الطاعون، وأنه من وخز الجن، وكما في قتل بعض الجن للإنس، وغير ذلك.

(جـ) إمكان وقوع التناكح بين الجِنّية والإنسان، أو بين الانسية والجني، وذلك بالدليل كما تقدم، يؤيده اشتراك الجن والإنس في كثير من الخصائص، وبقدرة الجن على التشكل في صور الإنس، بحيث تظهر الجِنّية في أجمل صور النساء، مما يكون داعياً لزواج الإنس بها، ولكن هذه العلاقة غير مأذون بها شرعاً كما تبين لي، لإختلاف الجنسين وعدم سكون كل واحد منهما إلى الآخر.

٥ ــ أن الجن يمكن أن يستطلعوا بعض الأخبار والمغيبات التي تخرج عن الغيب الذي اختص الله به، والتي تكون خارجة عن نطاق قدرة الإنسان، وذلك كمشاهدة الحوادث البعيدة، أو سماع الأخبار البعيدة، ويمكن لهم بعد ذلك أن يخبروا بعض الإنس بها.

٦ ــ أنه ليس هناك تأثير للجن على عقائد الناس وإراداتهم وأعمالهم إلا بالوسوسة المعرَّاة عن الحجة والبرهان والاجبار.

٧ ــ أنه كما يكون للجن قدرة على التأثير على الإنس بالصرع والوسوسة وغير ذلك، فإنه يمكن بالمقابل أن يكون للإنس تأثير عليهم بتسخيرهم، كما حصل للنبي سليمان عليه السلام، عندما سخرهم الله له، فكانوا يقومون له بشتى الأعمال، وكما حصل لنبينا عليه الصلاة والسلام عندما اعترضه الشيطان ليقطع عليه الصلاة، فأخذه حتى همَّ، أن يربطه إلى أحد سواري المسجد، ليلعب به ولدان المدينة، وكما يحصل من تسخير الله الجن لبعض الانس، رحمة وكرامة من الله لهم.

٨ ــ أن تحضير الأرواح دعوى كاذبة، نبتت في الغرب تحت رقابة اليهود وغيرهم، كأسلوب من أساليب الدعاية والتضليل، للسيطرة على عقول الناس، وأنه لا سلطان لأحد على الأرواح بتحضير أو غيره، وما الذي يحدث من مكالمة في بعض مجالس التحضير إنما هو من عبث مردة الجن بمن يوالونهم من شياطين الإنس، خداعاً واستدراجاً لهم.

٩ ــ أن إبليس من الجن كما هو الظاهر من الأدلة، وأن استثناءه من الملائكة في معظم الآيات ــ التي تتحدث عن طاعة الملائكة لأمر ربهم بالسجود لآدم ورفض إبليس لذلك ــ لأنه كان يجالس الملائكة ويعايشهم، وهذا ليس مسوغاً لاعتباره واحداً منهم.

١٠ ــ أن الله قد خلق إبليس لِحِكَمٍ أرادها سبحانه، وأن عدله يقتضي أن لايكون للشيطان سلطان على أحد من الناس.

١١ ــ أن المفاسد التي عاشتها البشرية منذ خلق آدم عليه السلام إنما كانت بسبب وسوسة إبليس وإغوائه، يعاونه في هذا الشياطين من الجن والإنس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثبت المراجع

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ **آدم عليه السلام:**
البهي الخولي: ط ٣، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م/ الناشر: مكتبة وهبة القاهرة.
٣ ـ آكام المرجان في أحكام وغرائب الجان. بدر الدين الشبلي، ١٣٢٦هـ القاهرة.
٤ ـ إحياء علوم الدين للغزالي: دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.
٥ ـ **الإيمان بالملائكة :**
أحمد عز الدين البيانوني: ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م/ مكتبة الهدى/ حلب ـ سوريا.
٦ ـ **الإيمان بالملائكة عليهم السلام :**
عبد الله سراج الدين: ط١، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م.
٧ ـ **إبليس :**
عباس محمود العقاد: ط٢، ١٩٦٩م دار الكتاب العربي/ بيروت ـ لبنان.
٨ ـ **أحكام القرآن :**
لأبي بكر بن العربي: تحقيق محمد عليّ البجاوي: ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.
٩ ـ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.** المشهور بـ(تفسير أبي السعود): أبي السعود بن محمد العمادي ـ تحقيق عبد القادر أحمد

عطا: ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧١م. الناشر مكتبة الرياض الحديثة. الرياض السعودية.

١٠ ــ **الأشباه والنظائر** :
زين العابدين بن نجيم: تحقيق وتعليق عبد العزيز محمد الوكيل: ١٣٩٢هـ ــ ١٩٦٨م/ الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع/ القاهرة.

١١ ــ **الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان** :
الدكتور سامي سعيد الأحمد: ١٩٧٠م مطبعة الجامعة ــ بغداد ــ العراق.

١٢ ــ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ــ محمد الأمين الجكني الشنقيطي: ١٣٨٤ ــ ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٥ ــ ١٩٦٧م/مطبعة المدني ــ القاهرة.

١٣ ــ **أعلام النبوة** :
أبي الحسن الماوردي: ط١، ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م/ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان.

١٤ ــ **الإنسان روح لا جسد** :
الدكتور عبد الرؤوف عبيد: ط٤، ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥م مطبعة الاستقلال الكبرى ــ ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي.

١٥ ــ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** المشهور بـ(تفسير البيضاوي):
ناصر الدين أبي سعيد البيضاوي: ١٣٣٠ دار الكتب العربية الكبرى ــ القاهرة ــ مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع.

١٦ ــ **إيضاح الدلالة في عموم الرسالة** :
تقي الدين بن تيمية: تحقيق منير آغا ــ الناشر مكتبة الرياض الحديثة ــ الرياض ــ السعودية.

١٧ ــ **البداية والنهاية :**
عماد الدين بن كثير: ط٢، ١٩٧٧م مكتبة المعارف ــ بيروت ــ لبنان.
١٨ ــ **البرهان اليقيني للرد على كتاب نقد الفكر الديني :**
جابر حمزه فراج: ط٢، ١٩٧٠م المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ لبنان.
١٩ ــ **بهجة المحافل وبغية الأماثل :**
عماد الدين العامري: الناشر محمد سلطان النمنكاني ــ المكتبة العلمية ــ المدينة المنورة ــ السعودية.
٢٠ ــ **تاج العروس :**
محمد مرتضى الزبيدي: ط١، ١٣٠٧هـ/المطبعة الخيرية ــ القاهرة ــ منشورات دار مكتبة الحياة ــ بيروت.
٢١ ــ **تاج اللغة وصحاح العربية:**
اسماعيل بن حماد الجوهري: تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.
٢٢ ــ **تثبيت دلائل النبوة :**
عبد الجبار الهمذاني: تحقيق عبد الكريم عثمان: ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م. دار العربية للطباعة والنشر ــ بيروت.
٢٣ ــ **التصوف الإسلامي والإمام الشعراني :**
طه عبد الباقي سرور: ط٢، ١٣٧٢هـ ــ ١٩٥٢م. دار نهضة مصر للطبع والنشر/القاهرة.
٢٤ ــ **تفسير سورة الجن :**
الدكتور محمد البهي: ط٢، ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م. دار الفكر
٢٥ ــ **تفسير سورة الرحمن وسور قصار :**
الدكتور شوقي ضيف: ١٩٧١م. دار المعارف بمصر.

٢٦ ــ **تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ(تفسير المنار) :**
محمد رشيد رضا: ط٢، ط٤، ١٣٦٧ ــ ١٣٧٩هـ مطبعة حجازي بالقاهرة.

٢٧ ــ **التفسير القرآني للقرآن :**
عبدالكريم الخطيب: ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧٠م. مطبعة السنة المحمدية ملتزم الطبع والنشر دار الفكر.

٢٨ ــ **تفسير القرآن العظيم المشهور بـ(تفسير ابن كثير) :**
عماد الدين بن كثير: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ــ القاهرة الناشر دار إحياء الكتب العربية.

٢٩ ــ التفسير الكبير: فخر الدين الرازي: ط٢، المطبعة البهية المصرية ــ القاهرة ــ الناشر دار الكتب العلمية ــ طهران ــ ايران.

٣٠ ــ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان :**
المشهور بـ(تفسير السعدي) تحقيق محمد زهدي النجار: ١٩٧٦م. مطابع الدجوي ــ القاهرة ــ ملتزم الطبع والنشر ــ المؤسسة السعيدية ــ الرياض.

٣١ ــ **تفسير المراغي :**
أحمد مصطفى المراغي: ط٤، ١٣٩٢ ــ ١٩٧٢ مطبعة مصطفي البابي الحلبي ــ القاهرة.

٣٢ ــ **تلبيس إبليس :**
ابن الجوزي: ط٢، ١٣٦٨ ادارة الطباعة المنيرية ــ الناشر دار الكتب العلمية.

٣٣ ــ **تنوير المقياس من تفسير ابن عباس :**
لأبي طاهر الفيروز أبادي: ١٣٨٠ ــ ١٩٦٠ت. المكتبة التجارية ــ القاهرة.

٣٤ ــ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن المشهور بـ(تفسير الطبري):**
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ط٢، ١٣٧٣ ــ ١٩٥٤ ــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ القاهرة.
٣٥ ــ **الجامع لأحكام القرآن.** المسمى بـ(تفسير القرطبي):
لأبي عبد الله محمد القرطبي: ط٣، ١٣٨٧ ــ ١٩٦٧ ــ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ــ القاهرة.
٣٦ ــ **الجن بين الحقائق والأساطير :**
علي الجندي: ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ ــ المطبعة الفنية الحديثة ــ القاهرة ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية.
٣٧ ــ **الجهاد ميادينه وأساليبه :**
الدكتور محمد نعيم ياسين: ١٣٩٨ ــ ١٩٧٨ ــ مكتبة الأقصى ــ عمان ــ الأردن.
٣٨ ــ **الجواهر في تفسير القرآن :**
طنطاوي جوهري: ط٢، ١٣٥٠ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ القاهرة.
٣٩ ــ **الحبائك في أخبار الملائك :**
جلال الدين السيوطي: دار التأليف ــ القاهرة.
٤٠ ــ **حياة الحيوان الكبرى:**
كمال الدين الدميري: ١٣٧٤ ــ ١٩٥٤ ــ مطبعة الاستقامة ــ القاهرة ــ الناشر المكتبة التجارية الكبرى ــ القاهرة.
٤١ ــ **الخصائص الكبرى أو**(كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب):
جلال الدين السيوطي: تحقيق الدكتور محمد خليل هراس ١٣٨٧ ــ ١٩٦٧ ــ مطبعة المدني ــ القاهرة ــ الناشر دار الكتب الحديثة.

٤٢ ــ **دائرة المعارف الإسلامية:**
تأليف مجموعة من المستشرقين ١٩٣٣.
٤٣ ــ **دائرة معارف القرن العشرين:**
محمد فريد وجدي: ط٣، ١٩٧١ دار المعرفة للطباعة والنشر ــ بيروت ــ لبنان.
٤٤ ــ **دلائل النبوة :**
للبيهقي: تحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان: ط١، ١٣٨٩ ــ ١٩٦٩ دار النصر للطباعة ــ القاهرة ــ الناشر محمد عبد المحسن الكتبي ــ المدينة المنورة.
٤٥ ــ **الدين والعلم :**
أحمد عزت باشا ــ ترجمه للعربية حمزة طاهر: ١٣٦٩ ــ ١٩٥٠ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة.
٤٦ ــ **الرسائل الحسان في نصائح الاخوان:**
عبد الله بن حميد: ١٣٨٣ ــ ١٩٦٣ ــ الكويت.
٤٧ ــ **ركائز الايمان بين العقل والقلب:**
محمد الغزالي: ١٣٨٧ ــ ١٩٦٧ مكتبة الأمل ــ السالميه ــ الكويت.
٤٨ ــ **الـروح:**
شمس الدين بن قيم الجوزية: ط٣، ١٣٨٦ ــ ١٩٦٦ مكتبة الرياض الحديثة ــ الرياض.
٤٩ ــ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :**
أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي: دار احياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان.

٥٠ ــ **الروحية الحديثة :**
الدكتور محمد محمد حسين: ط٢، ١٣٨٨ ــ ١٩٦٩ ــ دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ لبنان.

٥١ ــ **سألوني :**
عبد الله النوري: ط١، ١٣٩١ ــ ١٩٧١ دار الهنا للطباعة.

٥٢ ــ **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة:**
محمد ناصر الدين الألباني: ط٣، ١٣٩٢ ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت.

٥٣ ــ **سنن ابن ماجه :**
أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي: ١٩٧٢ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ــ القاهرة.

٥٤ ــ **سنن أبي داود:**
سليمان بن الأشعث السجستاني: تعليق عزت عبيد الدعاس: ط١، ١٣٨٨ ــ ١٩٦٩ حمص ــ سوريا.

٥٥ ــ سنن الترمذي:
محمد بن عيسى الترمذي: تعليق عزت عبيد الدعاس ١٣٨٥ ــ ١٩٦٥ ــ المطبعة الوطنية ــ حمص ــ سوريا. نشر مكتبة دار الدعوة بحمص.

٥٦ ــ سنن الدارمي:
عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني: ١٣٨٦ ــ ١٩٦٦ شركة الطباعة الفنية المتحدة ــ القاهرة.

٥٧ ــ **السنن الكبرى:**
أحمد بن الحسين البيهقي: ط١، ١٣٤٤ ــ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ــ حيدر أباد ــ الهند.

٥٨ ــ **سنن النسائي:**
بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي: ط١، ١٣٤٨ ــ ١٩٣٠ مطابع الشركة العامة ــ دار احياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان.
٥٩ ــ **سيرة النبي ﷺ (سيرة ابن هشام):**
لأبي محمد عبد الملك بن هشام: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد: ١٣٥٦ ــ ١٩٣٧.
٦٠ ــ **شرح السنة :**
أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش: ١٣٩١ ــ ١٩٧١ المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ دمشق.
٦١ ــ **شرح منتهى الارادات:**
منصور بن يونس البهوتي: ١٣٦٦ ــ ١٩٤٧ ــ مطبعة أنصار السنة المحمدية ــ القاهرة.
٦٢ ــ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل:**
شمس الدين بن قيم الجوزية: ط١، ١٣٢٣ ــ مكتبة الرياض الحديثة ــ الرياض.
٦٣ ــ **الشيعة والسنة :**
احسان الهي ظهير: ط٣، ١٣٩٦ ــ ١٩٧٦ ــ الناشر ادارة ترجمان السنة ــ لاهور ــ باكستان.
٦٤ ــ **صحيح ابن حبان :**
محمد بن حاتم أبو حاتم البستي: تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان: ط١، ١٣٩٠ ــ ١٩٧٠ ــ مطبعة المجد ــ القاهرة الناشر محمد عبد المحسن الكتبي ــ المكتبة السلفية.

٦٥ ـ **صحيح البخاري بشرح فتح الباري:**
لابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، شرح احمد بن حجر العسقلاني: ١٣٨٠ ـ المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة.
٦٦ ـ **صحيح مسلم :**
مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط١ ١٣٧٤ ـ ١٩٥٥ ـ دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ القاهرة.
٦٧ ـ **صحيح مسلم بشرح النووي:**
محي الدين النووي: ١٣٤٩ المطبعة المصرية ومكتبتها ـ القاهرة.
٦٨ ـ **صراع مع الملاحدة حتى العظم:**
عبد الرحمن حبنكة الميداني: ط١، ١٣٩٤ ـ ١٩٧٤ ـ دار القلم ـ دمشق ـ بيروت.
٦٩ ـ **الطب النبوي:**
لابن قيم الجوزية: تحقيق عبد الغني عبد الخالق ١٣٧٧ ـ ١٩٥٧ الناشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٧٠ ـ **طريق الهجرتين وباب السعادتين:**
شمس الدين بن قيم الجوزية: ط٢، ١٣٩٤ المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة.
٧١ ـ **عالم الجن والشياطين:**
د. عمر سليمان الأشقر: ط١، ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩ ـ مكتبة الفلاح ـ الكويت.
٧٢ ـ **عالم الجن والملائكة:**
عبد الرزاق نوفل: ط٢، ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٧٣ ــ **العقائد الإسلامية :**
سيد سابق: الناشر دار الكتاب العربي ــ بيروت.
٧٤ ــ **العقائد الإسلامية :**
نديم الملاح: ١٣٧١ ــ ١٩٥٢ ــ مطبعة دار الأيتام الإسلامية ــ القدس ــ الاردن.
٧٥ ــ **العقيدة الإسلامية وأسسها:**
عبد الرحمن حبنكة الميداني: ط٢، ١٣٨٥ ــ ١٩٦٦.
٧٦ ــ **عقيدة البعث في الإسلام :**
الدكتور التهامي نفره: ١٩٧٥ ــ الشركة التونسية لفنون الرسم ــ تونس.
٧٧ ــ **عقيدة المؤمن:**
أبو بكر جابر الجزائري: ط٢، ١٣٩٨ ــ ١٩٧٨ ــ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ــ القاهرة.
٧٨ ــ **على حافة العالم الأثيري:**
جيمس آرثر فندلاي: ترجمه إلى العربية احمد فهمي أبو الخير: ط٢، ١٣٦٤ ــ ١٩٤٥ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ الناشر مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة.
٧٩ ــ **على مائدة القرآن مع المفسرين والكتّاب:**
احمد محمد جمال: ط٢، ١٣٩٤ ــ ١٩٧٤ ــ دارالفكر ــ بيروت.
٨٠ ــ **الفائق في غريب الحديث :**
جابر الله محمود عمر الزمخشري: ط٢، ١٩٧١ عيسى البابي الحلبي وشركاه ــ القاهرة.
٨١ ــ **الفتاوي:**
محمود شلتوت: ط٨، ١٣٩٥ ــ ١٩٧٥ دار الشروق ــ بيروت.

٨٢ ــ **فتاوى الامام محمد رشيد رضا :**
محمد رشيد رضا: تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ويوسف. ق. خوري: ط١، ١٣٩٠ ــ ١٩٧٠ ــ دار الكتاب الجديد ــ بيروت.
٨٣ ــ **الفتاوى الحديثة:**
أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي: ط٢، ١٣٩٠ ــ ١٩٧٠ ــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ــ القاهرة.
٨٤ ــ **فتاوى السبكي :**
تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي: ١٣٥٦ ــ مكتبة القدس.
٨٥ ــ **الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني:**
أحمد بن عبد الرحمٰن البنا الشهير بالساعاتي: ط١، ١٣٥٤ ــ القاهرة.
٨٦ ــ **فتح القدير:**
محمد بن على بن محمد الشوكاني: ط٢، ١٣٨٣ ــ ١٩٦٤ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ــ القاهرة.
٨٧ ــ **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد:**
عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: تحقيق محمد حامد الفقي: ط٧، ١٣٧٧ ــ ١٩٥٧ ــ مطبعة السنة المحمدية ــ القاهرة ــ الناشر دار الكتب العلمية ــ بيروت.
٨٨ ــ **الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان :**
تقي الدين بن تيمية: ط٣، ١٣٨٧ ــ المطبعة السلفية ومكتبتها ــ القاهرة.
٨٩ ــ **الفَرْق بين الفِرَق:**
عبد القاهر بن طاهر البغدادي: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ــ مطبعة المدني ــ القاهرة ــ الناشر مكتبة علي صبيح وأولاده.

٩٠ ـ **الفروق في اللغه :**

أبو هلال العسكري: ط٢، ١٩٧٧ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ لبنان.

٩١ ـ **في ظلال القرآن :**

سيد قطب: ط٦.

٩٢ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل :**

محمد علي بن حزم الظاهري: ١٣٢١ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ العراق.

٩٣ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير :**

عبد الرؤوف المناوي: ط٢، ١٣٩١ ـ ١٩٧٢ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

٩٤ ـ **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة :**

تقي الدين بن تيمية: ط٤، ١٣٦٣ ـ ١٩٤٤ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة.

٩٥ ـ **قصص الأنبياء :**

أبي الفداء اسماعيل بن كثير: تحقيق مصطفى عبد الواحد: ط١، ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨ مطبعة دار التأليف ـ القاهرة، الناشر دار الكتب الحديثة القاهرة.

٩٦ ـ **قصص الأنبياء :**

عبد الوهاب النجار: ط٢، ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦ مطبعة المدني ـ القاهرة، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه.

٩٧ ـ **القواعد النورانية الفقهية :**

تقي الدين بن تيمية: تحقيق محمد حامد الفقي:ط١، ١٣٧٠ ـ ١٩٥١ مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة.

٩٨ ــ **كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد :**
لإمام الحرمين الجويني تحقيق: الدكتور محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد ــ ١٣٦٩ ــ ١٩٥٠ ــ مطبعة دار السعادة ـالقاهرة ــ الناشر مكتبة الخانجي.

٩٩ ــ **كبرى اليقينيات الكونية :**
الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: ط٣، ١٣٩٤ دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان.

١٠٠ ــ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل :
محمد بن أحمد بن جزىء الكلبي: تحقيق محمد عبد المنعم يونس وابراهيم عطوه عوض: ١٩٧٣ مطبعة حسان ــ القاهرة ــ الناشر دار الكتب الحديثة ــ القاهرة.

١٠١ ــ **كتاب الحيوان :**
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون: ط٣، ١٣٨٨ ــ ١٩٦٩ دار الكتاب العربي ــ بيروت.

١٠٢ ــ **كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية :**
أبي حاتم الرازي ١٩٥٨ ــ القاهرة.

١٠٣ ــ **كتاب الفروع :**
شمس الدين محمد بن مفلح الحنبلي: ط٢، ١٣٧٩ ــ ١٩٦٠ ــ دار مصر للطباعة ــ القاهرة.

١٠٤ ــ **كتاب المعتمد في أصول الدين :**
القاضي أبي يعلي الحنبلي: تحقيق الدكتور وديع زيدان حداد ــ ١٩٧٤ المطبعة الكاثوليكية ــ الناشر دار المشرق ــ بيروت.

١٠٥ ــ **كشاف اصطلاحات الفنون :**
محمد علي الفاروقي التهانوي: تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع ــ

١٣٨٢ ــ ١٩٦٣ ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ــ الناشر مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة.

١٠٦ ــ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:**
المسمى بـ(تفسير الزمخشري) ــ جار الله محمود الزمخشري الخوارزمي ــ الطبعة الأخيرة ١٣٨٥ ــ ١٩٦٦.

١٠٧ ــ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال :**
علاء الدين الهندي البرهان فوري، تعليق صفوة السقا وبكري الحياتي ١٣٩٠ ــ ١٣٩٥ ــ ١٩٧٠ ــ ١٩٧٥ ــ مطبعة البلاغة ــ حلب ــ سوريا ــ الناشر مكتبة التراث الإسلامي ــ حلب.

١٠٨ ــ **لسان العرب :**
جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ١٩٦٨م. دار صادر ــ بيروت.

١٠٩ ــ **المبدع شرح المقنع :**
برهان الدين ابراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي: ط١، ١٣٨٨ ــ ١٩٦٨ ــ المكتب الإسلامي ــ دمشق ــ سوريا.

١١٠ ــ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :**
نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: ط٢، ١٩٦٧م. دار الكتاب ــ بيروت ــ لبنان.

١١١ ــ **مجموعة التوحيد :**
تقي الدين بن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب ونفر من علماء المسلمين: نشر وتوزيع دار الافتاء والدعوة والارشاد ــ الرياض ــ السعودية.

١١٢ ــ **مجموعة الرسائل الكبرى :**
تقي الدين بن تيمية: ط٢، ١٣٩٢ ــ ١٩٧٢ ــ دار احياء التراث العربي ــ بيروت.

١١٣ ــ **محاسن التأويل المسمى** بـ(تفسير القاسمي) :
ط١ ١٣٧٦ ــ ١٩٥٧م. دار احياء الكتب العربية ــ القاهرة.
١١٤ ــ **مختصر اغاثة اللهفان من مكائد الشيطان** :
عبد الله بن عبد الرحمٰن أبا بطين: ط١، ١٣٩٢ ــ ١٩٧٢م. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.
١١٥ ــ **مختصر تفسير ابن كثير** :
الدكتور محمد علي الصابوني: ط٢، ١٣٩٦م. دار القرآن الكريم ــ دمشق ــ بيروت.
١١٦ ــ **مختصر الفتاوى المصرية** :
بدر الدين محمد بن علي البعلي: ١٣٦٨ ــ ١٩٤٩ مطبعة السنة المحمدية ــ القاهرة.
١١٧ ــ **مدارج السالكين** :
محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: تحقيق محمد حامد الفقي ــ ط٢ ١٣٧٥ ــ ١٩٥٦م. مطبعة السنة المحمدية ــ القاهرة.
١١٨ ــ **المستدرك على الصحيحين** :
أبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ــ مطبعة دائرة المعارف النظامية ــ حيدر أباد الهند ــ الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية ــ حلب ــ سوريا.
١١٩ ــ **مسند الامام أحمد بن حنبل** :
ط١، ١٣١٣هـ ــ المطبعة الميمنية ــ القاهرة.
١٢٠ ــ **مع الأنبياء في القرآن الكريم** :
عفيف عبد الفتاح طباره: ط٢، دار العلم للملايين ــ بيروت.
١٢١ ــ **مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر** :
حسن أيوب: دار القلم ــ الكويت.

١٢٢ ــ **المعجم الكبير :**
سليمان بن أحمد الطبراني: تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي: ط١، ١٣٩٧ الدار العربية للطباعة والنشر ــ بغداد ــ العراق.
١٢٣ ــ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم :**
محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٢٤ ــ **مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين :**
أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري: ط٢، ١٣٨٩ ــ ١٩٦٩ ــ مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة.
١٢٥ ــ **الملل والنحل :**
محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: تحقيق محمد سيد كيلاني ــ ط١ ١٣٨٧ ــ ١٩٦٧ ــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ القاهرة.
١٢٦ ــ **من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك :**
الدكتور محمد البهي: ط١، ١٣٩٣ ــ ١٩٧٣ مطبعة الاستقلال الكبرى ــ الناشر مكتبة وهبه ــ القاهرة.
١٢٧ ــ **الموطـأ :**
مالك بن أنس: تصحيح وتعليق وتخريج محمد فؤاد عبد الباقي ــ ١٣٧٠ ــ ١٩٥١ دار احياء الكتب العربية ــ عيسى البابي الحلبي وشركاه ــ القاهرة.
١٢٨ ــ **موقف المعتزلة من السنة النبوية :**
أبو لبابة حسين: ط١، ١٣٩٩ ــ ١٩٧٩ ــ منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع ــ الرياض ــ السعودية.
١٢٩ ــ **النبـوات :**
تقي الدين بن تيمية: ١٣٨٦ ــ المطبعة السلفية ومكتبتها ــ القاهرة.

١٣٠ ــ **النبوة والأنبياء :**
الدكتور محمد علي الصابوني: ط١، ١٣٩٠ ــ ١٩٧٠ ــ دار الارشاد ــ بيروت ــ لبنان.
١٣١ ــ **النهاية في غريب الحديث والأثر :**
مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير تحقيق محمود محمد الطناجي وطاهر احمد الزاوي: ط١، ١٣٨٣ ــ ١٩٦٣ ــ دار احياء الكتب العربية ــ القاهرة.

تمت بحمد الله وتوفيقه

فهرس الكتاب

الباب الثاني :

الباب الثالث:


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com